

مصر والشرق الأدنى القديم

(٤)

الحضارة المصرية القديمة

المجلد الأول
للدولاب والعلوم

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران

استاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع ستيفن - الأزاريطة
الإسكندرية



الحضارة المصرية القديمة

مصر والشرق الأدنى القديم

(٤)

الحضارة المصرية القديمة

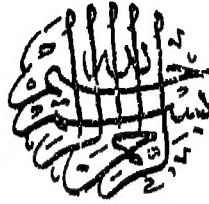
الجزء الأول
للدوايس والعلوم

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي حيران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع ستيرز - الأقارطة
الإسكندرية



والحمد لله رب العالمين

والصلا والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

مولانا وسيدنا محمد وآله الكرام

«اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على
ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما
باركت على ابراهيم وآل ابراهيم، في العالمين انك حميد مجيد»

إهداء

الى الذين هم اعز على من نفسى

الى ابنائى أحمد ضياء الدين و ابراهيم والحسين

والى ابنتى أمـال وأمـال

تقديم

قدمنا في الاجزاء الثلاثة الاولى من هذه السلسلة « مصر والشرق الادنى القديم » دراسة شبه مفصلة عن تاريخ مصر السياسى فى العصور الفرعونية ، ومن ثم فقد كان لابد ، وأن نقدم بعد ذلك ، دراسة لأهم مظاهر الحضارة المصرية القديمة ، وما أسهم به المصريون — وهو جد كبير — فى مختلف مناحى الحضارة فى الشرق الادنى القديم ، حتى تكون دراستنا عن التاريخ المصرى القديم متكاملة ، وليس لبيان فضل الحضارة المصرية القديمة على غيرها من الحضارات ، فذلك أمر لا يستطيع أن ينكره جاحد ، أو يرفض الاعتراف به منصف ، كما أن «أستاذية» مصر فى كثير من مناحى الحياة حقيقة ، لا يرفضها حتى الكارهون ، أو يمارى فيها الناقمون ، مهما شاعت لهم كراهيتهم ، والى أى مدى بلغت نعمتهم على كنانة الله فى الارض •

وتتبع هذه الدراسة الحضارية فى جزأين ، الواحد : عن الآداب والعلوم ، وهو موضوع هذا الجزء الرابع من سلسلة «مصر والشرق الادنى القديم» ، والثانى : وقد صدرت طبعته الاولى فى عام ١٩٨٤م ، ويتحدث عن الحياة الاجتماعية ، والتنظيمات السياسية والادارية

والعسكرية والقضائية ، فضلا عن دراسة شبه مفصلة للديانة المصرية القديمة ، ويمثل الجزء الخامس من هذه السلسلة (١) .

والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع ، والله العزة ولرسوله
والمؤمنين .

«وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب» ،،

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية
بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية

بولكلى فى } الثامن من المحرم عام ١٤٠٩ هـ
٢٠ أغسطس من عام ١٩٨٨ م

(١) قدم الباحث أربع دراسات أخرى عن تاريخ وحضارة مصر القديمة (أنظر : محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية الاسكندرية ١٩٦٦ ، مصر والعالم الخارجى فى عصر رمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ م ، حركات التحرير فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦ م ، اخناتون : عصره ودعوته - القاهرة ١٩٧٩ م) .

الكتاب الاول

الادب المصرى القديم

كان المصريون القدامى يقدرّون الأدب حق قدره ، ويعجبون بالكلام الجيد والقول البليغ ، وكانوا يرون في اجادة التعبير ، والتصرف في فنون الأدب ، فضلا يمتاز به المرء ، ومثلا ينبغى أن يتخلق به الكريم ، كما كانوا يرون فيه ثروة تعين على المنزلة الرفيعة ، والدرجة السامية ، وهكذا أدرك القوم ما يكون للكلمة من القوة والأثر ، وما تتيحه البلاغة والفصاحة من التسلط على الناس ، وحسن سياستهم والسيطرة عليهم ، ومكان ذلك من مقومات القيادة القوية والزعامة النافذة ، ولنا في ذلك شاهد من قول الملك الالهاسي لولده « مري كارع » وهو يعظه :

« كن مفتنا في الكلام ، قديرا فيه ، مالكا لناصرته ، حتى يعلو شأنك وينبه ذكرك ، ففوة المرء في لسانه ، والكلام أقوى من الحرب والقتال ، ان الرجل الفطن لا يهاجمه أهل العلم ، وهو بفطنته وحسن بصيرته ، يستطيع أن يتجنب المصاعب ، فلا يصيبه الضرر ، ولا يلحق به الأذى ، والصدق يأتي اليه طائعا مختارا مصفى ، حسب ما جاء في كلام الأجداد الغابرين ، انسج على منوال آبائك الذين سبقوك ، أنظر : ان كلماتهم لا تزال خالدة تنبض بالحياة فيما خلفوه من كتب ، افتح الكتاب واقرأ ما فيه ، واستفد بعلم أسلافك ، واتبع تعاليمهم ، تصبح عالما حكيما مثلهم » (١) .

وهكذا كان الأدب يقرأ ويدرس للشباب في المدارس ، وكان الطلاب ينسخونه لتقويم ألسنتهم ، وتعليمهم الفصاحة والبلاغة ، وان كثرة ما حفظ من منسوخاتهم منه في عهود مختلفة ، ليدل على ما كان له من شهرة ، ويشير الى مدى تعلق القوم به .

(١) انظر :

J.A. Wilson, The Inscription for King Meri-Ka-Re, in ANET, 1966, p.415.

R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, : وكلا p. 181-182.

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, : وكلا p. 99-100.

هذا وقد بدأ العالم المعاصر يهتم بالأدب المصرى القديم منذ أن نشر العالم الألماني « أدولف ارمان » فى عام ١٩٢٤ ، مقاله الشهير عن بردية الحكيم المصرى « امنسؤوبى » ، وأنها الأساس الذى اعتمدت عليه حكم سليمان النبى ، كما جاءت فى سفر الأمثال من توراة اليهود المتداولة اليوم — الأمر الذى سوف تناقشه فى مكانه من هذه الدراسة بالتفصيل — ومن ثم فقد بدأ شوق الناس يزداد الى معرفة كنه هذا الأدب ، ومقارنته بالآداب الأخرى ، ولم يكن بين أيدي الناس حتى ذلك الوقت ، الا بعض مقالات وأبحاث متفرقة فى المجالات العلمية ، او خفصول فى بعض كتب التاريخ ، هذا فضلا عن كتاب « ارمان » عن أدب المصريين القدامى الذى صدر عام ١٩٢٣ باللغة الألمانية (٢) ، ويحوى ترجمات كاملة لأهم القصص المصرية ، وكتب الحكمة والأناشيد والأغاني وغيرها ، مما كان معروفا وسبقت ترجمته .

وسرعان ما قام علماء الدراسات المصرية بواجبهم ، فنشر « هرمان جرابو » فى عام ١٩٢٤ (٣) ، كتابا يحلل فيه النصوص المصرية ، ويوضح فيه ما بلغته اللغة المصرية القديمة فى مختلف ميادين المجاز والتشبيه والبيان ، البديع والمعانى ، ومقارنتها بغيرها ، وفى عام ١٩٢٧ ظهر كتاب « ماكس بير » (٤) عن الأدب المصرى القديم ، وقد أجاد فيه صاحبه كل الاجادة ، وفى نفس العام ظهرت الترجمة الانجليزية لكتاب « ارمان » (٥) عن أدب المصريين القدامى (٦) ، ثم توالى بعد ذلك المؤلفات فى الأدب المصرى

A. Erman, Die Literature der Aegypter, Leipzig, 1923. (٢)

H. Grapau, Die bildlicher Ausdrücke des Aegyptischen, Von (٣)

Dunken und Dichten einer altorientalischen Sprache, Leipzig, 1924.

Max Peiper, Die Aegyptische Literature, Leipzig, 1927. (٤)

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, Trans- (٥)

lation into English, by A. M. Blackman, London, 1927, Reprint, New York, 1966, under title, The Ancient Egyptians.

(٦) أحمد فخري : تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى — الأدب

المصرى — القاهرة ١٩٦٢ ص ٣٧١ .

القديم ، نشرًا وترجمة وتعليقًا ، بلغات مختلفة (٧) .

وهكذا بدأ علماء الساميات — من أمثال جرسمان (٨) وأوسترلي (٩) وهومبير (١٠) ويهودا (١١) — في دراسة الأدب المصري القديم ، وسرعان ما أثبتت نتائج دراساتهم ، مدى ما وصلت له لغة المصريين القدامى في مختلف ميادين المجاز والتشبيه والبيان والبديع ، ومقارنتها بغيرها ، فضلًا عن أثرها الواضح في التوراة ، حتى أصبحنا الآن على قدر من المعرفة ، ربما بسكننا أن تقدم به صورة شبه متكاملة عن الأدب المصري القديم .

ومع ذلك فليس هناك من ريب في أن المعروف حتى الآن من أدب الفوم ، ما يزال في نظر العلماء أقل من حيث الكم ، وربما من حيث الكيف كذلك ، مما ينتظر من الفراعين ذوي الامكانيات الواسعة في عالمي الفكر والمادة ، مما يدفع الى الاعتقاد ، بأن ما وقعت عليه أيدينا حتى اليوم لا يمثل غير جزء من ثروة المصريين الأدبية والعلمية ، فما أكثر الذي ضاع ، وما أكثر ما تزال أرض مصر الطيبة من كنوز هذا التراث القومي ،

(٧) انظر مثلاً :

Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, Volume, I, The Old and Middle Kingdoms, Volume, II, The New Kingdom, London, 1976.

وكلًا : R. O. Faulkner, E. F. Wente and W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, Yale University Press, 1977.

وكلًا : J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 3-36, 365-381, 405-421, 441-449, 467-71.

وكلًا : G. Posener, Litteratur et politique dans L'Egypte de la XI^e dynastie, Paris 1956.

Hugo Gressman and Others, The Psalmists, Oxford, 1926. (٨)

W. O. E. Oesterley, The Wisdom of Egypt, Egypt and The Old Testament London, 1927. (٩)

Paul Humbert, Recherches sur les Sources egyptiennes de la Litterature Sapientiale d'Israel, Neuchatel, 1929. (١٠)

A. S. Yahuda, Die Sprache des Pentateuch in ihren Beziehungen zum Aegyptischen, Erstes Buch, 1929. (١١)

JEA, XVI, p. 157-160.

وكلًا :

على أن هذا القدر المعروف — رغم قلته الراهنة — إنما يدل بوضوح على أن أدب المصريين القدامى ، إنما قد اتصف بما اتصفت به الآداب العالمية النرية من أصول وتنوع ، وذلك من حيث تقسيمه الشكلى الى ثر وشعر ومن حيث تفريعاته الموضوعية (١٢) .

ثم هو يمثل أكثر اتجاهات القوم فى الحياة أصدق تمثيل ، كما يؤكد لنا أن المصريين القدامى ، ان لم يكونوا قد وضعوا الأساس الأول من بناء الفكر الانسانى الرفيع ، فانهم قد كانوا من أئمة الناس فى ذلك (١٣) .

وعلى أية حال ، فلقد عالج القوم فى آدابهم نواحى مختلفة من الأدب فكتبوا فى المواعظ وآداب السلوك وما ينبغى التخلق به فى الظروف المختلفة ، وضمنوها الأمثال والحكم الخالدة على مر الأيام ، وكر السنين، وأنشأوا المقالات فى الاصلاح السياسى لعلاج ما تقضى — فى فترة ما — من مساوئ ، وما حل بالمجتمع من نكبات، وصنفوا الرسائل فى المناسبات والأغراض المختلفة، فى التهانى والتواصى والتمنيات والتراجى، والتفاضل والمفاخرة وغير ذلك من مطالب الحياة ومقاصدها ، وحاكوا القصص القصيرة المختلفة، حتى ليعتقد أن مصر هى موطن القصة القصيرة، وصاغوا الأناشيد ، وألفوا الأغاني ، بل وألفوا التمثيليات الدينية يمثلونها فى أعيادهم لآلهتهم وملوكهم ، الأمر الذى يدل على أن كثيرا من النصوص الأدبية المصرية لم تقتصر أهميتها على كونها تراثا أدبيا فحسب ، بل انها إنما تقدم لنا بعدا انسانيا للحضارة المصرية القديمة التى لا يعرف عنها الشخص العادى ، سوى المقابر والتوابيت والتماثيل ، بل أن كثيرا من الناس كانوا يعتقدون — الى عهد قريب — أن حضارة مصر الفرعونية ليست الا حضارة مادية فى الدرجة اولى ، وأن هذه الشوامخ الراسيات

-
- (١٢) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم — الجزء الاول — مصر والعراق — القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٢٥ .
 (١٣) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر — الجزء الاول — العصر الفرعونى — القاهرة ١٩٧٤ ص ٧٠ .

على أرض الكنانة ، من الأهرامات والمعابد والمسلات وغيرها من الآثار المصرية ، ليست الا رمزا للاستعباد والسخرة (١٤) .

غير أن هذه الصورة التي تمثلها ، ونحن نقرأ النصوص الأدبية المصرية انما تكذب ذلك كله ، كما تكذب أيضا ما يقال من أن المصرى القديم لم يكن يفكر الا فى الموت ، حيث ثبت لنا أنه كان يحب الحياة ، كما تدل على ذلك قصائد المحبين التي تشير الى تمتع مرهف ، سواء أكان ذلك فى المرأة أم فى الطبيعة ، كما يتردد فيها أصداء النشوة والهناء والمرح ، ذلك لأن كثيرا منها انما يتحدث عن رحلات الصيد والقنص فى أحراش الدلتا وأطراف الصحراء ، وعن الرقص والموسيقى والغناء .

هذا وقد عرف المصرى القديم أيضا الأدب الروحاني ، وسما فيه الى قسم عالية ، وفى أشعار اخناتون أبلغ دليل على ذلك ، كما عرف المصرى القديم كذلك شعرا تغلب عليه النزعة الفلسفية ، وبحث بصورة رمزية فى رحلة الانسان بين الميلاد والمات (١٥) .

وهكذا تعددت ميادين الأدب المصرى وتنوعت مراميه ، فهناك الأدب الدينى ، وهو أغنى فروع الأدب مادة وأوفرها ثروة ، لأنه يتناول نواحي متعددة وموضوعات شتى ، فمنها موضوعات تتناول الحياة الأخرى وعقيدة الناس فى البعث والحساب ، الى أخرى تحدثنا عن عقيدتهم فى خلق الكون ، وما أنشأوا حول ذلك من صور وأخيلة ، ثم ما يدور حول معبوداتهم المختلفة من قصص وأساطير ، كما تضمن هذا النوع من الأدب عددا كبيرا من الصلوات والطقوس والأناشيد والشعائر الدينية ، ثم من الأوراد والأدعية والتعاويذ السحرية .

(١٤) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفراعنة - الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢ .

(١٥) منير مجلى : الجزيرة المسحورة - القاهرة ١٩٧٢ ص ١٢ .

ولعل من أروع الآداب الدينية وأقدمها « متون الأهرام » (١٦) ، وهى لون من التصورات والأخيلة والملاحم التى تعبر عن أفكار المصريين الأولى فى الدين والسياسة ، ومدى صلتها بفرعون ، كما تصور آمالهم فى الدنيا والآخرة ، سجلت كلها على جدران بعض الأهرام منذ أواخر الأسرة الخامسة ، واستمر تسجيلها فى الأسرة السادسة ، وكان الغرض من تسجيلها أن تكون عوناً لفرعون المتوفى على بلوغ أسباب السماوات ، وعزاء له عما يلقى فى سبيله الى الجنة من عقبات ، ثم براءة يلقى بها ربه

(١٦) يذهب الدكتور أحمد فخرى الى أننا لا يمكننا ان نعتبر متون الأهرام من المواضيع التى تدخل فى باب الأدب ، وان كانت من الناحيتين الدينية واللغوية ذات أهمية بالغة ، وتساعدها فى فهم كثير من النقاط الغامضة عن حضارة المصريين القدامى بوجه عام ، وديانتهم بوجه خاص . (أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية ٣٧٤/١) .

وعلى أية حال ، فلقد كان « جاستون ماسبيرو » أول من اكتشف متون الأهرام فى عام ١٨٨٠ م ، داخل هرم « وناس » (ونيس) ، ثم عثر بعد ذلك على كثير منها فى أهرام ملوك الأسرة السادسة ، بل فى أهرام بعض ملكاتها ، وهى مجموعة من التعاويذ السحرية والطقوس الجنائزية ، وأجزاء من بعض الأساطير المصرية القديمة ، يرجع تاريخ بعضها الى ما قبل الأسرة الأولى ، بل فيها اشارات الى الحرب التى قامت فى مصر فى أوائل أيامها على أنها حرب بين الالهة التى عبدت فى تلك الايام وعلى كل فقهى تختلف من هرم الى آخر ، بل ان الكهنة الذين أشرفوا على اختيارها لكل ملك ، كانوا يختارون البعض ، ويتركون البعض الآخر ، وقد قسمها « كورت زيتة » الى ٧١٤ فقرة ، وأما الهدف منها فكان ضمان سعادة الملك فى العالم الآخر حيث تفتح له ابواب السماوات التى حرمت على غيره من الناس ، فضلاً عن تحويله الى نجم من النجوم التى لا تطفى ، والى اله الشمس ، أو على الأقل ، ليكون فى ركاب اله الشمس ، ومن أهم الدراسات عن نصوص متون الأهرام ، دراسات :

S. A. Mercer, The Pyramid Texts in Translation and Commentary, 4 Vols, New York, Toronto, 1952.

K. Sethe, Die altägyptischen Pyramidentexte, 4 Vols, Leipzig, 1908-1922, Reprint Hildesheim, 1969. وكذا

R. O. Faulkner, The Ancient Egyptian Texts, 2 Vols, Oxford, 1969. وكذا

فى عالم السماوات ، ذلك أدب خاص كان وقفا على الملوك ، أرادوا أن يظهرُوا به قيمتهم فى الدنيا والآخرة ، ولعلمهم لجأوا الى تسجيله ، حينما كشف الغطاء عن عيون الشعب ، فأخذ يرى بعض ما كان خافيا عليه من قبل ، هنالك ارتفعت البراقع عن وجه الحياة فأخذ القادرون من أفراد الشعب يقلدون الملوك .

ولما كانت أيام الدولة الوسطى وتطورت عقائد الناس بعض الشيء ، استعاض عن متون الأهرام بأخرى قد تشبهها فى أهدافها ، ولكنها تخالفها من حيث الاكتفاء بتدوينها على جدران التوابيت فحسب ، وسماها العلماء « متون التوابيت » (١٧) ، ثم أخذت العقائد سبيلها فى التطور ، حتى اذا ما كانت أيام الدولة الحديثة استعاض الناس عن « متون التوابيت » بأخرى تختلف عنها فى أسلوبها وترتيبها ، وفى أنها كانت تكتب على قراطيس البردى ، وفى أنها كانت آخر الأمر أكثر شعبية ، واصطلح العلماء على تسميتها « كتاب الموتى » ، وهى لا تخرج عن كونها رقى وأدعية وأحرازا يرجى أن تنفع الميت فى الآخرة (١٨) .

وكان الأدب فى أول الأمر واقعيا ، يميل الى التعبير الدقيق السليم بعيدا عن المحسنات ، ولكن تطور الظروف السياسية غير من أساليبه حتى ليستطاع وضع حد فاصل بين ألوان الأدب فى مختلف العصور ، مما يشير الى ما طرأ على البلاد من نهضة أو تدهور أو رغبة فى لم الشمل أو ثورة تستهدف الخلاص من نير المستعمر ، أو الركون الى الدعة بعد الاطمئنان الى قيام دولة تستطيع أن تفرض رأيها على غيرها من الدول ، ولقد وصل الأدب الى قمته قبل عهد الدولة الحديثة فى عهود الكفاح ، ثم ركن من بعد ذلك الى المحسنات اللفظية ، فأضاع قواه وبددها .

(١٧) انظر عن : متون التوابيت وكتاب الموتى (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٤٤٩ - ٥١) .

وكذا : A. de Buck, The Egyptian Coffin Texts, ed. A. de Buck and A. H. Gardiner, 7 Vols, Chicago, 1925-1961.

(١٨) احمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٧٠ - ٧١ .

ولقد ظل أدب الدولة القديمة مثلاً يحتذى فى مختلف العصور ، حتى ليرى القوم فى عهد الدولة الحديثة يتمثلون به ويقلدونه ، حين أحسوا بأنهم لا يستطيعون أن ينحو نحوه أمام واقعية الحياة التى بحبونها ، وإن أفسدوه بمحسناتهم التى ظنوا أنها تغطى عيوب أسلوبهم ومراميه (١٩) ، وعلى أية حال ، فرغم ما يبدو فى أدب الدولة القديمة من بداوة وجفاف أحيانا ، ومن جزالة وعنجهية حيناً آخر ، فالأمر الذى لا شك فيه أن أدب الدولة القديمة لا يخلو من رقة وبلاغة ، يبدو ذلك واضحا فى تعاليم الوزير « بتاح حتب » ، وفى كثير من نصوص لوحات المقابر ، وعلى العموم فإن المرء انما يستطيع أن يلمس بسهولة الأمل القوى فى أدب الدولة القديمة ، بعد أن وضع المصرى الأسس القوية لحضارته العريقة ، والتى أعطته الرضا والثقة فى المستقبل .

هذا وكان للتطور الاجتماعى والتغير السياسى الذى صاحب عهد الثورة الاجتماعية الأولى ، أثر واضح على الأدب ، نلمسه فى الأسلوب المختلف للقصاصد ، وفى ظهور نوع جديد من الأدب ، هو أدب النقد والسياسة ، ومن ذلك آراء الحكيم المصرى « ايوب - ور » فى تحذيراته المشهورة (٢٠) ، التى تحدث فيها عن الاضطراب الخلقى والفوضى فى المجتمع ، مما مهد لنوع آخر من الشعر والنثر يتحدث عن اليأس والعزلة (٢١) وفى العصر الاهناسى بدأ بعض الملوك يقدمون لأولياء عهدهم خلاصة تجاربهم فى السياسة ، حتى يكون لهم من تجارب الآباء ما يفيدهم فى ادارة شئون البلاد ، ومن ذلك تلك النصائح التى وجهت الى الملك « مرى

(١٩) نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٤٨٨ - ٤٨٩ .

A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, (٢٠) Leipzig, 1909, Reprint Hildesheim, 1969.

(٢١) أنظر : ردية اليأس من الحياة فى

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 406-407.

A. Erman, in LAE, 1927, p. 86-92.

R. Weill, in BIFAO, 45, 1946, p. 89-154.

كارع» (٣٣) ، ذات المضمون السياسى والأخلاقي ، وقد صيغت فى أسلوب أدبى رائع ، حتى اعتبرها القوم من القطع المأثورة التى يحفظها الطلبة .

هذا وقد تميز أدب الدولة الوسطى بالبساطة والواقعية والاتزان ، وقد اعتبره المصريون أنفسهم مثالا يحتذى فى البلاغة وجودة التعبير وبداعة التصوير ، وكان المعلمون والتلاميذ ينسخونه فى جميع العصور ، ثم يقرأونه ويحفظونه وينسجون على منواله ، كما ظل لديهم طوال عصور التاريخ التالية باعتباره الأدب الكلاسيكى (٣٣) ، وعلى أية حال ، فإن استتباب الأمن والأمان - سياسيا واقتصاديا - إنما يتبعه فى غالب الأحيان ، ازدهار فى الفكر والأدب ، ومن البدهى أن هذا إنما ينطبق على عصر الدولة الوسطى ، ولدينا شواهد كثيرة عن النهضة الأدبية فى ذلك العصر ، مثل « قصة سنوهى » (٣٤) ، والتى تمثل فى الواقع بداية نوع جديد من القصص التحليلية الذى يهتم - الى جانب سرد الأحداث - بدراسة نفسية البطل ، وتحليل مشاعره ، فى أسلوب قوى ، خال من الزخرف المبالغ فيه .

وجاءت الدولة الحديثة ، وتكونت الامبراطورية المصرية الشاسعة ، ورأت مصر رخاء وثراء لم تشهده من قبل ، واتصلت مصر بشعوب أسيوية كثيرة ، وتعرفت عاداتها وتقاليدها وآدابها ، وبدأ يظهر ذلك الثراء والترف

A. Erman, LAE, p. 75-84.

(٢٢) انظر

J. A. Wilson, ANET, p. 414-418.

وكذا

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 97-109.

A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 20-36.

وكذا :

(٢٣) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق

ص ٧٢ .

(٢٤) انظر

G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de L'epoque Pharaonique, Paris, 194, p.

A. Erman, LAE, p. 14-29.

J. A. Wilson, ANET, p. 18-22.

وكذا :

فى الأدب العاطفى والغنائى بصورة خاصة ، وعلى أية حال ، فاذا كان أدب الدولة القديمة انما حاول أن يناهض التراث القديم، ويفرض صورة جديدة فان الأدب الكلاسيكى انما ظل محتفظا بسطوته كرمز للأسلوب الأدبى ، ولئن شاع الأسلوب القصصى الذى يفهمه العامة ، فان معنى ذلك لم يكن سوى توسيع الشقة بين جمهوره الناس ، وبين تفهم الأسلوب القديم ، حتى غدا بالنسبة لهم كأسلوب الشعر الجاهلى بالنسبة لعامة الناس اليوم ، فلم يعد عامة القوم فى الدولة الحديثة يستسيغون — أو على الأقل يفهمون — رصانة الأسلوب القديم وقوته وبلاغته (٢٥) .

وفى عصر العمارنة ، انتشرت اللغة الدارجة التى حلت محل اللغة التى كانت مستعملة منذ أيام الدولة الوسطى بأجروميتهما القديمة ، ونشأ عن هذا التطور لغة مكتوبة نسيها « اللغة المصرية الحديثة أو المتأخرة » (٣١) وقد أدى ذلك الى أن تصبح اللغة الفصحى ذات الأسلوب الأدبى الذى يتميز به الكتاب ، والتى كانت غير مفهومة الى حد كبير من العامة ، عرضة للتغيير ، ومن ثم فسرعان ما وجدت التعبيرات العامية طريقها الى الأدب ، فضلا عن النصوص الدينية ، وهكذا أصبحنا تدريجيا نرى الكثير من العامية فى النصوص الأدبية والرسمية ، فضلا عن النصوص العلمية الخالصة (٣٧) .

وفى الأدب — كما فى الفن — استبعدت النغمة الرزينة ، فهناك نص يعبر فيه كاتبه للفرعون عن الأمل فى أن يعيش طويلا فى العمارنة « حتى يسود البجع ، ويبيض الغراب ، وحتى تروح الجبال وتجيء ، وحتى

(٢٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٨٩ .
(٢٦) محمد بيومى مهران : أخناتون : عصره ودعوته — الاسكندرية ١٩٧٩ ص ٤٢٨ — ٤٣٠ .

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, II, New York, 1959, p. 282.

(٢٧) أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ١٤٨ ، وكذا
Eleonore Bille-De Mot, The Age of Akhenaten, Translated from French,
by J. Lindsoy, London, 1965, p. 83.

يسرى الماء نحو المنبع » ، هذا ويجب أن يكون لدى الملك كنوز « بقدر
حبات الرمل على شاطئ البحر ، وبقدر الفلوس على السمك ، وبقدر
الشعر على الثيران » ، وأن يحتفل بأعياده الثلاثينية « بقدر ما للطيور من
ريش ، وما للأشجار من ورق » (٢٨) •

هذا ولم يقتصر الأمر على تسرب الروح الشعبية والتعبيرات العامية
الى كل من اللغة والأدب ، وإنما ظهر كذلك تأثير أجنبي قوى فى اللغة ،
وذلك بإدخال كلمات من اللغات الآسيوية ، ليظهر الكاتب نفسه بأنه
ذو ثقافة واسعة ، وأن كل البلاد وطن له ، ومن ثم نراه يذكر كلمة
« ماريانو » (Maryann) بدلا من « فارس العربية » ، وكلمة
« مركبة » (Merkebet) بدلا من الكلمة المصرية للعربة ، وكلمة
« مجدل » (Migdol) بدلا من الحصن ، وكلمة « اكونوا »
(Akunu) بدلا من الجرة ، واستحدثوا طريقة لكتابة تلك
الكلمات وغيرها من الأسماء الأجنبية ، ظلت مستخدمة أجيالا عدة بعد
ذلك (٢٩) ، على أن ما حدث فى عصر العمارنة ، إنما أدى الى إفساح
المجالات أمام عصور الرعامسة ، مع انتشار التعليم فيها ، وكثرة ما تقبلته
من ألفاظ شرقية دخيلة ، وأخيرا حاولت العصور المتأخرة احياء أساليب
الدولتين القديمة والوسطى فى بعض نصوصها ، عسى أن تنعكس عليها
أمجاد أهلها •

وأما عن الحدود الزمنية لتقسيماتها ، فليس من اليسير تحديد عهد
معين لنشأة الأدب المصرى القديم فى أول أطواره ، فلا شك أن أهل ما قبل
التاريخ الذين لم يعرفوا الكلمة المكتوبة ولم يتركوا لنا أدبا مدونا ، كانوا
ستمعون - على الرغم من ذلك - بالقصة الشفهية ، والأغنية الشعبية ،

(٢٨) ادولف اومان : المرجع السابق ص ١٣٥ - ١٣٦ ، وكذا
E. Bille De-Mot, Op-Cit, p. 83.
N. de G. Davies, The Rock Tombs of El-Amarna, III, p. 329.
J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, (٢٩)
p. 220.

والبطولات المروية ، مما لم تحتفظ منه مكتوبات العصور التاريخية
الا بتنف ضئيلة متفرقة (٣٠) •

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا الى عدة نقاط بشأن الأدب
المصرى القديم ، منها :

أولا - ان هذا الأدب انما قد تضمن الفث والسمين - شأنه فى
ذلك شأن أى أدب قديم أو معاصر - وان كان السمين هو الذى يستشهد
به عادة أكثر من غيره ، للدلالة على أسمى ما وصل اليه تفكير أهله ،
ومنها :

ثانيا - أن أية ترجمة لهذه المختارات لن تبلغ من نفس القارىء
المعاصر ، ما بلغت من نفوس أصحابها القدامى ، حين ألفت لهم بلغتهم
وتذوقوها بروحهم ، وذلك على الرغم من أن ما نستشهد به منها تتجاوز
فيه عادة عن صور التكرار المعهودة فى الآداب القديمة كلها ، والتي
لا يستسيغها الذوق الحديث •

ومنها : ثالثا - أنه ما من واحدة منها قد خلصت لفرع محدود من
فروع التأليف ، وانما هى قد تجمع فى طياتها أحيانا بين معالم الأسطورة
والتاريخ والعقائد والعبرة والحكمة ، وبين طلاوة الأسلوب ، فى آن واحد

ومنها : رابعا - أنها ، بمجموعها وروحها ، وان عبرت بصدق عن
خصائص بيئتها الطبيعية والعرقية والاجتماعية فى تصوراتها وتقاليدها
وآلامها وآمالها ، الا أن ثمة سمات عامة وصلت بينها وبين أمثالها من
الآداب القديمة الأخرى ، مثل ضخامة التأثير الدينى ، وكثرة التكرار فى
معانيها ، فضلا عن تقاربها منها فى صور التعبير عن الغرائز الانسانية
والعواطف الفردية ، لا سيما منذ ظهر التأثير والتأثر بينها وبين آداب جيرانها
فى أيام الدولة الحديثة (٣١) •

(٣٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢٦ •

(٣١) نفس المرجع السابق ص ٣٢٥ •

هذا وقد عرف المصريون الشعر من غير شك ، وكانت له أوزانه التي يلتزمونها والقوافي التي يراعونها ، وقد يقف جهلنا بالنطق الصحيح - بسبب اسقاط المتحركات وانعدام الحركات - كما يقف جهلنا أيضا بمواضع الضغط على المقاطع ، عقبة في سبيل ضبط النطق الصحيح للكلمات ، مما يجعل متابعة الوزن الشعري على هذه الصورة أمرا عسيرا ولكن مطالعة الأناشيد الحماسية أو المدائح الدينية أو أهازيج الغزل ، أو أغنيات النصر ، تفصح عن التزام أوزان وقوافي معينة من غير شك ، وأبسط ألوان الشعر ، كما نعلم ، التزام قافية الشطرتين أو البيتين القصيرين ، وال التزام وزن واحد فيها ، وقد ظهرت بعض الأشعار التزم أصحابها في أبياتها الصدر دائما ، بحيث يتكرر في كل بيت ، بينما يتغير العجز ، كما ظهرت بعض الأشعار حيث يكرر الشطر الثاني في معنى مقابل للشطر الأول أو مساو له ، بقصد التوكيد ، وهو المعروف بشعر التساوي في الشطرات المتقابلة ، وقد تقسم القصيدة الى فقرات تحوى كل منها عدة أبيات تصاغ على نمط واحد ، وهذا النوع من القصائد يكاد يكون مقصورا على المدائح الدينية وأناشيد الملوك ، هذا وقد كانت الفقرات ثلاثية أحيانا ، ورباعية أحيانا أخرى ، وان زادت الأبيات في الفقرة الواحدة في المناسبات حتى تبلغ عشرة أبيات ، وهى فى هذه الحالة تخضع كذلك للثلاثيات أو الرباعيات ، وقد انتشرت ، فيما وصل إلينا من شعر ، ضروب البلاغة ، وخاصة فى الدولة الحديثة ، من محسنات لفظية وجناس ومجاز واستعارة (٣٣) .

وعلى أية حال ، فإن العلماء قد تعارفوا على أن للشعر المصرى القديم خصائص يمكن أن نجعلها فى النقاط التالية :

أولا : أن القصائد فى الأدب المصرى القديم انما كانت مقسمة الى فقرات وأبيات ، ليس بالضرورة أن تكون متساوية فى الطول ، من حيث عدد سطورها ، ولكنها تبين بوضوح أنها مقسمة الى أقسام :

(٣٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩٠ .

ثانيا : تكرار استخدام التماثل ، كمظهر آخر من مظاهر هذا التشابه فتأخذ الفكرة الواحدة تعبيراً مزدوجاً ، حتى أن السطر يتكون فيها من جملتين قصيرتين ، توجد في كل منهما نفس الفكرة بصيغة مختلفة عن الأخرى •

ثالثا : أن التشابه يتمثل كذلك فيما يبدو من أن السطور الشعرية إنما تحتوى على عدد محدد ومنتظم من الأرقام •

رابعا : تكرار التلاعب بالألفاظ ، وورود ألفاظ كثيرة متشابهة التطور جنباً إلى جنب (الجنس والطباق ؟) وقد كان الشعراء المصريون القدامى مغرمين بتجنيس حروف بداية الكلمات المتتالية •

خامسا : الاستعمال الغريب الذي كان يظهر أحيانا ، وهو الذي كانت تؤخذ فيه كلمة وردت في سطر ، ثم تكرر في السطر التالي ، كما كانت الاستعارة كثيرة الاستعمال أيضا (٣٣) •

وأما مجالات الأدب المصري القديم التي سوف تتعرض لها في هذه الدراسة ، كل في فصل مستقل ، فهي :

- ١ — أدب الأسطورة •
- ٢ — أدب القصة •
- ٣ — أدب الأناشيد •
- ٤ — أدب الملاحم والمدائح والغناء •
- ٥ — أدب الحوار •
- ٦ — أدب الحكمة والنصائح •
- ٧ — أدب النقد والسياسة •

W. O. E. Oesterley, The Legacy of Egypt, Oxford, 1947, p (٣٣)
241-242.

الفصل الثاني

أدب الأســطورة

كان أدب الأسطورة من أوائل الآداب المترابطة ذات الفكرة والحكمة لا سيما منذ احتضنها رجال الدين لاتصالها بعقائدهم ، واحتضنها رجال الحكم لاتصالها بذكريات أجدادهم ، وقد أحب القوم تلك الأساطير لتسقيتها ، ولأنها صورت لهم المعبودات فى صور بشرية لطيفة مألوفة ، فهى تأكل وتشرب وتتزوج كما يفعل البشر، وهى ترضى وتغضب وتتخاصم كما يفعل البشر ، ثم هى تعيش آخر الأمر ، كما يعيش الملوك والأمراء من سادة البشر(١) ، ولعل أهم هذه الأساطير :

- ١ - أسطورة أوزير وست *
- ٢ - أسطورة حور والعقارب السبعة *
- ٣ - أسطورة النزاع بين حور وست *
- ٤ - أسطورة هلاك البشرية أو انقراضها *
- ٥ - أسطورة حيلة ايزة *

(١) حاول المصرى القديم فى تصوره الأسطورى أن يفهم فى عبارات على لسان البشر ، شخصا أو حادنا أو مجموعة من الناس أو نتائج بعض الأحداث التى يرجعها الى العالم الالهى ، ويقصد بعبرة « العالم الالهى » مالا يستطيع الانسان تفسيره بعقله وبإدراكه الحسى ، ولو كان هذا الشيء موجودا ، وبدت الاجرام الطبيعية كالسما والشمس فى عقل المصرى القديم أنها تنتمى الى العالم الالهى ، ولا يمكن للانسان فى أى زمان أن يدرك بعقله أى كائن من العالم الالهى ، الا بالرمز (عبد الحميد زايد : الرمز والأسطورة الفرعونية ص ٣٠) ، والرمز : هو مظهر المحاولة البشرية فى جعلها عنصرا من العالم الالهى ملموسا على أسس بشرية ، أى على أسس المنطق والادراك الحسى ، على الرغم من أن ذلك لا يتفق بالضرورة مع قوانين الطبيعة ، وكان حكماء المصريين حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، عالين بتلك الحقيقة ، ولم يخطئوا رمزا بحساباته نسخة لما يمثله ، وربما أخذ الرمز المصرى بهذا المعنى شكل شيء أو فعل أو الفاظ ، وبينما لم يكن كل رمز تصورا اسطوريا ، فقد كان كل تصور اسطورى رمزا لكائن من العالم الالهى ، وواضح أن رمزا من الرموز انما يصدق اذا جعل شيئا من العالم الالهى مفهوما فى الحدود الانسانية ، وبقدر تقبل عقيدة الانسان له (رودلف انتس : أساطير العالم القديم - ترجمة أحمد عبد الحميد ، ومراجعة عبد المنعم ابو بكر - القاهرة ١٩٧٤ ص ١٩ - ٢٠) .

٦ - أسطورة البهتان والصدق .

٧ - أسطورة مولد حتشبسوت الآلهى .

١ - أسطورة أوزير وست :

لعل هذه الأسطورة انما هى أقدم الأساطير المصرية وأروعها ، حتى أننا مازلنا نجد فيها من متاع الروح وعزاء النفس أكثر من غيرها ، فنتبع هذه الأسطورة مصرى أصيل ، ومن وحى الطبيعة المصرية الصادقة ، فلقد خال القوم الأرض والسماء زوجين من ذكر وأثى (جب ونوت) ، وخالوهما أول الأمر رتنا ، ثم انفصلتا فانتشر الهواء بينهما ، ثم ولد لهما الزوجين من البنين اثنان ، هما أوزير وست ، ومن البنات اثنتان هما ايزة ونبت حت (نفيس) (٢) .

فأما « أوزير » فقد تزوج من أخته « ايزة » (٣) ، وورث عن أبيه ملك النوادي ، فسار فى الرعية بالعدل والحكمة ، وقدم للناس من الأعمال الصالحات ما جعله فى مجال الخير اماما ومثلا ، علم الناس الزرع والضرع وشرع لهم الأحكام والقوانين ، وطاف فى أقطار الدنيا يشر بالخير والعدل وطبقا للأساطير المتصلة بأوزير ، فان الناس فى ذلك العصر المبكر ، كانوا ما يزالون فى بربرية يأكلون لحوم البشر ، وأن أوزير (٤) قد علمهم

(٢) انظر من : فكرة الخلق عند المصرى القديم ، والنظريات التى دارت حولها (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٢٤٣ - ٢٦٥) .

(٣) انظر عن : أوزير وايزه (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٨٦ - ٢٩٨ ، ٣٤٣ - ٣٤٦) .

(٤) يذهب « يانوسلان تشرنى » الى أن اسم « أوزير » الذى اشتق منه الاسم الاغريقى « أوزيريس » يبدو أن معناه « حذقة العين » أو « مستقر العين » ، ويبدو أنه اسم بشرى الأصل ، ويحتمل أن أوزير كان ملكا دنيويا حقيقيا أضحى ممجدا أو مقدسا بعد وفاته ، والأسطورة التى نسجت عنه لم تركز اهتمامها على حياته الأولى كملك أو حاكم مصر ، انما وجهت اهتمامها على موته ، وعلى بعثته من جديد بعد مصرعه المأسوى ، والذى

الحضارة ، وما يجب أن يؤكل وما لا يأكل ، وأوضح لهم كيفية زراعة الحبوب كالقمح وكروم العنب ، كما علمهم كذلك طريقة عبادة الآلهة . وكتب القانون من أجلهم ، بعون من كاتبه « تحوت » ، الذى خلق الفنون والعلوم ، وأعطى الأشياء أسماءها ، وأنه قد حكم بالمنطق ، وليس بالقوة ، ثم بدأ ينشر علمه فى بقية العالم ، تاركا زوجه « ايزة » نائبة عنه فى تصريف الأمور فى مصر ، وقد اصطحب معه فى مهمته كثيرا من الموسيقيين واستطاع عن طريق المناقشة وأغاني الأناشيد ، أن يقنع الناس باتباع وسائله إلى الخير والنجاح والفلاح ، وهكذا كتب له نجحا غير قليل ، فى تعليمهم زراعة القمح والشعير والعنب ، فضلا عن بناء المدن ، ثم صعد فى النهر حتى بلغ اقليم الحبشة ، فعلم أهله أصول الزراعة وفنونها ، وخطط لهم القرى والمدائن ، ثم تولى عنهم هابطا مع النيل ، فأخذ يقوى شواطئه وجسوره ، ويشق لمائه الجداول والمصارف .

وأما أخوه « ست » ، فقد تزوج من أخته « نفيس » (نبت حت) ، ولكنه كره أن يؤول ملك الوادى الكبير الأخضر السعيد إلى أخيه أوزير ، وغاظه أن يرى له ذلك المكان الرفيع ، فامتلا قلبه حسدا له ، وحقدا عليه ، وسولت له نفسه قتل أخيه ، ثم ترك هذا الانسان الطيب يودع دنياه على هذا النحو المروع ، الذى أنزله من قلوب القوم منزلة الحب والتقدير والاحلال ، ومن ثم فسرعان ما لطخ أتباع « أوزير » شخصية « ست »

أضحى بعده حاكما أو ملكا على عالم الموتى ، ولا توجد رواية شاملة أو حتى كاملة معروفة حتى الآن لقصة أوزير فى الوثائق المصرية ، ومصدرنا الرئيسى عن هذه القصة هو « بلوتارخ » (Plutarch) عن « ايزيس وأوزيريس » وان كانت هناك اشارات متواترة فى النصوص المصرية من كل العصور ، يتضح من سياقها أن الاسطورة التى أوردها « بلوتارخ » تنسق فى جوهرها مع المفاهيم العقيدية المصرية (تشرنى : الديانة المصرية القديمة ص ٤٠) .

(٥) انظر عن « ست » (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ٢/ ٢٨٠ - ٢٨٦) .

بالسواد منذ لحظة مولده ، فزعموا أنه لم يولد فى الوقت السليم ، ولا فى المكان الصحيح ، فلقد ألقى بنفسه من رحم أمه ، وانفجر من جنبها •

وما أن يمضى حين من الدهر ، حتى يسبغ الرواة صفة الواقعية على مقتل أوزير ، فذهبت رواية الى أن « جب » قد قسم مملكته بين ولديه ست وأوزير ، على أن يأخذ الأول مملكة الصعيد ، وأن يأخذ الثانى مملكة الدلتا ، غير أن « ست » ادعى بعد ذلك أن المملكة كلها له ، وأنكر مشاركة أخيه له فيها ، وتذهب رواية أخرى الى أن أوزير وست قد رضيا بحكم أبيهما ، وبدأ كل منهما يحكم نصيبه ، غير أن « جب » عاد فقرر أن ست حاكم سىء ، ومن ثم فقد أعطى نصيبه لأوزير ، وبينما كان أوزير يغزو البلاد الأجنبية ، تاركا امرأته ايزة تصرف الأمور فى مصر ، بدأت عوامل الشر تتحرك فى قلب ست ، بخاصة وأنه كاله حرب ، كان يرى أوزير يستخدم الكثير من الوسائل السلمية ، ومن ثم فقد بدأ يفكر فى الانتقام منه أثناء الاحتفال بعودته منتصرا الى العاصمة « منف » •

هكذا ، وطبقا لرواية « بلوتارخ » فقد وضع ست أوزير فى صندوق كان فى الاصل تابوتا له ، وتذهب أساطير أخرى أن الاغتيال كان عند « ندية » (٦)

(٦) « ندية » أو نديت : تقع على مقربة من مدينة البلينا بمحافظة سوهاج ، فيما يرى برستد ، وأما « أرض الغزال » فهى بلدة « كوم مرة » وهى بلدة « كومبر » الحالية ، على مبعده ١١ كيلو الى الجنوب من أسنا ، فيما يرى زيته ، غير أن « هرمان كيس » انما يشك فى ذلك كله ، ويرى أن الأمر لا يخرج عن كونه نزاعا بين أنصار معبودين من شرق الدلتا ، وأنصار فى بلدة « جدو » ضد أنصار ست فى بلدة « سثة » أو « ستره » على حدود مصر الشمالية الشرقية ، وأن المعركة كانت عند مياه « ندية » فى أرض الغزال التى يمكن تعيينها بمنطقة قرب « كوم أبو ياسين » الحالية ، وقرب اقليم « أوزير » نفسه (فى مدينة عنجى ، والتى سميت « جدو » ، وقد اطلق القوم عليها « بر - أوزير » الذى حرفه الاغريق الى بوزيريس = وهى أبو صر بنا الحالية ، جنوبى غرب سمود) ومن ثم فقد سمت النصوص هذا الاقليم « الفحل الممزق » ، إشارة الى هزيمة أوزير نفسه (انظر : =

أو في أرض الغزال شرق الدلتا ، ثم ألقاه في النيل^(٧) ، وأن جسد أوزير القتل إنما تم تقطيعه الى أربعة عشر جزءا (وربما ستة عشر جزءا) وأن زوجه ايزة ، وأخته تفتيس ، قد عثرتا على جسده عند شواطئ « نندية » وتذهب رواية أخرى الى أن الاغتيال كان في منف أو قرب عين شمس ، وأن ايزه وتفتيس قد دفنتاه هناك ، على أن رواية ثالثة تذهب الى أن الجسد قد حمله تيار النهر الى « بيليس » في مستنقعات الدلتا (وقد حرفت بيليس Byblis فيما بعد الى بيلوس Byblos التي في فينيقيا) ، على أن رواية رابعة تذهب الى أن النيل قد احتمل الصندوق حتى مصبه ، واسلمه للبحر الأخضر (البحر المتوسط) فاحتمله البحر بدوره حتى ألقاه آمنا على شاطئ « جيل (٨) » في لبنان ، فأظلمت هناك شجرة مباركة واحتوته في جوفها ، وساحت ايزة (ايسة) في الأرض بحثا عن أخيها ، حتى بلغت جيل واهتدت الى الشجرة ، واستخلصت الوديعة منها واحتملتها الى مصر ، حيث أعادت الى بدن أخيها روحه وحملت منه ،

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y. 1939, p. 100. =

BIFAO, XXX, 1930, p. 721 F.

H. Gauthier, Dictionnaire des Noms Geographiques, V, Paris.: وكذا 1928, p. 220.

(٧) هناك من يرى ان أوزير كان أصلا ملكا من البشر ، حكم في عصر سحيق للغاية جميع أرض مصر من عاصمته في شرق الدلتا (أبو صير بنا) وقد فسرت ميته العنيفة غارقا في النيل ، والتي تسبب فيها أخوه ست طبقا لهذه النظرية ، باعتبارها ميتة للـك في ثورة كان مركزها مدينة « أمبوس » (طوخ الحالية بمركز نقادة بمحافظة قنا) مقر عبادة « ست » ، وقد تسبب ذلك في انقسام البلاد الى مملكتين مستقلتين ، أحدهما في الصعيد ، والأخرى في الدلتا ، ثم وحدهما الشماليون مرة أخرى ، وقد انعكس هذا الصراع ، وإعادة تأسيس المملكة الأصلية في البلاد في الأسطورة بانتصار « حور » بن « أوزير » على « ست » (ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ص ١١٨) .

(٨) كانت « جيل » تكتب في الدولة القديمة « كبن » وفي الدولة الوسطى « كبنى » ، وفي الدولة الحديثة « كبنا » ، وذكرها الآشوريون باسم « جوبلا » ، والافريق باسم « بيلوس » ، والعرب باسم « جيل » ، وتقع على مبعده . ٤ كيلو شمالي بيروت (A. H. Gardiner, Onom, I, p. 257) .

وتسترت معه ، ولكن أخاه « ست » كشف مخبأه ومزقه فى هذه المرة شر ممزق ، وقطعه اثنتين وأربعين قطعة ، وذلك يرمز فيما يبدو ، الى تمزق وحدة البلاد القديمة وتجزئها الى اثنين وأربعين اقليما ، كما يفسر تعدد مزارات أوزير التى قامت على أجزائه الموزعة فى كافة هذه الأقاليم .

وعلى أية حال ، فلقد ظلت ايزة وفيه لزوجها الشهيد ، كما ذكرنا آنفا ، فلقد استعانت بسحرها حتى ردت اليه روحه لفترة من الزمن ، ثم حطت عليه ، كما يحط الطائر ، فحملت منه حملا ربانيا ، ووضعت منه طفلهما « حور » الذى ربه فى أحراج الدلتا خفية ، وعاقبتها كائنات عدة على كفالاته ، فأرضعته بقرة ، ورعته معها سبع عقارب ، وهو الذى اشتهر بين القوم بسفته الابن الذى فقد أباه أوزير ، وهو « حور ابن ايزة » (حرسا است) ، وان كان « هنرى فرانكفورت » يذهب الى أن « الصقر حور » اله السماء ، انما هو نفسه « حور » ابن أوزير وايزة ، وانه لمن الخطأ أن تفصل بين « حور الاله الكبير سيد السماء » وبين « حور ابن ايزة » ، أو أن نفس حقيقة هذا التوحيد على أنه يرجع الى التوفيق بين المذاهب المختلفة فى العصور المتأخرة .

وعلى أية حال ، فلقد عادت « ايزة » ، فشهرت بأخيها « ست » — القاتل الغاصب — بين الأرباب والناس وكادت له عدة مرات ، وعندما شب ولدها « حور » ، كما يشب أبناء الأساطير ، الذى لا يخضعون لحكم المنطق ، شرع يدبر أمر الانتقام لأبيه ، وقد شاء الله تعالى أن يؤيد الحق ، فظاهر حور على عسه ست ، ونصره عليه نصرا ميينا ، ثم يفصل قضاء الالهة فى مدن « أون » أو فى منف بين المتخاصمين ، ويحكم لحور بعرش أبيه أوزير ، فيصبح ملكا على مصر ، كما يحكم لأوزير بعرش البقاء والخلود ، فيصبح سلطانا على الموتى (٩) .

(٩) أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٦٢ — ٦٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢٦ — ٣٢٩ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٨٠ — ٢٨٩ ، وكذا Jacques Vandier, La religion egyptienne, Paris, 1949, p. 45-47 وكذا H. Frankfort, Kingship and The Gods, Chicago, 1948, p. 38-41. وكذا Veronica Lons, Egyptian Mythology, 1968, p. 50-63, p. 127-138.

تلك هي أسطورة أوزير وايزة مع أخيهما ست ، باختصار ، وهي كما نرى ، قصة الخير والشر ، فهي قد صورت الأخوين (أوزير وست) يختصمان خصاما يذكرنا - مع الفارق - بخصام ابني آدم ، هابيل وقابيل حين قربا الى الله تعالى قربانا ، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله (١٠) .

وصورت الأسطورة أيضا كثيرا من طبائع البشر وعواطفهم وأهوائهم صورت الحب والبغض ، والوفاء والغدر ، والرحمة والقسوة ، ثم علمتنا أن الباطل لا محالة مهزوم ، وأن النصر للحق وأهله مكفول ، طال الكفاح أو قصر ، وليس هناك من ريب في أن هذه الأسطورة انما تصور حياة

(١٠) أنظر عن قصة ولدي آدم (هابيل وقابيل) : سورة المائدة : آية ٢٧ - ٣١ ، وانظر : تفسير الطبري ١٠/٢١٠ - ٢٣٠ ، تفسير المنار ٦/٢٨٠ - ٢٨٧ ، تفسير القرطبي ص ٢١٣٠ - ٢١٣٨ ، صفوة التفاسير ١/٣٣٨ - ٣٣٩ ، في ظلال القرآن ٢/٨٧٤ - ٨٧٥ ، تفسير الكشاف ١/٤٨٤ - ٤٨٦ ، تفسير البضاوي ١/١٤٩ - ١٥١ ، تفسير النسفي ١/٢٨٠ - ٢٨١ ، تفسير ابن كثير ٢/٦٦ - ٧٤ .

ويقول صاحب الظلال (٢/٨٧٤ - ٨٧٥) هذه القصة تقدم نموذجا لطبيعة الشر والعدوان ، ونموذجا من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له ، كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة ، ونموذجا من الطيبة والوداعة وتفهما وجهها لوجه ، كل منهما ينصرف وفق طبيعته ، وترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها البشر ، والعدوان الصارخ الذي يثير الضمير ، ويشير الحاجة الى شريعة نافذة بالقصاص العادل ، تكف النموذج الشرير المعتدى عن الاعتداء ، فإذا ارتكبها على الرغم من ذلك ، وجد الجزاء العادل ، كما تصون النموذج الطيب الخير وتحفظ حرمة دمه ، هذا ولا يحدد السياق القرآني ، لازمان ولا مكان ولا أسماء القصة وعلى الرغم من ورود بعض الآثار والروايات عن « قابيل وهابيل » ، وأنهما أبناء آدم في هذه القصة ، وورود تفصيلات عن القضية بينهما ، والنزاع على اختين لهما ، فإننا نؤثر أن نستبقى القصة ، كما وردت ، مجملة بدون تحديد ، لأن هذه الروايات كلها موضع شك ، في أنها مأخوذة عن أهل الكتاب (تكوين ٤/١ - ٢٦) ، والحديث الوحيد الصحيح الوارد عن هذا النبأ لم يرد فيه تفصيل ، وهو من رواية ابن مسعود ، قال ، صلى الله عليه وسلم « لا تقتل نفس ظلما ، الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها ، لأنه اول من سن القتل » .

المصريين وتجاربهم فى تلك الحياة ، ولن نجد ما يمنعنا من أن تتصور أن يكون « أوزير » هذا رمز « النيل » ، وأن تكون « ايزة » رمزا لأرض الوطن ، تشقى ببعد النيل عنها ، وتسعد بعودته اليها ، فأوزير كالنيل يطوف بالجبهة ، ثم يهبط بمصر ، وأوزير قد علم الناس الضرع والزرع ، والنيل كان — وما يزال وسيظل — حبيب المصريين وأستاذهم الأول ، علمهم الضرع والزرع ، ورسم لهم أروع صور الحب والوفاء والخير والجمال . وأوزير يحارب الشر ، كما يحارب النيل الجفاف .

وهكذا ربط المصريون بين أوزير وكل التطورات التى تحدث على سطح الأرض طوال العام ، وتؤثر فى إنتاجهم الزراعى ، فعندما يجرى الفيضان يكون أوزير هو الماء الجديد الذى يكسب الحقول خضرة ، ومع أن أوزير صار مع الماء — بل مع ينابيع المياه العظيمة — نفسا واحدة ، فانه من الواضح ، أن وظيفة خاصة للماء ، هى التى امتزج بها ، فالماء بوصفه مصدرا للخصب ، ومانحا للحياة ، هو الذى وحد به أوزير ، وهو الذى يسبغ الحياة على التربة ، ومن ثم فإن أوزير كان يتصل بالتربة اتصالا وثيقا ، وإذا ما جف النبات وفنى ، فإن هذا يعنى أن أوزير قد مات غير أن موته هذا ليس أبديا ، إذ اعتقد القوم أن الحياة تعود اليه كل عام ، ومن هنا كانت الاشارات المعروفة لنا عن أوزير انما تقره بحياة النبات أو توحيده معها ، ومن ثم فقد كان تمثيله باعتباره « الها للخضرة » كان سائدا فى مصر فى كل العصور المتأخرة ، وربما ساد أيضا منذ العصور المبكرة ، عندما تقابل اسمه لأول مرة فى الوثائق المكتوبة .

هذا وتربط « متون الأهرام » بين أوزير والحياة النباتية ، كما يرتبط بذلك تصوير أوزير مستلقيا على الأرض ، وينبت القمح من جسده ، أو نمثل شجرة نابتة من قبره أو تابوته ، أو تجعل تماثيله المصورة على هيئة مومياء فى قالب مكون من الدشيشة والتراب مدفونة مع المتوفى ، أو موضوعة فى حقل القمح ، ليضمن به الزارع محصولا موفورا من أرضه ، ومن ثم فقد كان طبيعيا أن يتخيل العقل المصرى ارتباطا بين البعث

والبذور النامية ، ففي عصر الثورة الاجتماعية الأولى تقارن روح الميت مع « نبرى » الاله المجسد للقمح ، ومنذ الدولة الوسطى أصبح يشار الى أوزير كاله للفيضان والخضرة ، وفي الدولة الحديثة تبدو طبيعته الرابضة الى حياة الخضرة واضحة فى تواتر الاشارة فى المقابر الى « القمح — أوزير » ، وهكذا وحده فى أقدم نسخة من « كتاب الموتى » مع الحنطة ، ومن ثم يعبر المتوفى عن نفسه بقوله « انى أوزير ، وانى أعيش كحبة حنطة ، وأنمو كحبة حنطة ، وانى شعير » ، وهكذا ومن أجل الحياة والموت ، اعتبر أوزير بعد ذلك الها للموتى ، طوال العصور التاريخية ، وظلت تلك الصفة من أبرز صفاته •

ولعل ما تجدر الاشارة اليه ، أن مصرع أوزير — على نحو ما رأينا آنفا — وتقدير المصريين لجوده ، ووفائه ، كما تصوره الأسطورة ، انما يقدمان لنا صورة رائعة من الخلق البشرى الكريم ، وانموذجا جميلا من التيمم الانسانية الرفيعة ، ثم ان فكرة الانسان المؤله ، والاله المجسد فى هيئة البشر ، وفكرة الحمل من الروح — حمل ايزة بولدها حور — كل أولئك صور جميلة ، وبخاصة صورة الحمل من الروح ، لأنها تحجب الى قلوبنا هذا الطفل ، وتبشر بالحق والعدل والرحمة والتضحية ، وليس فى دنيا البشر أجمل من هذا المثل •

بقيت الاشارة الى أن المصريين انما كانوا جد راغبين فى تقليد « أوزير » الذى قدمه « ست » أمام رع ومجمع الآلهة فى هليوبوليس ، لكن مجمع القضاء الالهى هذا ، انما قد برأ ساحته ، بمساعدة تحوت ، على أساس أنه « صادق الصوت » ، هذا فضلا عن أن المصرى — تشوقا الى البعث والحياة بعد الموت مثل أوزير وبالتماثل معه — انما كان يحب أن يتلقى بدوره حكما الهيا فى هذه الحال من أوزير نفسه ، لأنه اله الموتى وهكذا بدأ المصريون فى عصر الثورة الاجتماعية — وهو عصر الاتجاه نحو الديمقراطية فى مصر القديمة — يشاركون الفرعون المؤله مصيره الأخرى ، فكما أن الفرعون سيكون أوزير فى الآخرة ، فقد اعتقد كل

فرد أنه سيكون كذلك أوزير ، وما يكاد ركب التاريخ يصل بأيامه الى مطلع الاحياء من أيام الدولة الوسطى حتى تصبح هذه العقيدة واضحة بيينة فيما اتشر على توايت الموتى من تعاويد ورقى مختلفة تشير كلها الى أن الناس قد تساوت مقاديرهم فى هذه الدنيا ، فأصبحوا فى عالم القبور سواء ، غير أن الناس ، فيما يبدو ، قد خدعوا أنفسهم عن طبيعة أوزير ، ونسوا — أو تناسوا — ما كان من قضاء الآلهة فى أوزير ، وزعموا أن فى حمل اسمه ، والتحلّى بتاجه وصولجائه وشاراته ، ما يرفع عنهم كل ذنب ويصل بهم الى عرشه ومقامه ، وتزودوا لآخرتهم بكتاب يسجل طائفة من الفضائل والصالحات من الأعمال ، ويتخذون منها براء الى رب الموتى ، وربما من عذاب الآخرة وجعيمها ، وبذا غدا أمر الدين سهلا ، وبدأ الناس يأخذون بظواهر الأمور ، ويحاولون أن يقنعوا أنفسهم بذلك العزاء الزائف ، والنفس البشرية تحتاج الى العزاء على كل حال (١١) .

(١١) احمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٦٣ ، ياروسلاف تشرنى : المرجع السابق ص ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، احمد بدوى : فى موكب الشمس ٢/٧٠ - ٧١ ، ادولف ارمان : المرجع السابق ص ٤٨ - ٤٩ ، ٨٠ - ٨٢ ، جبمس هنرى برستد : فجر الضمير ص ١١١ - ١١٦ ، محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ٢٨٩ - ٢٩١ ، الثورة الاجتماعية الأولى فى مصر الفراعنه ص ٢١٦ - ٢١٧ .
وانظر عن الاسطورة بصفة عامة :

H. P. Cooke, Osiris, A Study in Myths, Mysteries and Religion, London, 1931.

Plutarch, Isis and Osiris, Trans, by F.C. Babbitt, London, 1963. وكلنا

L. Spence, The Myths and Legends of Ancient Egypt, London, 1915. وكلنا

M. A. Murray, Ancient Egyptian Legends, London, 1913 وكلنا

٢ - أسطورة حور والعقارب السبعة :

كانت هذه الأسطورة من أحب الأساطير الى المصريين ، فهي تمثل قصة امرأة معذبة ، فجمعت في زوجها ، ثم لاقت الأمرين في البحث عن هذا الزوج المقتول حتى عثرت عليه ، واستعافت بسحرها حتى ردت روحه عليه لفترة من الوقت ، وحطت عليه كما يحط الطائر فحملت منه حملا ربانيا ، ووضعت منه طفلها « حور » (١) ، ثم وقفت وحيدة تدافع عن ولدها هذا ، بل ونسبته الى أوزير كذلك ، كما ربت فيه نزعته الثائر لأبيه ، ثم خلافته على عرش مصر العليا والسفلى كخلف له .

على أن هذه الأسطورة لم تكن كغيرها من الأساطير التي يتحدث بها الأب الى ابنه ، أو الأم الى ابنتها ، فحسب ، ولكنها كانت أيضا واحدة من القصص التي كانت تستعمل في أغراض سحرية ، اذ اعتقد القوم ، اعتقادا راسخا ، بأن بعض الأساطير التي يتحدث عن بعض شئون الآلهة ، وخاصة تلك التي تتعلق بمصائب حلت ببعضهم ، انما تصبح ذات أثر فعال ، اذا

(١) صورت منون التوابيت حمل ايزة بولدها حور في مشهد حوارى ينسرك فيه أربعة ، ويبدأ بانطلاق اعصار يروع الآلهة ، ويوقظ ايزة الحبلى مشفقة ان يكون هو صوت خصبها « ست » رب الرمود والبروق ابى يهددها بايذاء جنينها ، فاستصرخت الأرباب وذكروهم بوضعها وبأنها أخت أوزير ، صاحب الفضل في الفصل في الخصومات القديمة ، وأن بذرته تشكلت في بيضته في أحشائها ، فنادهم : هلموا ايها الأرباب ، واحموا من هو في بطنى ، واذكروا أنه مولاكم ، وسرعان ما ياتيها صوت « اتوم » مبشرا « ليطمئن قلبك » ولكن تظهر على المسرح امرأة تسأل ايزة متخابثة : وكيف ندركين أن من هو في البيضة سيكون الاله السيد حقا ، وورثنا لأرباب الماضي ؟ ، وتشعر ايزة بما في السؤال من تعريض بها فتجيبها منعسلة لكرامتها : أنا ايزة ربة الشهرة والقداسة ، وأن من في أحشائى هو غرس أوزير حقا ويناصرها اتوم قائلا : انها حملت خفية ، وهى فتاة حملت ، وستضع حملها دون تدخل الأرباب ، وهو غرس أوزير فعلا ، فليقلع ذلك العدو الذى قتل أباه عن ايداء بيضته الصغيرة ، وليبجله الساحر الأعظم ، فاطيعوا ايها الأرباب ما قالته ايزة (عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢٩) .

عبد المنعم أبو بكر : أساطير مصرية - القاهرة ١٩٥٤ ص ٦٩ - ٧٠ .

استعملت كتميمة سحرية ، ذلك لأن الأساليب التى تخلص بها هذا الاله أو ذاك من محنته ، هى بعينها التى تخلص من يستعملها من البشر فى محنة مماثلة ، هذا وقد اعتاد بعض القوم أن يقيموا أمام منازلهم لوحة حجرية نقشوا فوقها صورا تمثل الاله حور ، وهو يطاءً بقدميه تمساحين ، ويقبض يديه على بعض العقارب والثعابين وغيرها ، والمقصود بهذه اللوحة أن تمنع هذه المخلوقات الضارة من أن تدخل المنزل ونفثك بسكانه .

وهناك نموذج جميل من هذه اللوحات وجد بين مخلفات « الكونت مترينخ » ، وقد عرف بين العلماء باسم « لوحة مترينخ » كان القوم يستعملونها تعويذة تقى من لدغ العقرب ، وقد جاء فيه :

« أنا ايزة بينما كنت خارجة من المشغل الذى تقانى اليه أخى ست ، سمعت تحوتى الاله الكبير ، سيد العدالة فى السماء والأرض ، وهو يقول لى : اقبلى أيتها الالهة ايزة ، ما أحسن أن ينصت الانسان ، يحيا الانسان بهدى غيره ، اختبىء مع ابنك ، ذلك الطفل الذى يقبل إلينا ، عندما يكبر جسده ، وتكتمل قوته ، فسوف تجعلينه يستولى على عرشه ، وتحفظين له بذلك وظيفته ، ملك الأرضين ، وحينما خرجت ساعة المساء ، خرجت العقارب السبعة فى اثرى تحوطنى وتحرسنى (ربما المقصود من ست أو أعوان ست طبقا لرواية بلوتارخ) ، ولكل منهن مكان معلوم من بين يديها ومن خلفها ، وقد نبهتهن فى حزم الى آداب الطريق ، قائلة : لا تتعرفن على الأسود ، ولا تحيين الأحمر ، ولا تفاضلن بين ابن الغنى وابن الفقير ، ولتبق وجوهكن منكفئة على الطريق ، واحذرن اثاره الشكوك ، وأن يتبعكن متلصص يبحث عن مخبأى ، حتى نصل الى « برسوى » مدينة السيدتين المتعلتين ، عند بداية المستنقع ونهاية القفص (الذى نعيش فيه) .

واقتربت ايزة بعقاربها السبعة فى طريقها من دار سيدة متزوجة قاسية فلمحتها ربة الدار من بعيد وغلقت أبوابها دونها ، فاستاءت العقارب من قسونها ، وأضرمن عقابها على فعلتها ، وبعد قليل وجدت ايزة الضيافة عند

امراة فقيرة ، ويا نسلت احدى العقارب (تفن) الى بيت السيدة البخيلة ، ولدغت طفلها ، وأشعلت النار فى بيتها ، فخرجت المرأة تولول ، وما من سميع لها أو مجيب . الا ايزة التى أشفقت على الطفل البرىء ، ونادتها : تعالى ، تعالى ، فان فى فمى الحياة ، وأنا فتاة معروفة فى بلدنا ، أوقف الثعبان بأمرى ، فلقد علمنى أبى العلم ، فقد كنت ابنته المحبوبة ، فسارعت المرأة الى ايزة ، ووضعت أمامها ابنها ، ولما كانت الالهة قد تنبأت بما حدث فانها تستمت بتعويذتها السحرية ، منادية « سم » كل عقرب من العقارب السبع آمرة أياه أن يستل من جسم الطفل ، ولم تكده تنتهى من تميمتها حتى سال السم خارجا من جسم الطفل ، ودبت الحياة فيه ، وفى نفس اللحظة التى استعاد فيها الطفل عافيته ، انطلقت النيران بقوة سحرية من منزل تلك المرأة القاسية ، وتلفت ايزة ثناء تلك المرأة وجيرانها .

وسرعان ما اختفت ايزة من القرية خوفا من بطش ست ، فأسرعت خطاها متوغلة فى أحشاء المستنقعات لتختفى هناك عن أعين المتطفلين من الناس ، وفى هذا المكان الموحش استقبل « حور » الحياة ، بعد أن ذاقت أمه الأمرين فى وحدتها المضنية ، وهكذا عاشت ايزة مع وحيدها بين المستنقعات (أحراج خم) الموحشة ، ولا هم لها سوى تششئة وليدها ورعايته ، فلا تتركه الا لوهلة قصيرة لتحصل على ما يقيم أودهما من طعام أو شراب .

غير أن ست سرعان ما علم بأمر الطفل ، فأرسل عقربا لدغته أثناء غياب أمه ، التى ما أن عادت اليه حتى وجدته يكاد يفارق الحياة ، فصرخت سرخة مدوية سمعها من فى القرية المجاورة ، فهرعوا اليها ، وصاحت امرأة منهم : لا بد أن حور قد لدغته عقرب ، وأما ايزة فقد قربت ألقها من فم الطفل لتستطلع ديب أنفاسه ، ثم فحصت الطفل فوجدت السم عالقا به ، فأخذت تصرخ : أى رع ان ابنك حور قد لدغ ، ان حور قد لدغ ، وهو الوريث والمولى على عرش « شو » ، ان الطفل الجميل ذا الأعضاء الذهبية قد لدغ ، ان حور ابن ايزة قد لدغ ، ان حور الذى أعدته لكى

يثأر لأبيه قد لدغ ، ان حور الذي خشيت أن يصيبه مكروه ، وهو فى رحسى ، قد لدغ ، ان حور الذى رعيته قد لدغ ، ان حور الطفل الذى رجوت حياته قد لدغ ، ان الطفل قد مات •

وهنا جاءتنى امرأة كيسة ، أنبل نساء بلدها ، وهى الالهة « سركت » (سرقة) ، وقالت لى : لا تقنطى فالطفل آمن • والأحراج محروسة ولا حكم للموت عليها ، لأن ست لا يقربها ، ولا يجوب أرض خم • ، فلعل عقربا لدغته أو حيوانا عضه • ، ثم توافدت الربات عليها ، وفى مقدمتهن اختها « نبت حت » (نفتيس) ، وأوصتها احداهن بأن تستصرخ السماء ، فصرخت صرخة أوقفت بها مركب اله الشمس فى مدارها ، وأوقفت كوكبه حيث كان ، وارسل « تحوت » ليستطلع الأمر ، فجاء تحوت وسأل ايزة : ماذا جرى ، أيتها الربة ذات الفهم الحصيف ، لسوف يثبت قرص الشمس حيث كان بالأمس ، ويحتجب الضياء ويعم الظلام ، الى أن ييرا حور من أجل أمه •

وبدا تحوت يرتل تعاويذه السحرة ، معددا أوصاف حور ، مقارنا اياها بأوصاف كائنات الالهة متعددة ، « حور تحيطه العناية ، حور مثله كمثل ذلك الذى فى قرص الشمس ، الذى يضىء الأرضين بنور عينيه ، أى حور ، استيقظ ، أى حور ان حصاتك مؤكدة ، استيقظ وادخل الفرح الى قلب أمك ايزة ، ان كلمات حور سوف تربط بين القلوب ، ان حور سوف ينشر السلام على أولئك الذين يرغبون فى السلام •

« أنا نحوت بن رع البكر ، ان أتوم وأصحابه أصدرورا أمرهم لى بأن أشفى حور لتقر عين أمه ، ولأشفى كل مصاب بنفس العلة ، سيحيا حور من أجل أمه ، وسيحيا كذلك كل من كان مصابا بنفس الداء » •

وينتهى الحوار بشفاء الطفل حور وتعويذه من كل ما يمكن أن يهدده وهو حوار يراه « دريوتون » حلقة من دراما ناضجة كانت تمثل فتحرك العواطف ، وتأخذ بالباب المشاهدين ويختمها « تحوتى » بقوله : ان العالم

يتقربني لأرسل له « مسكته » وأطلق له «معنجة» ولسوف يمدح الرسول
على ما أداه ، عندما يزف البشرى الى من أرسله(٢) .

٣ - اسطورة الصراع بين حور وست :

عثر على هذه الأسطورة في عام ١٩٢٨ م في دير المدينة بطيبة الغربية
(الأقصر غرب) على بردية مكتوبة بالخط الهيراطيقى ، وقد اشتراها
المستر « شستر بيني » ثم أهداها الى المتحف البريطاني ، والبردية ترجع
الى أيام « رعمسيس الخامس » (١١٤٥ - ١١٤١ ق م) من الأسرة
العشرين ، وقد أعيدت كتابتها بلغة الدولة الحديثة من برديات أقدم ترجع
الى أيام الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق م) ، وقد عثر على
بعض أجزاء منها في برديات الدولة الوسطى والحديثة ، والنص الأساسي
لهذه البردية نشره « سير ألن جاردنر » (٣) كما قام بترجمة البردية وشرحها
ثم مقارنتها بغيرها من النصوص الأخرى ، كثير من العلماء ، من أمثال :
جان كابار(٤) وجوستاف فيفسر(٥) وأدولف أرمان(٦) ، وبلاكمان(٧)

(٢) انظر : عبد المنعم ابو بكر : المرجع السابق ص ٦٩ - ٧٧ ،
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ - ٣٣١ ، ايتين دريونون :
المسرح المصرى القديم - ترجمة تروت عكاشة ، ومراجعة عبد المنعم ابو بكر
القاهرة ١٩٦٧ ص ٨٧ - ٩٢ ، ص ١١٦ - ١٢٤ ، أدولف ارمان : ديانة
مصر القديمة ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

وكذا E. Drioton, Le theatre dans L'ancienne Egypte, revue d'His-
toire du Theatre, 1954, p. 54 F.

وكذا A. Morel, in Rev. de L'Histoire des Religions, 1915, p. 213 F.

(١) A. H. Gardiner, The Library of A. Chester Beatty Description
of a Hieratic Papyrus with a Mythological Story, Love-Songs and Other
Miscellaneous Texts-The Chester Beatty No. I, London, 1931, p. 8-26,
Pls. 1-16.

A. H. Gardiner, LES, p. 37-60.

وكذا

Jean Capart, in Chronique d'Egypte, 8, 1933, p. 243-255.

(٤)

G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de L'epoque Pha-
raonique, Paris, 1949, p. 178-203.

(٥)

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians Trans
into English by A. M. Blackman, London, 1927, Reprint New York,
1966.

(٦)

==

وجريفت(٨) وبرونر - تروت(٩) ، وتسييجل(١٠) وجو ويلسون(١١) ،
وغيرهم(١٢) *

هذا وقد قام بعض العلماء المصريين بتقديم ترجمات للبردية - سواء
أكانت هذه الترجمات كاملة ، أو لأهم أجزاء البردية - من أمثال : سليم
حسن وأحمد فخري وعبد المنعم أبو بكر وعبد الحميد زايد وعبد العزيز
صالح ، فضلا عن ترجمة عربية لكتاب « جوستاف لوفيفر »(١٣) *

وتمثل هذه البردية القضاء وأحكامه ، كما تقدم فكرة عن كل
الخطوات التي تستلزمها قضية ما ، وتبين أطوارها المختلفة في مساحة القضاء
فضلا عن أنها انما تتعلق بشخصيات اعتبرها المصري القديم آلهة له ، غير

-
- ==
- A. M. Blackman, in JEA, 19, 1933, p. 200 F. (٧)
J. G. Griffiths, The Conflict of Horus and Seth from Egyption (٨)
and Classical Sources, Liverpool, 1960.
E. Brunner-Traut, Altägyptische Märchen. Dusseldorf-Colo- (٩)
gne, 1965, p. 93-107.
J. Spiegel, Die Erzählung Vom Streite des Horus und Seth in (١٠)
Pap. Beatty I, als Literaturwerk. Leipziger ägyptologische Studien, 9, 1937.
J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 14-18. (١١)
H. Te Velde, Seth, God of Confusion, Leiden, 1967. (١٢)

ومن أحدث ترجمات هذه البردية :

- Miriam Licheim, Ancient Egyptian Literature, London, 11,
1975, p. 214-223.
E. F. Wente, in Simpson, The Literature of Ancient Egypt,
London, 1977, p. 108-126.
(١٣) سليم حسن : الادب المصري القديم - الجزء الأول - القاهرة
١٩٤٥ ص ١٢٧ - ١٦١ ، أحمد فخري : تاريخ الحضارة المصرية
٣٧٨/١ - ٣٨٢ ، عبد المنعم أبو بكر : أساطير مصرية ص ٢٦ - ٤٠ ،
عبد الحميد زايد : الرمز والاسطورة الفرعونية - مجلة عالم الفكر - ديسمبر
١٩٨٥ ص ٤٧ - ٥٢ ، عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ٣٣١/١ - ٣٣٣
جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعوني - ترجمة
على حافظ ص ٢٣٧ - ٢٧٠ (الألف كتاب رقم ٦٦) ، رودلف انتس :
أساطير العالم القديم (معرب) - القاهرة ١٩٧٤ ص ٦٢ - ٦٤ .

أن الأسلوب الشيق الذى دبجت به الأسطورة يجعل القارئ ، يحس وكأنها تقدم صورة حية لما كان يحدث بين الناس ، وخاصة أن الأسلوب انما قد صاغه المؤلف بالفاظ تستعمل فى الحياة اليومية ، ومن عجب أن المصريين رغم أنهم كانوا — كما يقول جوستاف لوفيفر — من « أتقى أهل الأرض جميعا » ، فإن الحديث فى هذه الأسطورة عن الالهة ، لا ينم عن رفع الكلفة فحسب ، بل يميل الى عدم الاحترام ، وربما السخرية ، ويبين ضعفهم وعيوبهم ، ويضحك القارئ عليهم ، ويتحدث عن رذائلهم ، على أنه من ناحية أخرى ، ما تظن أن المصريين المتدينين كانوا يتخيلون لأربابهم مثل هذا النقاش والجدل ، والأخذ والرد ، دون أن يكون فى دنياهم شيء مثله ، يسمح لأصحاب كل مذهب بأن يجادلوا منافسيهم فى أمور دينهم ، ان لم يسمح لأهل الحكم أيضا بأن يتقبلوا مجادلة ولاتهم وأعضاء مجالسهم ، كما جادل الأرباب رئيسهم •

والأسطورة ، على أية حال ، انما تمثل حكاية شعبية قوية ، ربما للتسلية أكثر منها للغرض التعليمى ، وتركيب القصة ، كما قلنا ، قضائى بالمحكمة العليا للالهة « الأنياد » (مجمع الالهة) فى محاولة لانهاء النزاع الذى استمر ثمانين عاما أمام أعضاء التاسوع وكبار الأرباب برئاسة « رع حر أختى » رب عين شمس ، دون الاهتداء الى حل لها ، وكان موضوع القضية عرش مصر الذى يطالب به « حور » و « ايزة » استنادا الى القانون ، ويطلب به « ست » استنادا الى قوته و سطوته ، ذلك أن « ست » كان قد اغتصب الملك بعد أن قتل أخاه « أوزير » الذى أصبح بعد ذلك ملكا فى العالم الآخر ، غير أن « ايزة » التى كانت قد حملت بولدها « حور » من روح « أوزير » ، عنيت بتربية حور ، حتى بلغ أشده وأخذ يطالب بعرش أبيه أوزير ، وتساعدته فى ذلك أمه « ايزة » ، وقامت الحرب بين حور وست ، وعقد مجلس الالهة محكمة للفصل بينهما ، غير أن المحكمة قد انقسمت الى فريقين ، الواحد يؤيد حور ، والآخر يرى أنه قد تجاوز الحد فى الاجترار على عمه ، وأن عمه أحق منه بالملك وأجدر به •

وكان « أتوم » يميل الى « ست » القوى ، على حين كان قرار المحكمة

فى صالح الوريث الشرعى « حور » ، وبنفس هذا القرار انتهت الخصومة أخيرا الى خاتمتها السعيدة بحور ملكا متوجا على عرش مصر ، ولعل من أهم الخصائص المميزة للخاتمة مظهر « ست » هنا — كما فى الملاهوت المنفى — مغلوبا طيعا فما أن أصبح القرار نهائيا ، حتى وافق عليه راضيا حيث عهد عندئذ الى « رع حراختى » بأن يكون بمثابة الولد ، والمحارب المخيف فى زورق الشمس ، وتستلى الأحداث من بدايتها ونهايتها بالأحداث التى تترى أو تعجل اجراءات المحكمة وقراراتها ، والقصة ، على أية حال ، تتلبد ساخر لاجراءات المحاكم البطيئة والشكليات المعوقة ، كما أنها متبللة بالغز واللسز فى الشخصوس القيادية .

تقول الأسطورة ما ملخصه :

« نقدم حور ، الطفل المقدس الى سيد العالم « أتوم » يطالب بعرش أبيه « أوزير » ، جليل الطلعة ، ابن « بتاع » الذى يضىء الغرب بمجياه ، بينما كان « تحوت » يقدم العين للأمير القوى فى هليوبوليس ، ثم تكلم « شو » ابن « رع » أمام القوى الموجود فى هليوبوليس : الحق هو الرب القوى ، اعط الوظيفة لحورس ، ثم قال تحوت للأنياد (مجمع الآلهة = آلهة التاسوع) : هذا هو الحق مليون مرة ، وهنا تصاعد صوت ابزة فرحة ، وكانت السعادة تطفو على وجهها ، ووقفت أمام سيد الجميع وقالت : يا ربح الشمال اذهبى الى الغرب ، واحملى معك هذا النبا السعيد ، وبلغيه الى « أوزير » (اون نر = وننفر) ، له الحياة والسعادة والصحة » .

« وعندئذ قال شو بن رع : ان وجود العين هو اله العدل من قبل الأنياد ، وقال رب الجميع : ماذا يعنى اتخاذكم قرارا منفردا ، ثم صمت رب الجميع مدة طويلة لأنه كان ساخطا على الأنياد ، ثم قال « ست بن توت » : أخرجوه معى الى الخارج حتى أستطيع أن أرىكم أن يدى تتغلب على يده فى حضرة الأنياد مادام أحد لا يعرف وسيلة أخرى لتجريدته ، ثم قال تحوت : أليس من الصواب أن نعرف من

المخطيء ، الآن هل تعطى وظيفة أوزير الى ست ، ومازال ابنه حور يقف هنا فى المحكمة ، وهنا غضب « رع حور أختى » غضبا شديدا ، فقد كانت رغبته اعطاء الوظيفة لست ، وصاح « أنوريس » صيحة عالية أمام الأنياد ، وقال : ماذا تفعل ؟ »

« واختلط الجابل بالنابل فى ساحة القضاء ، واقترح البعض يسأل فى ذلك بعض الآلهة لكى تعطى رأيها ، فيمن يستحق الوظيفة بين الاثنين (حوروست) ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، وظهر اقتراح أن تسأل « نيت » - ربة صا الحجر - فهى جديرة باتخاذ القرار الناجز ، وأمر أعضاء التاسوع أن يكتب تحوت خطابا - باسم سيد الجميع ، النور الذى يسكن هليوبوليس - الى « نيت » العظيمة ، أم الآله ، فأوما تحوت برأسه ، وقال : حسنا سأفعل ما تأمرون به ، نعم سأفعل ، سأفعل ، وجلس على الأرض وكتب الخطاب التالى :

« ملك مصر العليا والسفلى ، رع أتوم ، محبوب تحوت ، سيد الأرضين ، الساكن فى هليوبوليس ، يقول : ماذا نحن فاعلون بأمر هذين الرجلين اللذين وقفا فى ساحة القضاء ثمانين عاما ، ولم يستطع أحد أن يفصل فى أمرهما ، نرجو الكتابة إلينا بما نحن فاعلون » •

وأرسلت « نيت » (نيت) الآلهة العظيمة أم الآله خطابا الى التاسوع تقول : اعطوا منصب أوزير لولده حور ، ولا تقتربوا مكائد جسيمة ليست فى محلها ، والا غضبت وأطبقت السماء على الأرض ، وقولوا لرب الجميع ، سيد عين شمس أن ضاعف ثراء ست وهبه ابتتيك « عنات » و « عشتارته » ان شئت ، ولكن ضع حور فى منصب أييه •

ثم وصل خطاب « نيت » العظيمة أم الآله الى الأنياد ، عندما كانوا جلوسا فى القاعة الكبرى المسماة «حور صاحب القرون المتقدمة» ، ووضع الخطاب فى يد تحوت ، ثم قرأه تحوت أمام رب الجميع والأنياد كاملا ، وقالوا بصوت واحد : هذه الآلهة على حق ، وعندئذ غضب رب الجميع

على حور ، وقال له : أنت ضعيف البدن ، والمنصب أكبر من أن تحتمله ، ولازلت طفلا يفوح البخار من فمك ، وهنا غضب الحاضرون ، وثار الرب « بابا » قائلا له فى جرأة : لقد أصبح هيكلك خاويا (بعد أن تجاوزه الانصاف) ، وتآلم رع من الالهاته ، فاستلقى على ظهره ، وابتأس قلبه ، فعزت كرامته على أفراد التاسوع ، على الرغم من مخالفتهم لرأيه، وصاحوا فى وجه « بابا » قائلين : أخرج ، فلقد أتيت أمرا نكرا .

ومرت الأيام والسنون ، وجاءت « حاتحور » سيدة الحميزة لتزور أباه سيد الجميع ، ووقفت أمامه وكشفت عن سوءاتها ، وهنا انفجر الإله العظيم ضاحكا ، وصحا من رقدته، وجلس مع التاسوع وقال لحور وست: قصوا على قصتكم ، واختلفت الأصوات وتزايد الصراخ ، وخاصة عندما تدخلت ايزة أم حور لتدافع عن ولدها ، واشتد حنق ست ، وأقسم فى ثورة غضبه أنه سيقتل واحدا من الالهة كل يوم ، ورفض رفضا باتا أن يشترك فى هذه القضية ، ما دامت ايزة حاضرة ، ووافقه رع حراختى ، وانتقل بمجلسه الى مكان قصى فى « الجزيرة الوسطى » ، وحذر النوتى من أن ينقل ايزة اليهم بقاربه ، فلم تسلم ايزة بهذا القرار ، وتكرت فى هيئة عجوز ، واستدرت عطف النوتى بادعائها أن فى الجزيرة غلاما صغيرا يرعى لها أغنامها ، ولم يصله طعامه منذ أيام ، وأنها تود أن تعوله ، وطمأن النوتى بأن ذلك لن يضره لأن قرار الحظر مقصور على ايزة ، ولما تبينت طسعه رسته بخاتمها الذهبى ، فاستجاب لها ونقلها الى الجزيرة الوسطى .

وهناك وجدت القضاة ومعهم ست يتفياون ظل شجرة ، فقلبت نفسها الى غادة مليحة . وخطرت أمام ست المعجب بنفسه حتى لمحها وتعقبها وغالزها ، وفى حديثها معه استثارت نخوته بقولها : تأمل يا سيدى الجليل انى كنت زوجة راع ، وأنجبت منه طفلا ، ولما مات زوجى ، ولى ولدى الصغير أمر أغنام أبيه ، ولكن رجلا غريبا جاء واستولى على حظيره عنوة وقال له : سوف أضربك واستولى على أغنام أبيك وألقى بك بعيدا ، فهلا أصبحت حاميا له ؟ ، فأجابها ست : وهل يجوز أن يستولى غريب على

القطيع وابن رب العائلة موجود ، الويل للغاصب ، وعند ذلك غيرت ايزة نفسها بسحرها الى هيئة الحداة ، وطار ، ثم حطت على قمة شجرة ، وصاحت به قائلة له : ابك اذن على نفسك ، فان فمك هو الذى قالها ، وشطارتك هى التى حكمت عليك ، فما الذى تريده بعد ذلك .

وصرخ أعضاء التاسوع قائلين : ما هذا يا ست ، لقد اتعبتنا بقضيتك وأنت تقر الآن بالحق ، فلتعطى وظيفة أوزير الى ولده حور ، غير أن ست لم ينهزم ، وطلب من سيد الجميع أن يدخل فى معركة جسدية مع حور ، على أن تعطى الوظيفة للغالب ، وهلل التاسوع لهذه الفكرة ، وسرعان ما انقلب الخصمان الى فرسى نهر ، وصمسا على أن يبقيا تحت الماء مدة ثلاثة أشهر كاملة ، ولكن ايزة أفسدت المراهنة بتدخلها الى جانب ولدها حور ، حيث اسقطت فى الماء (خطافا) لكى تشمل حركة ست ، فاستعطف ست أخته ايزة ، وطلب اليها بحنان أن تبعد عنه الخطاف ، وسرعان ما رق قلبها ، فغضب حور على أمه وأطاح برأسها . فانزعج أعضاء التاسوع من هذه الفعلة الشنيعة وسحوا لست أن يعاقب حور باقتلاع عينيه ودفنهما فى الأرض حتى تضى بهما ، وهنا أسرع حاتحور ووضعت فى مقلتيه لبن غزال ، وبذلك ارتد الضوء اليهما .

وطلب رع من الخصمين أن يوقفا عراكهما ، فصرخ ست مقسما : سوف لا تعطى وظيفة أوزير الى حور ، الا بعد أن يغلب أحدهما الآخر ، واقترح أن يقوم سباق بينهما فى سبعيتين ، على أن يتسلم الغالب وظيفة أوزير ، فأعد حور لنفسه قارباً من الخشب طلالها من الخارج بالمجص ليبدو للناظر أنه صنع من الحجر ، وبنى ست لنفسه قارباً من الحجر الأصم ، وما كاد يضعه فى الماء حتى غرق فى اليم ، وأقلع حور بقاربه نحو الشمال الى مقر الالهة نيت فى ساو ، وهناك أبلغها بكل ما حدث ، كما عرض عليها ما أخطأ فيه ، واتخذت شكل فرس النهر ، وأراد مهاجمة قارب حور ، الذى سارع باستعمال الخطاف ليلقيه على ست ، الا أن أعضاء التاسوع صرخوا قائلين : لا ترم ست بهذا الخطاف .

واقترح تحوت أن يكتب الآلهة خطابا الى الاله أوزير يسألونه رأيه فى المشكلة ، ثم قال شو ابن رع : ما قاله تصوت للأنياد حق مليون مرة ، ثم قال رب الجميع لتحوت : أجلس وأكتب خطابا الى أوزير لنستطيع سماع ما عنده من قول ، وكتب تحوت الخطاب ، وعندما تلقى أوزير صاح صيحة عظيمة ، ورد عليه فى الحال فقال : لم تخدعون ولدى حور ، وأنا من شد أزركم . وأنميت الشعير والحنطة لحياة الأرباب والأحياء من بعدهم وما من اله آخر أو الهة يستطيع أن يفعل ذلك ، وعندما قرىء الرد على « رع حراختى » استنكر هذا التعالى ورد عليه بمثله قائلا له : انك وان لم توجد الاقبا ، ولم تولد بتاتا ، فلسوف يبقى الشعير والحنطة (من دولك) .

وعندما وصل خطاب «رع حراختى» اليه أوزير ، سارع بالرد مهددا الآلهة أن يرسل اليهم بعض المردة من أتباعه ، واتهم رع حراختى بأنه يجمع من حوله فئة من الآلهة ، لا هم لها الا الاعلاء من شأنه والتزلف اليه ، بينما يهملون شئون الناس ومصلحتهم ، ثم تساءل : يا صانع التاسوع أين العدانة ، اذا بحث عنها فانك ستجدها قد عرقت وذهبت معالمها ، احكم بالعدل ، أما الأرض التى أعيش فيها فهى ملأى برسل ذوى وجوه متوحشة وهم لا يخشون أى اله أو آلهة ، ان فى استطاعتى أن أرسلهم اليكم ليقضوا على أى منكم فيجلبوه الى هنا ليعيش معى (اشارة الى موته) ، اذ لا معنى أن أعيش هنا فى الغرب ، بينما تبرحون أتم فى عالمكم ، وانى أتساءل من منكم يفوقنى قوة ؟ ووبهم الحق انكم لا تجبدون شيئا غير الخداع ، واعلموا أن بناح العظيم عندما خالق النجوم فى السماء قال لها : ستذهبين كل ليلة ، وسنحيين فى الغرب حيث يحكم أوزير ، وسوف يذهب الى الغرب أيضا كل اله وكل انسان ليحيا هناك مع أوزير .

وعندما وصل الخطاب الى تحوت ، وقرأه على أفراد التاسوع ، وافقوا عليه بالاجماع ، ولكن ست أراد أن يخرج بمحاولة جديدة ، فأمر « أتوم » ايزة أن تحضر ست مكبلا بالقيود ، ونفذت ايزة ما أمر به أتوم ، الذى

وجه الحديث الى ست قائلا : لماذا لا تريد أن تأخذ العدالة مجراها ؟ ولماذا تعارض في أن يأخذ حور وظيفة أبيه ؟ وهنا أجاب ست : سيدى ومولاي، دع حور بن ايزة يتسلم وظيفة أبيه ، وسرعان ما حضر حور ، ولبس التاج الأبيض ، واعتلى عرش أبيه ، ثم قيل له : أهلا بالملك الطيب المولى على مصر ، فليكن من نصيبك الحياة والسعادة والصحة ، وأما سيد الجميع فقال : دعوا ست بن فوت يأتى ليحيا معى ، سأجعل منه ابنا لى ، سوف يدوى سوته فى السماء ، سوف يهابه كل الناس ، وأما رع فقد قال عندما بلغه الخبر : فلتسمدو به ، خروا الى الأرض ساجدا أمام حور بن ايزة ، وهكذا انتهت هذه القضية بالسعادة ترفرف على حور فى طيبة موطن الحق ، وبارضاء ست برفعه الى السماء ليكون تبعا لاله الشمس « رع عراختى » ، والساح له باستغلال طاقته فيها ، حيث يزأر فيكون الرعد، ويشور فتشور العواصف .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن الرواة الدينيين من أنصار اوزير وحور لم ينسوا نصيحة الربة « نيت » الى أفراد التاسوع بأن يقولوا للاله الأكبر أن يهب ست ابنتيه عنات وعشتارته ، ان شاء ، وبمعنى آخر أن يمنحه أراضى المربتين فى غربى آسيا وصحراواتها ، على أن يبعد أذاه عن مصر ، وأن ذلك قد حدث ، وأن ست قد عوض عن مصر بغيرها ، على الرغم من تبعيته لأربابها ، ومن ثم فقد أصبح هؤلاء الرواة المنتخبون — كلما ألت بمصر مصيبة وتعرضت لغزو من آسيا وعبر صحراواتها — رهبوا الى هذه المصيبة رمزا فى أساطير عقيدتهم ، وربطوا بينها وبين مكائد ست وإيحاءاته ، ولقد ظنوا مثل هذا الظن بالنسبة للهكسوس الذين أتوا من آسيا ، وعبدوا ست وحاربوا تحت رايته ، كما ظنوه أيضا بالنسبة للفرس الذين اغتصبوا عرشهم واستهانوا بمعابدهم ومذاهبهم ، ولم يحترموا موتاهم ، وحاربوا أبطاله الساعين الى تحرير وطنهم ، وقد أدمجت كل هذه الشرور رمزا فى أساطير وتمثيلات تبنها معبد اوزير فى إيدوس واحتفظت بها بعض البرديات المتأخرة ، وقد خدمت غرضين ، غرض ارضاء السامعين والمشاهدين بالرمز الى استمرار مشكلات ست ضد اوزير

وأُسرتِه وغرض ترديد اللعنات ، باسم الدين والقومية ، على الاعداء
 الفرس الذين سمح لهم ست باجتياز أراضيهِ الأسيوية ، وايداء مصر في
 كرامتها وتقاليدها ورغم ذلك كله ، فلقد ظل أنصار ست من المصريين
 يعتبرونه ربا قادرا فاضلا ، يرسل العواصف لكي تبشر بالمطر ، ويستخدم
 طاقته الحربية في نصرة مصر وجيوشها ، ويستخدم قوته السحرية في
 حماية رب الشمس ومركبه ، بل ويأخذ بناصر أخيه أوزير في الآخرة .
 بقيت الإشارة الى أن هذه الأسطورة انما كانت من أحب
 الموضوعات الى قلوب المصريين ، لأنها قصة النزاع بين الخير والشر ،
 التي تنتهي بانتصار الخير ، ونيل صاحب الحق حقه ، وكاوا
 يشلون حوادثها كل عام منذ أيام الاسرة الثامنة عشرة على الأقل ،
 في عيد أوزير في أييدوس - كما أشرنا آنفا - وكان الكهنة يقومون
 بأدوار الآلهة ، ويشترك الناس في تمثيل المعارك ، وكان يحج الى أييدوس
 في كل عام آلاف من الناس ليشهدوا تلك الموكب والتمثيلات التي
 تستغرق عدة أيام ، وربما كان ذلك هو السبب الذي دفع الباحثين في
 تاريخ المسرح يعتقدون أن هذه الأسطورة التي كانت تمثل حوادثها قبل
 أربعة آلاف عام ، انما هي أقدم ما نعرفه عن التمثيلات في العالم كله ،
 فقد كان المصريون يمثلونها قبل ظهور المسرح اليوناني الى عالم الوجود
 بها يقرب من ألف وخسمائة عام (١٢) .

(١٤) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٤٣ - ١٦١ ، عبد العزيز
 صالح : المرجع السابق ص ٣٢٩ - ٣٣٣ ، أحمد فخري : المرجع السابق
 ص ٣٧٩ - ٣٨٢ ، عبد النعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٢٧ - ٣٩ ،
 عبد الحميد زائد : المرجع السابق ص ٤٨ - ٥٣ ، جوستاف لوفبر :
 المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٧٠ .

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 178-203.

M. Lichtheim, Op-Sil, p. 214-223.

J. A. Wilson, ANET, p. 14-18.

A. Gardiner, LES, p. 37-60.

E. F. Wente and Others, The Literature of Ancient Egypt,
 London, 1977, p. 109-126.

J. Capart, Cde, 8, 1933, p. 243-255.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

٤ - أسطورة هلاك البشرية وانقاذها :

وصلت إلينا هذه الأسطورة بطريقة غريبة ، فقد نقلت فى كتب التعويذات السحرية التى نقشت على جدران بعض مقابر ملوك الدولة الحديثة فى طيبة الغربية ، من أمثال « سيتى الأول » (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق م) و « ورعسيس الثانى » (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق م) و « رعسيس الثالث » (١١٨٢ - ١١٥١ ق م) و « رعسيس السادس » (١١٤١ - ١١٣٤ ق م) فضلا عن « نأؤوس » الملك « توت غنخ آمون » (١٣٤٧ - ١٣٣٩ ق م) (١) .

هذا وقد قام بعض العلماء بنشر هذه الأسطورة ، من أمثال ادوارد نافيل (٢) وماكس مولر (٣) ورودر (٤) ويانكوف (٥) وغيرهم (٦) ، فضلا عن بعض العلماء المصريين ، من أمثال الدكتور سليم حسن (٧) والدكتور أحمد فخرى (٨) والدكتور عبد المنعم أبو بكر (٩) والدكتور عبد العزيز صالح (١٠) وغيرهم .

والأسطورة - كما يقول أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، طيب الله ثراه (١٩٠٧ - ١٩٧٦ م) من أروع أساطير المصريين القدماء ، نحدثوا

-
- (١) Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, A book of Readings, II, London, 1976, p. 197-198.
 (٢) E. Naville, Transactions of The Soc. of Bib. Arch IV, p. 1-9.
 (٣) M. Muller, Egyptian Mythology, p. 73 F.
 (٤) G. Roeder Urkunden Zur Religion des Alten Aegypten, Jena, 1923, p. 141-143.
 (٥) A. Piankoff, The Shrines of Tut-Ankh-Amon, New York, 1955, Harper Torchbook, 1962, p. 27-29.
 (٦) Ch. Maystre, Le Livre de la Vache du Ciel, BIFAO, 40, 1941. n. 53-115. The Whole Text., 58-73.

- (٧) سليم حسن : المرجع السابق ص ٧١ - ٧٤ .
 (٨) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .
 (٩) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٤٩ - ٥٨ .
 (١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

بها لكي يظهروا — من طرف خفى — ما عرف عن الانسان من ميل الى الشر ، وعن تعسفه ومغالاته في الاستبداد ، اذا ترك له الحبل على الغارب فأغضب هذا النزوع الى الشر الاله الكبير . وأراد أن ينتقم من هذه المخلوقات الضعيفة التي شقت عصا الطاعة على خالقها ، فيرسل عليهم مايكاد يهلكهم ، ثم تأخذه الشفقة بهم فينجى بعضهم لتستمر حياة الناس على الأرض فضلا عن أن يكون في ذلك عبرة ومثلا يضرب للبشر النشاع فيردعهم ويقوم من سيلهم الى الشر والخيانة . وهناك ما يشير الى أن هذه الأسطورة انما كانت محبوبه لدى القوم ، فقد عثر عليها مكتوبة في أكثر من مكان : وكان الملوك أنفسهم يتعلقون بها أنطوت عليه من حكمة عميفه فأمروا بنقشها على جدران مقابرهم الداخلية لتصبحهم الى الدنيا الثانية .

هذا وتتنيز الأسطورة بسذاجة التعبير والتكرار الذي يستهوي العامة من الناس ، هذا الى جانب اشتفاقات لغوية خاصة بأساء الآلهة تلفت نذر المشتنان باللغة المصرية القديمة ، هذا فضلا عما تقدمه من صور طريفة للاحتفالات والمراسيم المحلية التي كان لا بد منها في الطقوس المصرية القديمة .

وعلى أية حال ، فان الأسطورة تحدثنا أن الاله « رع » ، بعد أن خلق نفسه بنفسه ، وخلق الوجود ، ونملك أمور الأرباب والبشر، تقدمت به السن ، فتأمر جماعة من أشرار الناس ضده ، وكفروا بنعمته ، ثم انتشروا في الأرض فألمه كفرهم ، وجمع كبار الأرباب عنده (حاتحور وتسو وتقنوت وجب ونوت) سرا ، حتى لا يراهم البشر فترنعد فصائلهم ، ثم قال لهم : تأملوا الناس الذين خلقوا من عيني يدبرون أمرا صدى ، فافتوني بما ترون ؟

قال نوت : يا ابني رع ، يا أيها الاله الذي أصبح أقوى ممن خلقه ، وأكبر ممن كونه ، لا نفعل أكثر من أن تجلس على عرشك ، فانك عظيم

الرهبة ، تم وجه عينيك على أولئك الذين يجذفون في حقك ، فقال رع :
أنظر : انهم هربوا الى الصحراء ، فقد ارتعدت قلوبهم مما قالوه •

واستقر الرأي على أن يرسل « رع » عينه « تفنون » في صورة
« حاتحور » ، ففتكت بالعصاه وشربت دماءهم ، ولكنها سرعان ما استمرت
طعم الدم ولذة الانتقام ، فبدأت تأخذ الأبرياء بجريرة العصاة ، وأوشكت
أن تفنى البشر أجمعين ، لولا أن تدارك رع الناس برحمته ، وأوحى الى
أوليائه ان يتحايلا على فتاته العاتية ، وطلب منهم أن يجهزوا سبعة آلاف
اناء من الجعة ، وأن يرسلوا عدائين سريعين ، يجرون كما يجرى ظل الجسم
ليحضروا من أسوان مسحوقا أحمر اشتهرت به — لعله أكسيد الحديد^(١١)
وأن يخلطوه بالجعة ، ولما أهل صباح اليوم الموعد ، الذي اعتزمت فيه
حاتحور فناء البشر ، قال لهم : اسكبوها في المكان الذي قالت أنهاستهلك
البشر فيه ، فرووا الحقول بها حتى ارتفعت نحو أربعة أصابع ، وجاءت
حاتحور في الصباح ، وورأت ما غرس الحقول ، ونظرت الى وجهها الجميل
فيه وشربته ، ولذ لها طعمه ، فسكرت ونسيت أمر البشر •

وهكذا قامت عقدة الأسطورة على الايحاء بأن رحمة الرب غلبت نقمته
وأن ما حدث من شر ، في تمرد خلقه عليه ، انما كان سببا في عمران بقية
الكون ، وقد يتأني بعض الخير من الشر أحيانا ، هذا فضلا عما صورته من
عنف تفنوت وحاتحور ، ورمزت به الى أن للأنث بطشة دوحها بطشات
الرجال ، هذا الى جانب أن الأسطورة انما قد ربطت بين الفيضان الذي

(١١) يرى تشرنى انها فاكهة حمراء اللون يطلق عليها اسم « ديدى »
(Oure) انوا بها من اليفانيين ، (تشرنى : المرجع السابق ص ٦١) •
ويذهب الدكتور عبد المنعم أبو بكر الى أن « ديدى » (ددى) هذه
مادة حمراء استعملها المصري في الحصول على اللون الاحمر ، لا نستطيع
الجزم عما اذا كانت مادة نباتية ام حجرية ، الا انه من المعروف أن اليفانيين
(البفتين = جزيرة اسوان) تحوى سنجما لما نسميه « المفر » (Didi)
ولعلها هي ما اراد الاله احضاره من هناك (عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق
ص ٥٥) •

واما نص الأسطورة فهو كالتالى :

حدث فيما مضى من الزمان ^١ حين كان رع يسكن الأرض ، وبعد أن خلق الناس ، وخلق كل ما يدب على ظهر الأرض ، كما خلق الآلهة ^(١٢) . أن كان الناس يتقدمون الى الاله الأكبر ، بكل فروض الطاعة والعبادة ، اللازمتين لمقامه العلى ، ولكن الاله كانت قد داهمته الكهولة بتعاقب السنين والأجيال وأصبح عجوزا ، عظامه من فضة ، ولحمه من ذهب ، وسعره من اللازورد ، فأخذ الناس يتهمون عليه ويرمونه بالضعف والهزال .

وعلم جلالة الاله بسا كان يدور بين الناس ، وبما كانوا يهمسون به ، فغضب وأمر الآلهة التى كانت فى ركابه قائلا : أدعوا لى عينى على عجل ، وكذا « تسو » و « تفنوت » و « جب » و « نوت » ، وكل الآلهة من الآباء والأمهات الذين كانوا معى عندما كنت أسكن « فون » نفسه ^(١٣) ،

(١٢) هناك الكثير من النصوص النى تستنتج منها مفهوم المصريين عن عصر اقامت فيه الآلهة على الأرض جنبا الى جنب مع البشر ، ومع ذلك فليس لدينا سرد كامل ومنسق عن خلق الانسان نفسه وان كان من الطبيعى ان البشر ، شأنهم فى ذلك شأن أى كائنات أخرى ، قد خلقتهم الآلهة ، فهم بدعون « قطيع الاله » او « قطيع رع » ، وبالتالي نستطيع ان نستنتج ان رع هو خالق البشر ، أى المصريين عامة ، وفى الاسطورة فان كلمة « رومى » ، والنى نطلق فى اللغة المصرية القديمة على المصريين ، يمكن أن تدل أيضا على دموع الاله رع ، وفى مواضع أخرى يشار الى البشر على أنهم « ابوا من عينه » بينما كانت الكائنات الأخرى من « صنعه » ، لكن دور « رع » فى الخلق سبقه اعتقاد بان الاله « خنوم » قد شكل كل طفل يولد على عجلة الفخراى وربما كان ذلك مجرد صقل للدور الأساسى بخلفه لكل الأشياء الحية ، وهو دور الهمة قوى الاخصاب الخارقة التى يتمتع بها الكبش رمز الحيوانى المقدس ، هذا ريشق اسم خنوم من فعل « خنم » بمعنى يخلق ، وهذا يعنى انه اله خالق منذ البدء ، ولم تسبق عليه هذه الصفة كبعض الآياتة غيره ، ومن أهم القابه « خالق البشر » (تشرنى : المرجع السابق ص ٦٢ - ٢٦٨ ، وانظر عن الالهين رع وخنوم : محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ٢٩٩ - ٣٠٣ ، ٣١٥ - ٣١٧) .

(١٣) انظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٤٣ - ٣٦٥ .

مع أفراد حاشيته ، أدموم جسيما فى السر حتى لا يراهم البشر ، واحضروهم الى القصر الكبير ، وحضر الالهة جسيما واجتمعوا سرا حتى لا يعرف البشر بأمر اجتماعهم ، وعندما دخل عليهم الالهة خروا ساجدين بين يديه ، واضعين أيديهم على الأرض ، ثم همنوا قائلين : تحدث إلينا حتى نعرف خطبك ، فقال رع موجهة دلامه الى نون : يا أيها الاله الأكبر الذى جئت منه الى الوجود ، ويا أيها الالهة الكبار : أنظروا أولئك البشر الذين خلقوا من عيني ، أنهم يدبرون شيئا ضامى ، أنهم يقولون فى قلوبهم متهمين ، أنظروا : ان الملك أصبح كهلا . نحول عظامه الى فضة ، ولحمه الى ذهب ، وشعره الى لارورد . هل لك ان ترشدنى الى ما أفا صانع بهم ، من أجل ذلك دعوتك لاستنارتاك . أعلم انى لم أقدم على افنائهم حتى اسع منك ما تنصحنى به .

وتكلم « نون » قائلا : أنت أيها الاله العظيم ، أنت يا من تفوق خالقت فى عظمتك ، أنت الابن الذى نافت موته موة أبيه ، أرسل عينك لتفتك بالمتآمرين عليك ، وعندئذ سوف يختفون من فوق الأرض فأرسل رع عينه لتفتك بالبشر حسب نصيحة نون ، ولكنهم عندما شعروا بها تفرقوا فى الصحارى واختفوا بين الصخور ، فقال رع : انظر : لقد هربوا الى الصحراء ، اذ ارعدت قلوبهم مما قالوه ، وعندئذ تقدمت جسوع الآلهة الى جلالته وقالوا : أرسل عليهم عينك لتقتلهم لك ، دعها تنزل انيهم فى صورة حاتحور ، وذهبت هذه الآلهة وقتلت البشر فى الصحراء ورجعت الى أبيها ، فقال لها الاله : مرحى يا حاتحور ، لقد فعلت ما أرسلتك لتفعله ، وقالت هذه الآلهة : وحق حياتك اننى انتصرت على الناس ، وهذا شئ يحبه قلبى ، فقال جلالة رع : سالتصر عليهم فى هليوبوليس وأبيدهم ، فرد عليها الاله قائلا : ان فتكك بهم سوف يوطد سلطاني عليهم ، ولكن كفى ما قست به . لا تقتلى منهم بعد ذلك فردا .

وأما الآلهة فلم تستع الى ما قاله أبوها ، واستمرت طوال الليل تفتك بالبشر ، وتسبح فى دماغهم ، وخشى رع ان تأبى حاتحور على ما تبقى

منهم فى صبيحة اليوم التالى ، فصاح فيمن حوله : ادعوا لى على عجل .
رسلا يسابقون الريح ، يجرون كما يجرى ظل الانسان ، فأحضروهم اليه
فقال لهم جلالتهم اسرعوا الى اليفاتين (جزيرة أسوان) واحضروا لى كل
ما تستطيعون حملة من « ديدى » ، وعندما أحضر الرسل الـ « ديدى »
الى الاله أمر بصحنه ، كما أمر بعض الخادومات بأعداد كيات كبيرة من
الجمعة وخلطها بال « ديدى » فأصبحت فى لونها تشبه دماء البشر ، ثم ملا
بها سبعة آلاف جرد ، وفى الصباح أمر « رع » أتباعه أن يحملوا هذه
الجرار بما فيها من جعة حمراء ، وسكبها فى المكان الذى اعتزمت حاتحور
أن تفتك فيه بمن بقى من البشر ، وقال الاله : ما أجمل ما فعلت ، سأحمى
ما بقى من البشر من فتكها ، وبدأت الحقول كبركة كبيرة تعلوها طبقة من
الجمعة الى ارتفاع ثلاثة أكف (الكف ٧٥ سم) وتم ذلك بأمر من جلالة
هذا الاله ، وفى الصباح خرجت حاتحور ووجدت المكان مغمورا ورأت
وجيها معكوسا على السائل بشكل جميل فشربت منه واستطابت طعمه
وقملت راجعة وهى ثملة ، فلم تعترض الناس ، وأقيمت الاحتفالات وسر
الاله ، ورضيت نفسه بنتيجة هذا العمل (١٤) .

(١٤) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٤٩ - ٥٨ ، سليم حسن :
المرجع السابق ص ٧١ - ٧٤ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٧٥ -
٣٧٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ، نجيب
ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠١ - ٥٠٢ ، ارمان : ديانة مصر القديمة
ص ٧٥ - ٧٦ ، وكذا

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 10-11.

A. Erman, Op-Cit, p. 47-49.

Ch. Maystre, Op-Cit, p. 53-73.

A. Pionkoff, Op-Cit, p. 27-2.

M. Lichtheim, Ancient Egypt Literature, London, 1976,

p. 197-199.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

٥ - أسطورة حيلة ايزة :

اعتقد المصري القديم أن هناك علاقة خفية بين الانسان واسمه ، وأن الاسم انما يكون الجزء الحى من الانسان ، بل هو العنصر الذى يقوم شخصيته وقوته . ومن ثم فقد اعتاد القوم أن يسمى الشخص الواحد باسمين اثنين : الاسم الأكبر . والاسم الأصغر ، أو الاسم الكبير والاسم الجميل ، وقد اعتاد المصري أن يخفى اسمه الكبير ، وأن يشيع بين الناس الاسم الأصغر ومن هنا اعتقد القوم أن محو اسم الشخص من مقبرته انما هو عمل كاف لقتله أبدا ، لأنه يسلبه بهذا العمل ذلك العنصر القوى الذى تقوم عليه حياته الأبدية .

والأسطورة التى تتعرض لهذا الموضوع مكتوبة على بردية محفوظة فى متحف تورين ، وترجع الى أيام الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٩ - ١١٨٤ ق م) ، وقد اهتم كثير من العلماء بنشرها ، من أمثال اركيبيت (١) وماكسوم مولر (٢) وأدولف ارمان وهرمان رافكة (٣) ورودرو (٤) وأنن جاردنر (٥) وجون ويلسون (٦) وغيرهم (٧) ، كما اهتم بترجمتها والتعليق عليها كثير من العلماء المصريين .

وتقول الأسطورة : كانت ايزة امرأة حكيمة فى قولها ، ولها قلب يفوق فى شجاعته قلوب ملايين الرجال ، وكانت أعقل من ملايين الرجال ، ولم يكن هناك شئ فى الأرض أو فى السماء لا تعرفه ، فهى مثل رع

-
- Eric Peet, A Comparative Study of The Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamia, p. 19 F. (١)
M. Muller, Op-Cit, p. 80 F. (٢)
A. Erman and H. Ranke, Aegypten, Tübingen, 1923, p. 301-304. (٣)
G. Roeder, Op-Cit, p. 138-141. (٤)
A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 116-118, Pls, 64-65. (٥)
J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 12-14. (٦)
F. Rossi and W. Pleyte, Papyrus Turin, Leyden, 1869-76. (٧)
G. Moller, Hieratische Lesestücke, II, Leipzig, 1927, p. 30-32.

الذى صنع كل ما على الأرض ، وقد دبرت هذه الالهة (ايزة) فى نفسها ، أن تعلم اسم الاله الأعظم ، وكان الاله رع يدخل الى السماء كل يوم على رأس رجال سفينته ، وكان يجلس على عرش الأفقيين وكانت قد تقدمت به السنون وضعف تحكمه فى لعبه الذى كان كثيرا ما يسيل من شدقيه ويتساقط على الأرض فتناولت ايزة بعضا منه وعجنته بتراب الأرض ، وشكلت منه ثعبانا مقدسا ووضعت فى الطريق الذى اعتاد الاله العظيم أن يسلكه حسب ارادته بين شطرى الوادى •

وجاء الاله الأعظم فى بهائه ، وكان آلهة قصره يسرون خلفه، ومشى كعادته فى كل يوم ، فعرضه الثعبان العظيم ، عضة النار الحية التى خرجت منه هو ، فصرخ الاله صراخا عاليا وصل الى السماء وتجاوبت السموات صراخه ، وصاح أفراد التاسوع : ما هذا ؟ ما هذا ؟ ولكن رع لم يستطع — من فرط ألمه وشدة صراخه — أن يجيب ، وارتعشت شفقاته ، واهتزت أعضاء جسمه ، لأن انسم تمكن من جسده ، وعندما أخذ الاله يتمالك نفسه ، صاح فى أتباعه :

أغيثونى ، أتمم معشر الالهة يا من خلقتكم واخرجتكم من جسمى ، اقتربوا منى لأحدثكم بما حدث لى ، لقد وخذنى واخذ لا يعرفه قلبى ولم تره عينى ، ولم تصنعه يداى ، ولا أستطيع التعرف عليه من بين مخلوقاتى ان ألمه شديد لم أشعر بمثله ، وليس هناك أشد إيلا ما منه ، انى شريف ابن شريف ، أتيت الى الحياة الها ، انى عظيم ابن عظيم ، اختار أبى اسما لى ، لقد تعددت أسمائى واختلفت أشكالى ، وقد أودعت صورتى آلهة أخرى واختار أبى وأمى اسما لى ، واختفى هذا الاسم فى جسدى قبل ولادتى حتى لا تستطيع قوة ساحر أو ساحرة أن تعرفه وتتغلب به على ، دعوا أولاد الالهة يحضرون الى ، أولئك الذين عرفوا بالحديث الطب ، وعرفوا السحر ، ووصلت حكمتهم عنان السماء •

وجاء الآلهة الصغار يندبون ويكون ، وتقدمت ايزة تسأل عما حدث

وقالت له : ماذا جرى؟ ماذا جرى؟ اذا كان ثعبان قد أصابك بسوء . أو أن شيئاً من مخلوقاتك قد عصاك ، فاني ساسحقه بقوة سحرى ، وسأمنعه من أن يجتلى بهاء أشعته ، ففتح الاله المقدس فمه ، وقص على ايزة ، قصة الثعبان ، ثم قال : انى أشعر ببرودة أشد من برودة الماء ، انى أشعر بحرارة أشد من حرارة النار ، ويغرق جسسى فى العرق ، بينما اهتز من شدة البرد ، هناك غشاوة على عيني ، ولا أستطيع الرؤية ، فقالت له ايزة : أخبرنى باسمك أيها الأب المقدس لأن الانسان لا يستطيع أن يحيا دون ان يذكره فى تعويذة السحر .

فقال رع : أنا الذى خالق السماء والأرض ، وسوى الجبال وأنشأ ما عليها ، أنا الذى خلقت الماء ، وجعلت الالهة « مح - ورت » تأتى الى الوجود ، أنا الذى خلقت الثور لأجل البقرة ، وجعلت التناسل فى العالم ، أنا الذى أنشأت السماء ، وأنشأت أسرار الأفقين ، وأحلت فىهما أرواح الالهة ، أنا الذى فتح عينيه فكان الضوء ، وأغمض عينيه فكان الظلام أنا الذى يأمر النيل فيفيض ، أنا من لا تعرف الالهة اسمه ، أنا الذى أمرت بالأعياد وخلقت مجارى الماء ، أنا خالق نار الحياة لأنشىء أعمال الكون ، أنا « خبرى » فى الصباح و « رع » فى الظهر ، و « أتوم » فى المساء .

ولكن السم لم يغادر جسمه ، فتقدمت منه ايزة وقالت : ان اسمك الحقيقى لم تذكره بين الأسماء التى قلتها ، اذا أخبرتنى به خرج السم من جسدك ، واعلم أن الانسان لا يحيا الا اذا نطق باسمه ، ولكن ألام السم ما زالت تحرق جسده ، فكانت أقوى من لهيب النار ، فقال جلالة رع : يا ابنتى ايزة ، قربى أذنيك منى حتى يخرج اسمى من جسدك فيدخل جسدك .

وهكذا تمكنت ايزة من معرفة اسم رع ، ومن ثم قالت : أخرج أيها السم من جسد رع المحترق ، لأنى أقول التعويذة ، انتى أنا التى أمر ، انتى أنا التى أبعث بالرسالة ، أخرج على الأرض أيها السم القوى ، وتعلم

أن الاله الكبير قد أسر فى أذنى باسمه الكبير ، فعاش رع ، ومات السم
من قول ائزة الكبيرة ، سيدة الآلهة ، التى تعرف رع باسمه الحقيقى ،
ومن ذلك الوقت أصبح قسمها هى الرقية التى كان يتلوها السحرة ليشفوا
بها لدغة الثعبان^(٨) .

(٨) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ١٩ - ٢٥ ، أحمد
فخرى : المرجع السابق ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ، سليم حسن : المرجع السابق
ص ١١٢ - ١١٥ ، وكذا

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 12-14.

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 116-118.

وكذا

٦ - أسطورة البهتان والصدق

جاءت هذه الأسطورة على بردية « شستريتى الثانية » ، والمحافظة بالمتحف البريطانى برقم ١٠٦٨٢ وترجع الى أيام الأسرة التاسعة عشرة ، وقد فقدت بدايتها ، هذا وقد قام بنشرها « سير ألن جاردنر » (١) ، وترجمها وعلق عليها كثير من العلماء ، من أمثال جوستاف لوفيفر (٢) وونيت (٣) وارمان (٤) وجريفث (٥) وماكس بيير (٦) وغيرهم (٧) ، كما اهتم بها من العلماء المصريين سليم حسن (٨) وعبد العزيز صالح (٩) .

وقصة الأسطورة بها شبه من أسطورة « أوزير وست » - والى حد ما من « قصة الأخوين » - غير أنها لم تذكر أوزير وست صراحة ، وانما كنى كاتبها عنهما باسمى معنويين ، هما « الحق والبهتان » أو الصدق والبهتان ، وكانا أخوين عاشا بين البشر .

وأسلوب الأسطورة بسيط ، وتعبيراتها متشابهة ، وفيها شئ من خوارق العادات ، فيما يتصل بالخنجر والثور ، كما أنها أبانت لنا بعض عادات المصريين القدامى على أيام الرعامسة ، كاستخدام الأعمى من الرجال فى حراسة الأبواب ، وايداع الثور عند راع فى مقابل أجر ضئيل ، فضلا عن تقديم صورة حية لحياة الفلاح وقت ذاك ، وكذا الحياة المدرسية ،

(١) A. H. Gardiner, LES, p. 30-36, Hieratic Papyri in The British Museum, Third Series, Chester Beatty Gift, London, 1935, I, 2-6, 153, II, Pls. 1-4.

(٢) G. Lefebvre, Op-Cit, p. 159-168.

(٣) E. F. Wente, Op-Cit, p. 127-132.

(٤) A. Erman, Forschungen und Forschnitte eighth year No. 4 (1932), p. 43-44 LAE, p. 3 F.

(٥) J. G. Griffith, JEA, 53, 1967, p. 89-91.

(٦) M. Pieper, ZAS, 70, 1934, p. 92-97.

(٧) A. Theodorides, RdE, 21, 1969, p. 85-105. انظر

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 211-214. وكذا

S. Schott, Altgyptische Liebesieder, Zurich, 1950, p. 205-208. وكذا

(٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٢٦ .

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

ولعل مما يلفت النظر ، فيما يرى الدكتور سليم حسن ، أسماء بطل القصة « الصدق والبهتان » اللذين خلعا على الأخوين المتخاصمين ، لأن ذلك لم يكن منتظرا ، حيث أن كلمة « صدق أو عدالة » من الأسماء المؤثرة في اللغة المصرية القديمة ، وإن كان إطلاق أسماء معنوية على صور حسية إنما هي من الأمور الشائعة عند القوم من قديم الزمان ، ومثالنا الالهة « ماعت » (معات) التي تدل على الصدق والعدالة ، وأحيانا النظام والاستقامة^(١٠) ، وهذا أقدم مثال للكنية (١١) .

تقول الأسطورة : أن « البهتان » أراد أن يكيد لأخيه « الصدق » فترك خنجره ودبعة لديه ، ثم استلبه منه خفية ، وعاد فطالبه به ، ولما اعتذر له أخوه عن ضياعه لم يقبل عذره ، كما لم يقبل أن يعوضه عنه ، وشكاه الى الأرباب مدعيا أن سلاح خنجره كان في ارتفاع الجبل ، وأن مقبضه في ارتفاع الشجر ، ففوض له الأرباب التعويض الذي يحبه ، فأصر على أن يقتل عيني أخيه ، وأن يستخدمه حارسا لداره ، فأجابه الأرباب الى ما أراد ، وأذل البهتان أخاه ، وجعله حارسا لبابه ، ولكنه كلما نظر اليه أحس بخزيه ، وبأن الضرر ما زال يحتفظ بوقاره وجماله ، ومن ثم فقد دبر أمر قتله ، وعهد بذلك الى عبيدين عنده ، غير أنهما لم ينفذا جريمته ، وتركاه « الصدق » عند سفح الجبل .

ومر حين من الدهر ، وشهدت الصدق أثنى بارعة الجمال ، فأحبته وتزوجته ، وإن لم تعلن ذلك الزواج حتى لا يعايرها الناس به ، ولكنها خصصت للزوج غرفة بجانب باب دارها ، ومرت الأيام ورزق الزوجان بعلام تعهدته الأم بالتربية الصالحة ، وأخفت عنه سر أبيه ، وألحقته بمدرسة أتقن الكتابة فيها ، وتعلم فنون الرياضة والنزال وتفوق على أقرانه فيها ، وإن نقص عليه هذا التفوق أن زملاء كثيرا ما كانوا عن أبيه ، بل وكانوا أحيانا يعيرونه بأنه لا أب له ، وعندما عرف الحقيقة ، وأن أباه إنما هو

(١٠) أنظر عن عن الالهة «ماعت» (محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ٣٥٠ - ٣٥٢) .
(١١) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٢٣ .

ذلك البواب الأعمى ، كظم غيظه ، وان الملح الى أمه أن موتها خير من حياتها « كان خيرا لك أن تجمعى أهلك حتى يأتوا لك بتساح يلتهمك » .

وفى نفس الوقت بدأ يفكر فى أن يكيد لعمه « البهتان » ، كما كاد هو لأبيه من قبل ، فاشترى ثورا وعهد به الى أحد رعاة عمه ، وطلب منه أن يرعاه حتى يعود من سفره فى مقابل أجر أعطاه اياه ، وفى يوم من الأيام رأى البهتان الثور ، فأعجب به وذبحه ، رغم معارضة راعيه ، ومرت شهور وجاء الغلام ، وعلم بما حدث ، فشكا الراعى وسيده الى الأرباب وادعى أن ثوره كان ينبج ستين عجلا كل يوم ، وأنه اذا وقف وسط الدلتا بلغ أحد قرئيه جبالها الشرقية ، وبلغ الآخر جبالها الغربية ، وتعجب الأرباب من دعواه . واتهموه بالمبالغة التى لا تصدق ، فأجابهم : وهل رأيتم من قبل خنجرا بنسخامة الخنجر الذى حكم على أبى بالعمى من أجله ؟ وهنا علم الأرباب أن البهتان قد خدعهم ، فردوا على الحق بصره ، وأمروا بجلد البهتان مائة جلدة ، وبجرحه خمسة جروح بالغة ، وفقء عينيه ، وبأن يصبح بوابا لأخيه ، جزاء وفاقا على ما فعل بأخيه من قبل ، وهكذا عبر القصاص بهذا العقاب ربما عما أصبحت عليه العقوبات البدنية فى عصره ، كما عبر بتربية الابن تربية صالحة — كناية ورياضية وعسكرية — عما كانوا يستجوبونه لتربية أبناء الكبراء فى أيامهم (١٢) .

(١٢) عبد العزيز مسالحي : الشرق الادنى القسديم ٣٣٣/١ - ٣٣٤ (القاهرة ١٩٦٧) .

٧ - أسطورة مولد حتشبسوت الالهى

كانت ولاية العرش فى مصر الفرعونية تنحصر فى الابن الملكى الأكبر من الدم الملكى الخالص ، ثمرة زواج الأخ الملكى من الأخت الملكية من الأبوين الملكيين وهكذا كانت القاعدة الثابتة أن يعتلى عرش مصر من تسرى فى عروق أمه وأبيه الدماء الملكية النقية ، أما اذا كان ابنا لزوجة مصرية غير ملكية ، فكان عليه أن يلجأ الى انزواج من أميرة من الفرع الملكى الخالص ، ليقوى بذلك شرعية مركزه ، ويصبح أهلا لتولى عرش الفراعين^(١) ، ومع ذلك فان زوج الأميرة الملكية انما يعتبر مجرد أمير ، وأما أبناؤها - ثمرة هذا الزواج - فقد كانوا يعتبرون ورثة شرعيين ، وفى بعض الحالات قد يصبح زوج الملكة الوارثة ملكا ، حين تكون هذه الملكة كبرى نساء البيت المالئ سنا ، كان تكون أرملة ملك أو كبرى بناته ، أو أبعد من ذلك

• قرابة (٢)

ولعل ذلك انما يعنى أن العرش المصرى انما كان ينتقل عن طريق المرأة ، ومن هنا كانت الزوجة الملكية الكبرى للملك هى الورثة التى يستطيع هذا الملك الوصول الى العرش عن طريق الزواج بها ، ولم يكن مولد الملك مهما ، بقدر ما يكون مولد الملكة ، فقد يكون من أية طبقة ولكنه يصبح ملكا حين يتزوج من الملكة ، ونستطيع أن نقول ان الملكة ملكة بحق المولد ، وأن الملك ملك بحق الزواج ، ولا يستطيع تفسير هذه الزيجات الملكية بغير عادة التسلسل الأموى ، وانتقال التاج عن طريق خط الأثني^(٣) ، ولعل هذا هو الذى جعل نظرية تولى العرش فى مصر،

(١) Percy E. Newberry, King Ay, The Successor of Tut-Ankh
Amun, in JEA, 18, 1932, p. 51.

(٢) انظر : محمد بيومى مهران : اخناتون - عصره ودعوته -
القاهرة ١٩٧٩ ص ٥٠ - ٥١ .

(٣) A. M. Margaret, Splendour That Was Egypt, London, 1950,
p. 102.

تنص على أن تكون أم الملك من نسل ملكى خالص ، فهي اما أن تكون ابنة ملك ، أو زوجة ملك ، أو أم ملك ، وقد تكون الثلاثة معا .

وانطلاقاً من كل هذا ، فإن الملك الذى يجلس على عرش مصر، من غير أبناء الأسرة المالكة ، كان عليه أن يتزوج من احدى أميرات البيت الملك . حتى باتى خلفه ، والدعاء الملكية تجرى فى عروقه ، ذلك لأن الملكات انما كن ممثلات للدم الملكى ، ويحافظن على التقاليد الملكية بارتباطهن بالأسرة الجديدة — سواء أكان أول ملوكها زوجاً للملكة أو أحد أبنائها ، هذا وقد اعتبر المصريون القدامى الزوجة الرئيسية هي «زوجة الاله» (زوجة الملك المؤله) ، وان كانت من نسل ملكى سابق لكن جىء بها من صلب جسد مؤله ، ومن هنا نشأت نظرية تولي العرش ، ورغم أن للملوك الحق فى الزواج من أكثر من واحدة ، غير أن الزوجة الرئيسية انما كانت تعتبر أرقى الزوجات ، ولعل ذلك هو السبب فى زواج الأنخ بأخته التى لجأ اليها بعض الملوك (وليس المصريون عامة) بغرض تأكيد صفاء الألوهية من فاحية ، فضلاً عن التقليل من عدد المتطلعين الى العرش من فاحية أخرى^(٤) .

على أن هناك بعضاً من الملوك انما قد لجأوا — فى تبرير شرعيتهم للعرش — الى قصص الولادة الالهية — كما فعلت حتشبسوت وأمنحتب الثالث — فى نصي الولادة المشهورين ، الواحد : فى معبد المدير البحرى فى طيبة الغربية ، والثانى فى معبد الأقصر فى طيبة الشرقية ، ويتحدث الأول عن ولادة حتشبسوت من الاله آمون ، ومن أحمس ، زوج تحوتمس الأول^(٥) ، ويتحدث الثانى عن ولادة أمنحتب الثالث من الاله آمون ،

J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, (٤) p. 96-97.

E. Naville, The Temple of Deir El-Bahari, Part, II, 1896, p. (٥) 46-56.

J. H. Breasted, ARE, II, Chicago, 1927, Parag. 192-220, p. وكذا 78-89.

ومن « موت ام ويا » زوج الملك تحوتمس الرابع (٦) ، وفى كلا النصين
 فرى الاله آمون يتخذ شخصية « الزوج الأب » ثم يتصل بالملكة الأم
 (أحمس أو موت ام ويا) اتصال الرجل بزوجه ، فتحمل الملكة وتنجب
 الفرعون (٧) •

وعلى أية حال ، فإن التاريخ انما يحدثنا أن « تحوتمس الأول »
 (١٥٢٨-١٥١٠ ق م) لم يرزق بولد ذكر من زوجه الرئيسية «أحمس»
 وانما ، وضعت له بنتا دعوها «حتشبسوت» ، كان المفروض أن تخلفه
 على العرش ، لولا أن سوابق حكم الملكات فى مصر القديمة لم تشجعه
 ولم تشجعها على ذلك ، ذلك لأن القوم ، فيما يبدو ، ما كانوا يستسيغون
 أن تحكمهم امرأة ، رغم أنهم ما كانوا ينكرون حق الأنثى فى وراثة
 العرش ، بل ان العرش نفسه ، كما قلنا ، انما كان ينتقل عن طريق المرأة ،
 وليس الرجل ، ومن ثم فقد زوج تحوتمس الأول ولده تحوتمس الثانى
 من ابنته « حتشبسوت » ، صاحبة الحق الشرعى فى العرش ، وأجلسه
 خليفة له على عرش مصر ، غير أن زوجه وأخته « حتشبسوت » انما
 كانت قوية الشكيمة ، ومن ثم فقد نجحت فى أن تؤكد شخصيتها فى
 عهده ، وفى أن تمهد لخلافتها اياه ، ثم مات بعد أن أنجب منها بنتين ،
 كما أنجب ولده « تحوتمس الثالث » من زوجة غير ملكية هى « ايزة »
 وهو الذى خلفه على العرش تحت وصاية عمته وزوج أيتها «حتشبسوت»
 غير أن هذه الوصاية سرعان ما أصبحت حكما حقيقيا ، عندما أبعدت
 حتشبسوت تحوتمس الثالث عن العرش ، وانفردت بحكم مصر قرابة
 اثنين وعشرين عاما (٨) •

A. Gayet, Le Temple de Louxor, Cairo, 1895, Pls. 62-73, fig. (٦)
 205.

(٧) أنظر : محمد بيومى مهران : مصر والشرق الادنى وقديم -
 الجزء الثانى - مصر - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ١٠١-١٠٤ •

W. C. Hayes, CAH, II, Part, I, Cambridge, 1975, p. 317. (٨)

H. Gauthier, le Livre des Rois d'Egypte, II, Caire, 1912, p. 236. وكذا

J. Yoyotte, Kemi, 8, 1968, p. 85-91. وكذا

A. Weigall, A History of The Pharaohs, II, London, 1925. وكذا

p. 106-108.

وفى الواقع أن ذلك لم يكن أمرا ادا فى تاريخ الفراعين ، فقد فعلت ذلك امرأتان من قبل ، على الأقل ، الواحدة « نيتوكريس » فى آخر الاسرة السادسة ، والاخرى «سويك نفرو رع» فى آخر الاسرة الثانية عشرة ، وان انتهت الأسرتين بكل منهما ، ولكن الجديد هنا أن أثى ظهرت بمظهر الرجال وارتدت زيهم ، وان حدث ذلك فى شيء من التردد ، أول الامر ، ثم أصبح أمرا عاديا بعد ذلك ، حيث نرى بعد ذلك «حتشبسوت» تظهر بزي الرجال فى أماكن كثيرة فى الكرنك ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ان المرأة الفرعونية انما كانت تصر على أن تلقب نفسها بلقب « ملك » وليس « ملكة » ، وأن تستخدم ضمير المذكر ، وليس المؤنث (٩) .

ولم تكتف «حتشبسوت» بذلك ، وانما زعت لنفسها فى أسطورة سياسية ، مولدا الهيا ، من الاله آمون نفسه ، وسجلته على معبد الدير البحرى فى طيبة الغربية ، تقول الأسطورة : أن مجلس أرباب الوادى قد انعقد برئاسة آمون للتشاور فيمن يخلقه ليجلس على عرش الكنانة ، واذا برز الحكمة « تجوت » يتقدم الى آمون ليذكره بأحسب الجسيلة ، زوج الملك تجوتمس الأول ، واذا بآمون يعلن للأرباب أنه سيهب الملكة الجسيلة مولودا من صلبه يعتلى العرش ، وأنه قضى أن يكون الولد أثى وسرعان ما تحققت المعجزة بأن مضى آمون الى قصر الملكة فى غيبة زوجها — بعد أن قمص بصورة وتزيى بزيه — ثم دلف الى مخدع الملكة فوجدها وسنانة ولكن شذى عطره قد نفذ الى أنفها فأيقظها ، ولم تكن تنو اليه بناظرها حتى تمثل لها بشرا سويا ، رأت فيه زوجها ، فقالت : هيت لك ، فجلس منها مجلس الرجل من المرأة ، ولما قضى منها وطره ، بأها عن يكون ، ففرحت بذلك وتهللت واستبشرت بما أودع فى رحمها قبل أن يهم آمون بمغادرة مخدعها أنبأها بأنها ستضع أثى ، وسوف

H. Chevrier, ASAE, 34, 1934, p. 170-172.

Suzanne-Ratic, la Reine-Pharaon, Paris, 1972, p. 20-22, 262.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 183-184.

W. C. Hayes, Op-Cit, p. 317-318.

(٩)

وكذا

وكذا

وكذا

يكون اسمها « حتشبسوت خمنت أمون » بمعنى « ذروة النيلات ،
صفية أمون » •

تم أوحى أمون الى « خنوم » - الاله المتكفل بخلق البشر - أن
يصور بدن الجنين من سلسال ، ثم قال له : لتصنع ابنتى هذه وقرينتها من
أعضائى ، ولتشكلها بجمال لا مثيل له بين الآلهة ، اصنع لى ابنتى هذه
التي أنجبته ، لقد وهبتها الحياة والسعادة والقوة ، سأمنحها كل شيء
لتصبح مثل رع الأبدى ، فأجاب خنوم : ساصنع لك ابنة اسمها
حتشبسوت ، لها الحياة والصحة والسعادة ، سوف يفوق جمالها جميع
الآلهة ، حتى ينفق مع مكائنها كملك لمصر العليا والسفلى •

ولما جاء المخاض الملكة اجتمع الأرباب فى ساحة القصر ، وهرع
اليها منهم من يستطيع مساعدتها فى ساعة العسر ، ولما خرجت حتشبسوت
الى الدنيا تلقتها الالهة حاتحور ، وقدمتها الى أمون الذى سعد بها كثيرا
ثم قال : أنت يا أعظم جزء منى ، ستصبحين « ملكا » على مصر ، سوف
تجلسين على عرش حور الى الأبد ، ثم قدمها أمون الى بقية الأرباب ،
باعتبارها وريثة عرش الفراعين ، ثم خاطبهم بقوله : ها هى ابنتى
حتشبسوت معكم ، لتحيطوها بحبكم وعطفكم ، فأجابت الآلهة ، هذه
هى ابنتك حتشبسوت التي تحيا سوف نحيطها بحبنا وعطفنا ، وستحيا
فى سلام وهدوء ، انها ابنتك التي خلقتها من نفسك ، انك أعطيتها
روحا من روحك ، انك أسبغت عليها قوة سحرية من قوتك ، لقد
امتلكت البلاد وكل ما تظللله السماء ، بينما كانت فى بطن أمها ، انها
صاحبة كل ما تحويه البحار ، هذا ما صنعه لها ، انك أعطيتها حظحور
فى الحياة ، لقد وهبتها سنى ست فى السعادة •

ثم سرعان ما تلقى أبوها (تحوتمس الأول) البشرى ، راضيا شاكرا
وأعلنها على الناس كافة ، ولما أصبحت الطفلة شابة كانت جميلة جمالا
رائعا ، وكان النظر اليها أمتع من النظر الى أى شيء فى الدنيا ، كانت
صورة اله : تتصرف كما يتصرف الآلهة ، ولها روعتهم وبهاؤهم ، وكانت

تضارع الربة « احو » فى زمانها ، ثم طاف بها أبوها على المعابد الكبرى وأعلنها خليفة له على عرش الكنانة .

وهكذا حاولت حثشبسوت بكل الوسائل أن تزيل من أذهان القوم كراهيتهم لحكم الأنثى ، ولسنا ندرى مدى تصديق المصريين لهذه الادعاءات الأسطورية، ولكن حسبها — من الناحية السياسية — ماتدل عليه من اعتقاد الفراعين بأن الأمر الواقع فى ارتقاء العرش ، والهيمنة على السلطة لا يكفى ، وأنه لابد من تأييده بسند من الدين ، يرضى الكهان والخاصة والعوام (١٠) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن تحوتمس الثالث أراد أن يرد على أسطورة خصيمته حثشبسوت عن « المولد الالهى » الذى زعمته فى هذه الأسطورة ، بأسطورة « الاختيار الالهى » له ، وذلك عن طريق دعوى صورها على معبد الكرنك ، وزعم فيها أن أباه تحوتمس الثانى قد بعث به طفلا الى دار أمون لينشأ فى ظله ، ولينربى فى كنفه ، وتحت رعاية كهانه ، وقد حدث خلال الاحتفال بعيد دهنى كبير ، أن اتحنى تحوتمس الثالث جانبا من البهو الشمالى فى معبد الكرنك ليشهد منه موكب ربه أمون ، وعندما مر الموكب — والفرعون فى مقدمته — تعمد تمثال الاله أن يحوم حول مكان تحوتمس الصغير ، وقد تبعه الكهان ورجال الدولة دون أن يدروا عن هدفه شيئا ، حتى بلغ موضع تحوتمس من أمامه ، هناك أخذه الرعب فخر صعقا ، فلما أفاق رأى ربه ينهض ثم يأخذ بيده فيقوده الى أقدس مكان فى المعبد ، هناك كشف عنه غطاءه وفتح له أبواب السماء ، فطار اليها حيث تلقى ألقابه وجعلت الدياتحت

(١٠) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ٢٠٠/١ ، الاسرة والمجتمع ص ٣٥ - ٣٩ ، عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٩٧ - ١٠٨ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, II, Chicago, 1927, p. 78-89.

E. Noville, The Temple of Deir El-Bahari, II, London, 1896, وكذا
p. 46-56.

قدميه ، والنصر في ساعديه ، ثم مد له حدود ملكه ، لأنه أحبه حبا لم
يجه أحدا من قبل (١١) •

وهكذا رد تحوتمس الثالث على أسطورة حتشبسوت بأسطورة
مثلها ، وسوف يفعل أمنحتب الثالث فيما بعد ، ما فعلته حتشبسوت
الآن ، كما أشرنا من قبل •

(١١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٠٠ ، وكذا
Urk., IV, p. 157-159, 186-190.
W. C. Hayes, CAH, II, Part, I, p. 317. وكذا

الفصل الثالث

أدب القصصة

يتفق الباحثون — أو يكادون — على أن مصر انما كانت اول بلد نشأت فيه القصة القصيرة ، فلقد عرف القوم الأدب القصصى منذ فجر حياتهم ، وبرعوا فى صياغته ، وأن لديهم منه ألواناً رائعة ، منها ما يصور بعض ما حدث فى أيامهم ، ومنها الخرافى الأسطورى ، يقصدون من روايته العبرة والموعظة الحسنة ، ومن ثم فقد جمعت قصص القوم فى سياقها ، بين حقائق موضوعية ، وبين صياغة فنية ، وبين أخيلة تصور المعجزات وفنون اسحر ، وبين آراء خاصة ، وأمانى عامة ، عبر القصص عنها بطريق الرمز .

ولعل أقدم القصص تلك التى جاءت على بردية « وستكار » ، والتى تتناول روايات السحر وأهله ، وبعض ما يأتون من فنونه وألوانه ، وأثر ذلك كله فى حياة الناس ، وقيل انها قصت على الملك « خوفو » — ثانى ملوك الأسرة الرابعة ، وصاحب الهرم الأكبر — تصور له بعض أيام أسلافه ، ومع أن القصص قد كتب بعد أيام خوفو بعشرة قرون — تزيد قليلا أو تنقص كثيرا — غير أن أصله يرجع الى أيامه على أية حال ، وهى قصص ، أيا كان الغرض منها ، فهى تصور لنا الترف واليسار الذى كان يشيع فى حياة القصور يومئذ ، ويصور ألوانا من سلوك الناس ، ومن تفكيرهم وعاداتهم وشرائعهم فى ذلك العهد البعيد من تاريخ مصر .

غير أن العصر الذهبى للقصة ، انما يبدأ منذ عهد الثورة الاجتماعية الأولى ، حيث مرت البلاد ابانها بأحداث كثيرة ، ازدهر الأدب بعدها ، بل ان المؤرخين انما يكادون يجمعون على أن هذا العصر ، بقدر ما ضن على الباحثين بمصادره الأثرية ، بقدر ما منحهم قدرا من الأدب يكاد يعطينا صورة عن الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة من تاريخ مصر ، ولعل من أروع المقطوعات الأدبية التى تسبب الى تلك الفترة انما هى « قصة الفلاح الفصيح » ، والتى تعد آية فى بلاغة الأسلوب ، كما أن بيان الشكوى رائع أخاد ، فيه كثير من التورية ، وفيه كثير من التهكم انرائع ثم ان الصورة التى عرضها ذلك القروى الفصيح انما تعد مظهرا صادقا ،

لما كان واقعا يؤمئذ من ضيق الناس بحال البلاد ، وتبرمهم بالفوضى
التي سادت حياتهم •

ومن أيام الدولة الوسطى تجيء « قصة سنوهى » ، ذلك الرجل
الذى فر الى فلسطين فى ظروف سياسية معروفة ، وأقام بها حتى صدر
عفو فرعونى عنه ، وهى من القصص الواقعى الذى يلقى ضوءا على
انحواث التى حزت فى مطلع الأسرة الثانية عشرة ، وتصور أحوال البلاد
انسياسية والاقتصادية والحرية وقتئذ ثم هى مرآة صافية لوجه الحياة
فى فلسطين . وظاهر أن المصريين قد فتنوا بها ، وظلوا ينسخونها
ويتداولونها دهرًا طويلا •

ثم هناك « قصة البحار » التى ترجع أيضا الى أيام الدولة الوسطى ،
وتشبه الى حد كبير « قصص السندباد البحرى » فى « ألف ليلة وليلة »
فهى تحدثنا عن بحار حملته الأمواج — بعد أن انحطمت سفينته — الى
جزيرة نائية ، بها حية ضخمة ، أكرمته وحمته ، وظلت ترعاه حتى عاد الى
وطنه ، وقد وضعت القصة فى أسلوب رقيق يعبر عن أجمل العواطف ،
ويستثير روح البطولة والمجازفة ، ويصور حياة الملايين تصويرا دقيقا وهى
تشير كذلك الى حب الوطن الذى ملا قلوب المصريين ، بحيث أضحي
لديهم من قواعد الايمان •

ولعل مما تجدر الإشارة اليه هنا ، أن القصص الذى وصلنا منذ
عهد الدولة الوسطى ، انما يشير الى فضج ينم عن وجود مرحلة سابقة
لمعالجة هذا اللون من الأدب ، قد نستطيع أن نستشف وجوده من معالجة
الأساطير فى متون الأهرام من عهد الدولة القديمة ، ومهما يكن من أمر ،
فإن غياب القصة فى عهد الدولة القديمة لا ينهض دليلا على عدم وجودها
فقد يكشف يوما عن عناصرها الأولى فى هذه العهود البعيدة ، وعلى أية
حال ، فإن أدب القصة فى عهد الدولة الوسطى ، لا يمثل مرحلة تطور
فحسب ، بل يمثل مرحلة كمال نسبي ، بل انه يمثل ذروة الأدب القصصى
فى مختلف عصور الحضارة المصرية القديمة •

وأما القصص الذى يرجع الى عهد الدولة الحديثة والعصر المتأخر فكثير ومتنوع ، فهناك قصة « فتح يافا » التى تبين لنا كيف أصبح المصريون دهاة فى الخدع والمهارات الحربية ، وهنا « قصة ون أمون » التى تشير إلى مدى ضعف نفوذ مصر الخارجى ، بعد أيام الامبراطورية المجيدة ، ثم هناك « قصة الأخوين » ، والتى كتبت باللغة الشعبية ، وحلق بها كاتبها فى آفاق الخيال طويلا ، وهى تمثل الصراع الدائم بين اغراء المرأة حين تطيش ، وعفة الرجل حين يفتح الضمير الحى عينه على سة الفتنة ، وهناك « قصة الأمير المقدور عليه » ، والتى توضح الصلة بين مصر وبلاد الشرق فى أخريات أيام الدولة الحديثة ، والتى تصور آمال الوالد ولهفته حين ينتظر الولد ، وقد طال شوقه اليه وأمله به ، ثم هلعه واشفاقه من المستقبل حين تحدثه نفسه ، بما يمكن أن يصيب الولد من مكروه .
وأما « قصة الصراع بين الحق والباطل » فهى من القصص التعليمية الذى يقصد به أصحابه الى العبرة والموعظة الحسنة (١) ، سوف نحاول هنا أن نتعرض — بالشرح والمناقشة — للقصص التالية :

- ١ — قصة خوفو والسحرة •
- ٢ — قصة الفلاح الفصيح •
- ٣ — قصة سنوهى •
- ٤ — قصة الملاح والجزيرة النائية •
- ٥ — قصة فتح يافا •
- ٦ — قصة الأخوين •
- ٧ — قصة ون أمون •

(١) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٧٢ — ٧٤ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩٢ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٤ — ٥ ، ١٥ — ٢١ •

١ - قصة خوفو والسحرة

لعل من الجدير بالإشارة - بادية ذى بدء - أن قصة خوفو والسحرة هذه ، ليست قصة واحدة ، وإنما هي عدة قصص ، تنتظمها قصة واحدة ، تصور لنا ما كان منتشرًا بين الناس في عهد الدولة الوسطى من أقاصيص نسبوها إلى القدماء ، ليضيفوا عليها هالة من التمجيد والتعظيم ، ومن ثم فقد اختاروا نسبة حوادثها إلى عصور ملوك اشتبهوا في التاريخ ، وكانت أعمالهم وآثارهم ماثلة أمام عيون من جاءوا بعدهم . وكانوا ينظرون إلى أيامهم نظرة إعجاب وإعزاز ، وهكذا كانت شخصيات هؤلاء الفراعنة محورا لعدد كبير من القصص ، الرسمية منها والشعبية ، وقد جمعت قصصهم في سياقها بين حقائق موضوعية ، وبين صياغة فنية ، وبين أخيلة تصور المعجزات وفنون السحر ، وبين آراء خاصة وأمانى عامة عبر القصاص عنها بطريق الرمز *

هذا وقد حفلت هذه القصص في بردية محفوظة في متحف برلين (برقم ٣٠٣٣) ، وكانت قد أحضرتها الأنسة « وستكار » من مصر وسلمتها إلى العالم الألماني « كارل ريتشارد ليسيوس » (١٨١٠ - ١٨٨٤م) حينما كان مقيما في إنجلترا (عام ١٨٣٨/١٨٣٩م) ، ثم أودعت بمتحف برلين بعد وفاة ليسيوس ، وعلى أية حال ، فلقد عرفت البردية بين علماء المصريين باسم « بردية وستكار » ، وقد كتبت في عهد الدولة الوسطى ، وإن كان هناك من ينسبها إلى عصر الهكسوس (١) *

وكان أول من نشرها « أدولف ارمان » (٢) و « كورت زبته » (٣) ، ثم

(١) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٣٩٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٥ ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ١٩١ ، وكذا Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1973, p. 215-216.

(٢) A. Erman, LAE, 1927, p. 36-47 and A. Erman, The Ancient Egyptians p. XXIV, LZVIII-LXIX, 36-49 (New York, 1966).

(٣) K. Sethe, Agyptische Lesestücke, Leipzig, 1924. (٣)
K. Sethe, ErL, Leipzig, 1927, p. 32-45.

ترجمها « ارمان » و « جوستاف لوفيفر » (٤) ، و « ارك بيت » (٥) ، و « ماكس بير » (٦) و « جاستون ماسيرو » (٧) و « سكوت » (٨) و « بوزنر » (٩) وغيرهم (١٠) ، هذا فضلا عن الترجمات العربية للبردية (١١) .

ولعل من الجدير بالاشارة أن تلك القصص التي جاءت على « بردية وستكار » ، انما يعدها علماء المصريات من أقدم — ان لم تكن أقدم — القصص التي تتناول روايات عن السحر وأهله ، وبعض ما يأتون من فنونه وأنوائه ، وأثر ذلك كله في حياة الناس ، وقيل انها قصت على « خوفو » تصور له بعض أيام أسلافه ، ومع أن القصص قد كتب بعد عصر خوفو بعشرة قرون ، الا أن أصله يرجع الى أيامه على كل حال ، وهي قصص أبداً كان الغرض منها ، فانها ، كما أشرنا من قبل ، انما تصور لنا الترف واليسار الذي كان يشيع في حياة القصور يومئذ ، ويصور ألوانا من سلوك الناس ومن تفكيرهم ومن عاداتهم وشرائعهم في ذلك العهد البعيد من عهود مصر الفرعونية .

وعلى أية حال ، فإن موضوع البردية أن أبناء الملك « خوفو » —

G. Lefebvre, Romans et Contes égyptiens de L'époque Pharaonique, Paris, 1949, p. 70-90. (٤)

E. Peet, Op-Cit, p. 41 F. (٥)

M. Piepe, Op-Cit, p. 55 F. (٦)

J. Maspero, Op-Cit, p. 21 F. (٧)

S. Schott, Altägyptische Liebeslieder, Zurich, 1950, p. 176-187. (٨)

G. Posener, Littérature et Politique dans L'Égypte de la XIIe Dynastie, Paris, 1956. (٩)

E. Brunner-Traut, Altägyptische Märchen, 1965, p. 11-24 (١٠)

William Kelly Simpson, The Literature of Ancient Egypt, وكذا

London, 1977, p. 15-30.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 215-222. وكذا

(١١) سليم حسن : المرجع السابق ص ٧٤ — ٨٧ ، أحمد فخري :

المرجع السابق ص ٣٩٦ — ٤٠٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص

٣٣٥ — ٣٣٧ ، محمد بيومي مهران : إسرائيل ١/٣٢٠ — ٣٢٣ .

صاحب الهرم الأكبر - أخذوا يقصون عليه واحدا بعد الآخر أحاديث عجيبية عن أعمال السحرة ، وما يمكنهم أن يأتوا به من معجزات (١٢) ، وما يستطيعون الانباء به من أخبار الغيب وما سيحدث في المستقبل ، وأول البردية مكسور ، ومن ثم فنحن لا نعرف كيف كانت بدايتها أو محتويات ما غاب منها ، كما أننا لا نعرف أيضا من هو ذلك الأمير ابن الملك خوفو ، الذى قص عليه تلك القصة التى حدثت فى عهد الملك « زوسر » - صاحب الهرم المدرج فى سقارة ، وأول ملوك الأسرة الثالثة (١٣) - ذلك لأن الجزء المحفوظ من البردية انما يتجذب بمقطب عن ترجم الملك « خوفو » على جده « زوسر » ، وتقديم القرابين له ، كما

(١٢) من المعروف أن الله تعالى انما قد اختار معجزة نبيه موسى عليه السلام من نوع السحر الذى برع المصريون فيه ، ذلك لان معجزات الانبياء ما كانت لتنزل الا فى أمر من واقع حياة الناس ، وما يدور بأذهانهم ، فتكون محققة فى أعينهم ، على غير قاعدة ولا قياس لخارق الاعمال ، والمصريون طالما فكروا فى السحر ، وسحروا به ، وضربوا به فى أغوار الوهم وتخيلوه ، وقد ورد لنا عن الحياة المصرية القديمة من أحاديث السحر والسحارين ما كان الناس يخرجون به الى عالم الغيب من عالم الشهادة ، ومن دنيا الواقع الى افاق الحياة ، والمصريون انما كانوا - فيما تشهد به قصص أدبهم كقصتنا هذه - يحبون أحاديث السحر وخوارق الاعمال ، هذا فضلا عن أن المصريين - كما يشهد القرآن الكريم بذلك - قد برعوا فى السحر ، حتى أنهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم ، وحتى خيل لموسى عليه السلام ، أن حبالهم وعصيهم قد أصبحت حيات تسعى ، فأوجس فى نفسه خيفة موسى ، قال تعالى «قالوا يا موسى أما أن تلقى وأما أن نكون نحن الملقين ، قال القوا ، فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم ، وجاءوا بسحر عظيم (الاعراف : آية ١١٥ - ١١٦) ، وقال تعالى «قالوا يا موسى أما أن تلقى وأما أن نكون أول من ألقى ، قال بل ألقوا ، فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس فى نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف أنك أنت الأعلى ، وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى» (سورة طه : آية ٦٥ - ٦٩) .

(١٣) أثبتت الحفائر الحديثة أن «زوسر» لم يكن أول ملوك الأسرة الثالثة ، واسبقه الى العرش المصرى الحور «سانخت» الذى تجعله كل الاحتمالات المقبولة أخا أكبر للملك زوسر ، غير أننا لا نعرف عنه شيئا ، سوى أثره الجنازى الذى يحتمل انه قد استخدم كنقطة بداية لهرم زوسر المدرج (انظر :

R. Weill, Les IIe et IIIe Dynasties Egyptiennes, Paris, 1908, p. 128.

J. P. Lauer, Les Pyramide a degres, in Rev. Arch., 47, 1956, p. 17.

يتحدث عن ذلك الساحر الذى عاش فى عهده ، والذى وجد اسمه مكسور
أيضا فى البردية •

وعلى أية حال ، فإن « بردية وستكار » انما تروى قصصا ثلاثة :
قصة الزوجة الخائنة ، وقصة سنفرو وقتيات القصر ، وقصة خوفو
والسحرة •

١ - قصة الزوجة الخائنة :

حدثت هذه القصة - طبقا لما جاء فى البردية - على أيام الملك
«نب كا» - من الاسرة الثالثة ، وربما كان هو الملك «سانخت» (١٤) -
وقد قصها الأمير « خفرع » (خع اف رع - صاحب الهرم الثانى فى
الجيزة) وقد جاء فيها : عندما كان الملك « نب كا » فى زيارة لمعبد بتاح
فى منف ، كان « أوبا أونر » كبيرا للكهنة المرتلين فى المعبد ، وكان
متزوجا من امرأة داعرة ، كانت على علاقة جنسية بشاب من أواسط الناس ،
وأتهما كان يلتقيان - فى غياب زوجها - فى منزل ريفى يملكه الزوج
الكاهن على حافة بحيرة ، حيث كانا يعاقران الخمر ، ويرتكان ما حرم
الله ، ثم ينزل الفتى آخر النهار - فيغتسل فى البحيرة ، على أن حارس
البيت ، وقد سدرت المرأة فى نغيها ، ومضت فى ضلالها زمنا ، قد عمد
فمشى بخيرها الى زوجها ، الذى صنع من الشمع كهينة التمساح ، فألقاه
بى البحيرة بعد أن قرأ عليه من عزائم السحج ، ما حوله الى تمساح
مفترس عظيم ، فلما نزل الفتى الى الماء قبض التمساح عليه ونزل به الى
أسفل الماء ، ومكث تحته سبعة أيام كاملة ، ثم تحدث الكاهن بخبر
زوجته الخاطئة الى الملك ، ودعاه الى بيته ليشهد العشيق المشاب بين فكى
التمساح وهناك على حافة البحيرة وقف الملك مع الكاهن الذى نادى
التمساح فخرج اليهما بفريسته ، فما أن رأى الملك التمساح حتى ارتاع
وفزع لمرآه ، ولكن الكاهن ما كاد ينحنى عليه ليلقطه حتى عاد سيرته
الأولى دمية من الشمع ، ثم أمر الملك التمساح أن يفتك بالفتى الزانى جزاء

E. Drioton et J. Vandier, L'Egypte, Paris, 1962, p. 639 F.

جرمه ، وقضى على الزوجة الزانية بالحرق ، وذر رمادها فى النهر ، ولعل ذلك انما كان جزاء الزانى والزانية عند القوم . القتل حرقا أو غرقا .

وعلى أية حال ، فما أن ينتهى الأمير « خفرع » من قصته ، حتى يأمر أبوه الملك خوفو بأن تقدم القرايين للملك « نب كا » ، ألف رغيف من الخبز . ومائة اناء من الجعة وثورا وكيلين من البخور ، وأن يقدموا قربانا لكبير الكهنة المرتلين « أوبا أونر » رغيفا وانااء من الجعة وقطعة كبيرة من اللحم ، وكيلًا من البخور .

٢ - قصة سنفرو وفتيات القصر :

تروى بردية وستكار أن الملك « سنفرو » - رأس الأسرة الرابعة - قد أحس ذات يوم ضيقا فى الصدر . وحزنا فى النفس ، فأشار عليه كاهنه « جاجام غنخ » بأن يلتبس التسمية فى الخضرة والماء والوجه الحسن ، وأن يستقل فاربا ويصطحب معه عددا من العذارى . ويطلق البصر فيما أفاءه النيل على جانبيه من خضرة وخير عميم ، وعمل سنفرو بالنصيحة واصطحب فى قاربه الكبير عشرين عذراء ، وعهد اليهن بالتجديف والغناء ، فاصطففن على جانبي القارب ، وجدفت كل منهن بمجداف من الأبنوس الموصع بالذهب - كما تدعى القصصة - وانطلقن فى التفريد والتجديف ، وكانت كل منهن تحلى جبينها باكليل تزينه حلقة على هيئة السمكة ، فتسربت الى الملك البهجة ، وسرى الى نفسه السرور ، بما شهد من فتيات ليس عليهن من الثياب ، الا ثياب من شباك لا تكاد تستر شيئا ، وبما سمع من غنائهن ، وهن يسرين به فى أمواه البحيرة وسط الخمائل والأغصان ، لولا ما رأى من توقهن عن التجديف ، وتهدل شعر رئيستهن على وجهها ، فأزاحته بيدها ، وعندئذ سقطت حليتها فى الماء ، فوعدها بأن يعوضها عنها بما هو خير منها ، ولكنها أبت الا حليتها ، فأسقط فى يد سنفرو .

وسرعان ما استدعى الكاهن « جاجام غنخ » على عجل ، فما أن علم بالخبر ، حتى قرأ من عزائم السحر ، الذى انشقت له مياه البحيرة ،

حبت انطوت نصف على نصف ، فأصبح ارتفاع الماء فى البحيرة أربعة وعشرين ذراعا فى أحد الجانبين ، بعد أن كان اثنى عشر فقط ، ورأوا فى قاع البحيرة تلك الحلية ، وقد استقرت فوق قطعة مكسورة من فخار ، فأشار اليها الكاهن ثم سلمها الى صاحبها .

ولعل مما تجدر اليه الاشارة فى هذه القصة أن قصاصها لم يتخيل ميكة ربا مطلقا قادرا مقتدرا ، كما اعتادت النصوص الرسمية ان تصف ملوكها ، ولم يجد بأسا فى أن يصوره عاجزا عن أن يفعل بعض ما يستطيع كاهن من رعيته أن يفعله ، وأن هذا الملك — وان خاطبه رعاياه بقلب الربوبية الا أنه لم يعتقد فى نفسه الربوبية الفعلية ، بحيث لم يكن من المستبعد عليه — تبعا لذلك — أن يخاطب أهل فى عصره بلفظ « الأخوة » كما خاطب كاهنه المرتل .

والواقع أن الملك « سنفرو » قد خلف وراءه شهرة عريضة للحاكم المثالى فى الخير ، وحسن التصرف ، شديد الحرص على أن يسود العدل رعيته ، حتى أنه اتخذ العدالة شعارا له ، فلقب نفسه « نب ماعت » (سيد أو رب العدالة) ، ومن ثم فقد ظلت ذكراه عدة قرون بين المصريين ، وكانوا يشيرون اليه بقولهم « الملك المحسن » و « الملك الرحيم » و « الملك المحبوب » و « الملك الفاضل » ، كما صورته الوثائق متواضعا ، يميل الى المعرفة ، ويكرم العلماء ، ويحسن الاستماع لهم ، ويكتب بنفسه ولا يبالى أن يسأل عما لا يعرفه ، ومن ثم فقد اختار بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة ، بعد وفاته بحوالى سبعة قرون ، نفس المنطقة التى دفن فيها لتكون مثولهم الأخير ، تيمنا به وتبركا .

٢ - قصة خوفو والساحر جدى :

نروى بردية وستكار أن الساحر « جدى » (ددى) الذى بلغ من سحره أن يلحم الرأس المقطوع ، ويذل الأسد لارادته ، أن قد دعى الى حضرة الملك خوفو ، حيث عرض سحره عليه ، وأوقعه بأوزة ثم ثور ، فصل رأس كل منهما عن الجسد ، ثم ما زال يقرأ من عزائمه ، والرأس

بقترب من الجسد ، حتى التجمعا ، وعادت الحياة الى كل منهما ، ثم أعاد التجربة مرة ثانية في بطة ، ثم فى ثور ، فنجح فى ذلك كله ، وذلك على النحو التالى :

جاء دور الأمير « حور ددف » فقال لأبيه خوfo : لقد سمعت حتى الآن أمثلة مما قالوا بأنه حدث قبل أيامنا ، ولا يعرف الانسان ، اذا كان ذلك صحيحا أم غير صحيح ، ولكن يوجد ساحر يعيش فى عهدك بلغ من سحره ان يلحم الرأس المقطوع ، ويذل الأسد لارادته ، ويعيش فى بلدة « دد - سنفرو » ويبلغ من العمر مائة سنة وعشرا ، ويأكل فى اليوم خمسمائة رغيف من الخبز ، وفخذ ثور من اللحم ، ويشرب مائة انا من الجعة ، ويعرف سر مغاليق هيكل الاله تحوت ، وكان خوfo حريصا على معرفة هذا السر ، ومن ثم فقد أرسل ولده « حور ددف » ليحضّر هذا الساحر بنفسه ، وهكذا أخذ الأمير السفن ونزل فى النيل ، حتى وصل الى القرية التى يعيش فيها الساحر العجوز ، وانتقل هناك من سفينته الى بيت الساحر فى محفة من الأبنوس ، عوارضها من خشب السسّم ومغلقة بالذهب ، واستقبله الساحر بما يليق ، ومقام الأمراء ، ورد الأمير التحية بأحسن منها ، وهناك على تمام صحته ، وأعلمه ان الملك يدعوّه الى القصر لىتمتع بأطياب الطعام ، ولينال بركة الملك بعد وفاته ، ولبى الساحر الدعوة راضيا شاكرا ، وان طلب أن تخصص سفينة لنقل عائلته وكتبه ، فخصص له الأمير سفينتين .

ولما وصل الساحر « جدى » الى القصر الملكى ، قال له خوfo : ما هذا يا جدى ، وكيف لم نرك حتى الآن ؟ فأجاب جدى : مولاي ، من دعى أجاب ، ولما دعوتنى لبيت ، ومعنى هذا أن الرجل لم يكن يجد ما يلزمه بأن ينمّسح بىلاط الملك من تلقاء نفسه ، أو يقصد اعتابه رجاء فضله ، وعلى أية حال ، فلقد طلب خوfo من جدى أن يجرى معجزاته وسحره على سجين ، فاعتذر الرجل وأجاب فى عناد : ولكن ليس على انسان يا مولاي ! انحكم ، وحسبك أن أحدا لم يطلب أداء شىء من ذلك

على هذا الشعب النبيل ، وهكذا لم يأب جدى أن يرد على ملكه العظيم بما يقتضيه ، ولم يأب أن يعتبر السجين المصرى فردا من شعبه نبيل ، على الرغم من جرمه الذى دخل السجن بسببه ، وفضل أن يجزى تجاربه على حيوان أو طير •

وهكذا أحضروا له أوزة ، وقطعوا رأسها ، ووضعوا جسدها فى الناحية الغربية من القاعة ، ورأسها فى الناحية الشرقية منها ، وقرأ جدى من عزائم السحر ما جعل جسد الأوزة يتحرك ، كما تحرك رأسها ، حتى تلاقيا فركب الرأس فى مكانه من فوق الجسد ، وبعثت الأوزة حية مرة أخرى ، وأخذت تصيح ثم أعادوا التجربة مرة ثانية فى بطة ، ثم ثالثة فى ثور ، فنجح فى ذلك كله ، ثم سأله خوفو عن سر مغاليق هيكل تحوت فأجاب أنه لا يعرف سرها ، ولكنه يعرف مكانها ، وأنها فى صندوق من حجر النازان فى إحدى قاعات معبد هليوبوليس ، وأنه لا يستطيع إحضارها ، وإنما الذى يستطيع ذلك هو أكبر أطفال ثلاثة تحمل بهن «رد - ددت» •

وهكذا ظل «خوفو» على جهل بسر مغاليق هيكل الاله تحوت ، على الرغم من أن نصوصه الملكية ونصوصه الرسمية ونصوص رجال حاشيته ، كانت تلقى بلقب «ثروا» أى «الاله العظيم» ، ولسنا نشك فى أن ذكر السحر فى هذه القصة محض اختلاق وخيال ، وإن كنا لا ننكر على المصريين معرفتهم بالسحر وبراعتهم فيه وأن اعتذار الحكيم عن آدائه لا يزيد عن مجرد تخلص لبق لطيف ، ولكن حسبنا من القصة أنها كشفت عما كان مؤلفه يتخيله عن بشرية خوفو ، واحتمال عجزه عن أداء ما يؤديه بعض رعاياه ، وكشفت عما كان الناس يودون أن يظهر به حكيم من الشعب فى مواجهة الملك العظيم ، صاحب الهرم الأكبر ، من عزة النفس ، والاعتراف لقومه بنبالة الأصل •

ثم يكمل الساحر قصته عن أنباء «رد - ددت» فيقول : أنه يوجد فى مدينة «ساخبو» - وثقغ على الضفة الغربية للنيل ، قريانا من منطقة

هليوبوليس - كاهن يدعى « وسر رع » وأن زوجته « رد - ددت » سوف ترزق بأولاد ثلاثة من صلب الاله « رع » نفسه ، وأن الاله رع فد بشرها بأن أولادها الثلاثة سوف يجلسون على عرش مصر ، الواحد تلو الآخر ، وأن أكبرهم سوف يكون كبير الكهان فى « أون » (هليوبوليس) فحزن قلب خوفو لتلك الأنباء ، ولكن الساحر لمأنه على عرشه ، بل وسيخلقه من بعده ولده ، ثم حفيده ، ثم يأتى من بعد ذلك أبناء « رد - ددت » (رود جدت) من رع •

وتستمر القصة فى وصف أيام الحمل ، وما اقترن به من معجزات حتى تأتى ساعة الوضع ، وتحضره آلهات الولادة متكرات فى زى راقصات وموسقيات ، بغية تقديم العون للسيدة الحامل ، ابان وضعها لحملها المبارك ، فادعت القصة - أو قل الأسطورة - أن «رود - جدت» حين أتاها المخاض لم يكن عندها من يعينها عليه ، وأن الاله الأكبر رع أراد أن يعينها على الوضع ، فأرسل إليها أربع ربات على هيئة البشر - قابلة وهى الربة ايزة ، وثلاث مساعدات وهن ثقتيس وحقت ومسخت ، فضلا عن تابع عجوز حمل كرسى الداية وحاجيات التوليد ، وهو المعبود خنوم •

واستمرت الأسطورة فى وصف ساعة الوضع وما ظهر خلالها من الترامات ، فذكرت أن الموليدات انفردن بالحامل فى غرفتها ، وأوصدن الباب عليهن ، وجلست ايزة أمامها تقوم بعملية التوليد ، بينما جثت نفثيس خلفها ، لتشد عليها بذراعها ، وتكون سندا لها عين المخاض ، وعونا على دفع المولود ، وجلست « حقت » تتعجل الوضع ، أو تحمى الطلق - كما تقول نسوة اليوم - واكتفت « مسخت » بالتشجيع والهمهمة شأن العجائز المجربات للباركات ، وكلما ولدت الوالدة توأما بشرته « مسخت » بما قدر له من حظ سعيد ، وقالت « ملك يتولى الحكم فى هذه الأرض كلها » ، وغسلت الموليدات الأطفال ، وقطعن لكل منهم حبله السرى وأرقدته فوق مهد متواضع صغير غطينه بغطاء كتانى بسيط ،

وطمان خنوم الوالدة على سلامة أبنائها الثلاثة . وزودهم بدعائه المبرور ، ويقدم والد الأطفال الثلاثة المكافآت للربات على عونهن لزوجته فى وضعها مكاييل من الشعير . الذى تضعه الربات فى مخازنه ، ثم ينصرفن سرا ، وسرعان ما تصدر من الغرف أصوات موسيقية خفية ، ويقال أن التيجان الملكية وجدت مخبأة فى الشعير ، وتضيف الأسطورة أن الخادمة كادت أن تنشى السر كله للملك خوفاً ، لولا أن تمساحا اقتض عليها ، وهى تملأ جرة ماء من النهر .

وبدهى أن القصة — على هذه الصورة — انما تتناولها هواتف الريبة والشك من كل جانب ، ولكنها ، على أية حال ، انما تمثل الناحية الشعبية من قصة استيلاء كهنة رع على الملك فى نهاية الأسرة الرابعة ، كما أنها فى الوقت نفسه ، تبين الوسائل التى يلجأ إليها الفراعين لتثبيت عروشهم ، حين أعوزهم الحق الشرعى فيه ، وسرى فى عصور تالية فراعين يفعلون ذلك ، حين ينتسبون الى الاله أمون ، كما يبدو ذلك واضحاً فى نصى الولاة الشهيرين ، الواحد بمعبد الدين البحرى فى طيبة الغربية ، ويتحدث عن ولادة الملكة « حتشبسوت » من الاله أمون ، ومن « أحمس » زوج الملك « تحوتمس الأول » ، والثانى فى معبد الأقصر ، ويتحدث عن ولادة « أمنحتب الثالث » من الاله أمون ، ومن « موت ام ويا » زوج تحوتمس الرابع — كما أشرنا الى ذلك من قبل —

وأيا ما كان الأمر ، فلسنا ندرى مدى قبول الناس لما روته القصة أو الأسطورة ، ان كانوا قد قبلوها عن ايمان وتصديق ، أم اعتبروها مجرد دعاية من الكهان وأهل البلاط لصالح ملوكهم ، ولكننا ندرى أن ملوك الأسرة الخامسة ظلوا أوفياء للاله رع ، صاحب الفضل فى ارتقائهم العرش ، وظلوا كذلك أوفياء لكهنوته الذين آزرهم فى حكم البلاد (١٥) .

(١٥) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ١/ ٣٣٥ - ٣٣٧ ،
الاسرة فى المجتمع المصرى القديم ص ٣٩ - ٤١ ، أحمد فخرى : المرجع
السابق ص ٣٩٦ - ٤٠٢ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٧٧ - ٨٧ ، محمد
بيومى مهران : مصر ١٥٨/٢ - ١٦٠ (الاسكندرية ١٩٨٨) ، وكذا =

٢ - قصة الفلاح الفصيح

اختلف المؤرخون فى اسم هذه القصة ، فيسميها البعض « احتجاجات أو شكاوى الفلاح الفصيح » ، ويسميها آخرون « شكوى الفلاح الفصيح » ، ويرى فريق ثالث أنها « قصة فلاح من الواحة المتاخمة لوادى النطرون » ، ويذهب أستاذنا الدكتور أحمد فخرى ، طيب الله ثراه ، أننا لا نملك أى دليل على أن صاحبها كان فلاحا يعمل فى الأرض ، وإنما الأرجح أنه أحد الأهالى الذين يعملون فى التجارة ، على أن « جوستاف لوفيفر » إنما يفضل تسميتها « قصة الواحى » ، غير أن اطلاق كلمة « الواحى » على أحد سكان وادى النطرون أمر لا يستقيم مع العرف ، ذلك لأن سكان ألواح إنما هم سكان سيوة والبحرية والفرافرة والداخلية والخارجة فقط ، ولهذا يسميها البعض « قصة القروى الفصيح » ، لأن صاحبها - سواء كان يعمل فى التجارة أو فى الفلاحة أو فى استخراج النطرون أو الأعشاب - فانه كان يعيش فى ذلك المكان الذى لا يعدو أن يكون قرية صغيرة ، ولم يكن من أبناء المدن المتعلمين ، وكان الاعجاب به لأنه كان شخصا بسيطا من سكان الأماكن النائية ، ومع ذلك فقد أوتى قدرًا عظيمًا من الفصاحة وحسن التعبير (١) .

Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, p. 216-222.

W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 16-30. وكذا

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, London, 1927, p. 36-47. وكذا

G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de L'epoque Pharaonique, Paris, 1949, p. 70-90. وكذا

وانظر الترجمة العربية (جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى - ترجمة على حافظ ص ١٤٠ - ١٥٧) .
(١) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٩٤ ،

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 407.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 112. وكذا

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 31. وكذا

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 169. وكذا

وكان « شابا » أول من لفت الأنظار الى هذه البردية فى عام ١٨٦٣ م ، وفى عام ١٩١٣ م قام « فوجلز انج » بنشر نصوصها نشرا كاملا (٢) ، وفى عام ١٩٢٣ م قام « جاردنر » بنشر اضافات وتصحيحات لها (٣) ، وهناك ترجمات كثيرة للبردية ، منها ترجمة « ماسبيرو » ، و « رويدر » و « سايس » و « ارمان » و « لوفيفر » ، كما حلل نصوصها واقتبس منها وناقشها كثير من العلماء الأجانب وبلغات مختلفة (٤) •

وأما ترجمة الوثيقة باللغة العربية ، فهناك ترجمة الدكتور سليم حسن (٥) ، هذا فضلا عن ترجمات موجزة لأهم عناصر البردية فى كتب

F. Vogelsong, Kommentar Zu den Klagen des Bawern, Untersuchungen, b, Leipzig, 1913, 1964. (٢)

A. H. Gardiner, JEA, 9, 1923, p. 5-25. (٣)

De Buck, Readingbook, p. 88-99. (٤) أنظر

K. Sethe, Agyptische Lesestücke, Leipzig, 1924, p. 17-25.

K. Sethe, Erl, Leipzig, 1927, p. 21-32.

A. Erman, LAE, London, 1927, p. 116-131.

F. Lexa, Arch. Or., 7, 1935, p. 372-383.

F. Lexa, RT, 34, 1912, p. 218-231.

A. H. Gardiner, PSBA, 35, 1913, p. 264-276.

E. Suys, Etude sur le Conte du fellah Plaidcur, Rome, 1933.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 41-69.

A. M. Blackman, JEA, 20, 1934, p. 218-219.

F. W. Von Bissing, Altägyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, p. 155-170.

ولعل من أحدث ترجمات البردية :

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 169-184.

J. A. Wilson, ANET, P. 407-410.

R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, p. 31-49.

S. Herrmann, ZAS, 80, 1955, p. 34-39.

S. Herrmann, ZAS, 82, 1958, 55-57.

G. Lanczkowski, Altägyptischer Prophetismus, Wiesbaden, 1960.

(٥) سليم حسن : المرجع السابق ص ٥٤ - ٧٠ •

التاريخ المصرى القديم (٦) •

هذا وقد حفظت لنا البردية فى أربع نسخ من عهد الدولة الوسطى منها ثلاثة بمتحف برلين (الأولى برقم R ١٠٤٩٩ ، والثانية برقم R ٣٠٢٣ ، والثالثة برقم R ٣٠٢٥) واما النسخة الرابعة فى المتحف البريطانى (برقم ١٠٢٧٤) ، هذا عدد المقتطفات الأخرى ، ومن حسن الحظ أن ابردية لم تصل إلينا عن طريق نسخة متأخرة محرفة أو بالية — ككثير من المخطوطات المصرية القديمة — وانما بقيت محفوظة جيدا ، حتى وصلت إلينا فى لفافة من البردى الفخم الذى كتب فى ذلك العصر الاقطاعى الأول (عصر الثورة الاجتماعية الأولى) (٧) •

وقد اختلف المؤرخون فى عصر الملك الذى جرت فى عهده أحداث « قصة القروى النصيح » وربما كان السبب فى اختلافهم هذا ، هو اختلافهم فى ترتيب ملوك العهد الاهناسى (الأسرتين التاسعة والعاشر) ، وهكذا فانهم يتفقون على أن القصة حدثت فى عهد الملك « نب كاو رع » ولكنهم يختلفون فى مكان هذا الملك من العهد الاهناسى ، وبالتالي يختلفون فى الأسرة التى حدثت على أيامها هذه القصة ، فبينما يضعها فريق فى الأسرة التاسعة ، يضعها آخرون فى الأسرة العاشرة (٨) ، وهكذا رأينا « الكسندر شارف » يرى أن القصة قدمت لأحد ملوك الأسرة العاشرة (٩) ، ويذهب « وليم هيز » الى أن الملك « نب كاو رع » (اختوى

(٦) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٩٣ - ٣٩٦ ، عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ٣٦٢/١ - ٣٦٥ ، جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى - ترجمة على حافظ ص ٩٠ - ١٣٥ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩٧ - ٥٠١ ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٣٠٨ - ٣١٤ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى ص ١٥ - ٢١ ، مصر ٣١٥/٢ - ٣٢٤ •

R. O. Faulkner, M. Lichtheim, Op-Cit, p. 169-170. (٧)

(٨) انظر عن ترتيب ملوك الاسرتين التاسعة والعاشر (محمد بيومى مهران : مصر ٢٨٤/٢ - ٢٩٠ الاسكندرية ١٩٨٨) •

(٩) الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٧٣ •

الخامس) هو آخر ملوك اهناسيا ، وربما كان الفرعون الذى جاء ذكره فى قصة الفلاح الفصيح^(١٠) ، ويرى « ونلوك » أن هناك افتراضا عاما بأن الملك « نب كاو رع » (اختوى - خيتى) الذى حدث فى عهده قصة الفلاح الفصيح ، قد خلف الملك « مرى كارع » على عرش الكنانة وقد حكم البلاد حتى استسلمت اهناسيا للأمراء طيبة ، وبمعنى آخر أن « نب كارع » هو آخر حكام العهد الاهناسى^(١١) .

على ان الدكتور أحمد فخرى انما يرى أن حوادث قصة القروى الفصيح كانت فى عصر الملك « نب كاو رع » أحد ملوك اهناسية فى الأسرة العاشرة ، ولكنها كتبت بعده بقليل ، وهذا يعنى أنها كتبت فى الأسرة الحادية عشرة على الأقل ، على أساس أنها حدثت فى عهد « خيتى الخامس » ، الذى لم يبق على العرش طويلا ، فقد عاودت جيوش طيبة هجومها ، فقضت على عائلته فى اهناسيا^(١٢) ، واخضعت مصر كلها ، وبدأت الأسرة الحادية عشرة عهدا جديدا .

واننى لأميل الى أن قصة القروى الفصيح هذه ، انما قد حدثت على أيام الأسرة العاشرة ، وذلك لأنه رأى الغالبية من المؤرخين ، ولأن هناك اتفاقا على أنها حدثت على أيام الملك « نب كاو رع » ، وهو - فيما نرى جمهرة المؤرخين - أحد ملوك الأسرة العاشرة ، وربما كان آخر المحكام الاهناسيين^(١٣) ، والذى تم فى أيامه انتصار امراء طيبة على ملوك

(١٠) W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, New York, 1953, p. 145.

(١١) H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom in Thin Thebes, N. Y., 1947, p. 23.

(١٢) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ١٧١ ، تاريخ الحضارة المصرية ص ٣٩٤ .

(١٣) اهناسية : كانت عاصمة البلاد فى عهد الاسرتين التاسعة والعاشرة ، واسمها المصرى « نن - نيسو » وسماها العرب « اهناس » ، وهى « اهناسية المدينة » الحالية ، احدى مراكز محافظة بنى سويف ، وتقع على الضفة الشرقية لبحر يوسف ، فى مقابل مدينة بنى سويف ، وعلى مبعده ١٦ كيلا الى الغرب منها (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ١٦٧) .

انسانية ، ثم كتب لهم بعد ذلك ان يعيدوا الوحدة للبلاد ، تلك الوحدة التي فقدتها مصر على أيام الثورة الاجتماعية الأولى ، والتي أقامها منذ فجر التاريخ أقرباء لهم من أمراء «نخن»^(١٤) (البصيلية — مركز ادفو — بمحافظة أسوان) •

وعلى أية حال ، فإن قصة القروى الفصيح انما تتكون من مقدمة وتسع خطب أو شكاوى ، عنى الكاتب باقتفاء معانيها ، وتعبيراتها وألماها كل العنايه ، وفى الواقع أن القصة انما تعد آية فى بلاغة الأسلوب كما أن بيان الشكوى رائع أخاذ ، فيه كثير من التورية ، وفيه كثير من التهكم الرائع ، ثم إن الصورة التي عرضها ذلك الفلاح — أو القروى — انما تعد مظهرا صادقا ، لما كان واقعا يؤمن من ضيق الناس ، بحال البلاد ، وتبرمهم بالفوضى التي سادت حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما أن فى تكرار موضوع الشكوى تسع مرات ، مع ما تخلل ذلك من دعابة الحديث ، مما يدل على الروح التي سادت هذا العصر ، وعلى الحزن على العدالة ، واعطاء كل ذي حق حقه ، وحماية الفقير من سطوة الاغنياء واصحاب النفوذ ، وقد كتب لصاحبها نجحا بعيد المدى فى أن يوضح لنا بصور شتى ما كان يدور فى عقل ووجدان ذلك القروى البسيط ، بل ما يدور فى عقل ووجدان كل مصرى عضه الجوع ، ومر عليه البأس ، ووقع فريسة لأصحاب الجاه والسلطان •

وتتلخص قصة القروى الفصيح هذه فى أن قرويا يدعى «خون انبو» خرج من قريته — وهى بلدة تسمى «حقل النطرون» من اقليم وادى النطرون بمقاطعة الفيوم ، على رأى ، وهى واحة متاخمة لوادى النطرون على رأى آخر ، وهى بلدة «غيظ الملح» التي لا نعرف مكانها على وجه التحديد ، وإن علب على الظن انها كانت فى نواحي الفيوم على رأى ثالث — بغية التجارة فى شتى السلع من الغاب والنطرون والمخشاب

(١٤) انظر عن «نخن» ودورها السياسى والحضارى (محمد بيومى مهران : مصر ٥٩/٢ — ٧٤ — الاسكندرية ١٩٨٨) •

وبعض الجلود وبعض محاصيل النباتات التى كانت تنمو فى تلك الواحه قديما ، وبعض أنواع من الحجارة وبعض الطيور ، وكثير من الحبوب التى كانت تنسو هناك ، ليستبدل ذلك كله بمحاصيل الوادى فى العاصمة اهناسيا ، ومن ثم فقد قال لزوجته « مريه » أو « مارية » : « أنظرى اننى شاخص الى العاصمة لأجلب المؤونة لأولادى ، من فضل تجارتى فانطلقى فاكتالى لى الشعير الذى تركته فى المخزن ، فاكتالنها له فكانت ثمانية مكاييل ثم قال لها : عندك كيلان لك ولأولادك ، ولكن اصنعى لى من المكاييل الستة الباقية خبزا وجعة عن كل يوم أقضيه هناك » •

وهكذا ترك الرجل قريته ، ولم يترك لزوجته وأولاده ما يكفيهم الا لأيام معدودات ، ثم حمل حميره بشتى السلع بغية أن يبيعها فى العاصمة اهناسيا ، وهناك وعلى مقربة من اهناسية ، وفى قرية — وربما ضيعة — تدعى « بر — فيفى » كان يتولى أمرها موظف شرير يدعى « تحوت — نخت » نيابة عن موظف كبير ، كان يتولى وقت ذاك منصب كبير حجاب قصر فرعون ، أو ناظر الخاصة الملكية ، ويدعى « رنسى بن مرو » ، وطمع « تحوت — نخت » فى تجارة القروى وحميره ، وأراد أن يكون له نصيب منها ، ان لم يستول عليها كلها ، وتففق ذهنه عن حيلة خبيثة ، فاعترضه على طريق زراعى ضيق ، كان لا بد أن يمر عليه ، واوعز الى خادمه أن ييسط على الطريق قماشا يغطيه بالعرض ، ولما تقدم القروى على الطريق نهاه « تحوت — نخت » أن يمر على قماشه المقروش ، فاعتذر القروى بأنه كان حسن النية فيما أقدم عليه ، وابتعد عن القماش وسار قرب الزراعة فنهره « تحوت — نخت » مرة أخرى ، وفجأة قضم أحد حمير القروى قضة من سنابل الغلال ، فاعتبرها « تحوت — نخت » فرصته وأصر على أن يستولى على الحمار جراء جرمة ، ويحتج القروى ويهدد بابلاغ الأمر الى ناظر الخاصة صاحب الأرض قائلا : اننى أعرف رب هذه الضياع ، انها للسمير الكبير رنسى بن مرو ، انه يلجم كل لص فى هذه البلاد كلها ، أم ترانى أسرق فى ضياعه •

ويغضب « تحوت - نخت » ، وتأخذ العزة بالاثم ، ويستولى على بضاعة الرجل وحميمه ، ثم يتناول غصنا من الأثل الأخضر ، وينهال على الرجل في كل أجزاء جسمه ، ويصيح القروى باكيا ، ولكنه كلما بكى ، كلما أعاد « تحوت - نخت » ضربه أمرا إياه بالسكوت وعدم الشكوى . فيرد القروى : أنضربنى وتسرق مالى وتمنعنى أن أشكو » ، ويظل القروى يبابه عشرة أيام يستعطفه ويتضرع إليه ، ولكنه لم يعره التفاتا ، مما اضطره الى أن يشكو الى ناظر الضيعة « رنسى بن مرو » .

ويتقدم القروى بشكايته الى النبيل « رنسى بن مرو » وقد قابله ذات صباح وهو فى طريقه من داره الى النهر ليستقل قارب المحكمة ، فرجاه أن يرسل معه تابعا من عنده حتى يعهد اليه بقصته ، ورجع التابع بنص القصة الى رئيسه ، ويتمكن القروى من أن يثير إعجاب « رنسى بن مرو » ببلغة لفظه ، وفصاحة تعبيره ، ويرفع « رنسى بن مرو » الأمر الى القضاء لعلهم ينصفوا ذلك القروى من « تحوت - نخت » ولكنهم لم يفعلوا شيئا وأجابوا : ربما كان ذلك القروى أحد فلاحي « تحوت - نخت » ، وأنه أراد تركه والعمل عند غيره ، وطلبوا من « رنسى بن مرو » أن يطلب من عامله « تحوت نخت » أن يعوضه عن كمية النطرون ، وتجاهلوا الحمير كلية ، وهى التى أعز على القروى من كمية النطرون ، ولكن « رنسى بن مرو » لم يعر حكمهم الظالم أى اهتمام ، وأسر فى نفسه أمرا عزم على تنفيذه .

واستبطأ القروى رد « رنسى بن مرو » فوجه اليه عتابا رقيقا ليئا ، حاول أن يستثير فيه نخوته ، فحبيه فى العدل ، ووصفه بما يجب أمثاله أن يوصفوا به ، وكان من قوله له : اذا كنت حقا أبا لليتيم ، وزوجا للأرملة وأخا للمرأة المنبوذة ، وردأ لمن لا أم له ، فشجعنى عنى أن أنشر سمعتك فى الأرض بما يتفق مع القانون الصحيح ، وعساك تكون حاكما بريئامن الجشع ، ونبيلا منزها عن الدنية ، تزهق الباطل وتحق الحق ، وتلبى نداءه ها أنذا أقول وأنت تسمع ، أقم العدل أمدحك ويمدحك المادحون ، أزل كرى واحمنى ، فقد وهنت قوتى ، وضلت حيرتى » .

وهنا لعل سائلا يتساءل : ما بال هذا القروى المظلوم لم ينصف على عجل ، وهل يجوز لنا أن نرمى حكام مصر بالاهمال والمحاباة ؟

فى الواقع أن الأمر لم يكن كذلك ، فالحاكم الكبير (رنسى بن مرو) قد أعجبتة فصاحة « خون - انبو » فأخبر الملك أن فى رعاياه « قرويا فصيحيا » ، وكان الملك - كما يقول جوستاف لوفيفر - فى حاجة الى من يسرى عنه ، فانتهاز الفرصة ، وطلب ألا يبيت فى شكوى القروى ، استزادة من فصاحته ، على أن تسجل شكاياه وترفع اليه ، يقول الملك لكبير حجابيه : « دع امره يقضى فيه على مهل ، ولا تجبه فى شىء مما يقول ، والزم الصمت حتى لا يكف عن الكلام ، واكتب ما يقوله حتى نسمعه ، على أن تتكفل برزق زوجه وعياله ، وذلك لأن القروى لا يأتى (الى العاصمة) الا بعد املاق » ، وهكذا ، وبناء على توجيهات سيد البلاد فلقد « أعطوه فى كل يوم عشرة أرغفة ، وائاءين من البجعة » ، وقد تعود كبير الحجاب « رنسى بن مرو » أن يعطى ذلك لأحد أصدقائه الذى اعتاد (بدوره) أن يعطيها له (أى الفلاح) كما أرسل كبير الحجاب (رنسى بن مرو) الى شيخ بلدة (حقاحات) « سخمت حموت » ليصنع طعاما لزوجة هذا القروى ، ومقداره ثلاثة مكايل من الشعير فى كل يوم .

وهكذا يتغافل كبير الحجاب عن الرد على شكايات القروى الفصيح الذى يظن أن أمره قد أهمل ، فتحول من الاستعطاف الى الشكاية ثم الى الشراسة ، وتحول من لين الحديث الى العنف والنقد الصريح ، وتوجه الى « رنسى بن مرو » بثمان شكايات متتابعة ، بعد استعطافه الأول (شكايته الأولى) ، لم يسلم حين تقديمها من الأذى ، وضرب الحجاب ، واهانة الحراس ، ولكنه لم يتخل عن غناده ، واستمر يصر على اسماع صوته للحاكم ، ولو ناله الضرب والأذى ، وعمل على أن يصور فى هذه الشكايات كل مبادئ العدالة الاجتماعية والسياسية والقانونية التى كان يطمح فيها المفكرون فى عصره .

وهكذا أخذ القروى فى شكايته الثاية يحذر « رنسى بن مرو »

قائلا : يا كبير الأمناء يا شريفى ، انك أعظم العظماء ، وأغنى الأغنياء ، أنت الذى تتمثل فيك عظمة العظماء ، وغنى الأغنياء ، انك دفعة السماء ، وسارى الأرض ، وحبل الميزان الذى يحمل الثقل ، فيا أيتها الدفة لا تنحرفى ، ويا أيها السارى استقم ، ويا أيها الميزان لا تمل ، ، وحين لا يجد أذنا صاغية فانه يقول : « هل أبحثم للشريف أن يسلب رجلا ليس له ولى ، وينهب رجلا ليس معه أحد ، ان الموت يدرك الغنى ومن فى كنفه على السواء ، فهل أنت حى خالد ؟ أليس من القبح أن تميل الموازين ، وتختل المعايير ، وان ينقلب العادل القويم خبيثا ، ان كبار الموظفين يرتكبون السيئات ، ويحيد القوم عن الطريق السوى ، ويسرق القضاة ، ان الذى ينبغى أن يقسم بالعدل قد أمسى سارقا ، والذى ينبغى أن يقضى الحاجات قد أنزل الحاجة بالناس حتى عم العوز المدينة ، والذى ينبغى أن يستأصل الشرور ، هو نفسه الذى يرتكب المظالم ، ان وازن النجوب يطفطف غشا ، والذى ينبغى أن يبين سبيل القانون يأمر بالسرقة» •

ثم يقول « ان الاصلاح قد يتم فى ساعة ، ولكن الفساد يمكث طويلا وتعود الحسنة الى حيث كانت بالأمس ، وتلك هى الحكمة : عامل بالحسنى من أحسن حتى يظل محسنا » ، ثم ينبه الى واجبات وظيفته : « فلتكن عصمة للمظلوم ، وليكن شاطئك آمنا ، فان التماسيح تعبث فى الأرض من حولك ، وليكن لسائك عادلا ، فلا تفضل سواء السبيل ، اذ يكون جزء من الجسد سببا فى هلاك صاحبه ، لا تقل كذبا ، واحذر كبار أشرافك ، انما يفسد القضاة سلة من فاكهة (يلوح أنه يعنى الرشوة) ، والكذب مرعاهم الخصب ، وهو بذلك أيسر ما تهوى قلوبهم ، وأنت يا أعلم الناس ، أفتبقى جاهلا بأمرى ، وأنت يا من تجنب الناس كل قحط فى الماء ، ألا فانظر ، ان لى طريقا ليس فيه سفينة ، وأنت الذى تنتشل الغريق ، وتقتذ الهالك ، انقذنى » •

ثم يضرع اليه فى « شكايته الثالثة » ، ويشبهه بالاله « رع » فيقول: انك أنت رع سيد السماء ، ومعك حاشيتك ، ان بقاء الناس جميعا مرجعه

اليك ، أنت فيهم فيض عميم ، أنت « حابى » (حعبى) (١٥) الذى تخضر به المراهى ، وترد الأرض المجهدة خصيبا ، ادفع السارق ، واحم المسكين ولا تكن تيارا جارفا على من استجار بك ، اتق دنو الآخرة ، وإذا عاقبت من يستحق العقاب ، فلن يتسامى الى استقامتك أحد ، انظر : هل يختل ميزان اليد ، أو يميل ميزان القبان من ناحية دون أخرى ، اذا حابى الاله « تحوت » جاز لك أن ترتكب سوء ، كن ثانى هؤلاء الثلاثة ، فان حابوا جاز لك أن تحابى ، لا تجعل السيئة مكان الحسنه ... لا تقل كذبا فانك كبير ، ولا تكن هينا فانك عظيم ، ثم يقول له فى تشبيه لطيف ، وتجسيم للصورة : « أنت رئيس وييدك ميزان ، اذا اختل الميزان فأنت مختل ، ولسانك هو لسانه الصغير ، وقلبك صنجته ، وشفثاك كفته ، فاذا أدرت وجهك شطر الظالمين ، فمن الذى يرد الضلال ، ويرفع العار » .

ويدرك القروى أن شكاياته لا طائل منها ، ومع ذلك يستمر فيها ، ولكنه يشتد على « رنسى بن مرو » فيقول له : « أنت قادر ومقتدر ، وذراعك طائلة ، ولكن فؤادك قاس ، والرحمة قد تجاوزتك ، وما أتعس المخزون الذى تحطمه ، لكأنك رسول لرب التمساح ، بل انك زدت عن ربة الوباء ، واذا كان العدم يرتجى منها ، ارتجى منك العدم ، وعندئذ يأمر « رنسى بن مرو » بضرب القروى بالسياط ، فينزعج القروى ويقول : « ضل ابن مرو طريقه ، انه أعمى عما يرى ، أصم عما يسمع ، سادر عما يروى له ، انك أشبه بقرية لا عمدة لها وجماعة لا كبير لها ، وسفينة لا ربان لها ، وعصبة لا هادى لها ، أنظر : انك لص ، حاكم يصادر أملاك

(١٥) يشبه القروى هنا «رنسى بن مرو» باله النيل حعبى، والمعروف أن المصريين قد أطلقوا على النيل (أيترو - عا = النهر العظيم) اسم «حعبى» ، على أن حعبى لم يكن هو النهر المقدس ، وإنما كان ذلك الاله أو الروح التى تكمن وراء هذا النهر العظيم ، والتى تدفع بمياه فيضه حاملة الخصب والنماء ، وقد صور المصرى هذا الاله فى هيئة بشرية تجمع بين الانوثة والذكورة فى هيئة صياد سمك يلتحى باللحية التقليدية للالهة ، له ثديا امرأة ، ويطن مترهل (محمد بيومى مهران : مصر ٢٩٨/١ - ٣٠٥) .

الفلاحين ، ورئيس مقاطعة وظيفته القضاء على النهب ، ولكنه يصبح نموذجاً لمرتكبيه ، لا تسرق وضعياً أملاكه ، ولا ضعيفاً تعرفه ، ان أملاك الفقير هي أنفاسه ، فمن أخذها منه فقد كتم أنفاسه ، لقد عينت لتسمع الشكايات ، وتفصل بين الخصوم ، وتقضى على اللصوص ، لقد وضع الناس ثقتهم فيك ، فأصبحت معتدياً ، وانما أقمت سداً منيعاً للفقير تحميه من الغرق ، أيها السمير الكبير ، أقم الحق ، ان زارع الشر يروى آثاره بالشر ، ولكن الحق باق أبداً ، وهو ينزل مع فاعله الى العالم الآخر . فلا يحى اسمه من الأرض ، ولكنه يذكر لصلاحه ، وذلك ما ورد فى كلام الاله » .

ويستمر القروى فى شكائاته التى بلغت تسعاً ، وفى كل واحدة منها يتفنن فى المطالبة بحقه ، ويذكره بمسئوليته عما حدث له ، ويحذره من غضب الله تعالى عليه لمناصرتة الظلم والظالمين ، ثم يقول له فى شكواه الأخيرة : « ان السنة الناس موازينهم ، ان الميزان هو الذى يبين السرقة فعاقب من يستحق العقاب » ، ثم يحذره فى نهايتها قائلاً : « لا تطعم قلبك ولا تخف وجهك عمن عرفت ، ولا تكن أعمى عما رأيت ، ولا تنهر من آثاك مستجيراً ، أخرج من بطئك ، واقض ما أنت به قاض ، لا صديق لمن يصم آذانه عن العدل ، أنظر : انى تضرعت اليك ، وما أراك منصتاً لى أنظر : انى سأذهب الآن ، وسأرفع شكواى ضدك الى الاله » (أنوبيس) .

ويبدأ القروى يسير بعيداً عنه معتزماً تنفيذ ما هدد به ، وهو أنه ذاهب الى أنوبيس ، اله الموتى ، غير أن « رنسى بن مرو » سرعان ما يرسل وراءه اثنين من رجاله عادداً به ، وكان خائفاً من أن يعاقبه « رنسى بن مرو » على ما بدر منه فى شكواه ، ولم يصدق فى أول الأمر ، عندما طمأنه « رنسى بن مرو » كبير الحجاب قائلاً : « لا تخف أيها القروى فقد أهملنا شكواك لتبقى معنا ، وسرعان ما يخرج له « رنسى بن مرو » قرطاساً من البردى ، قرأ فيه كل شكاياته ، ثم حمل هذا القرطاس الى الملك « نب كاو رع » الذى سر كثيراً بهذه الشكايات ، وأمر بأن ينتقم

للقروى من ظالميه دون وجه حق ، حتى ليعطى كل أملاك « تحوت -
نخت » ، بل ويسمح له بالاقامة فى العاصمة اهناسيا كذلك .

وقصة القروى الفصيح هذه ، كوثيقة تاريخية ، هامة جدا ، وذلك
لأنها تصور لنا الحالة الاجتماعية فى تلك الفترة من تاريخ مصر، وتصور
لنا كيف يستغل بعض الموظفين وظائفهم فى ظلم الفقراء من الناس ، بينما
يعنى كبارهم بتقبل شكوى المظلومين ورد حقوقهم اليهم ، لأنهم هم
المسؤولون عن ذلك ، وتصور لنا أن الوظيفة الكبيرة ذات المرتب
الضخم ، ليست فى كل الأحوال سياجا تحمى صاحبها من أن يظلم الناس
كما أنها ليست دائما درعا يحمى الفقراء من اضطهاد الحاكمين - وأحيانا
سلبهم أوقاتهم - وتصور لنا كيف ساء الحال ، وأهمل الموظفون واجباتهم
وكيف اضطرب الأمن فى الطررق ، وانتشرت السرقات وتفشى الغش
والخداع ، وكيف فسد الحكم ، حتى وصل الأمر الى القضاء فانحرف
عن واجبه المقدس ، وتصور لنا مكانة الثقافة ، أو بعبارة أخرى ، مكانة
الفصاحة ، حتى أن مؤلف قصة الفلاح الفصيح لم يأبه أن يصور فرعون
عصره يستعذب فصاحة قروى من رعاياه ، ويتمنى أن يستزيد منها ،
ثم يأمر بالاحسان اليه فى عاصمته ، دون أن يعرف من هو المحسن اليه،
ودون أن يشعر بفضل أحد عليه فضلا عن الاحسان الى أسرته فى قريتها
والتكفل بأمر معيشتها .

على أن قصة الفلاح الفصيح ، انما تصور لنا - من ناحية
أخرى - كيف أثرت الثورة الاجتماعية الأولى فى المجتمع ، فأعلنت من
شأن الفرد ، وأعطت الفرصة لأهل الناس فى أن يتقدم - بكل جرأة
وشجاعة - ويطالب بحقه المضموم ، بل ويتهم كبير حجاب قصر فرعون
بتهم أشد قسوة ، لأنه لم يأبه بتطبيق العدالة معه، وأن يعيد اليه بضاعته
التي سلبها اياد أحد موظفى كبير الحجاب هذا ، فهو يمثله بشخص
لا يهمه الا الكسب بأية وسيلة ، حيث يقول له : «أنظر أنك غاسل ثياب
تعس ، جشع فى اضرارك بالصديق ، انك كمن يترك شريكه من أجل

عميل ، أنظر انك معداوى لا يعدى الا من كان معه أجرا ، انك تاجر
بارت تجارته ، أنظر انك ساقى لذته فى القتل ، وتساويه ما ليس
مستولا عنه » •

ثم يعبر له عن أن الحكم السلبي الذى لا ينشد بحق فعل الخير ،
لا يمكن أن نسميه حكما . يقول القروى الفصيح : « أنظر : انك
أشبه بقرية لا عسدة لها ، وجماعة لا كبير لها ، وسفينة لا ربان فيها ،
وتحالف بلا زعيم ، لقد أقمت سدا منيعا للفقير تحميه من الغرق ، ولكن
أنظر فقد أصبحت البركة التى يغرق فيها الناس » ، ثم يستمر فى شكواه
مناديا بأن الباطل دولته قصيرة الأجل ، أما دولة الحق فلالأبد ، يقول
القروى : « أنظر : اذا مشى الباطل يضل الناس الطريق ، انه لا يعدى
فى قارب التعدي ، انه لا يتقدم ، ان الذى يغنى بالباطل لا أولاد له ،
وسيزول ورثته من الأرض ، أما « ماعت » فهى باقية الى الأبد ، وتصحب
من يفعلها الى القبر ، وعندما يسوت. ويدفن لن يحى اسمه من الأرض ،
فأعماله الخيرة تذكره ، هذا هو المبدأ الذى أمر به الاله » •

وتصور لنا القصة اضطراب الأمور فى البلاد ، وإحلال الموظفين،
وبدهم عن الجادة من الطريق ، وأن اتقاء الشعب هذا الهوان وانقاذه
منه ، لن يكون الا على يد ملك عادل حازم ، يعاونه جمهرة من الموظفين
الأمناء الأكفاء العدول ، وتصور لنا أمر الخوف من عقاب المنتقم الجبار،
وكيف كان القروى الفصيح يكرر على مسمع رئيس حجاب القصر الملكى
بأنه سيقف يوما أمام الله تعالى الذى سيحاسبه عما فعل لرد الظلم عنه ،
ولارجاع الحق الى أصحابه ، فالحاكم راع مسئول عن رعيته ، مكلف
بالسهر على راحتها ، فان أحسن فله نعم الثواب ، وان أساء وأهمل فسوء
المصير ينتظره فى الحياة الأخرى •

وأخيرا ، فان صاحب قصة القروى الفصيح قد شبه العدالة — ولأول
مرة فى تاريخ آداب العالم — بالميزان ، واتخذ من أجزائه استعارات
وأوصاف لنواحي العدالة ، ثم ساد هذا التشبيه فى جميع لغات العالم،

وقد ظهر بصورة واضحة فى القرآن الكريم ، يقول القروى : « نصد العقاب فيمن يستحق العقاب ... انظر : هل يختل ميزان اليد ، أو يميل ميزان القبان من ناحية دون الأخرى ... لا تقل كذبا فانك كبير ، ولا تكن هينا فانك عظيم ، ولا تنطق بالكذب لأن الموازين ... أنت رئيس وييدك ميزان ، اذا اختل الميزان فأنت مختل ، ولسانك هو لسانه الصغير ، وقلبك صنجته ، وشفتك كفته ، فاذا سترت وجهك عن يطفف ، فمن الذى يرد الضلال ، ويرفع العار » .

هذا وقد كان لهذه القصة مكانة عند المصريين ، حتى أنها لقد بقيت معروفة عند الأدباء حتى عصر الرعامسة ، فهناك قطعة بها مقالة مهلهلة لتلميذ كسول ، جاء فيها ما ترجمته الحرفية : « أنت فى حالة الذى يقول : أنت تقتل ، أنت تسرق حبيرى ، خذ التحذير من فمى » ، وهنا نجد اقتباسا خاطئا جدا فى كلمات الفلاح أو القروى النصيح التى تقول : ثم قال الفلاح : « أنت تضربنى ، أنت تسرق بضاعتى ، وعندئذ خذ الشكوى من فمى » ، مما يدل بوضوح على أن قصة القروى النصيح انما كانت تتمتع بشهرة عريضة فى المدارس حتى عصر الرعامسة (١٦) .

(١٦) جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ٩٨ - ١٣٥ ، عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ٤١٤/١ - ٤١٧ ، الشرق الأدنى القديم ٣٦٢/١ - ٣٦٥ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى ص ١٥ - ٢١ ، ١٧٠ - ١٧٣ ، مصر ٣١٥/٢ - ٣٢٢ ، سليم حسن ٥٦/١ - ٧٠ ، وكذا

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 183-193.

A. H. Gardiner, JEA, 9, 1923, p. 5-25.

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 407-410.

A. Erman, LAE, 1927, p. 116-130.

O. R. Faulkner, Op-Cit, p. 31-56.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 170-183.

A. M. Blackman, JEA, 20, 1934, p. 218-219.

٣ - قصة سنوهى

كانت قصة سنوهى من أحب القصص الى نفوس المصريين طوال عهد الدولتين الوسطى والحديثة ، وقد وصل الينا كثير من أجزائها مكتوبا على البردى أو على اللخاف (الاستراكا) ، مما يدل على اقبال الناس عليها ، وبخاصة المدرسين الذين كانوا يملونها على تلاميذهم ، وهناك اجماع بين علماء المصريات على أن قصة سنوهى انما هى خير ما ورد فى القصص المصرى ، وأنها تتفوق على ما عداها بأسلوبها وتركيبها ولغتها ، وما اجتمع لها من العناصر للقصة الناجحة ، ولم يقتصر أمر الاعجاب بها على علماء المصريات ، بل ان غيرهم من رجال الادب فى العالم يشاركونهم هذا الاعجاب ، ويذهب بعضهم مثل «روديارد كبلنج» الى اعتبارها جديرة بأن توضع بين روائع الآداب العالمية^(١) .

وليس هناك من شك فى أن صاحب هذه القصة «سنوهى»^(٢) ، انما كان شخصية حقيقية ، عاش على أيام الملكين «أمنمحات الاول» (١٩٩١-١٩٦٢ ق م) مؤسس الاسرة الثانية عشرة ، وولده وخليفته «سنوسرت الاول» (١٩٧١ - ١٩٢٨ ق م)^(٣) ، وكانت مغامراته موضع اعجاب معاصريه ، ومن جاءوا بعده ، وربما كانت نواتها الاولى هى تاريخ حياة سنوهى نفسه ، بغية أن تكتب على أحد جدران قبره ، أو على لوحة تقام فى ذلك المقبر ، كما كانت عادة المصريين فى ذلك الوقت .

(١) انظر خطاب «كبلنج» الى «سير الن جاردنر» المنشور فى كتاب (The Legacy of Egypt, 1943, p. 74)

(٢) الاصل المصرى لاسم «سنوهى» هو «سانهت» أى ابن الالهة الجميزة ، ونظرا لان التاء فى آخر الكلمة كانت تسقط ، وأن كلمة الجميزة كانت تنطق «نوهى» فى القبطية ، فقد نطق الآثاريون الاوائل اسم «سانهت» ، «سنوهى» ، وهو أنسب نطق للاسم .

(٣) يلاحظ القارئ أن هناك تداخلا فى فترة حكم «أمنمحات الاول» وولده «سنوسرت الاول» ، والسبب فى ذلك فترة الحكم المشترك بينهما ، ذلك لان مصر انما عرفت الحكم المشترك على أيام الاسرة الثانية عشرة ، ذلك لان الضرورة كانت ماسة لاتخاذ احتياطات واسعة للحفاظ على سلطان الملك ، وربما كان أمنمحات الاول فى أوسط العمر ، حين اعتلى العرش ، وقد أشرك معه ولده «سنوسرت الاول» فى العام العشرين (حوالى عام ١٩٧١ ق م) ، وحكما معا حشر سنوات بعد ذلك ، وقد اتبعت هذه السنة

هذا ويختلف المؤرخون في صلة «سنوهى» بالعائلة المالكة ، فهناك من يرى فيه مجرد شاب تربى في البلاط الملكى ، وهناك من يرى أنه يرتبط بالاسرة المالكة برابطه من قرابة ، وهناك من يرى فيه واحدا من رجال البلاط في عهد الملك أمنمحات الاول ، ولكنه كان من الحزب المعارض للامير «سنوسرت الاول» ، بل ان هناك من يرى فيه أحد أبناء الملك من أم غير ملكية^(٢) ، ويبدو لى أن «سنوهى» انما كان واحدا من رجال البلاط المشهورين في عهد امنمحات الاول ، وأن هناك حزبا كان يعارض في تولية سنوسرت العرش ، بعد أبيه «أمنمحات الاول» (سحتب ايب رع) ، وأن سنوهى كان واحدا من رجال هذا الحزب الاقوياء ، حتى راينا «سنوسرت الاول» يصحبه معه في حملته على ليبيا ، ربما خوفا منه ، وربما اضعافا للحزب المعارض له عند غياب سنوهى *

وعلى أية حال ، فالنص الكامل لهذه البردية محفوظ في برديتين بمتحف برلين ، الاولى برقم ٣٠٢٢ ، والثانية برقم ١٠٤٩٩ ، وقد قام بنشر البردية جاردنر^(٥) وبلاكمان^(٦) وبارنز^(٧) وزيته^(٨) ، كما قام بترجمتها

بعد ذلك طوال عهد الاسرة الثانية عشرة ، ومع ذلك فريما لم يكن ذلك في بداية الامر تجديدا كاملا ، لان لدينا ما يشير الى أن «ببى الاول» من الاسرة السادسة ، ربما فعل مثل ذلك الامر من قبل ، وأما في عصر الدولة الحديثة فقد ثبت فيه قيام عدة حالات من الحكم المشترك ، حدث ذلك بين بعض ملوك الاسرة الثانية عشرة والتاسعة عشرة (انظر :

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 97, 129.

D. B. Redford, History and Chronology of The Eighteenth Dynasty of Egypt, Tronto, 1967, p. 24-28)

J H. Breasted, ARE, II, 1927, p. 74.

(٤) أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ٢١٥ ، تاريخ الحضارة المصرية القديمة ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., p. 131.

A. H. Gardiner, Die Erzählung des Sinuhe und Hirengeschichte, 1909. (٥)

A. M. Blackman, The Story of Sinuhe, BA, II, Brussels, 1932, p. 1-41. (٦)

J. W. B. Barns, The Ashmolean Ostrakon of Sinuhe, London, 1932. (٧)

K. Sethe, Lesestücke, p. 3-17, Idem, Erl, p. 5-21. (٨)

وتحليلها والتعليق عليها — كليا أو جزئيا — كثير من علماء المصريين ،
من أمثال سير الن جاردنر^(٩) ، وهرمان جرابو^(١٠) وأدولف ارمان^(١١)
وجوستاف لوفيفر^(١٢) وايدل^(١٣) وجون ويلسون^(١٤) وبوزنر^(١٥) وألت^(١٦)
وبلاكمان^(١٧) ودي بك^(١٨) وبرونز^(١٩) وجدكه^(٢٠) وجان يويوت^(٢١)
وبارنز^(٢٢) وكير^(٢٣) وسامسون^(٢٤) وغيرهم^(٢٥) ، هذا فضلا عن
الترجمات العربية ، جزئيا أو كليا^(٢٦) .

A. H. Gardiner, Notes in The Story of Sinuhe, Paris, 1916. (٩)

H. Grapow, Der Stilistische Bau der Geschichte des Sinuhe, Berlin, 1952. (١٠)

A. Erman, LAE, 1927, p. 14-29. (١١)

G. Leleuvre, Op-Cit, p. 1-28. (١٢)

E. Edel, in 'Textbuch zur Geschichte Israel, Tübingen, 1968, p. 1-12. (١٣)

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 18-21. (١٤)

G. Posener, Literature et Politique dans l'Egypte de la XIIe dyasty, Paris, 1956. p. 87-115. (١٥)

A. Alt, ZAS, 58, 1923, p. 48-50, Idem, PJ, 37, 1941, p. 19 F. (١٦)

A. M. Blackman, JEA, 16, 1930, p. 63-65. (١٧)

A. de Buck, Griffith Studies, p. 57-60. (١٨)

H. Brunner, ZAS, 80, 1955, p. 5-11, Idem, ZAS, 91, 1964, p. 139-140. (١٩)

H. Goodicke, JEA, 43, 1957, p. 77-85, Idem, JEA, 51, 1965, p. 29-47. (٢٠)

J. Yoyotte, Kemi, 17, 1964, p. 69-73. (٢١)

J. W. B. Barns, JEA, 53, 1967, p. 6-14. (٢٢)

J. Clerc, JEA, 25, 1939, p. 16-29. (٢٣)

W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 57-74. (٢٤)

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, p. 222-235. (٢٥)

G. Lanczkowski, MDIK, 16, 1958, p. 214-218. وكذا

W. Westendorf, Schott Festschrift, p. 125-131. وكذا

(٢٦) سليم حسن : المرجع السابق ص ٣١ - ٤٦ ، أحمد فخري :
المرجع السابق ص ٣٨٣ - ٣٩٠ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص
٣٦٢ - ٣٦٥ ، عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ١٧٨/١ ، ٣٤٣ -
٣٤٤ ، محمد بيومي مهران : مصر ٣٤٥/٢ - ٣٤٧ ، أحمد بدوي : في
موكب الشمس ١٠٥/٢ - ١٢٠ .

وتبدأ قصة سنوهى كالتالى : «الحاكم الامير ، مدير أملاك الملك فى بلاد الاسيوين ، صديق الملك بحق ومحبوه ، الرفيق سنوهى يقول : كنت رفيقا يتبع مولاه ، وخادما للحريم الملكى للسيدة العظمى ، التى يكثر (الناس) من مدحها ، الزوجة الملكية لسنوسرت فى «خنم سوت» ، والابنة الملكية لامنمحات «كانفرو»^(٢٧) الملكة نفرو البجلة .

السنة الثلاثون، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم السابع ، سعد الاله الى أفقه ، ذهب ملك مصر العليا والسفلى ، سحتب ايب رع ، الى السماء ، واتحد مع الشمس ، وامتزج جسد الاله بمن خلقه ، فصل الصمت بالعاصمة ، وغلقت أبواب القصر ، وجلل الحزن القلوب ، وجلس رجال البلاط ورؤوسهم بين سيقانهم ، وحزن الناس .

وكان جلالته قد أرسل جيشا الى أرض «التحنو»^(٢٨) فى ليبيا ، وكان على رأسه ولده الاله الطيب سنوسرت الذى أرسل ليضرب البلاد الأجنبية، وليقوم بأسر السكان فى أرض تحنو ، وكان فى طريق العودة ، ومعه أسرى أحياء من التحنو ، وأنواع من الماشية بغير عدد ، وأرسل رفقاء القصر الى الجبهة الغربية لينهوا الى ابن الملك أمر الموقف الذى جد فى القصر الملكى ، ولقيه الرسل على الطريق ، وكانوا قد وصلوا ليلا فلم يتكأ لحظة ، طار القصر مع أتباعه ، دون أن يدع جيشه يعلم بالامر ، وأرسل فى طلب أبناء الملك الذين كانوا يصحبونه فى هذا الجيش ، ثم استدعى واحدا منهم .

وكان سنوهى شابا نشىء فى القصر الملكى ، وتصادف أن كان واقفا حين أنهى السر الكبير ، فذعر أشد الذعر ، وأصابته القشعريرة كل أعضاء جسده ، ومن ثم فقد أخذ يعدو ليجد له مخبأ ، وسرعان ما وجده أخيرا

(٢٧) خنم سوت : اختصار من «خبر كارع خنم سوت» ، ومعناها «خبر كارع» (اسم سنوسرت الاول) هو الذى يضم نفسه الى أماكنه وهو اسم هرم هذا الملك فى منطقة اللشت، واما «كانفرو» فهو اسم هرم أمنمحات الاول فى نفس المنطقة .

(٢٨) انظر عن «التحنو» (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٣٧ - ١٤٥) .

بين شجرتين ، ولعل ذلك انما يشير الى أن سنوهى انما كان مواليا لحزب يعارض فى تولية «سنوسرت الاول» عرش الكنانة بعد أبيه ، فلما علم بوفاة «أمنمحات الاول» — وهو فى قبضة سنوسرت — فر الى الشرق ، فقد خشى أن يصيبه الاذى ، بعد أن فقد أكبر معين له فى القصر وحام ، وربما خشى أن تنشب فتنة على العرش فى العاصمة ، يعز عليه أن يلتزم الجانب المصالح فيها ، فأثر البعد بنفسه ، واستخفى عن الجيش واعتزله ، وتخطى الحدود الشمالية الشرقية وحيدا - وربما كان فى بلاط أمنمحات الاول جناحان ، الواحد على رأسه سنوسرت ، والاخر ، ربما زوجه التى لم تكن شقيقته ، ولكنها صاحبة الحق فى العرش ، وأن واحدا من أخوتها — من أبناء الاسرة الملكية السابقة — كان ينافس سنوسرت على العرش ، وأن سنوهى كان من أنصار الحزب الثانى ، فلما أخفق حزبه هذا ، وانتهت ولاية العرش الى سنوسرت خشى على نفسه ، وفر الى فلسطين *

وأيا ما كان الامر ، فان سنوهى قد واصل فراره على طرف الصحراء ، فبلغ رأس الدلتا فى اليوم التالى ، وما يكاد يفعل حتى يقع على زورق على متن النهر ، وظلت تدفعه حتى بلغ محاجر الجبل الاحمر من وراء العباسية ، مضى وجهه شمالا ، حتى بلغ حصنا يقال له «قلعة الحاكم» بالشاطئ ، وما يكاد يركبه حتى هبت ريح من الغرب فدفعته فى غير عسر أو «سور الامير»^(١٩) ، ثم يستأنف سنوهى حديثه قائلا : هناك خبأت

(٢٩) بدأ أمنمحات الاول فى تنفيذ سياسة السلام المسلح القائم على التحصين واليقظة ، فاهتم بحدوده الشرقية ، ونعرف من «نبوءة نفرتى» انه قضى النصف الاول من حكمه فى طرد البدو الاسيويين الذين نزحوا الى الدلتا واستقروا فيها ، خلال فترة الاضطرابات التى كتب على البلاد أن تعيشها فى أخريات أيام الاسرة الحادية عشرة ، ورغبة من الفرعون فى عدم عودة الاسيويين مرة أخرى الى الدلتا ، فقد شيد أمنمحات الاول سلسلة من الحصون على حدود الدلتا الشرقية ، عرفت باسم «أسوار الحاكم» أو «قلعة الحاكم» ، ورغم أننا لا نعرف على وجه اليقين : أين كانت تقع تلك الاسوار ؟ غير أن ذكرها مرتين انما يكفى لجعلنا ندرك مدى الخطر المتوقع من هذه الناحية ، وهى ، على أية حال ، سلسلة من الحصون والتحصينات أقيمت للإشراف على الممرات التى تؤدى الى داخل مصر من ناحية حدودها الشرقية الشمالية ، وربما كان أكثرها فى وادى طميلات (محمد بيومى مهران: مصر ٣٨٧/٢ - ٢٨٨ ، وكذا

J. Vercoutter, in the Near East, London, 1967, p. 361-362. =

نفسى بين الحشائش ، فقد خشيت أن يرانى الحارس المكلف بالمراقبة فى ذلك اليوم» ، ولما أمن عين الرقيب واصل سيره بالليل ، وعند الصباح بلغ البحيرات على طريق المسويى ، وهناك غلبه الظلمة ، وجف حلقه ، يقول سنوهى : «وعندما وقفت فى جزيرة «كم ور» (احدى البحيرات فى برزخ السويس) ، وقعت فريسة العطش ، فاكتويت بناره ، وجف حلقى ، وقتلت لنفسى : هذا هو طعم الموت ، ولكن قلبى انتعش ، وجمعت أعضاء جسمى ، عندما سمعت خوار الماشية ، ورأيت بعض البدو ، وعرفنى شيخ من بينهم ، كان قد زار مصر ، فأعطانى ماء ، وطبخ لى لبنا ، وذهبت معه الى قبيلته فأحسنوا معاملتى» .

ويستمر «سنوهى» فى قص مغامراته ، فيذكر لنا أن بلدا أسلمه الى بلد ، حتى وصل الى «جبيل» شمالى بيروت ، ثم غادرها الى «كومي» ، حيث أمضى بها ستة شهور ، ويبدو أن سنوهى كان يعرف تلك البقاع ، وكان يعرف بعض أهلها ، وفى ذلك ما يشير الى وجود صلة بين مصر وبين بقاع الشرق الادنى القديم ، ولا غرابة فى ذلك ، فمصر كانت على اتصال دائم بجيرانها من قبائل الشرق ، تبعث بسفنها الى سواحل لبنان لاحتضار الخشب من غاباتها — كما فعل سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة — وترسل البعثات على البر والبحر لضرب المغيرين على حدود الوادى من بدو الصحراء — كما حدث فى حملة «ونى» على أيام الاسرة السادسة — .

ويتهجه سنوهى بعد ذلك الى مكان آخر يقضى فيه أيام منفاه — بعيدا عن سلطان الملك الجديد — يتهجه الى «رتنو العليا»^(٣٠) ، وهى بلاد ينبت فيها التين والعنب وأشجار الزيتون ، فضلا عن الشعير والقمح ، وكان فيها أيضا قطعان الماشية ، ولكنها فى الوقت نفسه كانت قريبة من الصحراء

== A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 105).

(٣٠) بلاد رتنو : هو الاسم الذى كان يطلق على فلسطين وسورية فى ذلك الوقت ، وربما كان المكان الذى استقر فيه سنوهى يقع الى الشرق من جبيل ، وعلى الأرجح فى «البقاع» على الطريق الرئيسى بين الشاطئ ودمشق .

وكان يمكن الصيد فيها ، وكان هناك مصريون آخرون يعيشون في تلك المنطقة ، وربما كانوا منفيين مثل سنوهى ، وعلى أية حال ، فان سنوهى رغم أنه كان آمنا من أن يوقع به فرعون أى عقاب ، فانه كان يكرم وفادة ناقلى الرسائل المصريين الذين كانوا يسافرون جيئة وذهابا ، الى العاصمة المصرية (المشت) ، ولعل ذلك لانما يشير الى أن الارض التى اختارها سنوهى لنفاه ، انما كانت تقع قريبا من الطريق الرئيسى بين لبنان وشرقى سورية •

وعلى أية حال ، فلهذا نزل سنوهى ضيفا على «عاموننشى» أمير رتنو العليا ، الذى حبب اليه الإقامة في جواره ، حيث قال له «ولسوف تجد لى ما يطيب لك ، وتسمع عندى أخبار مصر» ، وبدهى أن الرجل لم يقل ذلك الا لانه عرف قدر سنوهى وقيمته في قصر فرعون ، فهو قد سمع عنه من أولئك الذين كانوا يقصدون وطنه أو يمررون به من أبناء البلاد ، وفي ذلك ما يدل على شهرة سنوهى التى لم يبلغها الا لانه كان يخدم في بلاط فرعون ، وأن أثر فرعون في بقاع المشرق قد كان عظيما ذا خطر •

وبمضى سنوهى في قصته فيقول : هنالك سألنى الرجل ، ما الذى جاء بك الى هنا ، هل وقع شىء في القصر ؟ فقلت : ان الملك أنمحات قد لحق بالرفيق الاعلى ، وما يدرى امرؤ ماذا يكون بعد ذلك ، ونبأته مراوفا أنني تلقيت خبر ذلك عند عودتى من ابيدان اللبى ، فهلح فؤادى وطار ابى ، وسرت على غير هدى ، أهيم مدلجا في رمال الصحراء ، ومع ذلك فلم يش بى انسان ، ولم يتجسس على أحد» ، وفي مقالة سنوهى هذه مايكفى دليلا على أنه كان صاحب أثر في شىء ما يتعلق بأخطر أمور القصر ولم يكن هناك أخبار من تلك المؤامرة التى دبرت لقتل الملك ، واقصاء سنوسرت عن العرش ، وليس معنى ذلك أن سنوهى قد شارك في تدبير قتل الملك ، أنظر اليه ، اذ يقول : «لم يش بى انسان ، ولم يتجسس على أحد» ، فالرجل قد ظل مراقبا بعد أن آلت ولاية العهد الى سنوسرت ، وكان يعلم أن من ورائه أناسا يراقبون حركاته ، وأن حياة الملك الشيخ كانت حرزه الوحيد ، ومن ثم فقد أثر سنوسرت أن يأخذه معه الى ميدان القتال ، ليجعله تحت عينيه ، وليأمن أثره في القصر ، كما أشرنا آنفا •

وعلى أية حال ، فإن سنوهى ، بعد أن قص خبر وفاة أمنمحات ، وتولية سنوسرت خلفا له على عرش الفرعين ، انما يببالغ كثيرا فى مدح المعامل الجديد ، أملا فى أن يصل ذلك الى فرعون عن طريق أولئك الذين يجيئون الى فلسطين ، وينزلون ضيوفا على هذا الشيخ البدوى ، ثم يستطرد مع الشيخ فى حديثه عن نشاط الملك سنوسرت الاول وقدراته الحربية ، وضربه البدو الرحل ، ثم هو بعد ذلك يحاول أن يكون سفيرا لفرعون ، ولمصلحة مصر ، مما يدل على حبه والخلاصه لوطنه ، أيا كانت ظروفه ، فيقول للشيخ البدوى : «أرسل اليه وعليك أن تعرفه باسمك ، ولا تقل شيئا ضد جلالته ، ولا شك أن جلالته سيعمل الخير لكل قطر يناصره» ، ثم يقول : ان مصر ستسعد فى أيامه .

ويبالغ الشيخ البدوى فى اكرام سنوهى ، فينزله اكرم منزل، ويجعله على رأس أبنائه جميعا ، ثم يزوجه من كبرى بناته ، «ويهبه بعض أملاكه» ، فيقطعه بقعة من أحسن بقايع أرضه ، فيها تين وأعناب ، وفيها الخمر أكثر من الماء ، عسلها وفير ، وزيتها كثير ، وشجرها يحمل أطيب الثمر ، وفيها القمح والشعير ، وفيها الماشية يخطئها العدد من كل نوع» ، ثم يعينه قائدا لجيشه المحلي «عندما أصبح الاسيويون جريئين الى الحد الذى جعلهم يقررون مقاومة حكام البلاد الاجنبية ، كنت أقدم المشورة فى تحركاتهم» ، وربما يشير سنوهى بذلك — فيما يرى جون ويلسون — الى خطر معين جديد تعرض له الشرق الادنى ، وهى مجىء جحافل مكونة من أجناس مختلفة ، من أقوام رحل ، انحدروا من الشمال ومن الشرق ، وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم «الهكسوس» ، فالكلمات المصرية لجملته حكام البلاد الاجنبية هى «حقاو — خسوت» ، وهى الاصل الذى اشتقت منه كلمة «هكسوس» ، ويتضح من الاشارة الى هجماتهم على الاسيويين المستقرين أن هؤلاء الغزاة كانوا ينحدرون من بلادهم متجهين الى الجنوب مفرقين سورية وفلسطين .

وهكذا لجأ سنوهى الى رتنو العليا فارا من سوء يحتمل أن يصيبه ، ولكنه لم ينس حبه لمصر ولفرعون ، ومن ثم فرغم الضيافة الطيبة ،

واللقاء الحسن ، والاقامة المريحة ، فاننا سوف نرى فيما بعد أنه يفضل العودة الى أرض النيل الطيبة ، كما أنه لم يتكلم بسوء ضد أحد ، وأما الكرم الذي لقيه من الشيخ البدوي ، فمرد ذلك أن الكرم وحسن الضيافة من طباع العرب الاصيلية ، وأهل البقاع الذين نزل عندهم سنوهي من هؤلاء العرب ، فضلا عن أن الشيخ البدوي انما قد أحس مما رآه من سنوهي أنه مدبر ماهر ، أحسن تدبير ضيعته فأفاد منه اقتصاديا ، كما كان يأمل ، ان عاد سنوهي الى مصر ، فيصبح صاحب مكانة ، وعندئذ سيذكره عند فرعون ، ومن ثم فان الشيخ البدوي قد غنم غنما سياسيا بايوائه رجلا من بلاطه عون ، وغنما أدبيا اذ زوجه من احدى بناته ، وغنما اقتصاديا اذ أدار له مزرعته ، وغنما حربييا اذ استخدمه في كثير من الدفاع أو الهجوم على بعض الضياع ، وقد كان سنوهي بطلا ، وكثيرا ما نازل بعض فتيان القبائل فقهرهم ، وان عرضه ذلك لكثير من الاخطار •

وهكذا يحدثنا سنوهي أنه في يوم من الايام تحداه بطل من «رتنو» ، عرف بقوته وخضع له الناس ، وقد أقسم أن ينازل سنوهي ويقتله ، واستدعاه الشيخ البدوي وأبلهه بذلك ، فرد سنوهي : «اننى فى الحقيقة لا أعرفه ، ولست من ذويه ، ولم أذهب أبدا الى مضرب خيامه ، هل فتحت يوما بابيه ؟ هل هدمت سوره ؟ كلا انه الحسد ، لانه يراثنى أنفذ ما تطلبه» ، ثم يختم سنوهي حديثه الى صهره بقوله : « وما كنت الا كثور لقي رزقه فى غير مرعاه ، واننى لغريب لا يحبه أحد ، ومع ذلك ان كان هذا الفتى يقدر أنه فحل يهوى الصراع ، فاننى فحل نزال أيضا ، ولست أخشى لقاءه ، فاذا ما كانت نفسه تهوى الى النزال فليفعل اذا ما يريد» •

وليس هناك من شك فى أن تحدى هذا الفتى قد أفرغ سنوهي وروع قلبه ، واقض مضجعه ، وأرق نومه ، ففرغ الى مضيفه وصهره يشكو اليه أمر ذلك ، راجيا أن يستغل نفوذه فى رد الفتى عن منازلته ، ويبدو لى أن ذلك انما كان لكبر سن سنوهي ، وربما لانه أراد ألا يجعل بينه وبين احدى القبائل المجاورة ثارا ، وأيا ما كان الامر ، فاننا نراه — وقد

أصر المفتى على منازلته ، يستعد للعراك دون خوف ، فلما جن الليل شد قوسه ، وجهاز سهامه وخنجره ، حتى اذا ما أصبح الصبح ، وحان موعد اللقاء ، وراه أهل الحى فى عدته وعتاده ، عطفوا أفئدتهم عليه ، واهتاجت لأمره نساء الحى ، وأشفقت عليه القلوب جميعا ، وبدأ الناس يثرثرون : أليس هناك رجل شجاع آخر يستطيع أن ينازل هذا المفتى •

وجاءت ساعة النزال ، والتقى الخصمان فى ميدان القتال ، وبدأ المبطل الاسيوى فى اطلاق سهامه ، فتفادها سنوهى ، ثم اقتربا من بعضهما ، وهجم الواحد منهما على الآخر ، واستطاع سنوهى أن يطلق سهما استقر فى عنق غريمه ، فصاح وخر على وجهه ، ثم أهوى عليه بفأس فقصى عليه ، ثم وطئه بقدميه ، يحدثنا صاحبنا المبطل المصرى عن ذلك بقوله : «وعندما اقترب كل منا من الآخر ، هجم على فأصبته ، واستقر سهمى فى عنقه ، فصرخ وارتمى على أنفه ، فلأجهزت عليه بفأس قتاله ، وصرخت صرخة النصر ، وقد وقفت فوق ظهره» •

وهنا ضج الاسيويون جميعا ، بينما أخذ سنوهى يصلى شاكرا لرب الحرب «مونتو» ، وهنا أقبل صهره ، «عاموننشى» ، فضم سنوهى الى صدره ، ثم أعلن نصره على خصمه ، فذهب متاعه وسلب أنعامه ، وأنزل به ما قدر لخصم أنه فاعل به ، وأخذ كل ما كان فى مخيمه ، ونهب جميع ما كان فى منزله ، ثم يختم سنوهى وصف هذا الحادث بالاشعار التالية :

فى يوم من الايام كنت أحد الهاربين —
ولكن صيئى الآن قد وصل الى القصر

فى يوم من الايام كنت ثقيلًا أتضاعل بسبب الجوع —
والآن اعطى الخبز لجارى

فى يوم من الايام ترك شخص بلده بسبب المعرى —
والآن اتلألأ فى بيض الثياب وفى ملابس الكتان

فى يوم من الايام كنت اسرع المسير لانه لم يكن لدى من أرسله —
والآن لدى عدد كبير من الارقاء

ان بيتى جميل ومسكنى رحب — ويذكرنى الناس فى القصر

وتشتد لوعة سنوهى الى أرض الكنانة — الى مصر وطنه الحبيب —
ويتمنى أن يראف الله تعالى به ويعيده الى القصر الملكى فى اللشت ، يبدو
ذلك واضحاً من قوله : «يارب هل قدرت لى أن أرى الديار التى أحب ،
فليس أعظم عندي من أن أقبر فى الأرض التى ولدت فيها ، معونتك اللهم
وعسى أن يكون الفرع قريباً، وعسى ربى أن يرزقنى من فضله ، ألا فليغفر
لى فرعون حتى استطيع العيش فى ظله ، وحتى أمتع نفسى بخدمة ربة
القصر» •

ويصل رد الفرعون لسنوهى : «عد الى مصر حتى ترى الأرض التى
ولدت فيها ونشأت ، وقبل الأرض عند البوابة الثنائية العظمى ، والتحق
بالبلات ، لقد هزمت الآن ، وعز نشأتك ، فتذكر يوم الدفن ، وليلة اعداد
الطيوب والاكنان ، ويوما يعد لك فيه موكب متشهود ، وتابوت ذهبى
بقناع من لاررد ... لا ينبغي أن تموت فى بلد غريب ، ولا ينبغي أن
يخفرك البدو ، أو أن تكفن فى جلد شاة ، هذا ليس أوان الطواف فى
الأرض ، فعد واحذر المرض» •

ويقول سنوهى أن الاسر الملكى قد وصله ، وهو بين رجال قبيلته ،
وترى عليه ، فاستدت فرحته ، ونسى فى تلك اللحظة فضل تلك البلاد
عليه كل هذه السنين الطويلة ، «فارتفعت على بطنى وأمسكت التراب
وعفرت به شعرى ، وأخذت أجرى بين المساكن فرحاً ، وأنا أقول : كيف
تحدث كل هذه الاشياء لخادم أضله فؤاده ، فأثى الى بلاد متوحشة» ،
ثم يسرع سنوهى فى الرد على الملك «سنوسرت الاول» ، شاكرًا له فضله ،
مؤكدًا له ، مرة أخرى ، أن هربه من مصر لم يدبره ، ولم يفكر فيه :
«لست أدري ما الذى جعلنى أفارق مكانى ، كان ذلك أشبه بالنحلم ، كما
يحدث لشخص من أهل الدلتا عندما يرى نفسه فجأة فى «اليفانتين»
(جزيرة أسوان) ، أو أن شخصاً من المستنقعات (فى الدلتا) يرى نفسه
فى النوبة ، لم يكن هناك ما أخافه ، ولم يضطهدنى أحد ، ولم أسمع قولاً
جارحاً» •

على أننا نقرأ فى نفس الرد شيئاً آخر ، لقد هاجر سنوهى الى بلاد

«سورية — فلسطين» وكون لنفسه هناك مركزا ممتازا ، وأصبح كل ولد من أولاده زعيم قومه ، كما ارتبط برباط المودة مع كثير من الزعماء ، وفي خطابه هذا ، انما يعتبر نفسه وكأنما هو يحكم باسم ملك مصر ، ويستأذن سنوهى سنوسرت في العودة الى مصر ، ويقول له : أنه ترك عمله هنا تنفيذا لرغبة جلالته ، ويوصيه خيرا ببعض أمراء البلاد الذين كانوا موالين دائما لملك مصر ، ويسأله أن يدعوهم اليه •

ويعود سنوهى الى سرد قصته مرة أخرى ، فيقول : انه بعد أن تلقى عفو الملك عنه والسماح له بالعودة الى مصر ، لم يمكث الا يوما واحدا في «يا» ، فأوصى بأملاكه لأولاده ، وأقام كبيرهم شيخا على الحى ، وعهد اليه بكل شئونه هناك ، وعندما وصل سنوهى الى «طريق حور» من وراء الحدود المصرية ، بعث ضابط الحدود بأمره الى فرعون ، فبعث فرعون بسفائن له تحت اشراف رجل من أمهر رجاله وحملها كثيرا من الهدايا الى أولئك الاعراب الذين رافقوا سنوهى ، والذين قدمهم فردا فردا الى الموظفين المصريين الذين جاءوا من القصر ، ثم ودعهم وعاد مع رجال فرعون الى القصر الملكى في العاصمة •

وفي الصباح المبكر جاءه من القصر من يدعوه ، فسه أن يرى في ركابه عشرات الرجال يرحون ويقعدون بأمره ، وكان أبناء الملك ينتظرونه عند الباب الخارجى ، فلما دخلوا به الى قاعة العرش ، يقول سنوهى : ووجدت جلالته فوق عرشه العظيم فى البوابة الذهبية ، وعندما ارتميت على بطنى ، تولى عنى ذكائى فى حضرتة ، بالرغم من أن ذلك الاله (الملك) قد خاطبنى برفق ، فقد كنت كرجل خطفوه فى الظلام ، فرت روحى ، وارتعش جسدى ، ولم يعد لقلبى وجود فى جسمى ، ولم أعد أعرف أكنت حيا أم ميتا» ، ولعل ذلك ألما لاذعا أفقده صوابه فى حضرة فرعون ، وسواء أصبح هذا أم لا ، فان فرعون سرعان ما أمر بانهاضه ليتحدث اليه قائلا : «ها أنت قد عدت الينا بعد أن طفت بأقطار الارض ، والآن بعد أن بلغت من الكبر عتيا ، فلا أقل من أن يدفن جسدك فى أرض الوطن ، بدلا من أن يدفنه برابرة الاسيويين فى أرضهم» •

ويتحدث سنوهى بعد ذلك عن كرم الفرعون وعطفه — بعد أن طلب اليه أن يتحدث — فيصف كيف أنه لم يستطع أن يتحدث في سهولة : ما الذى يقوله لى سيدى ، ليتنى أستطيع الاجابة فاننى لا أقدر ، وأخيرا أمر فرعون بادخال الاطفال الملكيين ، وقال للملكة : أرأيت كيف تغير سنوهى ، فأصبح كأحد الاسيويين ، فصرخت الملكة وصرخ الاطفال الملكيون جميعا ، وقالوا لجلالته : انه ليس هو حقا يا سيدى الملك ، فرد الملك : انه هو حقا ، والواقع انه ليس عجيبا أن تنكر الملكة ، وأن ينكر الامراء مظهر سنوهى ، ذلك لانهم انما كانوا ، منذ أن سمعوا بقصته ، يقدرون أن يروا شيخا مصرية ، كانوا يعلمون مكانه من الماضى ، ويحسون ما كان له من قيمة وخطر ، فلما رأوه فى القصر رأوا شيخا بدويا ، أعر أغبر أشعث ، أضناه البعاد ، وأتعبته الهموم ، وأحنت السنون ظهره ، ومن ثم فقد طلبوا أن يمنحهم «ذلك الشيخ ابن آلهة الشمال ، ذلك الهمجى الذى ولد فى مصر ، انه فر خوفا منك ، وترك البلاد رهبة منك ، ولكن الوجه الذى يرى جلالتك لن يجزع بعد ذلك ، والعين التى تقع عليك لن تخاف» .

ويرد الملك على أبنائه بأن سنوهى لن يخاف ولن يجزع بعد اليوم ، وأمر بتعيينه أمينا من أمناء القصر ، وجعل مكانه بين كبار الموظفين فى البلاط ، ويصف سنوهى بعد ذلك ما حدث له ، وكيف أخذوه الى بيت أحد الامراء ، وأعدوا له حماما ، وكيف عطروه وألبسوه فاخر الثياب ، وكان الخدم يلبون كل اشارة له ، «وجعلوا السنين تغادر جسمى وانسلخت عنى ، وسرحوا شعرى ، وألقوا الى الصحراء بحمل من القاذورات ، وألقوا بملابسى الى ساكنى الصحراء ، وألبسونى أفخر الثياب ، وعطرونى بأحسن أنواع العطور ، ونمت على سرير ، وتركت الزمال لن هم فيها ، وزيت الخشب لم يلطخ نفسه به» ويطيل سنوهى فيها أعذق عليه الملك ، اذ أعطاه بيتا يليق بأحد أمناء القصر وزينه له ، ورتب له طعاما من القصر «يأتون به ثلاث مرات وأربع مرات فى اليوم الواحد» ، ويصدر الملك أوامره الى كبير مهندسيه باقامة مقبرة له ، وعينوا لها أمهر الصناع ، وانتقوا أحسن الاثاث الجنازى ، وعينوا لها الكهنة اللازمين ، وأوقفوا

لها الحصول اللازمة ، ووضعوا له في المقبرة تمثالا مغشى بالذهب ، وكانت نقبة ذلك التمثال مصنوعة من الذهب الخالص ، وأخيرا يختم سنوهى قصته قائلا : كان الملك هو الذى أمر بعمل ذلك ، ولم يحدث أن عملت هذه الاشياء لرجل بسيط مثلى ، وهأنذا أعيش يغمرنى فضل الملك حتى يحين يوم وفاتى» •

واننى لأظن انه يجب علينا — قبل مناقشة القصة وتقويمها كمصدر تاريخى — أن نناقش الدوافع التى كانت من وراء هروب «سنوهى» ، ومن ثم كتابة القصة نفسها، كان سنوسرت الاول أكبر أبناء الملك أمنمحات الاول ، ما فى ذلك من ريب ، وربما ولد له حين كان يشغل منصب «الوزير» فى بلاط المناطحة من ملوك الاسرة الحادية عشرة ، فلما دفعت الحوادث بأمنمحات الاول الى عرش الكنانة، وجعلت منه ملكا لمصر العليا والسفلى، تزوج بامرأة أخرى — فى غالب الظن — ولعلها كانت أرملة آخر فراعين المناطحة ، ولعلها كانت إحدى أميرات البيت الملك الزائل ، تستطيع أن تجعل عرشه شرعيا — من جانب حزب الوراثة — وكان صاحبنا ، فى أغلب الظن ، من أتباعها ، ثم رزقت بأبناء أصبحوا أصحاب الحق الشرعى فى العرش المصرى •

وهنا أصبح الموقف صعبا بالنسبة للامير «سنوسرت» ، فهو أكبر أبناء أبيه جميعا ، وهو قد شاركه فى جهاده العظيم ، حتى انتهى به الامر الى العرش ، فى الوقت نفسه ، لم يكن صاحب الحق الاول فى العرش ، وربما فكر أبوه فى أن يجعل منه وليا للعهد ، ولكنه خاف أن يعلن ذلك ، خشية أن يخالف قانون الوراثة المعروف ، وليس من المستبعد أن تكون الاميرة التى تزوج منها أمنمحات الاول قد أحست بما انطوت عليه نفسه، وأدركت ما سوف يكون عليه مصير ولدها ، فامتلات نفسها ثورة عليه ، وشاركتها فى ثورتها هذه ولدها ومن معه من الموالين والانصار ، وهكذا كانت المؤامرة المشهورة على أمنمحات الاول ، وحين خاب ظنهم وفشل سعيهم ، وانكشف أمرهم ، جمع الملك شجاعته ، وأعلن سنوسرت وليا للعهد ، وشريكا فى الحكم ، وان كان هناك ما يشير الى أن مشاركة

سنوسرت الاول أباه في ادارة شئون البلاد ، انما كانت طوال الاعوام العشرة الاخيرة من حكم أبيه ، أى منذ عام ١٩٧١ ، كما أشرنا من قبل . وعلى أية حال ، فلسنت اعتقد أن سنوهى قد شارك المتآمرين في قتل أمنمحات الاول ، ذلك لأنه قد فجع فيه ، حين سعدت روحه الى بارئها ، ولم يأمن عواقب موته ، ومن ثم فقد كان هروبه الى فلسطين ، ولكننى أميل الى أن سنوهى انما خشى أن يفتك به الفرعون الجديد (سنوسرت الاول) كواحد من الموالين لنفسه ، ويبدو لى أن أمنمحات الاول بعد أن أعلن ولاية الهود لولده سنوسرت قد زوجه من كبرى بناته من زوجه الملكية ، صاحبة الحق الشرعى فى العرش ، وكان سنوهى من أتباعها ، وأتباع أمها من قبلها ، ومن هنا كانت شفاعتها له عند سنوسرت، فحفظت عليه حياته وردته الى الوطن ، وأعادته الى القصر ليستأنف خدمته فى البلاط .

هذا وتدل ظواهر الامور على أن المتآمرين انما كانوا يطمعون فى بلوغ مأربهم — بعد فشلهم الاول — من وراء موت الملك ، وأن انصار سنوسرت قد تمكنوا من انهاء خبر وفاة الملك اليه على جناح السرعة ، والظاهر أنهم استطاعوا أن يكتموا خبر الوفاة عن الشعب الى أن يعود سنوسرت الذى طار الى القصر سريعا ، وتمكن من الاستيلاء على ناصية الامور ، فصاحبنا سنوهى انما كان ضالعا مع الفريق الذى نافس سنوسرت ، وكره أن يؤول العرش اليه ، فاستراقه السمع عند مجيء الرسل ، وعلعه عند سماعه الخبر ، وفراره الى فلسطين ، كل تلك أمور تدل على أن له نصيبا فى المؤامرة التى استأنفها أصحابه لابعاد سنوسرت عن العرش .

وأما أهمية القصة — كوثيقة تاريخية — فهى تقدم لنا فكرة عن أن المصريين — رغم اعتقادهم ببداءة سكان الصحراء الشرقية — فان هذا لم يمنع رجلا مثل سنوهى من أن يعترف لبعضهم بالكرم والمروءة والنجدة .

ولم تمنع العواصم المصرية من أن تستقبل وفودا منهم للتجارة أو

الريارة ، فيتعرفوا فيها على شخصياتها البارزة التي يسمعون عنها ، ونفهم من القصة كذلك أن اللغة المصرية — لغة سنوهي — كانت معروفة لبعض أهل الشام ، وأن التجار المصريين كانوا يترددون على تلك المناطق التي كان يقيم فيها سنوهي ، بل وقد كانوا يمرون بها الى أبعد منها ، وأن الحكام السوريين كانوا على اتصال بمجريات الامور في مصر ، ويحبون ان يستزيدوا من أخبارها •

ويفهم من القصة كذلك أن سنوهي قد اشترك — مع فرقة من السكان المحليين — في مقاومة جماعات سمي رؤساؤهم باسم «حقاو — خسوت»، وربما كانت اشارة سنوهي الى هؤلاء آل «حقاو — خسوت» ، فضلا عن الاشارة الى القلاقل التي كانت تسود منطقة «فلسطين — سورية» انما هي بداية الاضطراب الذي سيسود المنطقة في أعقاب هجرة قبائل من وسط آسيا ، أخذت منذ ذلك العهد تهاجر في موجات لتستقر في مختلف بلاد الشرق الادنى القديم وفي غيرها ، وهي المسماة بالشعوب «الهندو — اوربية» التي كان لها أثر كبير فيما بعد ، مع ملاحظة أن هذه الهجرات كانت وقت ذاك ماتزال قليلة ضعيفة •

وأما أهمية القصة من الناحية الادبية ، فهي من حيث الشكل قصة واقعية لتجربة شخصية حدث في زمان ومكان محددين ، ولها بداية ونهاية كذلك ، ثم هي قد تضمنت في سياقها معلومات بسيطة مشوقة عن فلسطين وسورية وأهلها ، كما تضمنت من شعر الدايح والامثال الجارية ، ومن صيغ التراسل ، ولياقة الاستعطاف ، ورقة الاعتذار ، ما كان المعلمون والطلبة المصريون يلذ لهم الاستشهاد به ، وترصيع كتاباتهم به ، ثم هي من الناحية الفنية قد أبدعت في تصوير مشاعر الايمان ، ومشاعر الخوف ، ومشاعر الفخر بالنصر ، وأخيرا في تصوير اسمى المشاعر وهي — فيما اعتقد — مشاعر الوطنية ، والحنين الى الوطن ، وطننا العظيم ، مصر ، كنانة الله في أرضه (٣١) •

(٣١) أحمد بدوي : في موكب الشمس ١٠٥/٢ - ١٢٠ ، أحمد

=

٤ - قصة الملاح والجزيرة النائية

ترجع هذه القصة الرمزية الى أيام الدولة الوسطى ، وهى الفترة التى أغرم القوم فيها بحب المغامرة ، وتسمى هذه القصة بقصة البحار أو قصة الملاح والجزيرة النائية أو قصة الملاح الغريق ، بل ويسمىها البعض قصة الجزيرة المسحورة ، وهى على أية حال ، تشبه الى حد كبير قصص «السندباد البحرى» فى «ألف ليلة وليلة» وقصة «روبينسون كروزو» فى الادب الانجليزى ، وتحدثنا عن بحار حملته الامواج — بعد أن تحطمت سفينته — الى جزيرة نائية ، بها حية ضخمة أكرمته وحمته ، وظلت ترعاه حتى عاد الى وطنه ، وقد وضعت القصة فى أسلوب رقيق يعبر عن أجمل العواطف ، ويستثير روح البطولة والمجازفة ، ويصور حياة الملاحين تصويرا دقيقا ، وهى تشير كذلك الى حب الوطن الذى ملا قلوب المصريين ، بحيث أضحي لديهم من قواعد الايمان (١) .

هذا وقد وصلت الينا هذه القصة كاملة فى بردية اشترها الاثرى الروسى «فلاديمير جولينشف» من مصر ، وان لم يعرف على وجه اليقين المكان الذى عثر عليها فيه (ربما فى وادى الحمامات أو فى سيناء) وتعرف البردية باسم (بردية ليننجراد رقم ١١١٥ = P. Leningrad 1115) وهى

فخرى : المرجع السابق ص ٣٨٤ - ٣٩٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٧٨ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٦٢ - ٣٦٥ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٣٤ - ٤٦ ، محمد بيومى مهران : مصر ٣٤٥/٢ - ٣٤٧ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ٣٩ - ٦٨ .

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 130-132.

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 58-74.

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 18-22.

A. Erman, LAE, 1927, p. 14-29.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 223-233.

J. B. Barns, JEA, 53, 1967, p. 6-14.

J. Clere, JEA, 25, 1929, p. 16-29.

A. Blackman, BA, II, p. 1-14.

G. Posener, Op-Cit, p. 57-115.

(١) أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٧٣ .

الآن في موسكو ، وقد قام بنشرها جولينشف^(٢) وارمان^(٣) وبلاكمان^(٤) كما ترجمها ارمان^(٥) ولوفيفر^(٦) وسمبسون^(٧) ، وغيرهم^(٨) .

ومسرح أحداث القصة هو البحر الاحمر ، ومن المعروف أن المصريين كانوا يرسلون الحملات الى بلاد «بونت»^(٩) عبر البحر الاحمر ، منذ أيام الدولة القديمة^(١٠) ، للحصول على خيرات تلك البلاد ، وعلى الاخص البخور وأنواع العطور المختلفة ، وكل ما يجدونه في تلك البلاد ، سواء مما كانت تنتج أو مما كان يأتي اليها كسلع تجارية . وتدور أحداث هذه القصة الرمزية في جزيرة نائية في البحر الاحمر يسميها النص «جزيرة الروح» ، وهي جزيرة مسحورة خالية من البشر ، وان كانت تعمر بكل أطايب الدنيا ، ويسكنها ويحكمها كائن غير عادي ، شعبان هائل الحجم ، يستطيع أن يتحدث وينبئ عن الغيب ، ولكنه غير شري ، بل يساعد الذين في حاجة الى المعونة ويغدق عليهم عطايا ، ومن ثم فهي أقرب الى الاسطورة منها الى القصة الحقيقية .

W. Golenischeff, Recueil des Travaux, 1906 p. 753. (٢)

W. Golenischeff, le Conte du Naufrage, Bibliotheque d'etude 2, Le cairo, 1912.

E. Erman, ZAS, 43, 1906, p. 1-26. (٣)

A. M. Blackman, Middle Egyptian Stories, Bibliotheca (٤)

Aegyptiaca, II, Brussels, 1932, p. 41-84.

A. Erman, LAE, 1927, p. 29-35. (٥)

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 29-40. (٦)

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 50-56. (٧)

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 211-215. (٨)

H. Brunner-Traut, Op-Cit, p. 5-10. وكذا

(٩) أنظر عن بلاد بونت (محمد بيومي مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة - الرياض ١٩٧٦ ص ٣٠٧ - ٣١٠ ، مصر ٢٤٥/٢) .

(١٠) أنظر : محمد بيومي مهران : مصر والعالم الخارجي في عصر رمسيس الثالث ، الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢٥٢ ، جورج فضل حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٣٠ ، وكذا

J Hornell, Sea-Trade in Early Times, 1941, p. 240-246.

E. Noaville, The Temple of Deir-El-Bahari, III, London, 1898,

Pls. 69-85.

وتحكى قصة البحار هذه قصة رجل كان فى طريق عودته بالنيل من مهمة كلفه بها فرعون عصره ، وان لم يكتب له فيها نصيب من نجاح ، وعندما اقترب من العاصمة جاءه تابع وفى له يهئته بسلامة العودة ، «ليطمئن قلبك أيها الامير ، انظر لقد وصلنا الى الوطن ، لقد أمسكوا بالمطرقة ودقوا الوتد ، ومدوا حبل المقدمة (مقدمة السفينة) على الارض ، وأقيمت الصلوات ، وعانق كل رجل أخاه ، لقد عاد بشارتنا سالمين ، ولم ينقص من حملتنا أحد . لقد وصلنا آخر بلاد «واوات» (المنطقة ما بين أسوان وكورسكو) ومررنا بجزيرة «سمنت» (جزيرة بيجة أمام جزيرة هيلة جنوبى أسوان) ، انظر : لقد عدنا ووصلنا أرضنا» ، غير أن الرجل انما ظل مهموما يتخوف عاقبة فشل الملاح يسرى عنه ويهون عليه ، ويبحث الامل فى نفسه ، وقص عليه قصة تداولت عليه فيها شدايد ، ظن أنه لا نجاة له منها ، ولكنه نجى وسلم وعاد الى وطنه ، واستمتع باجتماع شمله بأهل بيته . قال الملاح : نزلت الى الاخضر العظيم فى سفينة بحرية ، بلغ طولها مائة وعشرين ذراعا ، وبلغ عرضها أربعين ذراعا ، واستقلها معى مائة وعشرون بحارا من خيرة البحارة فى مصر ، اذا نظروا الى السماء أو نظروا الى الارض فقلوبهم أقوى من الاسود ، كانوا يستطيعون التنبؤ بالرياح قبل أن تاتى ، وبالعاصفة قبل أن تهب ، وفجأة هبت الرياح ، ونحن فى الاخضر العظيم (الواسع) قبل أن نصل الى الشاطئ ، عصفت الرياح ثم عصفت ، فارتفع الموج الى ثمانية أذرع ، فضربت المصارى وضربها المصارى ، فغرقت السفينة بمن كان فيها ، وأما أنا فقد ألقنتى موجة من أمواج الاخضر العظيم على جزيرة أمضيت بها ثلاثة أيام فى دغل لا أنيس لى فيه ولا معين ، ثم أخذت طريقى فى أرضها أبحث عن شئ أضعه فى فمى ، فوجدت تينا وعنبا ، وكثيرا من الخضر بأنواعه المختلفة ، وكذا جميزا وخيارا ، وأسماكا وطيورا ، فطعمت وشربت ثم أخذت عصا وأشعلت نارا وقدمت للارباب قرايينا ، وفجأة سمعت ديبيا قاصفا يقبل على ، فظننت أنه موج من أمواج الاخضر العظيم ، وعندما أزمعت الغطاء عن رأسى وجدت أنه أفعوانا ضخما ، طوله ثلاثين ذراعا ويزيد أثر ديبية على الارض عن المترين عرضا ، وجسده مغشى

بالذهب ، وحاجباه بلون الزبرجد ، ففتح فمه نحوى ، وكنت ساجدا على
بطنى فسألنى : من أحضرك هنا ؟ من أحضرك هنا أيها الصغير ، ان تأخرت
فى أن تخبرنى بمن أحضرك الى هذه الجزيرة ، سأحملك شعلة نار ، فقلت :
أنت تكلمنى ، ولكنى لست أسمع ما تقول ، أنا أمامك ولستى غائب
عن الوعى •

وحمله الثعبان فى فمه الى جحره ، وترفق به حتى أنرخ روعه ، ثم
أعاد عليه سؤاله ، فقص عليه البحار قصته ، وهنا هون عليه الثعبان
القضية ، وذكره بآلاء ربه ، الذى قدر له الحياة وأرساه على « جزيرة
الروح » التى تمتلئ بكل الاشياء الجميلة ، ثم بشره بأنه سيعود الى
وطنه ، وأن سفينة مصرية سوف تاتى اليه بملاحين يعرفهم ، ولكن ذلك
لن يكون الا بعد أن تمضى أشهر أربعة ، وعندئذ يرجع الى بلده ويموت
فيها ، وسرعان ما يستأنس الثعبان بالرجل ويقص عليه قصته ، فاذا
ببلواه لا تقبل عن بلواه ، فقال له : كنت أقيم مع اخوانى وأولادى ، وكانت
عدتنا سبعة وثلاثين ، عدا طفلة رزق بها بعد أن ارتجأها طويلا ، وفجأة
سقط شهاب من السماء فاحترقوا بذاره جميعا ، ولم ينج منهم سواه ،
فكاد يموت حزنا عليهم بعد أن وجدهم جميعا جثثا لا حياة فيها ، وأبى
الثعبان أن يعكس حزنه على ضيفه ، فقال له مشجعا : اذا تشجعت
وشددت قلبك فلسوف تملأ حضنك بأولادك ، ولسوف تقبل زوجك وترى
دارك ، ولسوف تصل الى العاصمة وتعيش بين اخوانك •

وأكبر الملاح الثعبان ، وأبلغه — ان تصققت مقالته ، وعاد الى وطنه —
أن يقص قصته على الملك ، وأن يسأله أن يرسل له الهدايا من الزيوت
العطرة ، ويخور المعابد التى تسر الالهة ، وسوف يروى للناس مارآه من
قوته ، وسوف يثنى عليه فى العاصمة أمام العظماء ، وسوف يضحى من
أجله بثور ، وسوف يرسل له من مصر سفينا محملا بكل ثمين فى أرض
مصر ، ولكن الثعبان سخر منه ، وأعطنه أنه هو أمير بلاد بونت (١١) • وأنه

(١١) لقد قام جدل طويل بين العلماء حول موقع بلاد بونت (بوينى

=

صاحب كل ما فيها من العطور والبخور ، كما أخبره أنه بمغادرته لهذه الجزيرة ، فلن يصبح لها وجود ، وسوف تصبح ماء ، بعد أن يبتلعها الموج .
وما أن تمضى الشهور الأربعة حتى يتحقق وعد الثعبان ، وتقبل سفينة ، ويتعرف الملاح على من فيها ، فنزل اليهم مزدودا بكميات هائلة من المر والتوابل وذيول الزراف والصموغ والبخور وأنياب العساج .
والفهود والنسانيس ، وكل النفائس الطيبة ، وعاد الرجل الى بلده بعد شهرين ، يملأه الأمل بما وعده الثعبان من سعادته في داره ، ولقائه لأطفاله ، ووقاته في وطنه .

ويختتم الملاح قصته بأن ينبه الأمير الى ما ناله ، ويوصيه بأن يستمع

فيما يرى جاردنر) ، ولعل أهم الآراء تدور حول اتجاهات أربع : أولها : أنها بلاد العرب الجنوبية (اليمن ومجاوراتها) ، وثانيها : أنها على الشاطئ الأفريقي للبحر الأحمر ، وثالثها : أنها كلمة عامة تشمل الأقاليم الاستوائية في نظر المصريين ، ورابعها : أنها تقع على الساحلين - الاسيوى والأفريقي للبحر الأحمر ، على مقربة من بوغاز باب المندب .
ويذهب «ادوارد نافيل» الى أنه من الخطأ تعيين موقع بونت بمنطقة محددة بعينها ، لأنها لم تكن تدل على بلاد ذات حدود واضحة ، وإنما كانت اسما لسلالة بشرية انتشرت في بلاد العرب الجنوبية - وحتى الخليج العربى - فضلا عن الساحل الشرقى لأفريقيا ، وأن المصريين ينتمون الى هذه السلالة ، وكذا الفينيقيين الذين هاجروا من سواحل الخليج العربى الى سواحل الشام ، كما أن اسم «بونت» دل في المقام الاول على البلاد المنتجة للبخور ، وكان المصريون يحصلون عليه من بلاد بونت ، وأن خير أنواع البخور إنما كانت تنبت في بلاد الشجر والمكلا وظفار وجزيرة سوقطرة وكلها على الشاطئ الجنوبى لشبه الجزيرة العربية ، كما أن الاشجار المرسومة على معبد الدير البحرى إنما تنبت في ظفار ، وأن كان بعضها بنبت في الصومال (أنظر :

R. P. Dougherty, The Sealand of Ancient Arabia, New Haven, 1932, p. 170-72.

K. A. K. Kitchen, Punt and How to get there, 1971, p. 188 F.

P. K. Hitte, A History of the Arabia, 1960, p. 34-35.

وانظر : أحمد فخرى : دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ١٣٨-١٤٠ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ٢١٨/١ - ٢١٩ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٠٧ - ٣١٠ - عبد المنعم عبد الحليم : محاولة لتحديد موقع بونت ص ٥ - ٣٤ .

لنصيحته ، ولكن الامير يجيبه : لا تكن مختالا يا صديقي ، فمن ذا الذى يعطى الماء لطائر سيذبح فى آخر النهار •

والقصة — كما يقول أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح — لا يزال تحديد جانب الحقيقة وجانب الخيال منها ، موضعاً لجدل طويل ، وان ذهب الخن الى أن مغامرة الملاح فيها كانت قرب «جزيرة الزبرجد» فى البحر الاحمر ، وان ما يعيننا من القصة غلبة روح التفاؤل فيها ، وحرص كاتبها أو راويها ، على أن يفترض لكل مصيبة ما هو أشد منها ، كما يفترض لكل مصيبة مخرجاً منها ، ومن هنا فقد أملت هذه الروح على الملاح صاحب المغامرة على أن يشجع أمير سفينته الذى تخوف غضب فرعونه ، بقوله : استمع ايها النبيل ، وثق انى رجل برىء من المبالغة ، اغتسل وضع الماء على اناملك حتى تهدأ أطرافك ، وأجب اذا سئلت ، وتحدث الى الملك وذهنك معك ، أجب دون تردد ، فمنطق الرجل يحميه ، وحديثه يكفل له ما يصون به وجهه ، وتصرف ما يميله عليك عقلك» (١٢) •

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤١ - ٣٤٣ ، أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٣٩٠ - ٣٩٣ ، منير مجلى : الجزيرة المسحورة ص ١٠٥ - ١١٠ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٥٠ - ٥٤ ،
 G. Lefebvre, Op-Cit, p. 29-40. وكذا
 M. Lichtheim, Op-Cit, p. 212-215. وكذا
 A. Erman, LAE, p. 29-35. وكذا
 W. K. Sempson, Op-Cit, p. 50-56. وكذا

٥ - قصة فتح يافا

وجدت هذه القصة في بردية هاريس رقم ٥٠٠ المحفوظة الآن في المتحف البريطاني تحت رقم ١٠٠٦٠ ، وقد عثر عليها في طيبة (الاقصر) ، وترجع الى عهد الاسرة التاسعة عشرة ، وربما الى أيام رمسيس الثانى (١٢٩٠ - ١١٢٤ ق م) ، وقد نشرت وترجمت عدة مرات ، لعل من أهمها ترجمات : جاردنر^(١) وبييت^(٢) وارمان^(٣) ولوفيفر^(٤) وويلسون^(٥) وجدكة^(٦) وغيرهم^(٧) ، وأما الترجمات العربية فأهمها ترجمات سليم حسن وأحمد فخرى وعبد العزيز صالح ، والترجمة العربية لكتاب جوستاف لوفيفر^(٨) .

هذا وكانت قصة «الفتح يافا» هذه من القصص الشعبى الذى تناقلته الاجيال ، جيلا بعد جيل ، وقد ظهرت فكرتها فى آداب أمم أخرى كثيرة ، وتتلخص القصة فى السطور التالية :

كان «تحتوتى» - احد قواد الفاتح العظيم تحوتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) - يحاصر مدينة «يافا» الفلسطينية وقد ثار حاكمها على

(١) A. H. Gardiner, Late Egyptian Stories, BA, I, Brussels, 1932, p. 82-85.

(٢) T. E. Peet, in JEA, XI, 1925, 225-227, 336-337.

(٣) A. Erman, LAE, 1927, p. 167-169, The Ancient Egyptians, p. XXXIII.

(٤) G. Lefebvre, Op-Cit, p. 125-127.

(٥) J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 22-23.

(٦) H. Goedicke, The Computre of Joppa, Chronique d'Egypte, 43, 1968, p. 219-233.

(٧) E. F. Wente, in The Literature of Ancient, London, 1977, p. 81-84.

وكذا H. P. Blok, De beide Volksverhalen Van Papyrus Harris 5(10) Verso, Leyden, 1925.

وكذا G. Maspero, Popular Stories of Ancient Egypt, p. 108.

(٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٠٩ - ١١٢ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٠٨ - ١٩٢ .

السيادة المصرية ، واعتصم بمدينته ، ولم يستطع القائد المصرى أن يخضعه ، وأن يستولى على المدينة ، ويعيدها الى حظيرة الامبراطورية المصرية ، بل أن الحاكم الفلسطينى انما حاول أن يستميل اليه القائد المصرى (تحتوى) ضد الفرعون ، أو يخدعه ويوقعه فى حباله ، ومن ثم فقد دعاه الى الانضمام اليه هو وأهله ، فرد تصوتى على مكره بمكر يساويه ، وأظهر له أن يميل الى مصادقته ، ودعاه من ناحيته الى مقابلته فى معسكره ، فلما لبى الحاكم الفلسطينى دعوة تحوت أكرمه ، وأسر اليه أنه يريد أن يلجأ اليه هو وأسرته، وطلب اليه أن يبعث بفرسانه «الماريانو» لرعاية خيولة خشيه أن يعتدى عليها لصوص الخيل من العابريو^(٩) .

وفى أثناء وجود الحاكم الفلسطينى فى خيمة القائد المصرى طلب منه أن يرى مقمعة الفرعون تحوتمس الثالث (مولجان تحوتمس الثالث) التى كان من عادته أن يعطيها لقواده عند خروج أحدهم لقيادة الجيش ، فوجدتها تحوتى فرصته ، وعاد اليه بمقمعة غليظة ، وقال وهو يواجهه : أنظر يا عدو يافا ان «من خبر رع» الاسد العصور ، ابن «سخت» (ربة الحرب)^(١٠) ، قد وهبه أبوه أمون التأييد» ، وعاجله بضربة منها على جبهته أردته مغشيا عليه ، فشد وثاقه واثقل على قدميه بأربعة أوزان من المعدن ، وتخير مائتين من جنوده المصريين، وأمر زملاءهم بأن يقيدوهم تقيدا خفيفا ، وأن يضعوهم فى جوالق كبيرة يهتمون عليها ليحبكوا حيلتها ويحرسها خمسمائة جندي وأوحى اليهم ببقية الحيلة : عندما تدخلون المدينة يجب عليكم أن تطلقوا سراح رفقاؤكم الذين فى الجوالق (الغارات) وتقبضوا على كل رجل فى المدينة وتضعوهم فى الاغلال .

ثم أرسل سائق عربة أمير يافا الى زوجته يبلغها أن زوجها الأمير قد منحه ربه «سوتخ» النصر على عدوه فأسر القائد المصرى «تحتوى» ، وأن رجال الجيش المصرى قد انضموا اليه ، فيما عدا قلة منهم وأسروهم

(٩) أنظر عن العابريو (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢٢/١ - ٢٨ الاسكندرية ١٩٧٨) .
(١٠) انظر الالهة سخت (محمد بيومى مهران - الحضارة المصرية القديمة ص ٣٤٨ - ٣٤٩ الاسكندرية ١٩٨٤) .

وكبلهم بالاغلال ، وهكذا تقدم سائق الامير الفلسطيني الموكب ، وهو يصبح : أسرنا تحوتى ، ففتحت له المدينة أبوابها ، ودخل الجنود المصريون يحملون زملاءهم فى الجوالق ، فما أن جاوزوا الابواب حتى انقضوا على حراس المدينة وأسروهم ، ثم تنتهى البردية بهذه الكلمات : «وهكذا الساعد القوى لفرعون مصر أن يستولى على المدينة ، وفى الليل أرسل تحوتى رسالة الى سيده فى مصر ، الملك تحوتمس ، يقول له : أنعم بالا ، فقد أعطاك أمون ، أبوك الطيب ، أمير يافا وجميع رجاله وكذا مدينته ، ابعث بالرجال ليقودهم أسرى لكى تملأ بيت أبيك أمون بالعبيد والجوارى الذين يربتهم تحت قدميك الى الابد» •

وأما تحوتى – صاحب القصة – فهو أحد قواد تحوتمس الثالث العظيم ، وقد كشف عن مقبرته فى طيبة الغربية ، وقد وصف نفسه بأنه كان موضع ثقة الملك فى كل الاصقاع الاجنبية وفى جزر البحر المتوسط ، وأنه كان المشرف على الممالك الشمالية ، وأنه كان أول قائد صاحب الملك فى كل الارضين الاجنبية ، ومن ثم فيبدو أنه كان ذا شخصية عظيمة ، ولهذا فقد كان اسمه يتردد على ألسنة الناس دهرًا طويلا بعد ذلك ، وهناك فى متحف «دارمستاد» خنجر له ، فضلا عن طبق من الذهب فى متحف اللوفر كان قد أهدها اليه تحوتمس الثالث •

وأما القصة نفسها ، فليس هناك شئ معروف على وجه اليقين عن مدى صدق أحداثها ، وإن لم يحل هذا دون الاعتراف بخصوصية خيال صاحبها أو مؤلفها ، بحيث يمكن اعتبارها سلفا قديما لحيلة قصيرة مع الزباء ملكة تدمر (١١) ، وقصة على بابا واللصوص الاربعين فى الادب العربى القديم ، وتنتم القصة من ناحيتها عن اعتقاد أهل زمانها بأن أسلحة فراعينهم الكبار أهل النصر والفتح ، انما كانت مؤيدة بقوة سحرية خفية ، أو قدرة ربانية مباركة ، وأنهم كانوا يتوهمون أن قادتهم كانوا

(١١) انظر قصة قصير الزباء (محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم – الرياض ١٩٨٠ ص ٥٤٨) •

يستعينون بها ليردوا فضل النصر الى أربابها ، ثم هى تتم أخيرا عن
اعتقادهم بأن الفتن التى تنشب خارج الحدود تصدر فى معظمها عن
ذرائع الهكسوس الذين ناصروا الاله «سونخ» (أى ست) واستعانوا
به (١٣) .

-
- (١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، أحمد
فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ، سليم حسن : المرجع السابق
ص ١١٠ - ١١١ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٩٠ - ١٩٢ ،
ارمان ورائكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ص ٤١٧ ، وكذا
E. F. Wente, Op-Cit, p. 81-84. وكذا
J. A. Wilson, ANET, p. 22-23. وكذا
H. Goedicke, Op-Cit, p. 219-233. وكذا
G. Lefebvre, Op-Cit, p. 125-127. وكذا
A. Erman, Op-Cit, p. 167-169. وكذا

٦ - قصة الاخوين

اشتهرت قصة الاخوين هذه بين الآثاريين بتسمية أخرى هي «بردية أورييني» Papyrus D'Orhiney نسبة الى السيد «اليزابيث أورييني» التي ابتاعها من إيطاليا ، ثم باعها للمتحف البريطاني عام ١٨٥٧م ، بعد أن أعلن متحف اللوفر عجزه عن الحصول عليها ؛ وعلى أية حال ، فالبردية محفوظة الآن بالمتحف البريطاني تحت رقم ١٠١٨٣ ، ويمكن تأريخها بعصر الأسرة التاسعة عشرة (حوالي عام ١٢٥٠ ق م) ، وقد نقلها عن الهيراطيقية من الهيروغليفية «سير ألن جاردنر»^(١) ، كما اعتنى بها كثير من علماء المصريات — من أمثال مولر^(٢) ، ولوفيفر^(٣) وسكوت^(٤) وبرونر — تروت^(٥) ، ووينتي^(٦) ، ويويوت^(٧) وفاندييه^(٨) وغيرهم^(٩) ، هذا فضلا عن عدة ترجمات عربية للقصة ، جزئيا أو كليا^(١٠) .

-
- | | |
|---|------|
| A. H. Gardiner, LES, in BA, I, 1932, p. 9-29 | (١) |
| G. Moller, Hieratische Lesestücke ..., II, Berlin, 1927, p. 1-20. | (٢) |
| G. Lefebvre, Op-Cit, p. 137-158. | (٣) |
| S. Schott, Altägyptische Liebeslieder..., Zurich, 1950, p. 193-204. | (٤) |
| E. Brunner - Traut, Op-Cit, p. 28-40 | (٥) |
| E. F. Wente, Op-Cit, p. 92-107. | (٦) |
| J. Yoyotte, RdE, 9, 1952, p. 157-159. | (٧) |
| J. Vandier, Le Papyrus Jumilhac, Paris, 1961, p. 45-46, 105-106, 114-115. | (٨) |
| Jan Assmann, in ZAS, 104, 1977, p. 1-25. | (٩) |
| B. Siedzianowski, in GM, 4, 1973, p. 35-40. | وكذا |
| A. Erman, LAE, 1927, p. 150-161, The Ancient Egyptians. | وكذا |
| N. Y., 1966, p. XXXII. | |
| J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 23-25. | وكذا |
| M. Lichtheim, Op-Cit, II, 1976, p. 203-211. | وكذا |
| F. Jesi, Aegyptus, 42, 1962, p. 276-296. | وكذا |
| E. Blumenthal, ZAS, 99, 1973, p. 1-17 | وكذا |

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٩ - ٣٤١ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٨٧ - ٩٩ ، عبد الحميد زايد : الرمز والاسطورة الفرعونية - مجلة عالم الفكر ١٩٨٥ ص ٥٣ - ٥٩ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ - ٤١٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٩٨ - ٢١٧ .

والقصة تصور ما يمكن أن تأتية الانثى اللعوب ، كما تصور الحياة الريفية وقت ذاك ، وقد جعلت أبطالها ثلاثة : انبو ، الاخ الاكبر ، ثم زوجته ، ثم شقيقه الصغير «باتا» وان كان هناك من يذهب الى أنها تحتوى على بعض الاساطير المصرية القديمة ، وأن الاخوان — انبو وباتا ، ايسا سرى الالهين المعروفين بهذا الاسم ، وعلى أية حال ، فيمكن تلخيصها في السطور التالية :

كان «باتا» الاخ الاصغر ، شابا قويا مفتول العضلات ، مخلصا لأخيه الاكبر ، خبيرا فى شئون الزراعة والمرعى ، عارفا بمنطق الحيوان ، لا يوجد له مثيل فى جميع أنحاء الارض ، وقد اعتاد أن يخرج بهاشية أخيه مع الفجر فيحرق أو يحصد ، ويرعى قطيعه ، ثم يعود فى المساء محملا بخيرات الحقل ، وألبان البقر ، ويقدمها راضيا بين يدي أخيه وزوجه ، وما أن يتناول عشاءه حتى ينطلق الى حظيرة الماشية فينام فيها وحيدا قانعا ، فاذا ما اقترب الفجر أعد افطار أخيه وقدمه اليه ، ثم أخذ افطاره وساق ماشيته الى الحقل والمرعى ، وكان يحدث أحيانا أن تتسار الماشية فيما بينها ، بأن الكلا فى مكان بعينه وفير نصير ، فيفهم «باتا» قولها ، ويحقق لها رغبتها ، وينتجع بها ما توده من العشب والمرعى،ومن ثم فقد كانت الماشية التى فى رعايته تزداد جمالا ، وقد تعددت مواليدها الى حد كبير .

ولما حل موسم الزراعة قال له أخوه : هلم أعد الثيران للحرث ، فقد انحسر الماء عن الارض وتهيأت للزراعة ، ثم احضر لنا البذور حتى نغرسها مبكرين ، فأطاع «باتا» وصحب أخاه الى الحقل ، وانشغلا فى الحرث ، ولكنهما اضطرا بعد فترة الى التوقف لنفاذ البذور ، فأرسل «انبو» أخاه «باتا» الى الدار لاحضار المزيد من البذور ، وما أن بلغ «باتا» الدار حتى ألقى زوج أخيه مشغولة بتصفير شعرها ، فناداها قائلا : انهضى واعطنى بعض الحبوب لان أخى يفتظرنى ، فأجابته قائلة : اذهب واهتج الصومعة وخذ ما تريد ، لا تفسد على تصفير شعري ، ثم ذهب الشاب وعاد معه حمل كبير من الشعير والقمح ، فتساءلت امرأة

أخيه : ما وزن ذلك الذى تحمله على كتفك ، فرد قائلاً : ثلاثة أكياس من القمح ، و كيسان من الشعير ، أى خمسة فى مجموعها ، فردت المرأة قائلة : انك تتمتع بقوة عظيمة ، وانى أرى كل يوم ما يدل على قوتك ؟ وأرادت المرأة أن تعرف قوته كرجل .

وأسرت المرأة أمرا فى نفسها ، ثم هبت واقفة وتعلقت بالفتى اليافع وقالت : هيت لك دعنا نمرح ساعة ونضطجع معا ، فذلك خير لك ، ولسوف أخطط لك ثيابا حسنا ، وفوجئ الفتى بما حدث ، فأجفل وبدا فى هيئة فهد الصعيد الغضوب ، وأربد وجهه من هول ما دعتة اليه ، فأجفلت المرأة بدورها وخشيتة خشية شديدة ، ثم تما لك الفتى نفسه ، واتجه الى هذه المرأة المداعة قائلاً : اسمعى ، أنت بالنسبة لى فى منزلة الام ، وزوجك فى منزلة الاب ، فهو أكبر منى ، وهو الذى ربانى وليدا ، فلم كل هذا العار الذى تدعينى اليه ، اياك أن تفتاحينى فيه مرة أخرى ، وأنا أعدك ألا أتحدث به لأحد ، وإن أدعه يخرج من فمى لأى شخص ، واحتمل «باتا» حملته ، وانصرف الى المحقل ، فلما بلغ أخاه استأنف العمل كدأبه ، دون أن ينبس ببنت شفة .

وحان المساء وعاد الاخ الاكبر الى داره ، وبقي باتا فى المحقل يتعهد الماشية برعايته ، حتى أكمل حملته من خيرات الارض ، ثم ساق الانعام أمامه ليبيت بها فى حظيرته ، وخشيت المرأة عاقبة زلتها ، فاستعانت بعقار (دهنا وشحما) جعلها كالمريضة أو المضروبة ، حتى يتسنى لها أن تزعم لزوجها بأن أخاه قد اعتدى عليها ، فلما عاد زوجها وجدها نائمة تدعى المرض ، فلم تصب الماء على يديه كعادتها ، ولم توقد المصباح قبل مجيئه ، فبات ليلته فى ظلام حالك ، بينما كانت هى تقىء ، ولما اقترب منها زوجها وسألها عن أساء اليها ، قالت : لم يسيء الى أحد سوى أخيك الاصغر ، فلقد أتى يأخذ البذور ، فلما وجدنى وحيدة راودنى عن نفسى ، وأمسك بشعري ، فأبيت طاعته ، وقلت له : أأست كأمك ، أو ليس أخوك الاكبر كأبيك ، هكذا أجبتة ، فارتعد منى خوفا وضربنى ، حتى لا أخبرك بما حدث ، فاذا تركته يعيش مت أنا ، وأخشى اذا رجع فى المساء وفاتحتة فى

عاره ، نسب السوء الى ، وأربد وجه الزوج ، وشحذ خنجره ، واختبأ وراء باب الحظيرة ، ونوى أن يقتل أخاه حين رجوعه .

وعاد «باتا» في الغروب ، محملاً بخيرات الارض كعادته ، فلما دخلت أولى بقرااته الحظيرة همست له : احذر ان أخاك واقف هناك ينتظرك ليقتلك بخنجره ، فاهرب من أمامه ، وفهم باتا قولها ، ثم سمعه من البقرة التى تليها ، وتطلع أسفل الباب فرأى قدمى أخيه ، فالتقى حملاً على الارض ، وشرع يعدو هرباً من أخيه ، فجرى أخوه وراءه ، وهنا استغاث «باتا» بالمعبود «رع حار أختى» (رع حور سيد الافق) ، فقال : مولاي الرحيم ، أنت تفصل بين الآثم والبرىء ، فاستجاب رع لدعائه ، وفصل بين الاخوين ببخيرة ملأى بالتماسيح ، ووقف الاخوان أمام بعضهما ، وقال باتا لأخيه كل شئ ، واعلم أخاه بجريمة زوجته ، وأراد أن يثبت له براءته وعزوفه عن النساء ، فاستل بوصة حادة ، وقطع احليله ، ورماه فى الماء ، حتى يؤكد لأخيه زهده فى الخنا وأهل الخنا ، وكاد يغشى عليه من حرط الألم ، وندم الاخ الاكبر على ما فعل بأخيه ، ولم يتمالك نفسه فبكى ، ولكنه عجز عن أن يصل الى أخيه خوفاً من التماسيح ، ثم أخذ «باتا» يذكر أخاه «انبو» بكل ما فعله من أجله ، ثم علمه آخر الامر أنه سوف يترك مصر نهائياً ، ويذهب الى وادى الارز ، وسيضع قلبه فوق شجرة أرز فان أحداً قطع الشجرة سقط قلبه ومات ، فإذا ما عرف «انبو» بوفاته فليذهب وليبحث عنه ويعيده الى الحياة ، ولا يمل البحث عنه ، وان أنفق فى ذلك سبع سنين ، وأما كيف يعيده الى الحياة ، فليضعه فى ماء بارد ، ولنسوف يعلم آية سقوطه حين تقدم اليه كأس جعة ، فسوف يجدها قد أزبدت واعتكرت ، وبعد أن سمع «انبو» (أنوبيس) مقالة أخيه الحزينة ، عاد الى بيته ، وقد وضع يديه على رأسه ، ولوثه بالتراب ، وما كاد يصل الى داره حتى بادر بقتل زوجه الداعرة ، ورمى بها الى المكاب ، ثم جلس يبكى رحيل أخيه الصغير .

وهكذا فارق باتا مصر — كما أراد مؤلف القصة — الى وادى الارز فى لبنان ، وهناك أشفقت عليه الالهة ، فقال «رع حار أختى» لخنوم :

اخلق لـ «باتا» زوجة حتى لا يظل وحيدا ، فخلق له خنوم صاحبة تؤنسه في وحشته ، وكانت هذه الصحابة ذات جسد بديع يفوق جماله وحسنه نظيره عند أى امرأة أخرى في البلاد كلها ، وكان بها بذرة من كل من الالهة ، وأتت الحوريات السبعة (داتحور) لتراها فقالت في صوت واحد : ستموت تلك المرأة بحد السيف» •

وأحب «باتا» هذه المرأة وأخلص لها . ولكنها عاشرت على دخل ، ربما لانه أصبح غنيا ، ثم نقل البحر خصلة من شعرها الى فرعون مصر ، فسحره عطرها ، وأرسل رسله ييحثون عنها ، فقتلهم «باتا» الا واحدا عاد اليه بخبر بمقتل زملائه ، فأرسل اليها الفرعون جماعة أخرى ، ومنهم امرأة عجوز ، تحمل هداياها اليها ، فقبلت الزوجة هداياها وانجذبت الى سلطانها ، وصحبت رسله وسافرت اليه وتقربت منه ، وأوعت اليه باهلاك زوجها باتا ، وقطع الشجرة التي ائتمنها على قلبه ، فاستجاب الفرعون لكيدها ، وأمر بقطع الشجرة فمات «باتا» ، ولكن أخاه تنبه الى آية اعتكار كأس الجعة ، فظل يبحث عن قلب أخيه ثلاث سنين حتى وجدته ، ودعا الارباب فبعثوه في خلق جديد •

وأراد «باتا» أن يرد على زوجته عاقبة غدرها ، ففكر لها في هيئة فحل شديد ، مزودا بكل الالوان ، وعرفت زوجه التي أصبحت حظية فرعون بذلك ، فنصحت الملك أن يقتله ففعل ، ولكن نقطتين من الدم سقطتا على الارض وصارتا شجرتين عظيمتين عند بوابة القصر ، فأغرت الملك بقطعهما ففعل ، وعند صنع أثاث منهما طارت شظية فحملت منها وأنجبت طفلا صار وليا للعهد ، ومات الملك ، وعسوس الارباب «باتا» بعرض مصر وملكها العريض ، وانتقم من زوجته الخائنة فقتلها ، واستدعى أخاه الاكبر ونصبه أميراً وراثيا في البلاد جميعا ، ولما قضى على عرش مصر ثلاثين عاما ذهب الى الحياة (يعنى الحياة الآخرة) وصعد أخوه على العرش ، وأصبح ملكا بعده •

والقصة ، كما نرى ، مليئة بالوان السحر ، وهى تعالج أمر الزوجة الخائنة مرتين ، وتنتهى في المآلتين بأن يقتل الزوج زوجته ، وفي الواقع ،

فلقد عالج القصص المصري القديم موضوع الزوجة الخائنة بمهارة ، فأصفى عليها لهجة مسرحية ولوحات تتحرك فيها شخصيات تنبض بالحياة وفيها مشاهد تشعر بقوة الشهوة والالم والغضب والاحتقار ، استطاع القصص أن يعرضها ويقرّبها الى حد كبير من حياة الناس ، وكما يقول جوستاف لوفيفر ، كان ينبغي لهذه القصة التي تترم على أسس نفسية ، لكي تكون ذات طابع مصري ، أن يتدخل فيها عنصر الخيال ، وهذا ما حدث إذ نرى الحيوانات تتكلم ، والآلهة تتدخل ، والشخصية الرئيسية تنتبأ بما سوف يحدث ، بل ان للاخوين أسماء آلهة ، اذ كان من المعروف عن اسمى «انبو» (أنوب = أنوبيس) و «باتا» أيام الدولة الحديثة أنهما كان موضع عبادة في اقليم «انبو» ، وهو الاقليم السابع عشر من أقاليم الصعيد ، وكانت عاصمة «كاسا» (ليتوبوليس الاغريقية) وهي «المقيس» الحالية ، على مبعده ٤ كيلو جنوبى بنى مزار ، بمحافظة المنيا ، وكان معبودها الرئيسى «انبو» (ابن آوى) *

هذا وقد تميزت حوادث الجزء الثانى من القصة بالسحر فى سلسلة من المعجزات ، فالأخ الاصغر (باتا) ينزع قلبه ويخفيه فى زهرة أرز ، بعد أن ينفى نفسه فى واد فى لبنان ، وعندما يصبح جسدا بلا روح يتفرغ لمساغله اليومية حتى يأمر «رع حار اختى» الآله «خنوم» أن يصنع له زوجة ، أجمل من أية امرأة أخرى ، ويعلم فرعون بأمر تلك المرأة ، وهى من بنات الآلهة ، عن طريق خصلة من شعرها أخذها البحر وجاء بها الى مصر ، فیرسل اليها من يحضرها من لبنان لتكون محظية له ، وسرعان ما تفكر فى خيانة زوجها ، وتلعب نفس الدور الذى لعبته زوجة أنوبيس فى الجزء الاول من القصة ، فتطلب من فرعون أن يقتلع شجرة الارز التى تضم قلب باتا ، ولكنه يعود الى الحياة ثانية بفضل دعوات أخيه أنوبيس ، اذ يعثر على قلبه ويضعه فى وعاء من ماء ، ثم يتحول «باتا» الى ثور ، ولكن زوجه تتعرف عليه وتأمر بذبحه ، ولكنه يعود الى الحياة من جديد حيث يتحول الى شجرة «لبخ» وتأمر ثانية باقتلاع الشجرة ، ويصمم باتا على العودة الى الحياة ثانية فى صورة قطعة من الشجرة تتطاير فتدخل فم امرأته المغادرة ، فتحمل منه وتضع طفلا هو «باتا»

الصغير الذى ينشأ فى قصر فرعون ويعيش فيه حتى يموت الفرعون فيخلفه
على ملك مصر •

هذا وتروى ائمة أحداثا تذكرنا بقصة أوزير ، فجزء جوهرى من
القصة — وهى تجارب باتا فى بيلوس وقصر فرعون شبيهة بقصة
«بلوتارخ» لما وقع لايذة ، عندما كانت تبصت عن أخيها وزوجها أوزير فى
تلك المواقع نفسها ، على أننا يجب أن نلاحظ أنه على نقيض هذا التشابه
فى السياق ، فقد سلكت زوجة «باتا» طريقا آخر ، غير الذى سلكته ايذة
التي كانت وفية لزوجها •

وأما أسلوب القصة ، فأضعف من أساليب كثير من القصص غيرها ،
وان وافقت الخيال الشعبى وتمست مع مقتضياته ، ورغم ضعف الاسلوب
وخلوه من الرشاقة التي يتسم بها عادة أسلوب العصر فى التعبير ، الا
أن الحبكة القصصية هنا متوفرة ، فهى تدأب على تشويق القارئ أو
السامع بمفاجآت تتردد فى ثناياها تعتمد جميعا على مؤثرات خارجية لم
تكن فى الحسبان ، هى مخرج للقصص يعتمد فيه على خوارق الطبيعة
أو يد القدر (١١) •

(١١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٥٤ - ٦٠ ، عبد العزيز
صالح : المرجع السابق ص ٣٣٩ - ٣٤١ ، نجيب ميخائيل ، المرجع السابق :
ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ٢٠٢ - ٢١٧ ،
أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ - ٤١١ ، سليم حسن : المرجع
السابق ص ٩١ - ٩٩ •

A. Erman, LAE, p. 150-161.

J. A. Wilson, ANET, p. 23-25.

E. F. Wente, Op-Cit, p. 92-107.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 203-213.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 137-158.

J. Yoyotte, RdE, 9, 1952, p. 157-159.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

٧ - قصة ون امون

سجلت هذه القصة أو الرحلة على بردية عثر عليها في بلدة «الحبيبة»^(١) في عام ١٨٩١م ، واشتراها العالم الروسي « فلاديمير جولينشف» وهى الآن بمتحف موسكو (رقم ١٢٠) وكان «جولينشف»^(٢) أول من نشرها ، ثم «جاردنر»^(٣) كما ترجمها وعلق عليها كثير من علماء المصريين ، من أمثال ارمان^(٤) ولوفيفر^(٥) وويلسون^(٦) وجاردنر^(٧) وايدل^(٨) وينتى^(٩) ونمس^(١٠) وغيرهم^(١١) .

(١) كانت مدينة «الحبيبة» الحالية عاصمة للأقليم الثامن عشر من أقاليم الصعيد ، وتقع على مبعدة ٥ كيلا جنوبى مدينة الفشن ، بمحافظة بنى سويف ، وهى «سبا» المصرية ، وربما كانت هى نفسها «حت نبو» (مفرطائر مالك الحزين) ، ومعبودها الرئيسى هو الاله «حور» ، كما عبد فيها كذلك الاله أنوبيس وسوكر .

H. Gauthier, Dictionnaire des Noms Geographiques, I, p. 84, IV, IV, p. 27, p. 193).

P. Lacau and H. Chevrier, une Chapelle des Sesostri Ier a وكذا
Karnk, le caire, 1956, p. 224).

V. S. Golénishchev, RT, 21, 1899, p. 74-102. (٢)

A. H. Gardiner, LEM, in BA, 7, 1937, p. 61-76. (٣)

A. Erman, in, ZAS, 38, 1900, p. 1-14. (٤)

A. Erman, in, LAE, 1927, p. 174-185. وكذا

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 204-220. (٥)

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 25-29. (٦)

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 306-313. (٧)

E. Edel, in Gallig Textbuch, p. 41-48 (٨)

E. F. Wente, Op-Cit, p. 142-155. (٩)

C. F. Nims, in JEA, 54, 1968, p. 161-164. (١٠)

M. A. Korostovtsev, Puteshestvie un-Amwna V Bibl., Mos-cow, 1960. (١١)

E. Peet, Op-Cit, p. 47 F. وكذا

G. Maspero, Op-Cit, p. 202 F. وكذا

J. H. Breasted, ARE, IV, p. 274 F. وكذا

Wiedmann, Altgyptische Sagn und Marchen, Leipzig, 1900. وكذا
p. 94-113.

هذا فضلا عن الترجمات العربية للبردية ، وأهمها ترجمة سليم حسن^(١٢) وأحمد فخري^(١٣) ونجيب ميخائيل^(١٤) وعبد الحميد زايد^(١٥) .
وأما نص البردية — كما يقدمه لنا سير ألن جاردنر^(١٦) — فهو كالآتي :

«العام الخامس ، الشهر الرابع من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر ، في اليوم الذي ارتحل «ون أمون» كبير المشرفين على ضيعة أمون سيد عروش الارضين ليحضر الخشب للسفينة الكبرى لامون رع ملك الآلهة وهي التي على النهر وتسمى «أمون وسرحي» . وفي يوم وصولي الى تانيس مقر «نس بانب دد» و «تنت أمون» أعطيتها رسائل أمون رع ملك الآلهة وقد قرئت في حضرتيهما وقالوا : «حقا اذا ستفعل كما قال ملك الآلهة أمون رع» .

وقد مكثت حتى الشهر الرابع من الصيف في تانيس^(١٧) ، ثم أرسلني «نس بانب دد» و «تنت أمون» مع قائد السفينة «منجبيت» وفي الشهر الاول من فصل الصيف نزلت بحر سورية العظيم ووصلت الى «دور» مدينة «الزكار» وأمر أميرها «بدير» بأن يؤتى لى بخمسين رغيفا وجرة نبيذ ولخذ ثور ، وهرب أحد رجال سفينتي بعد أن سرق اناء من الذهب يساوي «٥ دبنات» وأربعة أولان من المفضة قيمتها عشرون دبنا وكيسا به فضة تعدل ١١ دبنا وكان مجموع ما سرقه ٥ دبنات من الذهب، ٣١ دبنا من المفضة وقمت في الصباح واتجهت الى حيث الامير وقتلت له :
لقد سرقت في مينائك وأنت أمير هذه البلاد وضابط أمورها فابحث

-
- (١٢) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٦١ - ١٧٠ .
(١٣) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٠٢ - ٤٠٦ .
(١٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠٦ - ٥٠٧ .
(١٥) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٧٩٠ - ٧٩٨ .
(١٦) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 306-313.

وانظر الترجمة العربية (سير ألن جاردنر : مصر الفراعنة - ترجمة نجيب ميخائيل ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر - القاهرة ١٩٧٣ ص ٣٣٦ - ٣٤٢) .
(١٧) التواريخ المكتوبة في الاصل يتناولها الشك .

لى عن مالى ، لانه مال أمون رع ملك الآلهة وسيد البلاد حقا وهو مال
 «نفس بانب دد» وهو يخصه ولاى «لحريحور» وكذا عظماء مصر الآخرين *
 انه مالك كذلك ، وانه مال «وارت» انه مال «ميكادار» انه مال «زكا بعل»
 أمير جبيل * * فقال لى : «أأنت صادق أم مدع ؟ لأأنى لا أعرف شيئا من
 هذه الرواية التى تذكرها لى * * لئن كان لصا من بلادى ذلك الذى اتجه
 الى سفينتك وسرق مالك فانى أعوضك اياه من مخازنى حتى يرد على
 اللص مهما يكن ولكن الواقع أن الذى سرقك * * هو رجلك وهو يخص
 سفينتك * * فاقض معى هنا بضعة أيام حتى أبحث عنه * * ومكنت تسعة
 أيام راسيا فى الميناء تم اتجهت اليه وقلت له «هاك انك لم تجد مالى» *
 وتلى ذلك فقررات مشوكة يفهم منها أن «ون أمون» يرغب فى الرحيل
 مع بعض أصحاب المراكب الذين يزعمون ذلك ولكن الأمير يحرضه على
 البقاء موهنا اياه انه سيستولى على بضائع المشبوهين حتى يشر على
 اللص *

ولكن «ون أمون» فضل متابعة رحلته ، وبعد أن وصل الى صور
 غادرها عند الفجر وسرعان ما وصل الى جبيل حيث أميرها «زكار بعل»
 ووجد هناك سفينة بها ٣٠ دبنا من الفضة وقال ان هذا المال سيبقى معه
 حتى يقبض من لجأ اليهم على اللص *

وارتحلوا وبقيت فى خيمة على الشاطئ فى ميناء جبيل واستطعت أن
 أصل الى مكان أخبىء ، فيه «آمون — الطريق» ، ووضعت مقتنياته
 فيه * * * وأرسل الى أمير جبيل قائلا : «غادر مينائى» فأرسلت أقول له :
 «الى أين أذهب ؟ ان وجدت سفينة تحملنى فليعودوا بى الى مصر»
 وقضيت تسعة وعشرين يوما فى مينائه وكان يرسل الى كل يوم يقول :
 «اترك مينائى !» *

وبينما كان يقدم القرابين لالهة أمسك الاله بشاب من رجاله وأصابه

بالخبيل فقال له : «احضر الاله هنا واحضر الرسول الذى يحمله • انه آمون الذى أرسله ، انه هو الذى جاء به» وظل المخبول طيلة الليل فى خبيله ، فى حين وجدت سفينة متجهة الى مصر وضعت فوقها كل متاعى وكنت أترقب الظلام قائلاً : «حين يحل ، سيأتى بالاله اليها وسوف لا تراه عين أخرى • وجاء رئيس الميناء الى قائلاً : «انتظر للغد • • هذه هى رغبة الامير» فقلت له : «أأست أنت الذى كنت تكرر لى كل يوم قولك» اترك مينائى ؟ أولا تقول ابق هنا الليلة حتى تدع السفينة التى أراها مرتحلة ترتحل ، وعندئذ ستأتى الى مرة أخرى وتطلب الى الرهيل ؟» وذهب الى الامير ورد قولى فأرسل الى الامير قائد السفينة يقول : «انتظر الى الغد هذه هى رغبة الامير» •

ولما جاء الغد أرسل فى طلبى ، وكان الاله يستريح فى الخيمة التى على شاطئ البحر • ووجدته جالساً فى غرفته العلوية وظهره الى النافذة وأمواج البحر السورى العظيم تتلاطم خلف رأسه • قلت له : «ليكن آمون رحيماً ؟» وقال لى : «ما المدة حتى الآن» وقال لى : «لنفترض أنك صادق فأين هى رسالة آمون التى فى حوزتك وأين خطاب الكاهن الاول لأمون الذى فى يدك ؟» فقلت له : «لقد أعطيتها الى «نس بانب دد» و «تنت آمون» فاجتاحه الغضب وقال لى : «والآن : انك لا تحمل رسالة أو خطاباً ، ولكن أين سفينة المصنوبر التى أعطاك اياها «نس بانب دد» وأين بحارتها السوريون ؟ ألم يسلمك لربان هذه السفينة البربرى ليزبحك ويلقى بك فى الماء ؟ قال لى فأجبتة : «أليست سفينة مصرية وبجارة مصريون الذين يحملون «نس بانب دد» ؟ انه ليس لديه بصارة سوريون فقتال لى : أليس هناك عشرون قارباً فى مينائى تتجر مع نس بانب دد وكذا فى صيدا ، ذلك المكان الآخر الذى مررت به ، أليس هناك كذلك خمسون سفينة أخرى تتجر مع «وارا كثير» وتعمل من أجل بيته ؟

فحرت صمتاً فى هذه اللحظة الرهيبة :

وتابع هو حديثه قائلاً لى : «فى أية مهمة قدمت ؟ فقلت له : « جئت سعياً وراء الخشب من أجل السفينة العظيمة لأمون رع ملك الإلهة • •

ان ما فعله أبوك وجدك ستفعله أنت !» هكذا قلت له فأجابني قائلا :
 «حقا لقد فعلا ذلك ، وأنت ان دفعت لى الثمن سافعل ! وفى الحق ان
 قومى قد انجزوا هذا الامر ولكن بعد أن أمر فرعون بارسال ست سفن
 محملة بالبضائع المصرية أفرغوها فى مخازنهم .. وأنت بم جئت لى
 شخصيا ؟» وأمر أن يؤتى بسجلات آبائه وأن تقرأ محتوياتها أمامى ..
 وقد وجد بها أنه دفع ألف دبن من الفضة وسلعا من كل نوع ففقال لى :
 اذا كان حاكم مصر سيد املاحي وكنت أنا خادمه أيضا لم يكن لزاما عليه
 أن يرسل فضة أو ذهب حين يقول : نفذ أمر أمون ! على أنها ليست هديه
 ملك التى أعطوها لوالدى .. وأنا كذلك لمست خادمك ولا خادم من أرسلك
 وأنا ان أرسلت صرختى الى لبنان^(١٨) فان السماء تنفتح وترى الاخشاب
 ملقاة على شاطئ البحر .. أعطنى الاشعة التى جئت بها لنقل بسفينتك
 التى تحمل أخشابك الى مصر .. اعطنى الجبال التى أحضرتها لتربط
 باحكام أخشاب الارز التى ساقطها حتى لا تنكسر قاربات الاشعة
 فتتحطم وتهلك فى وسط البحر .. هاك : ان «أمون» يرعد فى السماء وهو
 الى جانب «ستخ»^(١٩) . حقا ان أمون أسدى الخير لكل البلاد فما لمصر
 التى أتيت منها حين أسداه اليها قبل غيرها .. لان دقة الحرف فيها قد
 وصلت الى مقري ، والعلم جاء منها الى حيث أقيم .. فما هذه السياحات
 الزائفة التى دفعت الى القيام بها ! فقلت له : زائفة ؟ ان رحلاتى ليست
 زائفة ! ليست هناك سفن على النهر لا تخص أمون ! وان البحر له ولبنان
 التى تزعم أنها بلادك .. له أيضا ! انها مزرعة لـ «أمون — أوسرخى»
 سيدة السفائن قاطبة ! حقا انه أمون رع ملك الآلهة ذلك الذى قال لمولاي
 حريحور «ابعث به» وهو الذى جعلنى أحضر بهذا الاله العظيم .. ولكن
 انظر الآن .. لقد جعلت هذا الاله العظيم يقضى تسعة وعشرين يوما

(١٨) يزعم زكار بعل أنه ما عليه الا أن يفتح فمه فتمطر كتلا من
 الاخشاب .

(١٩) سوتخ هنا هو اله الرعد ويبدو أن حجة الامير غير واضحة
 تماما ، وهى أن ونامون جاء غير مستعد تماما مما قد يعرضه للغرق فلا
 يملك أمون اذن الا أن يرعد - ويسلم زكار بعل بعد ذلك بأن أمون وهو
 الذى برز فى بلاده فى عالم الفن والعلوم وأنها انتشرت من هناك الى البلاد
 الاخرى ولكن أمون بعد أن أعطى ما أعطى ليس له هنا من جدوى .

ر اسيا في مينائك دون علمك ! أليس هو هنا ؟ أليس هو ما كان ؟ وأنت تقف
مناوما على لبنان مع ربها أمون ! وأما ما تقوله بصدد الملوك السابقين
الذين طلبوا الفضة والذهب ليؤتي بها اليهم فانهم لو رزقوا الحياة
والصحة لما جعلوا السلع يؤتي بها ! انهم بدلا من الحياة والصحة جعلوا
هذه الاشياء تيسر الى آبائك .. أما أمون رع ملك الآلهة فهو سيد هذه
الحياة والصحة و... كان سيديا لأبائك .. لقد قضوا حياتهم يقدمون
الترايين لأمون ، وأنت كذلك خادم لأمون .. ان قلت «نعم سأفعل ذلك
لأمون .. وتنتم هذه المهمة فانك ستعيش وستكون موفقا وستحيا في عافية
وستكون خيرا لكل بلادك وشعبك .. ولكن لا تستول شرها على متعلقات
أمون رع ذلك الآلهة .. حقا ان الاسد يجب مقتنياته .. مر كاتبك أن يأتي
الى حتى ارسله الى «نس بانب دد» و «ننت أمون» الحكام الذين منحهم
أمون شمال الارض . وسيرسلان لك كل ما تحتاج اليه وسأرسل لهم قائلًا :
«أرسلوها حتى أصل الى الجنوب وسأطلب ارسال كل ما أنا مدين به» ..
هكذا تحدث اليه .

ووضع خطابي في يد رسوله ثم وضعوا الخشب في قاع المراكب
والمقدمة والمؤخرة كذا أربع قطع اخرى .. ومجموعها سبع قطع وأمر
بارسالمها الى مصر . وذهب رسوله الى مصر وعاد الى سورية في الشهر
الاول من فصل الشتاء ، وأرسل معه «نس بانب دد» و «ننت أمون»
أربع جرار من الذهب وائاء «ككمن» من الذهب كذلك ثم خمس جرار من
الفضة وملابس من الكتان الملكي عدتها عشر قطع ، وعشر قطع نسيج من
كتان الصعيد الرقيق ، وخمسمائة حصير ، وخمسمائة قطعة من جلود
الثيران ، وخمسمائة جبل وعشرين زكية من المعدس وثلاثين سلة من
السماك ، كما أرسلت (٢٠) الى خمسة أغطية من كتان الصعيد الرقيق
وزككية عدس وخمس سلال سمك .. وفرح الامير وخصص ثلاثمائة رجل
وثلاثمائة ثور على رأسهم مشرفون لقطع الاخشاب وقطعوها وبقيت ملقاة
طيلة الشتاء . وفي الشهر الثالث من الصيف سحبت الى شاطئ البحر

(٢٠) قنن أمون من غير شك .

وجاء الامير وشهدها وأرسل في استدعائى وحسين جىء بى فى حضرته سقط ظل مروحة اللوتس الخاصة به على ، ولكن «بن أمون» ساقيه اقترب منى قائلا : «ان ظا فرعون ربك قد سقط عليك» (٢١) وغضب منه الامير وقال دعه وشأنه . وجىء بى فى حضرته وقال لى هالك ان المهمة التى أداها آبائى من قبل أديتها أنا كذلك ولكنك لم تقل لى شخصيا ما فعله أبائك ؟ . هالك ان آخر كتلة من الاخشاب قد جىء بها الآن وهى فى مكانها . . نفذ رغبتى لشحنها فانها لك حقا . . ولكن لا تأت لنشاهد أهوال البحر فان كان لك أن تشاهد أهوال البحر فلتشاهد أهوالى كذلك . . حقا اننى لم أفعل بك ما فعل برسلى «خج أم واسة» حين قضوا سبعة عشر عاما فى هذه الارض وماتوا فيها . وقال لسائيه : «خذ ليشهد قبورهم» ولكننى قلت له : لا تدعى أشهدا وأما بالنسبة لـ «خج أم واسة» (٢٢) فان من أرسلهم لك كانوا رجالا ، وهو نفسه كان رجلا . . وأنت ليس لديك الآن واحد من مبعوثيه حين تقول اذهب واشهد رفاقك ! ألا تسعد حين تفكر فى أن تصنع لك لوحة يسجل فيها : أمون رع ، ملك الآلهة ، ارسل الى مبعوثه أمون التطبيق مع مبعوثه البشرى «ون أمون» سميا وراء الاخشاب لأجل القارب العظيم أمون رع سيد الآلهة ، وقد قطعها وحملتها وزودتها بسفنى وبحارتى وجعلتها تصل الى مصر تلتمس لى من أمون خمسين عاما من الحياة فوق أجلى المحدود ! وسيحدث حين يأتى مبعوث من مصر ملثم بالكتابة ويقرأ اسمك على اللوحة التذكارية فسانك ستتلقى ماء فى الغرب مثل الآلهة الذين هناك ! وقال لى هذا حديث شهادة مذكرته لى فقلت له : أما من جهة الاشياء العديدة التى قلتها لى فاننى اذا وصلت الى مقر كاهن أمون الاكبر وشهدت ما قمت به فان ذلك سيعود عليك بالفائدة .

وذهبت الى شاطئ البحر حيث الاخشاب وشهدت احدى عشرة

-
- (٢١) تعبير ينم عن الالهانة من غير شك يعنى أن ونامون وفرعون كانا على السواء «تحت سحابة» .
- (٢٢) ربما رمسيس التاسع ، ومن المؤكد ملك ، وكان رد ونامون على هذه الحجة أنه حتى الملوك أنفسهم بشر ، أما هو ففى خدمة الاله .

سفينة قادمة وتنتسب الى زكار وهم يقولون «اسجنوه ولا تدعوا سفينته تتجه الى أرض مصر» فجلست وبكيت وجاعنى كاتب الخطاب لدى الامير وقال لى : «ماذا يحزنك ؟» فقلت له : ألت تشهد الطيور المهاجرة مرتين الى مصر ، انظر اليها كيف تأتى الى المياه الباردة ! حتى متى أترك هنا ؟ أو لست ترى من جاءوا ليقبضوا على مرة أخرى ؟ .. وذهب وأنهى نبأ ذلك للامير مما قيل له .. وكان أليما .. وأرسل لى كاتب خطاباته بقدهين من النبيذ ونعجة وجاعنى هذا كذلك بـ «تنتنة» وهى مغنية مصرية قال لها : غنى له ولا تدعى قلبه يمتلىء شجنا .. وأرسل الى يقول : كل واشرب ولا تقلق .. وتسمع غدا كل ما أقول لك .. وفى الصباح استدعى مجلسه ووقف فيه وقال للزكاريين : ما معنى رحلتكم هذه ؟ فأجابوه قائلين «جئنا ساعين وراء سفن المحارب التى جهزتها لمصر مع خصومنا فقال لهم « أنا لا أستطيع أن أسجن مبعوث أمون فى أرضى .. فلأطلقه ثم تسعون وراءه لسجنه» وأطلقنى الى ميناء البحر وسأقتنى الريح الى أرض الاشيا (٢٣)، وجاء الى القوم هناك ليمتثلونى ولكنى استطعت أن أشق طريقى فى وسطهم نحو «حاثيا» أميرة المدينة ، ولقيتها خارجة من احدى دورها الى دار أخرى ، وحييتها وقلت للواقفين من حولها : أليس بينكم من يفهم لغة مصر ، وقال أحدهم : أنا أفهمها ، فقلت قل لسيدتى حتى «نى» (اختصار نى ريسة ، أى المدينة الجنوبية = طيبة) والى حيث مقر أمون، اعتدت أن أسمع أن الظالم كائن فى كل مدينة ، ولكن العدالة تقوم فى أرض «الاشيا» ، أفهنالك ظلم يحيق هنا كل يوم ؟ فقالت ، ماذا تعنى بذلك ، فقلت لها : ان غضب البحر ، وسأقتنى الريح الى أرضك ، أفنسلمينى لأقتل ، رغم انى مبعوث أمون ؟ ، أما بالنسبة لى فسيبحثون عنى حتى نهاية الزمان ، وأما بالنسبة لبحارة أمير جبيل الذين يسعون وراء قتلهم ، أفسوف لا يجد مولاهم عشرة من ملاحيهم ويقتلهم مقابل ذلك ، وأمرت باستدعاء القوم وأصغوا اليها ، وقالت لى : اقض الليل ..

(٢٣) تعرف عادة بانها قبرص .

وأما البقية فمفقود ، ولابد أن «ون أمون» نجسح في العودة الى الوطن ، والا فانه لم يكن يقدر لتقريره أن يكتب» .

واذا ما أردنا مناقشة قصة «ون — أمون» هذه ، فلعل أول ما يلتفت النظر أنها تقدم لنا حوارا أدبيا ممتازا نرى ذلك واضحا حين تحل الكارثة الاولى بالكاهن «ون — أمون» ، ويسرق في مدينة «دور» ، فانه يقول لأميرها : «لقد سرقت في مينائك ، ولكن أنت أمير هذا البلد وأنه راعيه» ثم يصل الى قوم «ثيكر»^(٢٤) (زكار) ، فانهم يقولون : اسجنوه ولا تدعوا له سفينة تبحر الى أرض مصر» ، ويخرج «ون أمون» من المأزق الاول بأن يأخذ ثلاثين دبنا من المفضة رهينة حتى ترد اليه بضاعته ، وفي المأزق الثاني نراه يستخدم في الخروج أسلوبا عاطفيا ، اذ يقول : ألم تر الطيور المهاجرة الى مصر مرتين ، أنظر اليها كيف ترد المياه الباردة ، وحتى متى سأظل مهملا هنا ، وقد كان لحديثه أثر كبير . حتى نرى الامير يبكى متأثرا بما قيل له ، ... ومغنية مصرية ... بغية أن تسترضيه

هذا وتبدو حجة «ون — أمون» واضحة قوية ، وذلك حين يسأله أمير جبيل (بيلوس) عن تلك الرحلة الساذجة التي كلف بالقيام بها ، فيرد عليه بحجج قوية ، منها أنه لم يأت في رحلة ساذجة ، لان «أمون رع» ملك الآلهة وسيد الكون ، هو الذى أرسله — كما أرسل معه كذلك «تمثال أمون الطريق» ، ومن ثم فيجب على «بعل زكار» ألا يطالب بذهب أو فضة ، لان «أمون رع» يستطيع أن يكافأ بالحياة والصحة ، ومع ذلك فان أمير بيلوس يستطيع أن يرسل أحد رسله الى مصر ، فيدفعون له الدين ، وكان من نتيجة تلك المناقشات المفذة أن الامير المعنيد لم يوافق فقط على ارسال أحد رسله ليحصل على الثمن ، وانما أرسل كذلك سبع كتل من خشب الارز مقدما قبل الدفع ، كما يبدو ذكاء «ون — أمون» وقوة اقناعه في اقناع أمير بيلوس بأن يقدم لوحة يسجل فيها ما قام به نحو أمون ،

(٢٤) انظر عن الثيكر (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى في عصر رمسيس الثالث — الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٧٢ — ١٧٤) .

بل ودد استطاع «ون - أمون» أن يوضح للأمير جبيل مدة قوة سيده «د. يحدور» ومكانته ، يبدو ذلك واضحاً من أن أمير جبيل يقول له في أول حديثه : لست خادماً لمن أرسلك ؟ ، ثم هو في نهاية الحديث ، وبعد أن بين أنه خدوة عدم امداده بما يطلبه أمون ، فإذا به يمتنع بضرورة انجاز ما طلبه ويقول له : اذا ما وصلت الى المكان الذي فيه الكاهن الاكبر لأمون (يقصد حر يحدور) ، وياى أن طلبه قد أنجز فسوف نتال جزاء ما أديت» .

ثم تظهر له القصة مدى اهتمام المصريين بأعيادهم الوطنية - حتى في أرض الغربة - مما يدل على تمسكهم بالتقاليد حتى في السفر ، اذ يقول «ون - أمون» : احتفلت بعيد في فساط على شاطئ البحر في ميناء كبن . هذا فسلنا عن الاشارة الى عالمية أمون ، واعتراف أهل المشرق بسلطانها العالمي ، يقول أمير بيلوس (جبيل = كبن) على لسان «ون - أمون» : لقد أنشأ أمون كل البلاد ، بعد أن أنشأ أرض مصر من قبل ، ، وبدهي أن هذا انما هو اعتراف صريح من الاجانب بسلطان أمون ، فضلاً عن أسبقية مصر على غيرها من الارضين ، وأخيراً يشير النص الى قوة أمون ومدى سلطانه ، يقول ون أمون لأمير جبيل : ان البحر ملك لأمون ، وان لبنان التي تقول أنها ملك لك انما هي ملك لأمون ، ، ثم يقول : أمون سيد لنا ، وما أنت الا خادم لأمون» .

هذا ويظهر النص كذلك مكانته الثقافية والفنية ، ومن ثم نرى (زكار بعل) انما يوافق على أن أمون هو سيد الكون ، وخالق كل المدينيات ، وأن المدينية انما جاءت الى فينيقيا (لبنان) من مصر ، وأن أمون قد أسدى الخير لكل البلاد ، ومن قبل أسداه الى مصر التي أتيت منها ، لقد أتت المغنون منها الى مكاني ، لقد أتت الحكمة منها الى مكاني (بلاده) ، كما توضح القصة العلاقات التجارية بين مصر ودول الشرق الادنى القديم ، ذاك أن أمير بيلوس انما يخبر «ون - أمون» انه توجد في مينائه عشرين سفينة تقوم بربط العلاقات التجارية مع «سمندس» (نسي بانب دد) ، ثم كان في مصر ممثلون تجاريون ، اذ أن هناك خمسين سفينة تعمل مع «كاكن» - وهو اسم أحد الفينيقيين الذين كانوا يقيمون في «تانيس»

ويعملون في التجارة وشحن وتفريغ السفن ، ثم هناك سجلات كانت عند أمير بيبيلوس خاصة بعمليات الاستيراد ، أما عن المنتجات التي كانت تصدر من مصر ، فقد عددها «(ون أمون)» ، ونستنتج منها أن مصر كانت تتمتع بمحاصيل مختلفة ، يمكن تصديرها الى الخارج ، وعلى رأسها المواد الغذائية (٢٥) .

ولكن القصة — من ناحية أخرى ، انما تدل على مدى انهيار النفوذ المصرى في غربى آسيا ، فلقد ائتهى الوقت الذى كان يسجد فيه أمراء غربى آسيا أمام ملك مصر ، ويمرغون جباههم في التراب ، طالبين منه أن يمنحهم نسيم الحياة ، وانتهت أيضا تلك الايام التى كان فيها سكان تلك البلاد يبادرون لتلبية أية اشارة تأتى من مصر ، فقد كانت آخر أيام عهد فلسطين بمصر وفينيقييا بالنفوذ المصرى ، أيام أن كانت جيوش رعمسيس الثالث (١١٨٢ — ١١٥١ ق م) تجول خلال الديار الشامية وتحميها من اذلال شعوب البحر لها ، وحبهم لنهب أموالهم وسفك دمائهم ، وهانحن الآن في أخريات أيام الاسرة العشرين (١١٨٤ — ١٠٨٧ ق م) ولم تكن تمضى سبعون عاما على وفاة رعمسيس الثالث ، حتى نرى مبعوث مصر عرضة للسخرية ، بل ولسرقة أمواله وأمتعته ، فاذا ما أشار الى حق مصر ، وحق أمون ، لم يجد الا ابتسامة الاستهزاء من حاكم جبيل ، الذى رفض مساعدته ، بعد أن نهبه اللصوص ، وأخذوا الاشياء التى كانت معه ، والتى جاء بها من مصر ليقدمها ثمنا للاخشاب التى كان يود الحصول عليها .

وفي الواقع أن القصة رائعة ، ما في ذلك من ريب ، فقد صورت لنا حالة البلاد السياسية والاجتماعية والتجارية ، فهي مرآة لذلك العصر وما فيه من أحداث في الداخل والخارج ، وبالاختصار فهي تصور مدى ضعف فرعون مصر «رعمسيس الحادى عشر» (١١١٤ — ١٠٨٧ ق م) ، وانقسام سلطاته بين حريحور في طيبة وسمندس في تانيس ، كما أنها توضح الى أى مدى أصيب النفوذ المصرى في الخارج ، وضياع

(٢٥) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٧٩٧ — ٧٩٨ .

الامبراطورية المصرية التي أقامها التحامسة ، وجهد الرعامسة في الحفاظ عليها •

وإذا ما أردنا شيئاً من الايضاح لهذه الظروف التي كتب على الكنانة أن تمر بها في هذه الايام النكدية ، فيمكن القول أن السلطات في مصر كانت في أخريات أيام رمسيس الحادى عشر وقد قسمت بين « حريحور » و « نسي بانب دد » (سمندس) ، وأن رمسيس الحادى عشر كان قد استقر غالباً في « منف » ، حيث بقى هناك الى وفاة حريحور ، ثم عاد الى طيبة حيث استرجع بعض سلطته ، وإن كان هناك من يرى أن « نسي بانب دد » قد طرد الفرعون من عاصمته في الدلتا ، وبسط نفوذه عليها بأكملها ، فهرب رمسيس الحادى عشر الى عاصمته الدينية « طيبة » (الاقصر) وذلك في السنة الخامسة من الحكم (حوالى عام ١١٠٩ ق م) وتعاون هناك مع رئيس الكهنة على بسط نفوذه على الصعيد والنوبة ، بينما رجع فريق ثالث فرار رمسيس الحادى عشر من الشمال ، واغتصاب حريحور العرش ، اعتماداً على أن زوجته من أصل ملكي (٢٦) •

وأما من الناحية الخارجية ، فليس هناك من دليل واضح على أن مصر قد احتفظت بسلطانها كاملاً على فلسطين وسورية ، بعد وفاة رمسيس الثالث ، صحيح أنه قد عثر على جعارين لرمسيس الرابع (١١٥١ — ١١٤٥ ق م) في تل المصافي وتل زكريا وتل جازر ، ولرمسيس السادس (١١٤١ — ١١٣٤ ق م) في تل أسانة بسورية ولكنه صحيح كذلك أن وجود مثل هذه الاشياء الصغيرة لا تدل على معان قوية لها من قيمة من ناحية سلطان مصر في غربى آسيا ، ونفس الشيء يمكن أن يقال على وجود قاعدات تمثل من البرونز لرمسيس السادس في « مجدو » ويبدو أن فلسطين (خارو) ظلت تابعة لمصر لفترة من الوقت بعد عهد رمسيس الثالث ، ولكن الفراعين لم يتمكنوا من منع « البليست » (الفلسطينيين

(٢٦) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٤٤ — ٣٤٦ ، وكذا J. Cerny, Hrihor, and Ramesses, XI, in The Cambridge Ancient History, Vol, II, Part, 2B,, Cambridge, 1975, p. 635-643.

الهندو — أوربيين) الذين تسمت البلاد باسمهم ، من احتلال المدن الساحلية لأرض كنعان ، كما تمكن «الثيكر» (زكار) من تكوين دويلة صغيرة في نلاحية «دور» جنوبى الكرمل •

وعلى أى حال ، فان الامور قد تغيرت فى آسيا بالنسبة لمصر ، وحتى رأينا حاكم جبيل (ببيلوس) يعقل رسلا مصريين فى عهد رعمسيس التاسع مدى سبعة عشر عاما ، دون أن يسمح لهم بالعودة الى مصر ، وان يغير وجود قطعة من آثار رعمسيس التاسع فى جازر ، حقيقة أن العلاقات بين مصر ومستعمراتها الاسيوية شديدة الضعف ، بل ليس هناك من دليل على وجود فعلى لهذه المستعمرات فى تلك الفترة ، نرى ذلك واضحا فى «الرحلة ون — أمون» موضوع الدراسة ، والذي ذهب ، كما رأينا ، مبعوثا عن كهنة آمون لشراء خشب الارز من ببيلوس فى عهد رعمسيس الحادى عشر ، ولم ينجز مهمته الا بعد مساومات مهيئة مع أمير ببيلوس ، وهكذا تقدم لنا قصة «ون — أمون» دليلا على اضمحلال النفوذ المصرى فى غربى آسيا ، بل على سرعة التدهور الداخلى بعد موت رعمسيس الثالث ، مما يدل على ضياع النفوذ المصرى فى سورية وفينيقيا أما نفوذ مصر فى فلسطين فقد كان سوريا تتناقله السنة حاشية فرعون فى البلاط الملكى المصرى (٢٧) •

PM, VII, p. 381.

J. Cerny, Op-Cit, p. 614-615.

A. Gardiner, T. Peet and J. Cerny, Op-Cit, II, 1952, p. 192.

٨ - قصة الامير المقدور عليه

كتبت قصة هذا الامير المقدور عليه ، أو الامير الذي تلاحقه يد المقدر ، على بردية هاريس رقم ٥٠٠ والمحفوظة الآن بالمتحف البريطاني ، وترجع الى أيام الدولة الحديثة — عصر الأسرة التاسعة عشرة ، وقد تهشمت نهايتها ، وأما أسلوبها فيشبه أسلوب «قصة الاخوين» ، والتكرار في عباراتها واضح ، شأن قصص الدولة الحديثة ، وعلى أية حال . فهي قصة خرافية ، وإذا حذفنا منها التمساح وغيرنا الاسماء كانت أشبه بقصصنا الخرافية الحديثة .

هذا وقد اهتم بنشر القصة كل من « بديج »^(١) و « مولر »^(٢) و « جاردنر »^(٣) ، كما قام بترجمتها والتعليق عليها كثير من علماء المصريين من أمثال بييت^(٤) وجريفت^(٥) وماسبيرو^(٦) ولوفيفر^(٧) وسكوت^(٨) وبرونر — تروت^(٩) ، ووينتي^(١٠) ونسبيجلبرج^(١١) ، وارمان^(١٢) وبيير^(١٣) وهرمان^(١٤) وبوزنر^(١٥) وغيرهم^(١٦) . هذا فضلا عن عدة ترجمات

-
- | | |
|---|------|
| E. A. W. Budge, Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in The British Museum Second Series, London, 1923, Pls. 48-52. | (١) |
| G. Moller, Lesestucke, II, 1961, p. 21-24. | (٢) |
| A. H. Gardiner, LES, 1932, p. 1-9. | (٣) |
| T. E. Peet, in JEA, 11, 1925, p. 227-229. | (٤) |
| F. L. Griffith, in The World's Best Literature, p. 52 F. | (٥) |
| G. Maspero, Popular Stories of Ancient Egypt, p. 185-186 | (٦) |
| G. Lefebvre, Op-Cit, p. 114-124. | (٧) |
| S. Schott, Op-Cit, p. 188-192. | (٨) |
| E. Brunner-Traut, Op-Cit, p. 24-28. | (٩) |
| E. F. Wente, Op-Cit, p. 85-91. | (١٠) |
| W. Spiegelberg, ZAS, 64, 1929, p. 86-87. | (١١) |
| A. Erman, LAE, 1927, p. 161-165, and The Ancient Egyptians, p. XXXII. | (١٢) |
| M. Pieper, ZAS, 70, 1934, p. 95-97. | (١٣) |
| A. Hermann, in Melanges Maspero, I, p. 313-325. | (١٤) |
| G. Posener, JEA, 39, 1953, p. 107. | (١٥) |
| J. Cerny, in ASAE, 41, 1942, p. 336-338. | (١٦) |
| Girgis Mattha, ASAE, 51, 1951, p. 269-272. | وكذا |

عربية للقصة ، كليا أو جزئيا (١٧) *

وتتلخص القصة في أن أحد ملوك مصر لم يرزق بولد ، فابتهل الى الله أن يرزقه صبيا ، فأجاب الاله سؤله بعد أمة . ولكن قدر على الصبي أن يموت بحادث من حوادث ثلاثة ، يكره الناس أن تصيهم ، فاما أن يبتلعه تمساح ، واما أن تنهشه حية ، واما أن يعضه كلب ، وكان أبوه يعرف ذلك ويشفق من وقوعه ، فاحتاط للامر ما وسعته الحيلة ، حتى أنه بنى لولده هذا قصرا في الصحراء ليكون بعيدا عن أعدائه ، ولما بلغ الصبي أشده سعد ذات يوم على سطح القصر فلمح كلبا يسير وراء رجلا ، وطلب أن يأتوا له بواحد مثله ، وظل حزيننا حتى سمح له أبوه بأن يحضروا له كلبا صغيرا *

وشب الصبي وأصبح رجلا ، وأراد الخروج يضرب في أرض الله حيث يشاء ، وانتهى به المطاف الى وادى النهرين ، في نهاريينا ، وعليها يرمئ ملك له بنت جميلة أقسم ألا يزوجها إلا لمن يمهريها بضرب من ضروب البطولة ، وذلك أن يقفز طالب يدها الى شرفة قصرها التي ارتفعت عن الأرض ستة وخمسين ذراعا ، واستعصى أمر ذلك على جميع الدين طلبوها من أبناء الملوك والأمراء من أبناء الشرق ، الا على ذلك الأمير المصرى ، ولما وصل الخبر الى أبيها الملك سال عنه ، فقيل له : أنه ضابط مصرى ، هرب من وجه زوجة أبيه ، فاستولى الغضب على زعيم نهريين وقال : وهل يظن ذلك الهارب من مصر أنى سآزوجه ابنتى ، لأبد أن يرحل في الحال ، فذهبوا ليخبروا الأمير بذلك قائلين : عليك أن ترحل الى حيث كنت ، ولكن الفتاة أمسكت به وأقسمت بالاله قائلة : أقسم بالاله «رع حار أختى» بأننى سأمتنع عن الاكل ، وسأمتنع عن الشرب ، حتى أموت اذا انتزعوه منى ، وذهب رسول يخبر الاب بما قالت ابنته ، فأرسل الاب رجالا ليقتلوه ، ولكن الفتاة قالت لهم : أقسم بالاله رع بأنهم اذا قتلوه

(١٧) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٢٧ - ٩٢٨ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٠٠ - ١٠٥ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠٤ - ٥٠٥ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٧٨ - ١٨٧ *

لاكونن في عداد الاموات عند غروب الشمس ، فأنا لا أطيق أن أظل على قيد الحياة لحظة واحدة بعده ، فذهب الرسول ليخبر الاب بما قالت ابنته فلم يجد الاب مفرا بعد ذلك من أن يوافق على الزواج ، فأحضر الشاب وابنته أمامه وأظهر لهما احترامه وتقديره ، وقبل الشاب وضمه الى صدره ثم قال له : أخبرنى بحالك ، لانك أصبحت بمثابة ابن لى ، فأجاب الشاب : أنا ابن ضابط مصرى ، ماتت أمى واتخذ أبى زوجة أخرى ، أخذت تسومنى سوء العذاب ، حتى لم أعد أستطيع العيش معها فى بيت واحد ، فهربت من وجهها ، وبعد أن استمع الملك له أعطاه ابنته زوجة له ، ومنحه منزلا وحقولا وقطعانا من الاغنام وكل ما كان يشتهى» •

وهكذا تزوج الامير المصرى بأميرة نهرين ، التى أحبته وأخلصت له ومن ثم فقد كشف الامير المصرى لزوجته عن سوء مصيره الذى خط له فى لوح القدر ، وأنه سيموت عن طريق تمساح أو حية أو كلب ، فطلبت منه زوجته أن يقتل الكلب الذى معه فأبى ، وسهرت الاميرة على حياة زوجها، وبذلت فى سبيل ذلك كل ما استطاعت ، ولكن الحذر لا يغنى من وقوع القدر ، فمات الامير من عضة كلب •

وتشير وقائع القصة بعدئذ الى أثر الصلة بين مصر وبلاد الشرق يومئذ ، فالامير المصبي قد لقي فى البادية أناسا يفهمون عنه ، ويتكلمون بلسان مصر ، وليس هذا بغريب ، فقد كان مما يعاب عند الكتاب المصريين وقت ذاك أن يجهل أحدهم طرق السفر أو لغة التخاطب مع جيرانه،ونقرأ فى ورقة انستاسى الاولى عن كاتب يلوم زميله ويعيره بأنه لا يعرف الطريق الذى يخترقه الى سورية ، وفى القصة أيضا ما يصور آمال الوالد ولهفته حين ينتظر الولد ، وقد طال شوقه اليه ، ثم هلهع واشفاقه حين تصدته النفس بما يمكن أن يصيب الولد من مكروه ، وتصور حياة الفروسية التى كان يحياها امراء الشرق فى ذلك الوقت ، فهم لا يطمعون كثيرا فى المال وانما تستهويهم البطولة ، فيجدون أصحابها ، وينتظرون منهم أن يأتوا بكل معجز من الامر ، وأخيرا فان القصة انما تصور كذلك أخلاق الامير وزوجه ، فالامير يعرف نوع الميثة التى تنتظره على يدي

تمساح أو كلب ، ومع ذلك تأبى أخلاقه ويأبى وفاؤه أن يقتل الكلب لما عرض عليه ذلك ، حرصاً على حياته ، حتى بعد أن أعدم التمساح والثعبان لأن الكلب قد تربى في ظله فلم ير من الشبهة أن يزهق روحه ، وقد أظلهما سقف واحد ، والزوجة تمثل الاخلاص النقي الطاهر ، فما هي تسهر على حماية زوجها ، وتحرص على حياته ، وتنتظر رحمة ربه ، في الوقت الذي أسلم نفسه لمصيره المحتوم ، وطبقاً لما جاء في القصة ، فالزوجة هي التي قتلت الثعبان الذي كان يتربص به النون ، وهي التي أشارت عليه بقتل الكلب فأبى ، وهي التي كانت تبعث فيه الامل فتقول : ان ربك قد خلصك من أحد أعدائك ، وسينجيك من الآخرين .

وبدهى أن من يرى هذا الموقف الطاهر النبيل الذي وقفته هذه الزوجة من زوجها، ويقرنه بموقف الخسة الذي وقفته الزوجة مع زوجها «باتا» في قصة الاخوين ليأخذ المعجب من الاختلاف الكبير بين الموقفين، تبعاً لاختلاف المعدنين ، فالناس دون شك معادن ، ولا يبعد أن يكون كاتب هذه القصة هو نفسه كاتب قصة الاخوين ، وقد صور لنا النقيضين ليرينا أن المرأة لا تكون دائماً شراً ، ولا تكون دائماً خيراً ، بل انه اذا صفا جوهرها كانت مخلصة شديدة الاخلاص ، واذا خبت معدنها كانت خائنة ، بل فاجرة في الخيانة ، وأن الطبائع البشرية تختلف باختلاف الانسان وأصله (١٨) .

(١٨) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٢٧ - ٩٢٨ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٠٠ - ١٠٥ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٠٩ . جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٨٢ - ١٨٧ وكذا

G. Mattha, Op-Cit, p. 269-272.

A. Erman, Op-Cit, p. 161-165.

E. F. Wente, Op-Cit, p. 85-91.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 117-124.

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 1-9.

G. Posener, Op-Cit, p. 107.

Mirian Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1976, p. 200-203.

الفصل الرابع

أدب الاناشيد

كان للدين أثر كبير في مصر القديمة ، وقد أدى ذلك — في موضوعنا — الى وجود الكثير من الاناشيد التي كان القوم يرددونها في المناسبات الدينية المختلفة ، والتي وجدت مسطرة على بعض المقابر والاهرامات ، فضلا عن نصوص التوابيت في الدولة الوسطى ، وكتاب الموتى فيما أتى بعد ذلك من عصور ، الى جانب العديد من الاناشيد التي قيلت في مدح المعبودات المختلفة ، وسوف نكتفى هنا ببعض الاناشيد التي قيلت في آمون وآتون •

أولا : من أناشيد آمون

كان «أمون رع» في عصر الدولة الحديثة هو اله الامبراطورية المصرية التي تكونت تحت لوائه ، وسيد الآلهة طرا ، ومن ثم فقد نسب اليه أنصاره كل ما يليق به ، فأعطوه المصفة العالمية ، وردوا اليه ربوبية النساء الاولى ، كما ردوا اليه ربوبية النساء الاخيرة ، واعتبروه ربا للوجود ، ذلك أن «أمون»^(١) انما قد أصبح — طبقا لتعاليم مدرسة طيبة ، التي تأثرت بمدرسة الاشمونين^(٢) — هو الاله الذى خلق بقية التساوع — مع أنه أحد الآلهة الثمانية في الاصل — •

ولما ابتغى شعراء القوم أن يمجّدوه نسبوا اليه صفات الاله «مونتو»^(٣) — اله الحرب القديم — ونعوت الاله «تحتو»^(٤) — رب الدولة وحامى عرشها القديم ، ونسبوا اليه سيطرة وهيمنة على ما امتدت

(١) أنظر عن «أمون» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية ٣٠٧/٢ - ٣١٣ - الاسكندرية ١٩٨٤) •

(٢) أنظر عن نظريات المدارس المصرية (عين شمس والاشمونين وطيبة) عن فكرة الخلق في مصر القديمة (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٦٥) •

(٣) أنظر عن «مونتو» (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٢١ - ٣٢٢) •

(٤) أنظر عن «تحتو» (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣١٣ - ٣١٥) •

اليه آفاقهم السياسية والحضارية من اقطار العالم القديم^(٥) ، ومن ثم فقد وصف بأنه : «سيد بلاد المدجا ، وحاكم بونت ، أتوم الذى خلق البشر ، ونوع هياتهم ، وصنع حياتهم ، وفرق ألوانهم ، جميل الوجه . الذى جاء من أرخس الاله فى الشرق لك ابتهالات كل بلد أجنبى . حتى عنان السماء ، وإلى آخر الارض ، وإلى أعماق البحر الأخضر الكبير . . . الواحد المنفرد ، الذى لم يكن له كفؤا احدا . . الذى يعيش على الحق كل يوم»^(٦) .

وهناك من عهد الملك «أمنحوب الثانى» (١٤٣٦ - ١٤١٣ ق م) بردية محفوظة فى المتحف المصرى وتحتوى على «نشيد أمون رع الكبرى» ، وعنوانها : «تحية أمون رع ، ثورايون ، سيد جميع الآلهة ، الاله الطيب المحبوب ، الذى يعطى الحياة لكل من تدب فيه ، ولكل كائن صالح» ، وقد جاء فى المقطوعة الاولى منها :

«الحمد لك ، يا أمون رع ، يارب الكرنك ، المسيطر فى طيبة ، ثور أمه ، والاول فى حقله ، واسع الخطى سيد التصعيد ، ورب أرض الماتوى (قوم فى بلاد النوبة) وأمير بونت ، أكبر من فى السماء ، وأسن من فى الارض ، رب الكائنات ، حفاظ كل شىء ، وبناق فى كل شىء ، الوحيد فى طبيعته . . . بين الآلهة ، ثور تاسوع الآلهة ، كبير كل المعبودات ، رب الحق ، والد الآلهة ، الذى برأ البشر ، وخلق الحيوانات ، رب كل ما هو كائن ، الذى ينبت الفاكهة فى الشجر ، وينشئ الأعشاب الخضراء للماشية» .

«وهو الصورة البهية التى خلقها بتاح ، جميل الطلعة ، الولد المحبوب الذى تمتدحه الآلهة ، هو الذى صنع ما على الارض ، وخلق ما فى السماء ، هو الذى يضىء الارضين (مصر العليا ومصر السفلى) ويخترق السماء

(٥) عبد العزيز صالح : الوجدانية فى مصر القديمة - المجلة - العدد ٣١ - القاهرة ١٩٥٩ ص ١٤ .

(٦) J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 211.

وكذا A. Erman, The Literature of Ancient Egyptians, London, 1927, p. 283.

في سلام ، ملك مصر العليا (الصعيد) ومصر السفلى (الدلتا) ، رع
المبجل ، زعيم الارضين ، عظيم القوة ، رب المقدرة ، صاحب الامر ، الذي
برأ الارض قاطبة ، أقوى من كل اله آخر ، الذي تبتهج الآلهة بجماله ،
الذي يقدم له الحمد في البيت العظيم (هيكل في نخن = البصيلية) ،
المتوج في بيت النار (هيكل في بوتو = ابطو) ، الذي تحب الالهة رائحته
الطيبة ، عندما يأتي من بونت » ، الذي تتضوع رائحته عندما يأتي من
أرض الماتوى ، جميل الحيا عندما يأتي من أرض الاله » * « وهو الذي
يسجد الالهة عند قدميه ، عندما يعلمون أن جلالته ، هو سيدهم ، رب
الخوف والرهبة ، ذو الارادة القوية ، والطلعة البهية ، من كثرت لديه
الاقوات ، الذي يخلق ما يعيش عليه الناس ، الابتهاال لك يا من خلقت
الآلهة ، ورفعت السماء ، وبسطت الارض » (٧) *

وهناك أنشودة أخرى من عصر «أمنحتب الثالث» (١٤٠٥ - ١٣٦٧
ق.م) ، كتبها شقيقان توأمان - هما سووتى وحوور - كانا يعملان مهندسين
معماريين في طيبة ، الواحد في طيبة الشرقية ، والاخر في طيبة الغربية ،
ويتعبدان فيها للاله آمون ، وقد جاء فيها :

«لك الحمد يا شمس كل نهار ، يا من تشرق في غير فتور في كل صباح ،
أنت «خبرى» الذي يجهد نفسه في العمل ، يفوق جمال أشمعتك بريق
الذهب الوهاج ، أنت «بتاح» صانع مصور لنفسك بنفسك ، أنت من تفرد
بذاته وصفاته ، مخترق الابدية ، ومرشد الملايين الى سواء السبيل ،
يراك الخلق عندما تذرع في السماء ، ولا يدركون كيف مسيرك ، أنك
تذرع الكون بغير قيد ، ونهار الناس من تحتك ، فإذا ما استويت في غرب
الدنيا ، دانت لك ساعات الليل ، وإذا ما طويتها استقبل الكون نورك ،
وسعى الخلق في الدنيا بأمرك » *

(٧) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤١٥ - ٤١٧ ، سليم حسن :
الادب المصرى القديم - الجزء الثانى - القاهرة ١٩٤٥ ص ٩٤ - ١٠٠ ،
A. Erman, Op-Cit, p. 282-288.
G. Roeder, Urkunden Zur Religion des alten Agyptens, p. 4F.
A. Scharff, Ag. Sonnenbeder, p. 61 F.

«ذلك المجد يا أتون النهار ، يا خالق الخلق ورازقهم ، أنت أيها الصقر الكبير ، ذو الريش المختلف الالوان ، الذى ولدت لتنشئ نفسك ، الذى جئت من نفسك بنفسك دون أن تولد ، أى حور المسن فى وسط آلهة السماء ، ذلك الذى تصعد نحوه البهجة فى شروقه وغروبه معا ، يا خالق ما تنتجه الارض ، أنت خنوم امون البشر ، الذى تملك القطرين من أكبر الاشياء الى أصغرها» •

«أنت أم نافعة للآلهة والبشر ، أنت الخالق الطيب الذى يتعب نفسه من أجل مخلوقاته ، راع شجاع يسوق ماشيته ، وهو ملاذها ومدبر حياتها الرب الاوحد الذى يصل الى أطراف الكون كل يوم ، يزعى كل ما فيه من دابة ، أنت يا من تشرق فى السماء ، يا من ينير العالمين بكوكبه ، مبدع الفصول والأهله ، فالحرارة عندما تريد والبرد عندما تشاء ، أنت يامن يطوى الاعضاء ويحتضنها ، كل بلد يتوسل اليه عند طلوعه ، ليسبح بحمده» (٨) •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن الاخوين — سوتى حور — انما يصفان الله الشمس — والذى أخذ أمون رع صفاته — بصفات ذات علاقة بعصر الثورة الاجتماعية الاولى ، ومن ذلك وصف الاخوين لأمون فى صورة الله الشمس بأنه «راع شجاع يسوق ماشيته ، وهو ملاذها ومدبر حياتها» ، وهو وصف يرجع بنا الى عصر النصائح التى وجهت الى الملك الامناسى «مرى كارع» ، حيث وصف الناس هناك

(٨) أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ١٢٣ - ١٢٤ ، أحمد بدوى : فى موكب الشمس ٨٠٥/٢ ، وكذا

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 275-276.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 217. وكذا

F. Dumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, p. 315. وكذا

BIFAO, XLI, p. 25 F. وكذا

J. A. Wilson, Op-Cit, p. 211. وكذا

بأنهم «رعايا الاله» (قطعان الاله)^(٩) ، كما يرجع بنا مرة أخرى الى نفس العصر ، حيث نرى في «تحذيرات الحكيم ايبو — ور» وصف الاله بأنه «راع للناس كافة»^(١٠) .

والامر كذلك بالنسبة الى ذلك النعت الخطير ، الذى يصف اله الشمس بأنه «أم نافعة للالهة والبشر» ، ذلك لانه يحمل بين ثناياه فكرة مشابهة تشعر بالاهتمام بنى البشر ، أى أن النواحي الانسانية فى سلطان اله الشمس ، الذى اشترك فى ايجادها بوجه خاص رجال الفكر فى عصر الثورة الاجتماعية الاولى لم يختلف بين العوامل السياسية القوية لذلك المتسلط العالمى الجديد^(١١) .

ثانيا : من أناشيد اخناتون لاله اتون

١ - الانشودة الصغرى :

ليس هناك مقابر فى مصر أكثر ازدحاما بالنصوص المنقوشة من مقابر العمارنة ، التى كان أصحابها من أشرف البلاط الاخناتونى مولعين بأن يرسموا فوق جدرانها ما كانت عليه علاقاتهم مع مليكهم ، ومن ثم فإن كثيرا ما كانوا يشيرون الى ذلك المذهب الجديد ، بفقرات وجمل كانت شائعة الاستعمال وقت ذاك ، أصبحت فى نهاية الامر تكون مجمل مذهب اخناتون ، كما فهمه الكتاب والرسامون الذين قاموا بزخرفة تلك المقابر .
ومن هنا فقد كان علينا ألا ننسى أبدا ، أن البقية المباقية من مذهب

(٩) يقول النص : «البشر رعايا الاله ، خلق السماء والارض وفق رغبتهم ، وأجرى المياه دافقة لهم ، وخلق الهواء لتحيا به أنوفهم ، وهم الصورة التى خرجت من أعضائه ، وهو يرتفع فى السماء ليلبى رغبتهم ، وخلق العشب والماشية والطيور والاسماك ليقتاتوا بها ، وهو الذى ذبح أعدائهم ودمر أطفالهم ، بسبب مادبروه حينما قاموا بالعصيان ، ويشعر بالفجر حسب رغبتهم ، ويعبر السماء ليأراهم ، ويسمعهم حين يكون ، ويعمل لهم حكاما فى البيضة (أى تعهدهم منذ صغرهم) ليكونوا سندا لظهور ضعائهم» (أنظر

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 417.

A. H. Gardiner, in JEA, I, 1914, p. 34.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 167. (١٠)

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., 1939, p. 277. (١١)

آتون — والتي وصلت إلينا عن طريق جبانة العاصمة أخيتاتون — انما قد مرت بشكل آلى بأيدي فئة قليلة من الكهنة المهملين غير المدققين ، ذوى العقول الخاوية الفاترة ، ممن لم يخرجوا عن كونهم أذنا لحركة عقلية دينية عظيمة (١٣) .

وليس هناك من شك فى أنه — ماعدا الانشودة الكبرى ، التى وجدت منقوشة على مقبرة «آى» (الملك آى فيما بعد) — فان الرسامين انما كانوا قانعين فى غالب الامر ، بالقطع والنتف التى نقلت فى بعض الاحايين من الانشودة الكبرى نفسها ، أو من قطع أخرى ، ويضعونها مرتفعة فى هيئة أنشودة صغرى ، أصبحت الآن ذات قيمة علمية كبرى بسبب ضالة معلوماتنا عن دعوة اخناتون .

وعلى أى حال ، فلقد عزيت تلك الانشودة فى أربع حالات الى الملك نفسه ، أى أن الملك يشاهد ، وهو ينشدها أمام آتون ، وهاك نصها :

«أنت تشرق فى بهاء أفق السماء ، أى آتون الحى ، أنت متلاذذ وقوى وجميل ، وحبك عظيم وكبير ، أشعته تمتد بالبصر كل واحد من مخلوقاتك ، ولونك الملهب يجلب الحياة الى قلوب البشر ، عندها تملأ بحبك الارضين ، ايه أيها الاله الذى سوى نفسه بنفسه ، خالق كل أرض ، وبارىء كل من عليها وما عليها ، ان الناس وقطعان الماشية والغزلان والاشجار التى تنمو فوق البرية انما تحيا جميعا عندما تشرق عليهم» .

«أنت أب وأم لكل من خلقت ، عندما تشرق فان عيونهم ترى بواسطتك ، أن أشعته تضىء العالم كله ، وعندما تشرق ينشرح كل قلب لانك سيدهم ، وعندما تغرب فى أفق السماء الغربى ، لانهم ينامون وكأنهم أموات ، يلفون رؤوسهم بالغطاء ، وتقف أنوفهم عن العطس ، حتى يعود شروقك فى الصباح فى أفق السماء الشرقى ، فيرفعون أذرعهم اليك تعبدا» .

J. N. Breasted, The Dawn of Conscience New York, London, (١٢)
1939, p. 287.

وانظر محمد بيومى مهران : (اخناتون ص ٣٥٩ — ٤٦٢) .

«أنت تجعل قلوب البشر تحيا بجمالك ، لان الناس تحيا عندما ترسل أشعتك ، ويكون الكون كله في عيد ، لان الغناء والوسيقى وتهليل الفرح ، انما يكون في بيت «بن بن» في معبدك في أخيتاتون ، مكان الصدق الحائز على رضاك ، حيث يقدم لك الطعام والمؤونة ، ويؤدى لك الطاهر احتفالاتك السارة» •

«يا آتون الحى في مواكبه البهيجه ، كل ما خلقت يطرب أمامك ، ويفرح ابنك الجليل ، وقابه مفعم بالسرور ، يا آتون الحى ، المولود كل يوم في السماء انه يلد ولده الجليل «وع ان رع» مثل نفسه تماما ، ابن رع ، المرتدى جماله ، «نفر ، خبرو ، رع ، وع ان رع» •

«أنا ابنك الذى تسر به ، والذى يحمل اسمك ، ان قوتك وبطشك انما يسكنان في قلبي ، أنت يا آتون الحى دائما وأبدا ، خلقت السماء العليا لتشرق فيها ، وتشاهد كل ما صنعت عندما كنت وحيدا (ولا شئ غيرك) ، آلاف الآف من الانفس ، موجودة فيك لتحفظها حية ، لان مشاهدة أشعتك هي نفس الحياة الاخرى في الانوف» •

«ان جميع الازهار تحيا ، وكل ما تنبت الارض ينمو ، لانيك تشرق عليهم ، كل المائسبة تطفر على أقدامها ، والطيور تخرج من أعشاشها فتطير فرحا ، وأجنحتها التى كانت مطوية تنتشر ، متعبدة لآتون الحى ، أنت يا خالق (١٣)» •

٢ - النشيد الكبير :

عثر على هذا النشيد في عام ١٨٨٣م في مقبرة «آي» (الملك آي فيما

(١٣) سليم حسن : المرجع السابق ص ٣١٠ - ٣١٣ ، محمد عبد اللطيف : فكرة الخلق في مصر القديمة ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، وكذا Norman de Garis Davies, the Rock tombs of El-Amarna Vol. I, London 1903, p. 49-50. Vol., IV, London, 1906, p. 28-29, Vol, VI, London 1908, Pl. XV.

M. Sandman, Texts from the Time of Akhenaton, Brussels, 1938, p. 15 F.

بعد ١٣٣٩ — ١٣٣٥ ق.م) ، وهى المقبرة رقم (٢٥) فى جبانة العمارنة^(١٤) وقد كان صاحبها «آى» واحدا من رجالات الدين الجديد ومن أشد المحمسين له على أيام «اخناتون» ، وقد لقى هذا النشيد الكبير اهتماما كبيرا من جانب العلماء المحدثين ، لانه يمثل النص الكامل ، الذى امكن العثور عليه حتى الآن ، لأنشودة اخناتون التى كانت دون شك من عمل اخناتون نفسه ، ومن ثم فهو يعتبر مصدرا أساسيا لذلك المعتقد الجديد .

ولعل هذا كله ، انما كان السبب فى أن علماء الايجبتولوجى — المصريين منهم والاجانب — قاموا بترجمته من النص المصرى الاصلى الى اللغة العربية ، فضلا عن كثير من اللغات الاوربية الحديثة ، ولعل من أشهر من قام بترجمة هذا النص من العلماء المصريين انما كانوا أساتذتنا الاجلاء : الدكتور سليم حسن^(١٥) ، والدكتور أحمد فخرى^(١٦) ، والدكتور عبد المنعم أبو بكر^(١٧) — طيب الله ثراهم — والدكتور أحمد بدوى^(١٨) ، والدكتور نجيب ميخائيل^(١٩) ، والدكتور رشيد الناصورى^(٢٠) ، والدكتور عبد العزيز صالح^(٢١) ، أطال الله فى أعمارهم وأفادنا بعلمهم ، ووفقهم الى خدمة وطنهم .

J.D.S Pendlebury, Tell El-Amarna, London, 1935, p. 54-56 (١٤)
N. de G. Davies, Op-Cit, VI. p. 29-31.

(١٥) سليم حسن : مصر القديمة — الجزء الخامس ، القاهرة ١٩٤٨
ص ٣٠١ — ٣٠٩ .

(١٦) أحمد فخرى : مصر الفرعونية : القاهرة ١٩٧١
ص ٣٠٩ — ٣١٤ .

(١٧) عبد المنعم أبو بكر : اخناتون — القاهرة ١٩٦١ ص ٩٤ — ١٠٢ .

(١٨) أحمد بدوى : فى موكب الشمس — الجزء الثانى — القاهرة ١٩٥٠
ص ٨١٦ — ٨٢٢ .

(١٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم — الجزء الثانى — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢١٠ — ٢١٤ .

(٢٠) رشيد الناصورى : جنوب غربى أسبا وشمال افريقيا — الكتاب الثالث — بيروت ١٩٦٩ ص ٩٣ — ٩٨ .

(٢١) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم — الجزء الاول — مصر والعراق ، القاهرة ١٩٦٧ ص ٣١٠ — ٣١٣ .

وأما العلماء الا جانب فلعن من أشهرهم «نورمان دي جارس ديفز» (٢٣) و «جيمس هنري برستد» (٢٤) ، و «أدولف ارمان» (٢٥) ، و «آرثر ويجال» (٢٦) ، و «ه. ر. هول» (٢٧) ، و «ه. شيفر» (٢٨) ، «م. — سندمان» (٢٩) ، و «جورج شتاندورف وكيث سيللي» (٣٠) ، و «سير آلن جاردنر» (٣١) ، «جون ويلسون» (٣٢) ، «فرانسوا دوما» (٣٣) ، و «إلينور بل دي موت» (٣٤) ، و «سيرل الدرد» (٣٥) وغيرهم (٣٦) .

Norman de Garis Davies, the Rock Tombs of El-Amarna (٢٢) VI, London, 1908, p. 29-31.

James Henry Breasted, The Dawn of Conscience. New York, (٢٣) London, 1939, p. 281-286.

J H. Breasted, A History of Egypt, New York, 1946, p. وكذا 371-376.

Adolf Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, (٢٤) London, 1927, p. 288-291.

وانظر : أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة، ترجمة ومراجعة عبدالمعتم أبو بكر ، ومحمد أنور شكري ، القاهرة ١٩٥٢ ص ١٢٧ — ١٣٠ .

Arthur Weigall, Histoire De L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, (٢٥) p. 139-140.

A. Weigall, The Life and Times of Akhenaton, Pharaohs of وكذا Egypt London, 1934.

H. R. Hall, The Ancient History of the Near East, London, (٢٦) 1963, p. 306-307.

H. Schafer, Amarna in Rel und kunst, 1913, p. 63-70. (٢٧)

M. Sandman, Texts from the Time of Akhenaton, Brussels, (٢٨) 1938, p. 93-96.

Goerge Steindorff and Keith C. Seele, When Egypt Ruled The (٢٩) East, Chicago, 1963, p. 214-215.

Sir Alan Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, (٣٠) p. 225-227.

John A-Wilson, The Hymn to Aton, in ANET, 1966, p. (٣١) p. 369-371.

Francois Daumas, La Civilisation De L'Egypte Pharaonique. (٣٢) Paris 1965, p. 322-325.

Eleonoer Bille - De Mot. The Age of Akhenaton, Tranlated (٣٣) from the French, by Jack Lindsay, London, 1965, p. 84-89.

Cyril Aldred, Akhenaten, Pharaoh of Egypt - anew study, (٣٤) London, 1972, p. 131-134.

وانظر : أدولف ارمان ، وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية (٣٥)

=

وهناك ترجمة للنشيد الكبير :

«تجليك في أفق السماء بديع ، أى أتون الحى ، يا أصل الحياة وبدئها ،
انك حين تشرق من جبل النور المشرقى تملأ الارض بجمالك ومحبتك ، انك
بوصفك رع تصل الى حدودهم ، وتخضعهم لابنك المحبوب» .

«انك أنت الاله الذى دان الجميع بحبه ، أنت عال جدا ، ومع ذلك
فان أشعنتك تشرق على الارض ، أنت فى وجوه البشر ، ومع ذلك فلا
يستطيع الواحد منهم أن يتكهن بسر قدومك ، حين تغيب فى الافق الغربى ،
وأن الارض تكون فى ظلام كالموات ، الليل ينقضى فى غرف النوم ،
والرؤوس منطاة ، لا ترى أعين أصحابها ، تسرق أمتعتهم — حتى وان
كانت تحت رؤوسهم — فلا يدركون» .

«الاسود تخرج من أوجارها ، والشعابين تنساب لتلدغ ، والظلام هو
المضوء الوحيد ، بينما الارض فى صمت ، لان صانعها يستريح فى الافق ،
وتصبح الارض زاهية عندما تشرق فى الافق ، وعندما تضىء فى النهار
كأتون ، وأنت تقصى الظلمة الى بعيد ، وعندما ترسل أشعنتك ، فان
الارضين (مصر) تصبحان فى عيد ، يستيقظ الناس ويقفون على أقدامهم
عند ايقاظك اياهم ، فينظفون أجسامهم ويرتدون ثيابهم ، ويرفعون أكفهم
تعبدا لطلعتك البهية ، ثم ينتشرون فى الارض ، ليباشر كل منهم عمله» .

«الزهر ونبت الارض ينفتح لراك ، وتتملكه النشوة لمحياك، والانعام
تتراقص على أقدامها ، والطيور فى أوكارها تطوى أجنحتها وتنتشرها
تسبيحا لآتون الحى خالقها ، والحملان تقفز على أقدامها ، وكل ما يطير
أو يحط تهتر أعطافه لانك تشرق من أجله ، ومن ثم فالارض بأسرها
عامرة بحبك» .

«السفن تبحر شمالا وجنوبا ، وتعج الطرق بالناس ، والعشب

==

فى العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٤٤١ -
وانظر (محمد بيومى مهران : اخناتون - القاهرة ١٩٧٩ ص ٣٥٩-٤٥٩) .

والشجر يتمايل عند ظهور محياك ، والاسماك في النهر تتراقص لمرآك
وأشعتك تنفذ الى أعماق الاخضر العظيم (البحر)» •

«أنت ياهن تجعل سائل الذكر ينمو في المرأة ، ومن يصنع الماء في البشر ،
أنت يا من يأتى بالحياة للوليد ، وهو في بطن أمه ، أنت يا من تسكته
بتوقف دمعه ، أنت يا من رعيته في الجسد ، ثم تعطى الهواء ليتنفس كل
من خلقت ، انه ينزل من الجسد فيتنفس في يوم مولده ، أنت يا من تفتح
فمه ، وتخلق له مقومات الحياة» •

« أنت يا من جعل الكنكوت يشقشق في قشرته ، أنت يا من منحت
الحياة ليعيش فيها ، وقدرت له ميقاتا في البيضة يخرج بعده ، وهو يصيح
(يصوصو) بكل ما لديه من قوة ، ثم يسير على قدميه ابان خروجه من
البيضة» •

«ما أكثر أعمالك ، انها على الناس خافية ، أنت الاله الواحد الاحد ،
الذى ليس معه سواه ، وليس له من نظير ، برأت الدنيا حسب رغبتك ،
وكنت فردا ، خلقت البشر والانعام ، وكل ما يسعى على الارض بقدم ،
ويحلق في الفضاء بجناح ، خلقت بلاد خارو (سورية وفلسطين) وكوش
(النوبة) وأرض مصر ، ووجهت كل فرد الى موطنه ، ودبرت للجميع
شئونهم ، فأصبح لكل فرد رزقه ، وتعين لكل فرد أجله ، ولظلت الاسنة
بينهم في النطق متباينة ، والالوان متميزة ، لانك ميزت بين بلاد وبلاد» •

«أنت تصنع فيضان النيل في العالم السفلى ، وتأتى به كرجبتك ،
لتهب الحياة لأهل مصر ، أولئك الذين صنعتهم لذاتك أنت مولاهم جميعا ،
أولئك الذين تنهك نفسك من أجلهم ، أنت هولى كل أرض تشرق من أجلها» •

«آتون يا ضوء النهار ، يا عظيم المجد ، بلدانا نائية تهبها الحياة ،
وترسل الغيث من أجلها ، لقد صنعت نيلا في السماء (الطر) حيث يموج
الغيث فوق الجبال كالاخضر العظيم (البحر) ، ويسقى الحقول بين
القرى ، ما أجل تدبيرك رب الخلود ، فيضان في السماء لأهل القفار
وحيوان الفلا ، وما يدب على قدم ، وفيضان سواه لأرض مصر ، يأتى

اليها من دنيا العدم، الأتسعة تغذى كل امرئ، وحين تشرق يحيون وينمون من أجلك» •

«أنت تجعل الفصول منتظمة لينجح كل ما صنعت ، جعلت هناك شتاء ليتعرفوا بردك ، وصيفا ليتذوقوا حرارتك ، خلقت السماء بعيدة لتضىء فيها ، ولتري كل ما صنعت ، وأنت وحيد تضىء في مختلف صورك كأتون ألحى ، وتبدو رائعا ومشعا ، وأنت بعيد وقريب ، أنت تجعل من ذاتك وحدك ملايين الصور ، مدنا وقرى ، حقولا وطرقا وأنهارا ، كل العيون ترنو إليك لأنك أنت آتون ، الذى يشرق في النهار على الارض» •

«ليس هناك من يعرفك سوى ابنك «نفر ، خبرو ، رع ، وع ان رع» ، فقد جعلته عليما بمقاصدك وقوتك ، انك أنت الذى وهبته الحكمة ، أنت الذى صنعت الدنيا بيديك ، وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم ، اذا ما أشرقت عاش الناس ، واذا ما غربت فانهم يموتون ، انك أنت الحياة ، ولا حياة للناس الا بك ، العيون تستمتع بجمالك حتى تغيب ، فاذا ما غربت في الافق الغربى ترك الناس أعمالهم كلها ، ولكنك عندما تشرق ثانية يزدهر كل شيء من أجل الملك» •

«الحركة في كل ساق منذ أن خلقت الارض ، أنت ترفعها من أجل ابنك الذى خرج من صلبك ، الذى يعيش على الحق ، سيد الارضين ، «نفر ، خبرو ، رع وع ان رع ، ابن رع» ، الذى يعيش على الحق ، سيد الظهور ، البهى ، اخناتون العظيم في خلوده ، مع زوجة الملك العظيم التى يحبها ، سيدة الارضين «نفر ، نفرو آتون ، نفرتيتى» ، ألا فلتعش ولتزدهر الى أبد الآبدين» (٣٦) •

مميزات دعوة اخناتون من خلال الاناشيد

هذا هو نشيد اخناتون — كما جاء في مقبرة «آى» في جبانة العمارنة

(٣٦) اعتمدت هذه الترجمة على الترجمات الحديثة ، سواء أكانت هذه الترجمات باللغة العربية أو باللغات الاجنبية ، ولتى قام بها العلماء الذين اشرنا اليهم من قبل •

ولعلنا نستطيع — قدر الطاقة — أن نستخلص منه — وكذا من النشيد الصغير — عدة حقائق ، تميز دعوة اخناتون ، وفكره الدينى ، عما كان شائعاً فى مصر حتى أيامه ، فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد (١٣٦٧) — (١٣٥٠ ق م) ، وربما الى ما بعد أيامه كذلك ، ولعل من أهم هذه المميزات :

١ - الدعوة الى التوحيد :

ان من يقرأ أناشيد «اخناتون» بعناية ، ويقارنها بأناشيد الآلهة المصرية الاقدم منها الباقية لدينا ، انما يستطيع أن يشعر — بالرغم من بعض أوجه الشبه البسيطة — بمقدار الهوة الحقيقية التى تفصلها بعضها عن بعض ، فمن كل الأحوال الاسطورية التى غطت تماماً فى الاناشيد القديمة ، قبل اخناتون ، على مجد الآله نفسه ، لا يوجد منها أثر باق ، ذلك لان الامر كله فى أناشيد اخناتون انما ينصرف لأول مرة الى الموحدة وتوحيد الآله الجديد بصفة جدية حقاً ، أو بمعنى آخر الى الوجدانية ، حتى انه ليتمكننا دون تردد أن نضعه الى جانب الاناشيد الكبرى لأية أمة أخرى (٣٧) .

وعلى أى حال ، فان الموجدانية انما تبدو واضحة فى أناشيد اخناتون ، فى تلك الصفات التى يصف بها الفرعون الاله «آتون» ، فهو عنده اله واحد ، وذلك حين يقول : «أنت الآله الواحد الاحد ، الذى ليس معه سواه ، وليس له من نظير» ، ومن ثم هاتنا نرى بوضوح أن اله اخناتون هذا ، انما هو الآله الواحد ، يعمل وحده دون آلهة وسطاء معه ، ليس له عائلة (٣٨) أو حاشية ، وأن دور اخناتون فى الدعوة ، ربما لا يعدو دور النبى الذى يتلقى الوحي دون وسيط ، «أنت فى قلبى ، ليس هناك من يعرفك سوى أبنيك ، قد جعلته عليما بمقاصدك وهوتك ، انك أنت الذى

(٣٧) أدولف ارمان ، وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٢٨١ ، ٤٤١ .
(٣٨) يختلف آتون فى هذا عن الآلهة المصرية الاخرى ، التى كانت تكون لها عائلة مكونة من ثلاث يتكون من الآله الاب ، والآلهة الام والآله الابن ، كما فى «طيبة» حيث يوجد الآله آمون (الاب) والآلهة موت (الام) والآلهة خونسو (الابن) ، وكما فى «منف» حيث يوجد الآله بتاح (الاب) والآلهة سخمت (الام) والآله نفر توم (الابن) ، وكما فى اليفانتين حيث يوجد خنوم وعنقت وسانت ، وكذا عائلة أوزير وايزة وحوور . . . وهكذا .

وهبته الحكمة» ، وحتى هذه «البنوة» ، فليست من نوع بنوة أسلافه الجسدية لربهم «آمون» ، عن طريق الزواج الالهي — كما كان البعض منهم يزعمون — وإنما هي في غالب الظن بنوة رمزية ، وهكذا كان «آتون» — في نظر اخناتون — الخالق الاوحد الذي يوزع القوى الحيوية اليومية على كل الموجودات التي تتجدد ولادتها ، بفضل ذلك ، مع كل فجر (٣٩) .

وفي الواقع ، فإن الآتونية — كما يقول سير آلن جاردنر — لم تكن مجرد نظرية طبيعية ، ولكنها كانت توحيداً أصيلاً ، وأن العظمة الحقيقية لهذا المصلح تكمن في الشجاعة الخلقية — وفي جهاده حتى آخر لحظة من حياته — ليزيح عن كاهل المجتمع المصري تجمعات النفائات الاسطورية الموروثة من الماضي ، والتي تراكمت على عقله ووجدانه ، حتى أوشكت أن تطمس معالم تفكيره السليم ، ورغم أن هناك من يعتبرها عظمة سلبية ، ولكنها — على أي حال — عظمة ، ليس من العدل أن ننكرها عليه ، فإنه لا يمكن مناقضة القول بأن سلوك اخناتون كان أكثر الاهور فاعلية في إثارة سخط أعدائه ، وكان كلما ازداد قوة ، ازدادت الحماسة التي يعمل بها على اضطهاد التقاليد البالية ، التي ظلت دهرًا موضع التمجيد (٤٠) .

٢ - الدعوة الى دين عالمي :

وفي هذا المجال ، نرى اخناتون انما يحاول أن يقدم للبشرية ديناً يعتنقه الناس في كل البلاد ، باذلاً الجهد — كل الجهد — في أن يحل هذا الدين محل القومية المصرية التي التزمها أهل مصر منذ أقدم العصور ، فعاشوا عليها قبل عصر اخناتون ، بحوالي عشرين قرناً مضت من قبل ، ومن ثم فلا غرابة إذا اعتبرنا اخناتون قد سبق العصر الملائم لظهوره بعدة قرون ، ولا غرابة أيضاً إذا كان المصري في ذلك العصر لم يفهم مغزى ديانة اخناتون ، ولم يستطع التعرف على كنهها ، وهكذا يمكن القول

(٣٩) أندريه ايمار ، وجانين أوبوايه : الشرق واليونان القديمة ، ترجمة فريد داغر ، وفؤاد أبو ريحان ، بيروت ١٩٦٤ ص ٩٧ .
(٤٠) A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 227- 228.

أن اخناتون انما يمثل عبقرية تم نضجها في وقت سابق لاوانها وأن ظهورها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، انما كان ميلادا مبكرا جدا لها (٤١) .

ولعل السبب في ذلك ، أن أحدا لم يكن يفكر وقت ذاك في أن العالم وحدة ، أو أن لهذا العالم كله إله واحد يسيطر عليه ، غير أن فكرة المصلحة الدولية انما كانت قد نضجت في مصر في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وسرعان ما تمت معها فكرة وحدة العالم ، وللمرة الاولى في تاريخ هذه الدنيا ظهرت فكرة إله واحد للعالم كله له سلطان امبراطوري ، وتلك هي أقدم صورة في التاريخ لفكرة التوحيد ، كما وصلت اليها خبرة الشرق القديم .

وفي هذا الوقت الحرج ، تولى «أمنحتب الرابع» حكم مصر (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق م) وكان شابا كثير التفكير ، شجاعا لا يخاف ، أصر على اجبار رعاياه على اعتناق فكرة العالمية الجديدة ، وأن يغري الناس بمباداة إله واحد ، فكان هذا العمل من جانبه حدثا جديدا لا مثيل له في التاريخ البشرى ، ومن ثم فقد أصدر أوامره الى جميع شعوب الامبراطورية المصرية - بما فيها آسيا وافريقيا - ليعبدوا إلهها واحدا أسماه «آتون»، وأغلق المعابد وطرده الكهنة ، ليحصل الناس على نسيان دينهم القديم ، وأمر بمحو أسماء هؤلاء الآلهة أينما وجدوا ، وبخاصة في نقوش المعابد، وكره الشرك فأمر بتكسير علامة الجمع أينما وجدت في أى نص يذكر كلمة الآلهة في صيغة الجمع (٤٢) .

ويؤكد العلامة «برستد» أن الاجل لو امتد باخناتون لأقام عقيدة دينية عالمية مركزها مصر ، ثم تنتشر في جميع أنحاء العالم ، وبذلك العالم

(٤١) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ١٠٢ - ١٠٣ ، وكذا J. W. Breasted, The Dawn of Conscience, 1939, p. 289-290
A. Weigall, Histoire De L'Egypte Ancienne, 1968, p. 140.
C. Aldred, Op-Cit, p. 63.

(٤٢) جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة ، ترجمة أحمد فخرى ، القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣٧ .

الامريكي الشهير على رأيه هذا ، باقامة اخناتون معابد لعقيدته الدينية في جميع أنحاء الامبراطورية المصرية (٤٣) .

على أن هناك من الباحثين من يذهب الى أن عالمية الدعوة في ديانة اخناتون ، انما كان الهدف منها سياسيا أكثر منه دينيا ، اذ ربما كان المخطط السياسي لاهناتون توحيد جميع رعايا الامبراطورية المصرية وحل عقيدة مقبولة من الجميع تستند الى قوة الشمس نفسها (٤٤) ، حتى أن اسم اله الشمس الجديد (آتون) ، انما كان يوضع في الطغراء الفرعوني باعتباره شعارا ملكيا مزدوجا (٤٥) .

هذا وربما كان من دوافع اخناتون السياسية ، أن الرجل تطلع الى ما وراء حدود بلاده ، فاذا بالروابط التي استنتها أجداده وآباؤه لتوطيد صلات مصر بطفائها وجيرانها ، عن طريق التلويح لهم ببأسها تارة ، وتنشئة أمرائهم في العواصم المصرية تارة أخرى ، والاصهار اليهم تارة ثالثة ، قد أوشتت جميعها على الوهن ، ولم يعد بد من أن يحل محلها روابط جديدة (٤٦) .

٣ - القضاء على التفرقة العنصرية :

وتبدو هذه الفكرة بوضوح — لا لبس فيه ولا غموض — في قول اخناتون : «خلقت بلاد خارو ، وكوش ، وأرض مصر» ، ذلك أن الداعية العظيم لم يجد أى حرج في أن يذكر اسم مصر العظيمة بعد ذكره الشام والسودان ، وهما من موالى مصر ، مادام الخالق الرازق واحدا ، رحيمنا هنا ، ورحيما هناك ، جوادا هنا ، منعما هناك ، خلق الجميع على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواطنهم ، وتكفل برزقهم ، وكان معجزا حين وهب

J. H. Breasted, Development of Religion and Thoughtion (٤٣) Ancient Egypt London, 1959, p. 332.

(٤٤) جان يويوت : مصر الفرعونية ص ١٣٠ وهكذا

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, II, p. 320.

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York. London, (٤٥) 1939, p. 296.

(٤٦) عبد العزيز صالح : الوحدانية في مصر القديمة ص ١٧ .

مصر فيضانا من جوف السماء» (٤٧) .

ومن ثم فقد تخلى اخناتون في دعوته عن الكبرياء ، التي كان ينظر بها المصريون الى تلك الشعوب .، اذ كانوا يعتقدون أنهم وحدهم الناس (أو الرجال) أما الاجانب فلا ، ومن ثم فقد كانوا ينظرون اليهم باذراء ، ويطلقون على رؤسائهم لقب «(وعد)» (٤٨) — كما أشرنا من قبل — ذلك لان الاله الخالق — فيما يرى صاحب الدعوة — انما خلق الناس جميعا ، وأن ظلت اللسنة بينهم في النطق متباينة ، والمهيئات والالوان متمايضة ، ومن ثم فهم يتساوون في الحقوق والمواجبات (٤٩) ، ولهذا — وكما يقول اخناتون في النشيد الكبير «ما أجل تدبيرك رب الخلود ، فيضان في السماء لأهل القفاز وحيوان الفلا ، وما يدب على قدم ، وفيضان سواء لأرض مصر ، ياتى اليها من دنيا العدم» (٥٠) .

وهكذا لم تقدم لنا نصوص اخناتون فكرة عالمية الاله الخالق فحسب ، وانما تقدم كذلك الرعاية العالمية لهذا الاله الخالق وعدالته ، التي تجعله

(٤٧) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ص ٣١١ .
(٤٨) A. H. Gardiner, in EA, 1, 1914, p. 30, Egypt of the Pharaohs, 1964, p. 37, Egyptian Grammar, 1966, p. 361.

(٤٩) لاشك أن هذه المساواة لاتبدو واضحة ، الا في الاسلام ، ولنقرأ في هذا المجال ، قول جدنا ومولانا وسيدنا رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بابائها ، فالناس رجلان ، رجل بر تقى كريم على الله ، وفاجر شقى هين على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب ، ثم قرأ قوله تعالى : «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم» (أنظر : سورة الحجرات : آية ١٣ ، وكذا : تفسير القرطبي ٣٤١/١٦ ، وتفسير ابن كثير ٢٦٦/٧ ، سيرة ابن هشام ٤١٢/٢ ، طبقات ابن سعد ١٠٣/٢ ، مجمع الزوائد للهيتمي ٢٦٦/٣) ، ويروى عنه — ﷺ — انه قال : «ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى انسابكم ولا الى احسابكم ولا الى اموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ، انما أنتم بنو آدم ، وأحبكم الى الله اتقاكم» (أنظر : تفسير ابن كثير ٣٦٥/٧ ، تفسير القرطبي ٣٤٢/١٦ ، صحيح مسلم : كتاب البر ١١/٨) ، كما يروى عنه — ﷺ — قوله لأبى ذر : «أنظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود .

(٥٠) أنظر : أدولف ارمان : المرجع السابق ص ١٣٠ ، وكذا F. Daumas, Op-Cit, p. 326.

يعنى بكل مخلوقاته في هذا العالم ، وعن هذا يقول «الكسندر موريه» (١٨٦٨ - ١٩٣٨) : انه للمرة الاولى ينظر الى الديانة كخير عالمي بين اقوام يختلفون في اجناسهم ولغاتهم ودياناتهم ، فانه اخناتون لا يفرق بين المصريين وغيرهم من البرابرة ، فالناس عنده سواء ، وهو ربهم جميعا ، وهكذا تقدم لنا نصوص العمارنة الاله للناس كافة ، يمد اليهم جميعا رحمته ، بل انما يمد هذه الرحمة الى الحيوان والنبات ، وكل ما يدب على الارض بقدوم ، ويخلق في الفضاء بجناح (٥١) .

وتضيف «الينور بل دي موت» انه للمرة الاولى في التاريخ ، نرى فرعوناً يدعو الاجانب في صراحة تامة الى عبادة اله يتعبد اليه شعبه ذاته ، كما انه للمرة الاولى كذلك تفهم الديانة كرباط يوحد بين البشر ، على اختلاف اجناسهم واولانهم ولغاتهم ، فانه اخناتون لا يفرق ابدا بين المصريين وغيرهم ، ممن كان القوم يطلقون عليهم اسم برابرة — لان البشر امامه سراسية ، ومن ثم فيجب عليهم أن ينظروا الى أنفسهم ، وكأنهم جميعا اخوة (٥٢) ، ومن ثم فان هذه العقلية الغريبة — فيما يرى برستد (٥٣) — هي التي جعلت الاثريين يعتبرون اخناتون النبي الاول في التاريخ (٥٤) .

وهكذا لم تكن ديانة آتون لحصر وحدها ، بل كانت للعالم كله ، فبسبب

(٥١) محمد عبد اللطيف : فكرة الخلق في مصر القديمة ص ٢٦١ ،

A. Moret, Rois et Dieux d'Egypte, Paris, 1923, p. 70, 74.

Eleonore Bille - De Mot. The Age of Akhenaten, London, (٥٢) 1965, p. 89.

J. H. Breasted, A History of Egypt, N. Y., 1946, p. 377. (٥٣)

(٥٤) لاشك في أن أول نبي انما كان «آدم» عليه السلام . فقد جاء في حديث أبي ذر المشهور ، أنه دخل المسجد النبوي الشريف ، فوجد رسول الله ﷺ ، جالسا وحده فسأله عن أشياء منها الصلاة والهجرة والوصيام والصدقة ثم سأله : كم الانبياء ؟ فقال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، قال : قلت : يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر ، جم غفير ، كثير طيب ، قال : فمن كان أولهم ؟ قال آدم ، قلت أنبي مرسل ؟ قال : نعم ، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ، وسواه قبيل (أنظر : تفسير ابن كثير ٢٢/٢ - ٤٢٦ ، ثم قارن مسند الامام أحمد ٢٦٥/٥ - ٢٦٦ تفسير روح المعاني ٨٨/٢٤ ، مجمع الزوائد ٢١٠/٨ ، وأما أول رسول فهو «نوح» عليه السلام (تفسير المنار ٥٠٣/٧ ، ٤٣٦/٨) .

هذا الاله عاشت الاسماك في البحار والوحوش في الادغال ، والزواحف في جحورها ، والنبات في الحقول ، بل ان هذه الفكرة من ديانة آتون انما قد امتدت آثارها الى ما بعد عصر المداعية العظيم ، وذلك في الاناشيد التي تلت عصره ، كما في أنشودة لآمون موجودة في ليدن ، وأخرى من عصر الرعامسة ، وثالثة من نفس العصر كذلك^(٥٥) .

٤ - التركيز على قدرة الخالق :

يركز اخناتون في نشيده الكبير على الاله الخالق ، الذي يهب قدرة النفس للنساء ، ويخلق من النطفة بشرا ، ويهب الحياة للجنين وهو في بطن أمه ، واذا ولد أنطقه ودبر أمره ، ثم هو يعنى بأفراخ الطير ، كما يعنى بأجنة البشر ، فالفرخ يكون على أهبة «المصورة» وهو في البيضة المحكمة ، ويقدر الاله أنفاسه وهو فيها ، ويهبه القدرة على نقرها وهو فيها ، وكاد منطق هذا الوصف أن يقول : فهناك اله يعبد غير هذا الاله القادر^(٥٦) .

ولنقرأ هذا النص في النشيد الكبير : «أنت يا من يجعل سائل الذكر ينمو في المرأة ، ومن يصنع سائلا في الرجل ، أنت يا من تأتي بالحياة للوليد ، وهو في بطن أمه ، أنت يا من تسكته بتوقف دمعه ، أنت يا من رعيتة في الجسد ، ثم تعطى الهواء ليعيش كل من خلقت ، انه ينزل من الجسد فيتنفس في يوم مولده ، أنت يا من تفتح فمه ، وتخلق له مقومات الحياة ، أنت يا من تجعل الكتكوت يشفق في قسرتة ، أنت يا من وهبته الحياة ليعيش فيها ، وقدرت له ميقاتا في البيضة يخرج بعده ، وهو يصبح

(٥٥) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٠٨ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٦٢ ، وكذا

A. H. Gardiner, Historical Popri in the British museum. Third Series Chester Beatty Gift, London, 1934, P. 32-34.

Jean Capart and others 'Thebes, The Glory of the Great past., p. 79-80.

A. Erman, Op-Cit, p. 203.

(٥٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٨ - ١٩ .

(يصوصو) بكل ما لديه من قوة ، ثم يسير على قدميه ابان خروجه من البيضة» •

٥ - اظهار الرحمة في صفات الاله الخالق :

جهد اخناتون على أن تقدم دعوته الاله الخالق في صورة الاله الرحيم بمخلوقاته جميعا ، ومن ثم فقد تخيرت الدعوة الجديدة روابط العطف والمحبة ، دون الجبروت والبطش ، وأعلنت أن ربها عظيم المحبة ، تفيض الآؤه على العالم بأسره ، ويضفى على الدنيا كلها بهاء وجهاله ، وليس من شك في أن هذا التفكير الجديد في الآتونية ، انما يرفع من شأنها الى حد بعيد ، نرى كل ما كانت وصلت اليه ديانة المصريين القدامى ، أو ديانات الشرق بأجمعه حتى ذلك الوقت •

صحيح أن الحكيم المصرى «ايبو — ور» (من عصر الثورة الاجتماعية الاولى) قد صور اله الشمس من قبل ، على أنه الراعى الرحيم بعباده ، وصحيح أن الناس انما كانوا في نظر النصاصح الموجهة الى «مرى كارع»، «قطعان الاله التى من أجلها صنع الماء والهواء والطعام» ، ولكنه صحيح كذلك أن اخناتون انما يذهب في دعوته الجديدة الى أبعد من ذلك ، حيث يصف الهه في الانشودة الصغرى بقوله : « أنت أب وأم لكل من خلقت» (٥٧) ، بعد أن كان الملوك السابقون يعتقدون أن الاله الاعظم هو الذى يهب النصر ويسحق الاهالى ، ويسوقهم حاملين الجزية أمام عجلة فرعون ، أما اخناتون فقد رأى في الاله رأفة ورحمة لخلقه جميعا على السواء ، ويعتبر هذا المذهب أقدم ما عرف من علم التوحيد (من غير الانبياء) ، ولأنك أن القارى لتعاليم هذه العقيدة يتضح له أنها اعتراف صحيح بوحدانية الله ، وبرحمته ورأفته ، ووجود سره المكنون في كل مخلوقاته (٥٨) •

J. H. Breasted, The Dawn of conscience, p. 288, 201-292.

(٥٧)

C. Aldred, Op-Cit, p. 63.

N. de G. Davics, Op-Cit, IV, Pl. 32.

وكذا

A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 34.

وكذا

The Admonitions of an Egyptian Sage Leplig 1909.

وكذا

J. H. Breasted., A History of Egypt, p. 377.

(٥٨)

وهكذا كان جميع العالم الحي — في نظر تلك الروح الحساسة التي كانت تملا قلب الداعية العظيم — يماؤه شعور قوى بوجود «آتون» ، والاحساس بتسفتته الابوية ، فمستنقعات السوسن ، بأزهارها النشوانة التي تينع باشعاع آتون الاخاذ ، وطيورها التي تنشر أجنتها تعبدا لآتون الحي ، والماشية التي تطفر فرحة في ضوء الشمس ، والسماك الذي يشب في النهر مرحبا بالنور العالى الذي تنفذ أشعته حتى في وسط الاخضر العظيم ، كل ذلك يكشف لنا عن مدى ادراك اخناتون لذلك الوجود العالى للاله ، وسيطرته على الطبيعة ، وعن ادراك باطنى لذلك الوجود عند كل المخلوقات» (٥٩) .

ولنقرأ هذه الفقرات من أنشودة اخناتون : «الزهر ونبت الارض يزدهر لراك ، وتتملكه النشوة لحياك ، والانعام تتراقص على أقدامها ، والطيور في أوكارها تطوى أجنتها وتشرها ، تسبيحا لآتون الحي خالقها ، والحمelan تنقفز على أقدامها ، وكل ما يطير أو يحط تهتر أعطافه لانك تشرق من أجله ، الارض عامرة بحبك ، والعشب والشجر يتميل عند ظهور محياك ، وأسماك الماء تتراقص لراك ، وأشعتك تنفذ الى أعماق الاخضر العظيم» (٦٠) .

وهكذا يبدو واضحا مدى بساطة وجمال ايمان هذا الشاب الفرعون بالاله الواحد الاوحد ، والتي أوصلته عقيدته الى الايمان بأن الاله الواحد لم يخلق المخلوقات الدنيا فقط ، بل انه خلق جميع الناس على اختلاف أجناسهم ، بما فيهم المصريون والاجانب ، وكان «آتون» أبا رحيمًا ، يحافظ على كل مخلوقاته ويغمرها برعايته ، حتى الطيور التي تعيش بين النباتات كانت تعترف برحمته ، فترفع أجنتها كما يرفع الانسان ذراعيه شكرا له (٦١) .

وفي الواقع ، أننا لو تتبعنا تطور الانسان وتقدمه خلال آلاف السنين،

J. H. Breasted, The Dawn of conscience, p. 292. (٥٩)

(٦٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٩ .

(٦١) جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة ص ١٣٨ .

فاننا لن نرى — من غير الانبياء الكرام — أحد قبل «اخناتون» عرف الصورة الصحيحة للاله الواحد المرحيم بكل الكائنات^(٦٣) ، وهذا الاله الخالق ، المعين المرحيم ، قد أعطى نعمه للبشر أجمعين ، فضلا عن جميع المخوقات الحية في كل مكان ، ولم يقتصر ذلك على المصريين وحدهم ، ومن أجل هذه النعم كان العابدون يرفعون شكرهم وخضوعهم للاله «أتون»^(٦٣) .

٦ — التفسير العلمى لفيضانات النيل :

من المعروف أن مصر انما تعتمد في حياتها على النيل ، ومن ثم فقد كان من المستحيل تجاهل ذلك المذبح الحيوى للحياة في عقيدة «أتون» ، والمواقع — فيما يرى برستد — أنه لا شيء يكشف لنا بوضوح قيمة عقيدة اخناتون ، وميله الى الاعتماد على العقل ، أكثر من أنه مما بلا تردد تلك الطائفة من الاساطير التى كانت محل تبجيل القوم واحترامهم ، وتلك التقاليد التى كانت تنال كل احترام عند القوم ، والتى تذهب جميعها الى أن «النيل»^(٦٤) انما هو الاله «أوزير» لعدة زمان مضت ، فجاء اخناتون ونادى في دعوته الجديدة ، بأن الفيضان انما يرجع الى أسباب طبيعية ، يسيطر عليها الاله «أتون» ، وهو الذى خلق كذلك — وبمثل ذلك

(٦٢) نفس المرجع السابق ص ١٢٨ — ١٣٩ .

J. H. Wilson, The Culture of Ancient Egypt Chicago, 1963. (٦٣) p. 229.

(٦٤) كان المصرى القديم يطلق على النيل اسم (ايترو — عا) أى «النهر العظيم» ، أما لفظة «النيل» فهي تصحيف لفظ «نيلوس» التى أطلقها اليونانيون على هذا النهر ، أما النيل كاله ، فقد أطلق عليه المصرى اسم «حعبى» ، ولم يكن «حعبى» هذا هو النهر المقدس ، وانما كان ذلك الاله أو الروح التى تكمن وراء النهر العظيم ، والتى تدفع ب مياه فيضيه حاملة الخصب والنماء ، وصور المصرى هذا الاله في هيئة بشرية تجمع بين الانوثة والذكورة في هيئة صياد السمك ، يلتحى باللحية التقليدية للالهة ، له ثديا امرأة وبطن متهزل .

هذا وكان لانتشار عقيدة «أوزير» ، وكان من بين ما أطلقوا على النيل من أسماء «ونز نفر» ، وهو من أسماء أوزير ، كما وحد المصرى بين النيل وبين بعض الالهة الاخرى التى كانت لها صلة بخصوبة الارض ، أو المياه مثل «خنوم» الذى كان يطلق عليه «رب المياه الطاهرة» (الموسوعة المصرية ١٠/١٥٠ — ٢١٦) .

الاهتمام — نيلا آخر في السماء (أى المطر) لغير مصر من الاوطان^(٦٥) .

٧ - الدعوة الى الصدق :

كان الداعية العظيم شغوفا ، أشد الشغف بالصدق — قولاً وفعلًا — يبدو هذا واضحا في فنون ذلك العصر — كما سوف نرى بوضوح فيما بعد — ويبدو كذلك في أقواله التي منها : «اننى أعيش على الصدق ؛ وأتروى من صدق (أو عدالة) قلبى» ، بل ان الرجل انما قد ذهب في هذا الى أن يسمى عاصمته الجديدة «أخيتاتون» كما جاء في الانشودة الصغرى «مكان أو مقر الصدق»^(٦٦) .

هذا فضلا عن أن الداعية العظيم لم ير ، هو وأسرته ، فائدة من الاحتجاب عن رعيته ، وكان شديد الشفقة بأطفاله ، ويظهر في كل الاحتفالات مع زوجته وبناته ، وكأنه كاتب صغير في معبد آتون ، وقد رسم نفسه وهو يعامل أسرته ببساطة وبدون تكلف ، ذلك لانه انما قد اعتقد أن الطبيعة قد فطرت على الحق والصواب ، ومن ثم فقد أجهد نفسه في إعلان صدق هذا الرأى ، كلما اقتضت الظروف التخلّى عن عادات أجداده السابقين^(٦٧) .

هذا وقد انتشرت مبادئ الصدق بين رجالات بلاط شرعون الذين كانوا يعلمون مدى اعتقاد اخناتون الشديد في «ماعت» (الصدق — العدالة — الحق) ، ومن ثم فقد كانوا — كسيدهم الفرعون — يعظمون الصدق كثيرا ، وهكذا رأينا «آى» يقول عن الملك : «انه قد أحل الصدق في جسمه ، وان الذى كان يمقتة انما هو الكذب ، واننى أعلم أن «وع ان رع» (أى اخناتون) يمرح في الصدق» ثم يؤكد «آى» بعد ذلك ، أن «أتون» انما هو «واحد أحد ، قلبه مستريح للصدق ، وأن الذى يلعبه انما هو الكذب» ، ويقول موظف آخر — في مقبرته بالعمارنة — « اننى

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 291.

F. Daumas, Op-Cit, p. 326.

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 288, 299.

J. H. Breasted, A History of Egypt, p. 378.

(٦٥)

(٦٦)

(٦٧)

لا أفعل ما يكرهه جلالته ، لان ما يممقته انما هو حلول الكذب في جسمي ،
لقد قررت لجلالته الصدق ، لأننى أعرف أنه يسكن فيه» (٦٨) .

٨ - تجاهل المرأة في الديانة الجديدة :

لعل هذا التجاهل انما يبدو بوضوح في أن «أتون» لم يتخذ له زوجة — كما فعل أمون مثلاً ، عندما اتخذ من موت زوجة له — كما أن النساء لم يكن لهن شأن به ، أو حتى في كهنوته ، وبالرغم من أن هناك من الباحثين من يذهب الى أن «نفرتيتي» انما كانت القوة الكامنة وراء الحركة الآتونية (٦٩) ، ورغم أن «مشروع اخناتون» (الذى تقوم به جامعة بنسلفانيا تحت اشراف مستر اى سمث ، ثم الدكتور دونالد ردفورد) (٧٠) وقد نجح — عن طريق الصور — في إعادة بناء صالة للأعمدة ، خصصت مناظرها للملكة «نفرتيتي» — وكذا أبنتيها مريت أتون ، ومكث أتون — دونما أية اشارة الى « اخناتون » (٧١) فان اسم «نفرتيتي» لم يقرب بأية وظيفة في معبد أتون ، ولم يكن لها في هذا الدين الجديد شأن خاص أكثر من أنها زوج الداعية العظيم ، وأن كل ما جاء عنها في «الانشودة الكبرى» ، أنها «زوجة الملك العظيم ، التى يحبها ، سيد الارضين ، نفر ، نفرو ، أتون ، نفرتيتي ، ألا فلتعش ولتزدهر الى أبد الآبدين» (٧٢) .

هذا مع العلم ، بأن المرأة المصرية انما قد شغلت وظائف كهنوتية ، من قبل عصر اخناتون ومن بعده ، فهناك من عهد الدولة الحديثة (أو عهد الامبراطورية ١٥٧٥ — ١٠٨٧ ق.م ، كما يسمى عادة) ، تلك الوظيفة التى

(٦٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ٣٢٤ — ٣٢٦ ، وكذا

C Aldred, Akhenaten, 1972, p. 63-64.

(٦٩) احمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

(٧٠) انظر : عن مشروع اخناتون : سيد توفيق : مجلة كلية الآثار — العدد الاول — كلية الآثار — جامعة القاهرة — يناير ١٩٧٦ ص ١٣٢ — ١٣٦

(٧١) سيد توفيق : المرجع السابق ص ١٣٦ .

(٧٢) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٠٩ ، وكذا

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., 1939, p. 28.

Sir Alan H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 227

كانت تسند الى ملكات البلاد ، وأعنى بها «زوجة آمون» ، ومن ثم فقد أصبح ينلن — الى جانب حقوق الوراثة — مركزا دينيا ممتازا ، يتصل باله الدولة الرسمي «أمون رع» ، هذا وقد نشأت هذه الوظيفة — أول ما نشأت — فى السنوات الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشرة ، وكانت الملكتان «ايح حوتب» و «أحمس نفرتارى» أول من شغلتا هذا المنصب الدينى الهام ، وان بدا فى عصور متأخرة أن اللاتى كن يشغلنه أميرات — ولسن ملكات — كما أصبح له فيما بعد أهمية سياسية عظيمة (٧٣) .

وهناك من عهد «أحمس الاول» (١٥٧٥ — ١٥٥٠ ق م) — جد اخناتون البعيد ، ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة — لوحة غير عادية من الكرنك ، يصور فيها الملك «أحمس الاول» ، ومعه زوجته «أحمس نفرتارى» ، وابنه «أحمس عنخ» ، مقدمين خبزا للاله «أمون رع» ، وقد منح أحمس زوجه — أو باعها — فى سنة غير محددة من حكمه ، وظيفة «الكاهن الثانى لأمون رع» فى الكرنك ، لتكون لها ولنسلها من بعدها ، وتظهر الملكة فى المنظر المصاحب للنص فى نفس حجم الملك والاله ، فضلا عن اشارة اضافية تدل على سمو مكانتها الخاصة (٧٤) .

وهناك «تويا» أم الملكة «تى» — زوج أمنتب الثالث ، وأم اخناتون التى كانت تشغل وظيفة «رئيسة حريم الاله مين فى أخميم» (٧٥) .

وهناك مظهر هام فى التاريخ الفرعونى فى عصوره المتأخرة من الناحية الزمنية ، وأعنى به تلك الاهمية التى اكتسبتها الاميرات الملكيات اللواتى حملت ألقاب «زوجة الاله آمون» ، و «عابدة الاله» ، «يداالاله» ، وكان اللقب الاول فى العصور السابقة مقصورا على زوجات الفراعين ،

J.G.H. James, Egypt from the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, p. 307.

(٧٤) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص

٢١٩ ، وكذا

T.G.H. James, Op-Cit, p. 307-308.

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 206.

B. Porter and R.L.B. moss, Op-Cit, I, p. 30-31.

(٧٥)

وكذا

وكان يتضمن من غير شك دلالة دينية لاتزال غير محددة ، ومنذ الأسرة الحادية والعشرين «١٠٨٧ - ٩٤٥ ق.م» ، نجد أن هذا العنت ينتقل الى ابنة الملك التي أصبحت الزوجة الملكية المكرسة للاله آمون ، ولم يكن من المسموح به إطلاقا ، بل كان من المحرم عليها أن يتصل بها أى رجل اتصالا جنسيا (٧٦) .

وكانت زوجة الاله هذا تمارس سلطانا ضخما ، وكانت تساوى الملك أباهما في كل الاهداف والمقاصد ، فهي لم تكن تمتلك الضياع الضخمة ، وتشرف على موظفين خاصين بها فحسب ، وانما كانت تتخذ مجموعة من الالقب ، وتحيط اسمها بالخراطيش ، وتخلع على نفسها صفات ملكية ، وتحتفل بأعياد «اليوبيل» ، وتقيم نصبا وآثارا باسمها ، هذا فضلا عما كان لها من السلطة التي تخولها حق تقديم القرابين للالهة ، وهو حق ظل في الامكان الاخرى من خصائص الفرعون وحده (٧٧) ، وهكذا أصبح لزوجة الاله كل هذه الحقوق ، مما دفع فراعين الاسرتين الخامسة والعشرين (٧٥٠ - ٦٥٦ ق.م) والسادسة والعشرين (٦٦٤ - ٥٢٥ ق.م) الى فكرة تبني زوجة الاله لابنة الملك لتخلفها في وظيفتها ، وقد فعل ذلك «كاشتا» ، و «ويغنى» ، و «بسماتيك الاول» ، «بسماتيك الثانى» الذى نالت ابنته لقب «الكاهن الاول لآمون» ، وهى وظيفة لم تحصل عليها أية «زوجة اله» من قبل (٧٨) .

وهكذا يبدو واضحا أن المرأة انما كانت تشغل وظائف هامة في كهنوت آمون ، منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة على الاقل ، وحتى نهاية الأسرة السادسة والعشرين «أى طوال فترة تزويد عن الالف عام» ، الامر الذى لم تشغله أبدا على أيام ثورة اخناتون الدينية (٧٩) .

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 343. (٧٦)

جان يويوت : المرجع السابق ص ١٧٧ ، وكذا (٧٧)

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 343-344.

J. H. Breasted, ARE, IV, uarag. 933 F. (٧٨)

ASAE, V, P. 84 F.

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 354-355.

John A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt Chicago, (٧٩)

1963, p. 229.

٩ - اخراج الدين الى العلانية :

لاريب في أن من مميزات دعوة اخناتون ، أنها أخرجت الدين الى العلانية ، وحاولت أن تقضى على ما كان في الديانات القديمة للالهة الاقوياء الاثرياء من ابتعاد عن الناس ، وما أحاطوها به من أسرار ، ومن ثم فقد كانت المراسيم الدينية تقام في المعبد ، وكان هيكله مفتوح في الهواء الطلق ، لا يحوى أية تماثيل للاله أتون ، وهو أمر كان يعد غريبا عن التقاليد المتوارثة بالنسبة للطقوس التي لم تعد تتبع كما كانت من قبل لانه لم يعد هناك تماثيل للمعبود ، لكى يخرج في موكب ، كما كان يحدث من قبل ، وقد ألف الملك الداعية واحدا من هذه الاناشيد ، التي تنبعث منها دعوة التوحيد بطريقة متقنة ، وقد كان أسلوب النشيد من القوة ، لدرجة جعلته يوحى ببعض أجزاء المزمور (١٠٤) - الامر الذى سوف نناقشه فيما بعد ، - بل ان هذا النشيد انما يعد من روائع الادب العالمى الخالدة (٨٠) .

١٠ - تقدير تجلى قدرة الاله فى العالم الحسى :

لعل من أهم ما تشير اليه أناشيد الدعوة الجديدة ، التقدير العظيم لتجلى قدرة الله - سبحانه وتعالى - فى المعالم الحسى ، ويبدو هذا واضحا فى أنه من أعمق المصادر لدعوة اخناتون - بالرغم مما يقال عن أصلها السياسى - اعتمادها على التأمل فى عالم الطبيعة ، ولان اخناتون انما كان رجلا مأخوذا بالاله ، فقد انقاد عقله بحساسية وادراك مدهشين ، الى ما حوله من المظاهر المرئية الدالة على وجود الاله ، فقد كان الرجل مأخوذا بجمال النور الابدى العالمى ، ومن ثم فاننا نرى أشعته تغمره فى كل أثر صور عليه ، من آثار بقيت لنا (٨١) .

هذا وقد ادعى اخناتون لنفسه علاقة خاصة مع الاله ، لا يشاركه فيها

Francois Daumas. la Civilisation De L'Egypte Pharaonique, (٨٠)
Paris, 1965, p. 321-22.
James Henry Breasted, The Dawn of Conscience N. Y. 1939, (٨١)
p. 292-293.

أحد ، وأنه انما يمرح في ذلك النور الابدى ، الذى وحده أكثر من مرة مع الحب والجمال ، باعتباره البرهان المظاهر الدال على وجود الاله ، وذلك بنشوة قل أن يكون لها نظير ، وفرح يبلغ حد الموله ، وقد استمدت هذه الظاهرة الجديدة في عصر اخناتون الهامها من جمال الطبيعة وفيضها^(٨٢) .

نشيد اخناتون والمزمور ١٠٤ :

كان العالم الأمريكى الدكتور « جيمس هنرى برستد » (١٨٦٥ - ١٩٣٥م) ، أول من أشار الى المطابقة بين نشيد اخناتون والمزمور (١٠٤) من أسفار التوراة ، ثم قام بعمل مقارنة بين النصين - المصرى والعبرانى - فخرج من بحثه - أو أبحاثه - بأن ذلك لايمكن أن يكون سبب توارد الخواطر بحال من الاحوال ، وانما المرجح أن العبرانيين انما كانوا على علم بأنشودة اخناتون العظيمة التى وضعها لاله الشمس .

ومن المحتمل كثيرا أن يكون الاصل المصرى القديم لانشودة اخناتون قد انتشر في فلسطين أو فينيقيا قبل ظهور المزامير العبرانية بزمان طويل ، فقد انتهى اخناتون (١٣٦٧ - ٣٥٠ ق م) من اخراج أنشودته هذه قبل منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد^(١) .

وبدهى أن أعداء الفرعون العظيم الصانقين عليه ما كانوا يتركون أنشودته تنتشر في مصر ستة أو سبعة قرون (أى الى ما بعد عام ١٠٠٠ ق م بكثير) وهو الوقت الذى بدأ العبرانيون يبدون اهتمامهم بأنشودة آتون هذه ، ومن ثم فيجب التسليم بأن تلك الانشودة قد انتقلت الى

Ibid., p. 293-295.

(٨٢)

(١) قارن ذلك بحقيقة أن المزامير رغم أنها تنسب في معظمها الى داود (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق م) ، فإن بعضها منها قد كتب في عصر الملكية (١٠٢٠ - ٥٨٧ ق م) ، أما معظم أسفار المزامير فقد كتب بعد عهد السبى البابلى ، وربما في الفترة (٤٠٠ - ١٠٠ ق م) ، ثم ضمت بعضها الى بعض - فيما يرجح - في القرن الثالث قبل الميلاد ، وهى - على أى حال - صورة صادقة للآثار البعيدة التى اقتبسها العبريون مستقرين أو مسببين من مصر أولا ، ثم من بابل وآشور ثانيا (فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٣٩ ، حبيب سعيد : المرجع السابق ص ١٤٥ ، وكذا

Merrill F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, p. 898-899.

آسيا في عهد «اخناتون» (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م) (٣) نفسه ، وأنها أفلقت
هناك من الدمار المحقق على يد أعدائه في مصر (٤) .

هذا وقد حدث في أنشودة آتون تغيير عظيم ، بعد أن ترجمت الى
بعض اللغات السامية من لغات آسيا الغربية - كاللغات الفينيقية أو
الارامية أو العبرية على الأرجح ، على أنه بفحص الفقرات المشابهة لها
في المزمور (١٠٤) يظهر لنا مدى الشبه بين الصورتين ، لا من حيث
مضمون أنشودة اخناتون فحسب ، بل اننا كذلك انما نجد هذا الشبه في
تتابع الافكار ، وترتيبها الظاهري ، الذي بقى في الرواية الاسيوية
العبرية ، كما كان في أنشودة اخناتون ، وبدهى أن تلك التشابهات لا يمكن
أن تكون بحال من الاحوال - من قبيل المصادفة البحتة ، بل انها بالعكس
دليل على وجود جزء عظيم من الانشودة المصرية الدينية القديمة منشورا
بشكل معدل في المزامير العبرانية (٤) .

وبعد أن أعلن «برستد» رأيه هذا في كتابه «تاريخ مصر» في العقد
الاول من هذا القرن العشرين ، توالى المكشوف بعد ذلك ، وأصبح لدينا
النص المصرى الهيروغليفى ، الذى ترجمت ونشرت منه فقرات كاملة
برمتها في كتاب العهد القديم (التوراة) ، فقد تعرف الاستاذ « هوجو

(٢) هناك ما يشير الى ان اخناتون قد أقام ثلاثة مراكز لنشر دعوته
في أنحاء الامبراطورية المصرية في «أخيتاتون» (تل العمارنة) و«جم آتون»
في «كاوا» وراء الجندل الثالث في مقابل بلدة «دلجو» الحالية ، وأما
المركز الثالث فقد كان في غربى آسيا (ربما في اورشليم أو بيت شمس) ، وعلى
أى حال ، فرغم اننا لا نعرف مكان هذا المعبد الاسيوى على وجه اليقين ،
فهو لم يكن أقل منزلة من معابد أجداد الفرعون التى شيدت للاله آمون
H.R. Hall, The Ancient History of the near East, London,
1963, p. 300.

B. Gunn, JEA, IV, 1917, p. 169.

وكذا

A.H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 223.

وكذا

ومن ثم فربما قد انتقلت أنشودة اخناتون الى العبرانيين عن طريق هذا
المعبد الآتونى ، الذى ربما كان في اورشليم أو في بيت شمس ، أو في أى
مكان في غربى آسيا .

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., p. 367.

(٣)

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 367-368.

(٤)

على الانبياء العبرانيين ، بسبب حرج الموقف الذى وجد فيه شعبيهم ، حيث قد صاروا العوبة فى أيدي الممالك العظيمة وقتئذ ، وقد بقيت حالتهم تزداد حرجا ، الى أن غيروا نظرتهم الى ربهم «يهوه» الذى كان يوما ما معبودهم المحلى^(٨) ، فصار فى نظرهم الها مسيطرا على كل الامم^(٩) ، ويدير حركات جميع ملوك الارض ، ويستطيع السيطرة على كل مقاصدهم العدائية ، وتحويلها لخير بنى اسرائيل^(١٠) ، ثم لخير جميع العالم فى النهاية^(١١) .

وبدهى أن هذا الاتجاه الجديد فى الابحاث ، والذى يذهب الى أن نشيد اخناتون ، انما كان قوى التأثير فى أفكار العبرانيين ، بل انه ليذهب الى أبعد من ذلك ، الى أن العبرانيين انما كانوا قد اطلعوا على الادب الخلقى والدينى عند الامم الاخرى ، ونقلوا ما عثروا عليه من أفكارهم ، بل انهم انما كانوا ينقلون هذه الأفكار أحيانا بنفس التعبيرات التى صيغت فيها تلك الاصول الاجنبية — كما نرى فى نشيد اخناتون والمزمور (١٠٤) ، ومن ثم فقد وجد هذا الاتجاه معارضة شديدة من بعض المتعصبين لليهودية .

ورغم أن كثيرا من الباحثين — غير العالمين الكبارين جيمس هنرى برستد ، وهوجو جرسمان — يعضدون اتجاه تأثير نشيد اخناتون فى أفكار العبرانيين الدينية — ومنهم «آرثر ويجال»^(١٢) و «هـ ر هـول»^(١٣)

(٨) انظر : تكوين ١٢ : ١ - ٣ ، ١٣ : ١٤ - ١٥ ، ١٨ - ٢٠ ، ٢٦ : ٢٢ ، ٢٤ : ٣٨ ، ١٣ : ٤٦ ، ٤ : ٤ ، خروج ٢ : ٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ٦ : ٧ ، يشوع ٧ : ١٣ ، ٨ ، ١٣ : ٩ ، ١٨ : ١٨ ، صموئيل أول ٢٥ : ٣٣ ، أخبار أيام نان ١٦ : ٣٦ ، ول ديورانت : المرجع السابق ص ٢٤٣ ، صبرى جرجس : المرجع السابق ص ٥٢ .

(٩) انظر : محمد بيومى مهران : النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل — الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٨٧ - ٨٨ .

(١٠) انظر : اشعيا ٤٩ : ٢٣ ، ٦٠ : ١١ - ١٤ ، ٦١ : ٦٥ .

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 369. (١١)

Arthur Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, (١٢)

H. R. Hall. 'The Ancient History of the near East, London, (١٣)

1963, p. 306.

و « سير ألن جاردنر »^(١٤) ، و « فرانسوا دوما »^(١٥) و « جان يويوت »^(١٦) و « الكسندر شارف »^(١٧) ، بل ان «وليم هيز» ، انما يتساءل — مع صعوبة كبيرة ، وقليل من الرضى النفسى ، أو حتى عدمه — أن نرى كيف يمكن أن نفترض أن عبادة آتون انما كانت الاساس السابق لليهودية والانصرانية^(١٨) . وانطلاقا من هذا ، فان اتجاهها يذهب الى تأثير نشيد اخناتون في افكار العبرانيين الدينية ، لا يمكن أن يطيب قبوله — كما يقول أستاذنا الدكتور أحمد فخرى^(١٩) — (١٩٠٥ — ١٩٧٣) من امتلاأت نفوسهم تعصبا للكتاب المقدس فأخذوا يتشككون في ذلك ، ويقولون ان آراء اخناتون لم تكن جديدة على الديانة المصرية ، بل وان تعبيراته عن وحدانية الله كانت معروفة قبله ، واستمرت قرونا طويلة بعده ، ويقولون اننا لو فرضنا أنه كان يوجد في مصر جنود أرقاء من الاسرائيليين في أيام العمارنة ، فلم يكن هيسورا لهم أن يعرفوا تعاليم الآتونية ، بوجود اله واحد ، اله للعالم كله ، خلق الحياة وحافظ عليها ، وأحسن عباده نحوه بشعور قوى لتسكرائه^(٢٠) .

ثم يذهب بعد ذلك «جون ويلسون» — صاحب هذا الاتجاه — الى أنه لم يكن من بين هؤلاء العبرانيين من تسمح له حالته بأن يتعلم من مصر أناقتها في التفكير ، أو ما وصلت اليه في الدين أو الفلسفة ، اذ أن هذه الفرصة لا يمكن أن تيسر لجموع الأرقاء الذين يعملون في أحد المشروعات الحكومية ، لكي يتناقشوا مع الكتبة أو الكهنة ، فان أرواحهم

(١٤) A.H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 227.

(١٥) Francois Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, p. 322.

(١٦) جان يويوت : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر — القاهرة ١٩٦٦ ص ١٢٩ .

(١٧) الكسندر شارف : تاريخ مصر ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر — القاهرة ١٩٦٠ ص ١٤٠ .

(١٨) W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, II, Harvard, 1959, p. 281.

(١٩) أحمد فخرى : مصر الفرعونية — القاهرة ١٩٧١ ص ٣٢٨ .

(٢٠) J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt. p. 226.

البسيطة المعتادة على الحياة في الصحراء كانت تنظر بوجل الى بعض مساوئ المدنية المنهكة القوى ، وتشتاق الى الهرب من تلك العبودية القاسية ، ومن كانوا في مثل هذه الحالة لا نتوقع منهم أن يعجبوا بما حققته مدنية أرض العبودية (٢١) *

وفي الواقع — فانه بصرف النظر الان عن تأثير نشيد اخناتون في أفكار العبرانيين الدينية ، أو عدم تأثيره — فاننى ألاحظ أن « جون ويلسون » قد نسى — أو تناسى — عدة عوامل ، تفق عقبة كؤود في طريق وجهة نظره هذه ، منها (أولا) أن ديانة اخناتون انما كانت ديانة بسيطة في كل شيء — في عقيدتها وفي شعائرها — فهي تدعو الى عبادة اله واحد أحد ، وتلك ويم الله ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وليس فيها شيء من تعقيدات كهانة آمون وغيرهم من رجال الكهنوت المصرى *

ومنها (ثانيا) أن المستضعفين في كل أمة ، انصا هم — في أغلب الاحايين — أول من يؤمن بأصحاب الديانات ، وتاريخ النبوات شاهد على ذلك ، ومن ثم فكون العبرانيون مستضعفين في مصر ، ليس بالضرورة أن يكون ضعفهم هذا — أو استضعافهم — سببا يحول بينهم وبين تلبية دعوة الوحدةانية التي نادى بها اخناتون ، ومنها (ثالثا) أن العبرانيين لم يعودوا — بعد اقامتهم في مصر قرابة ثلاثة قرون ونصف قرن — بدوا ، وانما أصبحوا أشبه بالمصريين ، يعيشون حياة أشبه بحياتهم ، ويعبدون بعض آلهتهم *

ومنها (رابعا) أن الاحداث التاريخية تشير الى أن الاسرائيليين انما قد تعلموا كثير من أفكار المصريين الدينية ، وقصة الخروج من مصر وما حدث بعدها في سيناء ، يفهم منه بوضوح أن القوم ودوا لو أنهم يعودون الى مصر ، ويعيدون مراسيمها الدينية ، وتشير التوراة (١٣)

J. A. Wilson, Op-Cit, p. 256.

(٢١)

(٢٢) خروج ٣٢ : ١ - ٢٨ *

والقرآن الكريم^(٢٣) الى «قصة العجل الذهبي»^(٢٤) الذي عبده بنو اسرائيل في سيناء ، والتي تدل على تأثير الديانة المصرية في بنى اسرائيل ، ذلك أن عبادة العجل في مصر ، انما هي جد عميقة الجذور ، اذ ترجع الى ما قبل عصر موسى (القرن الثالث عشر قبل الميلاد) بكثير — الى أيام الاسرة الاولى المصرية^(٢٥) ، حوالى عام ٣٢٠٠ ق م — ثم استمرت حتى ظهور المسيحية وغابتها عليها ، وليس من شك فان بنى اسرائيل باتخاذهم العجل من بعد موسى ، انما كانوا لما اعتادوا في مصر من الآلهة مرتدين •

وسكذا يبدو واضحاً مدى تأثير الديانة المصرية في بنى اسرائيل ، تلك الديانة التي تمكنت من نفوسهم ابان اقامتهم الطويلة في مصر — والتي جاوزت أربعة قرون — لدرجة انهم ما كانوا بقادرين على الايمان بموسى ودعوته ، اما خوفاً من فرعون ، واما خوفاً من سيوخ بنى اسرائيل ، والى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى «فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم»^(٢٦) . باعتبار أن الضمير في «ملئهم» يرجع الى قوم موسى •

وعلى أى حال ، فلقد غالى بعض المتعصبين ضد اخناتون كثيراً ، حتى ترك فريق منهم موضع الدفاع الى موضع الهجوم — وكما يقول أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر (١٩٠٧ — ١٩٧٦م) ، طيب الله ثراه — يأتى آخر الامر من يذهب الى أن ديانة اخناتون لم تكن وليدة تفكيره ، ووحى فلسفته ، بل هي مأخوذة من التوراة ، زعماً منهم ببداية ظهورها قبيل عصره ، واستناداً الى التشابه بين بعض فقرات أنشودة آتون والمزمور (١٠٤)(٢٧) •

(٢٣) سورة البقرة : آية ٩٢ ، سورة الاعراف آية ١٨٤ — ١٥٢ ، سورة طه آية ٨٣ — ٨٩ •

(٢٤) انظر عن القصة : محمد بيومى مهران : اسرائيل — الكتاب الاول — التاريخ ص ٤٦٢ — ٤٧٩ (الاسكندرية ١٩٨٧) •

(٢٥) W. B. Emery, *Archaic Egypt*, (Penguin Books), 1963, p. 124. •

(٢٦) سورة يونس : آية ٨٣ ، وانظر تفسير المنار ٣٨٣/١١ — ٣٨٤ ، تفسير ابن كثير ٢٢٢/٤ — ٢٢٣ ، معانى القرآن للأفراء ٤٧٦/١ — ٤٧٧ ، تفسير القرطبي ص ٣٢٠٨ — ٣٢٠٩ ، تفسير الطبري ١٥/١٦٣ — ١٦٧ •

(٢٧) عبد المنعم أبو بكر : اخناتون ، القاهرة ١٩٦١ ص ٤٠ — ٤٢ •

غير أن حجج هذا الفريق من العلماء انما هي جرد واهية لأسباب كثيرة ، منها (أولا) أن «هوجوجرسمان» انما يذهب الى أن أنشودة اخناتون وصلت الى العبرانيين في فلسطين عن طريق فينيقية^(٢٨) ، وربما عن طريق المعبد الآتونى الذى بناه اخناتون في اورشليم أو في بيت شمس^(٢٩) .

ومنها (ثانيا) أن كثيرا من المزامير انما تنسب الى داود^(٣٠) ، عليه السلام (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) - أى في القرن العاشر قبل الميلاد ، ربما على الأكثر في النصف الثانى من القرن الاحادى عشر قبل الميلاد^(٣١) ، بينما عاش اخناتون (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م)^(٣٢) ، في النصف الاول من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أى قبل أيام داود بما يقرب من قرون أربعة ، بل ان بعضا من المزامير انما يرجع الى أبام السبى البابلى (٥٨٧ - ٥٣٩ ق.م) ، وبعضها الآخر الى الفترة فيما بين عامى ٤٠٠ ، ١٠٠ قبل الميلاد^(٣٣) ، ومنها (ثالثا) أن كثيرا مما جاء في التوراة

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., 1939, p. 368. (٢٨)

H. R. Hall, The Ancient History of the near East, London, (٢٩) 1963, p. 300.

(٣٠) يحتوى سفر المزامير على ١٥٠ مزمورا ، ينسب الى داود منها ٧٣ مزمورا فقط ، وخمسون مجهولة المؤلف ، والبقية ترجع الى مؤلفين مختلفين (حسن ظاها : الساميون ولغاتهم ص ٨٤) .
(٣١) يختلف المؤرخون في فترة حكم داود ، عليه السلام ، فهناك من يجعلها في الفترة (١٠١٢ - ٩٧٢ ق.م) (I. Epstein, Op-Cit., p. 35)
ومن يجعلها في الفترة (١٠١٠ - ٩٥٥ ق.م)

G. Roux (Ancient Iraq, 1966, p. 454).

ومن جعلها في الفترة (١٠٠٤ - ٩٦٣ ق.م) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٣ ، ومن يجعلها في الفترة (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م)
(W. F. Albright, The Biblical Period, 1963, p. 120-121)

ومن يجعلها في الفترة (٩٨٥ - ٩٦٣ ق.م)

(Historical Atlas of the Holy Land, N. Y., 1959, p. 81)

A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, 1964, p. 443. (٣٢)

(٣٣) حبيب سعد : المرجع السابق ص ١٤٥ ، وكذا

M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, 1970, p. 898-899.

Sigmund Freud, Moses and Monotheism, Translated from the German, by K. Jones, p. 21-32.

— أو العهد القديم — انما يرجع في أصوله الى الادب المصرى القديم ،
كما سوف نرى في تعاليم «(أمنؤوبى)» وسفر الامثال ، ومنها (رابعا)
ماذهب اليه «(سيجموند فرويد)» (١٨٥٦ — ١٩٣٩م) في نظريته المشهورة
من أن موسى هو الذى نقل أفكار اخناتون الى الاسرائيليين عندما خرج
بهم من مصر^(٣٤) ، (حوالى عام ١٢١٦ ق م ، أو ١٢١٤ ق م) .

ومنها (خامسا) — وربما كان أدمها جميعا — أن مقارنة سريعة بين
المزمور (١٠٤) ونشيد اخناتون ، انما تدل بوضوح على أن نشيد اخناتون
— فيما ترى جمهرة العلماء — انما كان دون شك، هو أصل المزمور (١٠٤) .

(٣٤) انظر عن «تاريخ الخروج والاراء التى دارت حوله» ، محمد
بيومى مهران : اسرائيل — الكتاب الاول — التاريخ — الاسكندرية ١٩٧٨
ص ٣٥٧ — ٤٣٩ .

المزمور ١٠٤	نشيد اخناتون
(١) تجعل ظلمة فيكون ليل، فيه تدب كل حيوان وعمر (المزمور ١٠٤ : ٢٠)	(١) حين تغرب في الافق الغربى تصبح الارض في ظلام كالموات ، الليل ينقضى في غرف النوم ، والرؤوس مغطاة ، ولا ترى أعين أصحابها .
(٢) الاشبال تزمجر لتخيف ولتلتمس من الله طعامها (المزمور ١٠٤ : ٢١)	(٢) الاسود تخرج من أوجارها ، والثعابين تنساب لتلدغ .
(٣) تشرق الشمس فتنصرف ، وفي مأويها تريض، الانسان يخرج الى عمله والى شغله الى المساء (المزمور ١٠٤ : ٢٢ - ٢٣)	(٣) الارض زاهية حينما تشرق في الافق ، وتضيء في النهار مثل آتون ، أنت تقصى الظلمة الى بعيد ، وعندما ترسل أشعتك ، فان الارضين (مصر) تصبحان في عيد ، يستيقظ الناس ويقفون على أقدامهم عند ايقاظك اياهم ، فينظفون أجسامهم ، ويلبسون ثيابهم ، ويرفعون أكفهم تعبدا لطلعتك البهية ، ثم ينتشرون في الارض يبشرون كل منهم عمله .
(٤) هذا البحر الكبير الواسع الاطراف ، هناك دبابات بلا عدد ، صغار حيوان مع كبار ، هناك تجرى السفن « لويانان » هناك خلقت ليلعب فيه (المزمور ١٠٤ : ٢٥ - ٢٦)	(٤) السفن تبحر شمالا وجنوبا ، وتعج الطرق بالناس ، الاسماك في النهر تقفز أمامك ، وأشعتك تنفذ الى أعماق الاخضر العظيم .
(٥) ما أعظم أعمالك يارب، كلها بحكمة يارب، كلها بحكمة صنعت، ملأته الارض من غناك (المزمور ١٠٤ : ٢٤)	(٥) ما أكثر أعمالك ، انها على الناس خافية ، أنت الاله الواحد ، الذى ليس معه سواه ، وليس له من نظير ، برات الدنيا حسب رغبتك ، وكنت فردا ، خلقت البشر والانعام ، وكل ما يسعى على الارض يقدم، ويخلق في الفضاء بجناح ، خلقت بلاد خور وكوش وأرض مصر، ووجهت فيها كل فرد الى موطنه ، ودبرت للجميع شئونهم، فأصبح لكل فرد رزقه ، وتعين لكل فرد أجله ، وظلت اللسانة بينهم في النطق متباينة ، والهيئات والالوان متمايضة .

الفصل الخامس

أدب المدائح والملاحم والغناء والغزل

خلف لنا المصريون القدامى من تراثهم الادبى الذى يرجع الى أيام الدولتين الوسطى والحديثة نوعا من الادب يمكن أن نسميه «أدب المدائح والملاحم والغناء» ، امتاز بأسلوبه الشعرى الذى يجعله أقرب الى النظم منه الى النثر ، ولعل من خير ما يمثله تلك القصيدة الرائعة التى صور فيها الشاعر بأس الملك «سنوسرت الثالث» وقوته الخارقة ، فشبهه بالسد الذى يمنع النهر من ثورة فيضه ، وبالظل المظليل الواقى الذى ينعش أيام الصيف ، وبالركن الدافئ أيام الشتاء ، وبالجبل تتقى به العواصف يوم تنور السماء •

هذا وقد وصف الفراعين حروبهم على أيام الامبراطورية وصفا رائعا ، وقد أجادوا — بصفة خاصة — وصف معركة قادش ، والتى من خير أجزائها وصف الشاعر لموقف رعمسيس الثانى فى محنته الكبرى ، عندما أحاطت به قوات العدو ، فأخذ يستغيث بأبيه آمون ويطلب منه العون ، ولما استبطأ معونته ضاقت نفسه ، وأخذ يناجيه معاتبا إياه ، عتابا يصور ما فى نفسه الملتاعة فى صراحة وإيمان •

هذا وقد عرف المصريون القدامى فى عهد الدولة الحديثة لونا من الادب ، يتمثل فى أغانى الحب التى يتغزل فيها المحب بحبيبته ، غزلا ساذجا ، مرسلا ، خاليا من الصنعة والتكلف •

أولا : من ادب المدائح

١ - مدائح سنوسرت الثالث

أحتل «سنوسرت الثالث» (١٨٧٨ — ١٨٤٣ ق.م) مكانة ممتازة فى تاريخ مصر الفرعونية كله ، حتى أنه لم تمض بضعة قرون على وفاته ، الا ونراه يعبد فى بلاد النوبة كاله ، وذلك على أيام «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق.م) ، ذلك لان تحوتمس الثالث — أعظم الفراعين المحاربين على الإطلاق — انما كان بطلا يقدر البطولة ، أو كما يقولون : لا يحسن الفضل الا ذووه ، ففى معبد «عمدا» بالنوبة ، الذى شيده تحوتمس الثالث ، نراه يأمر بتقديس «سنوسرت الثالث»^(١) ، وكذا فعل

H. Gauthier, le Temple d'Amada, Cairo, 1931.

A. Weigall, Op-Cit, p. 104.

«طهر اقا» (٦٨٩ - ٦٦٤ ق م) ، والامر كذلك في بومن والليسيه ، بل حتى العامة من القوم قد قدسوا سنوسرت الثالث ، ففي أحد المناظر على صخور أسوان منظر يمثل عائلة قام أفرادها باحضار قرابين للآلهة ، ومن بينها سنوسرت الثالث^(٢) .

وأما عن شهرته الحربية ، فقد تضخمت لدرجة أن أطلق عليه «هيرودوت» و «ديودور الصقلي» لقب «البطل قاهر العالم» ، ثم خلطوا بين حروبه وحروب «سنوسرت الاول» ، فضلا عن الرعامسة ، ومن ثم فقد نسبوا اليه فتوحات في آسيا الغربية وأوروبا الشرقية ، بل ان المؤرخ المصرى «مانيتو» انما يذهب الى أن «سنوسرت الثالث» قد أخضع كل آسيا في تسع سنوات ، وكذا أوروبا حتى تراقيا ، وانه اهتم بتسجيل أحوال الناس أينما ذهب ، ويذهب «ديودور الصقلي» الى أنه فتح بلاد العرب والحبشة والهند ، وبلغ البحر الاسود ، ووصل الى تراقيا وجعلها حدود مملكته ، وهو أمر جد مبالغ فيه ، وقد اختلط الخيال فيه بالحقيقة ، صحيح أن سنوسرت الثالث هو المؤسس الحقيقي للإمبراطورية المصرية ، في النوبة ، وصحيح أيضا أنه قام بحملة كبيرة على آسيا الغربية ، وصل فيها الى منطقة السامرة الجبلية ، ولكنه صحيح كذلك ، أن الرجل لم يركب البحر في حروبه ، وانما ركب النيل ليخضع العصاة في بلاد النوبة^(٣) .

وعلى أية حال ، وانطلاقا من كل ذلك ، فليس غريبا أن تظل ذكرى «سنوسرت الثالث» حية في نفوس القوم ، والتي تتمثل في تلك القصيدة الرائعة التي عثر عليها بين انقاض «اللاهون» ، والتي تعتبر ذات أهمية كبرى ، لانها الانشودة الوحيدة التي وصلت الينا من الدولة الوسطى

D. Randall-Maciver and C. L. Woolley, Buhen, Philadelphia, (٢)
1911, p. 41-42.

(٣) انظر : محمد بيومى مهران : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الثانى - مصر - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٤٠٨-٤١١
عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ١٨٢/١ ، وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 439.
Diodorus, I, 53 F.

في المديح الملكي ، وستكون مثالنا الوحيد لهذا العصر ، حتى تجود أرض
الكتانة الطيبة بأمثالها أو خير منها *

هذا وتتكون الانشودة من ستة مقطوعات ، وقد اهتم بنشرها -
وترجمتها والتعليق عليها كثير من العلماء من أمثال : جريفت^(٤) وهولر^(٥)
وزيئة^(٦) وجرابو^(٧) وارمان^(٨) وجدكه^(٩) وبوزنر^(١٠) وسمبسون^(١١)
وغيرهم^(١٢) ، فضلا عن ترجمات العلماء المصريين ، من أمثال سليم
حسن^(١٣) وأحمد بدوى^(١٤) *

ولنحاول الآن أن نترجم لأهم أجزاء هذه القصيدة :

١ - المقطوعة الاولى :

«لك الحمد يا «خع - كاو - رع» ، يا حور ، أيها الصقر المقدس»
«يا حامى الوطن ، وماد حدوده ، يا قاهر البلاد الاجنبية بقوة تاجه»
«يا من ضم الارضين (مصر) بين يديه ، ممسك البلاد الاجنبية بقوة ذراعيه»
«مجنبدل أصحاب السهم ، دون ضربة عصا»
«يا من يفوق سهمه دون أن يشد وتر القوس»
«مخفض أصحاب القوس في ديارهم»
«يا من سحق رعبه أقوام الأقواس التسع»

F. L. Griffith, Hieratic Papyri from Kahun and Gurab, London, (٤)
1898, Pls, I-III, p. 1-3.

G. Moller, Lesestucke, I, Berlin, 1961, Pls. 4-5. (٥)

K. Sethc, Agyptische Lesestucke, Leipzig, 1924, p. 65-67. (٦)

H. Grapow, in MfO, I, 1953, p. 189-209. (٧)

A. Erman, LAE, 1927, p. 134-137. (٨)

H. Goedicke, JARCE, 7, 1968, p. 23-26. (٩)

G. Posener, Op-Cit, p. 128-130. (١٠)

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 279-284. (١١)

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 198-201. (١٢)

(١٣) سليم حسن : الادب المصرى القديم ١٨٠/٢ - ١٨٤

(١٤) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٤٧ - ٢٥١

«يا من أمات خنجره ألوفاً من الرماة قبل أن تطأ أقدامهم حدوده»
 «يا من يفوق سهمه مثل «سخت»»
 «يا من قهر الآلاف ممن لا يعرفون بطشه»
 «ان كلمة من جلالته لتخضع أهل النوبة»
 «ان منطقته ليجعل البدو يولون الادبار»
 «هو الواحد الفرد ، ذو القوة الفتية ، الذائد عن حياضه»
 «مذهب الوهن عن شعبه»
 «جاعل الناس ينامون في أمان حتى طلوع الفجر»
 «شباب جنوده ينامون لان قلبه هو المدافع عنهم»
 «أوامر جلالته كبحت جماح النوبة ، وهزمت الاسويين»
 ٢ - المقطوعة الثانية :

«ألا ما أشد اغتباط الآلهة لانك ثبت قرابينهم»
 «ألا ما أشد أفرح بلدك لانك ثبت حدوده»
 «ألا ما أشد اغتباط آباءك لانك زدت في عطائهم»
 «ألا ما أشد اغتباط مصر بقوتك لانك حميت النظام القديم»
 «ألا ما أشد اغتباط شعبك بحكومتك لانك قضيت على السلب»
 «ألا ما أشد اغتباط جنودك ، لانك أسعدتهم»
 «ألا ما أشد اغتباط شيوخ قومك لانك جددت شبابهم»
 «ألا ما أشد اغتباط (مصر) بقوتك لانك حميت أسوارها»

٣ - المقطوعة الثالثة :

«ما أعظم سيد وطنه ، انه يعدل آلاف الالوف ، وآلاف غيرهم ، وما هم
 بالنسبة اليه الا قليل»
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو السد الذي يمنع النهر من ثورة فيضه»
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو القاعة الرطبة تبعث النوم لكل الناس حتى
 مطلع الفجر»

«ما أعظم سيد وطنه ، فهو حصن جدران من نحاس جوشن»
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو الحمى الذى لن يدرك الملاجئ اليه عدوه»
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو الظل الوارف الذى ينعش أيام الصيف»
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو ركن الدفء والجفاف أيام الشتاء»
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو الجبل الذى يمنع العواصف يوم تثور السماء»
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو شديد مثل سخمت على من تطأ أقدامهم حدوده»

٤ - المقطوعة الرابعة :

«جاءنا فولى أمر الصعيد ، ووضع التاج المزدوج على رأسه»
 «جاءنا فوحد القطرين ، وضم رمزى الوجهين (البوصة والنحلة)»
 «جاءنا فحكم المصريين ، وضم اليه الارض الحمراء»
 «جاءنا فحمى القطرين ، ومنح أرضهما السلام»
 «جاءنا فأحيا أهل مصر ، ومحا آلامهم»
 «جاءنا فمد الحياة للناس ، وجعلهم يتنفسون»
 «جاءنا فوطىء بقدميه أرض الاجانب ، وكبل أصحاب الاقوانس ، وكانوا
 لا يعرفون الخوف من قبل»

«جاءنا فحمى الحوض ، وأغاث الملهوف»

«جاءنا فوفر الوقر للشيخ»

«جاءنا فأعاننا على تربية أبنائنا ، ودفن الطاعنين من شيوخنا»

٥ - المقطوعة الخامسة :

«أنت تصب «خا - كاو - رع» الذى يعيش الى أبد الآبدين

«هو يعطيك الغذاء والخلص»

«أنت راعينا الذى يمنح النفس»

«أنت تعطيه اياه فى سعادة وفى مرات يخطئها العدد»

٦ - المقطوعة السادسة :

«ثنا لـ «خا - كاو - رع» الى أبد الآبدين»^(١٥)

(١٥) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٤٧ - ٢٥١ ، سليم حسن :
 المرجع السابق ص ١٨٠ - ١٨٤ ، وكذا

٢ - قصيدة مديح تحوتمس الثالث

هذه القصيدة وجدت على لوحة بمعبد الكرنك بالاقصر ، ومحفوفة الآن بمتحف القاهرة برقم ٣٤٠١٠ وتحتوى على مديح وجهه الاله نفسه لابنه الفرعون «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) ، والذي كان يدخل المعبد منتصرا بعد كل غزوة مظفرة ، وتشتمل على مقدمة وخاتمة مكتوبتين بلغة شعرية ، وأما الجزء الاوسط من القصيدة فانه شعر مقفى .

هذا وقد اهتم كثير من العلماء بنشر اللوحة وترجمتها والتعليق عليها ومنهم بيير لاکو^(١٦) ، وجيمس هنرى برستد^(١٧) ، وأدولف ارمان^(١٨) ، وجون ويلسون^(١٩) وفولكنر^(٢٠) وغيرهم^(٢١) ، هذا فضلا عن ترجمة المصريين^(٢٢) ، ونظرا لاهمية هذه القصيدة ، فقد انتحلها ثلاثة من ملوك الدولة الحديثة ، وهم أمنحتب الثالث (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق م) و «سيتي الاول» (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق م) و «رعمسيس الثانى» (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق م) تقول القصيدة :

«يقول أمون رع ، رب العروش فى الارضين ، تعال الى لتحظى بنورى ، أى بنى ونصيرى «من - خبر - رع» (منخبرع) الباقى أبدا ، اننى أشرق من أجل حبك ، ان قلبى ينشرح بمجيئك الميهون الى معبدى ، ويدأى تمزهاك الحماية والحياة ، ما أرق الشفقة التى تظهرها نحوى ، ولهذا سأثبتك فى معبدى ، وأمنحك الخير كله» .

=

- | | |
|--|------|
| M. Lichtheim, Op-Cit, p. 198-201. | وكذا |
| W. K. Simpson, Op-Cit, p. 279-284. | وكذا |
| H. Goedicke, Op-Cit, p. 23-26. | وكذا |
| A. Erman, Op-Cit, p. 134-137. | وكذا |
| P. Lacau, Steles du Nouvel empire, I, Cairo, 1909, p. 17-21. | (١٦) |
| J. H. Breasted, ARE, II, Chicago, 1907, Parag., 655-662. | (١٧) |
| A. Erman, Op-Cit, p. 254-258. | (١٨) |
| J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 373-375. | (١٩) |
| R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 285-288. | (٢٠) |
| M. Lichtheim, Op-Cit, II, p. 35-39. | (٢١) |
| (٢٢) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٨٥ - ١٨٩ ، أحمد بدوى : | |
| المرجع السابق ص ٤٩٨ - ٥٠١ . | |

«لقد رزقتك القوة والنصر على أمم الارض جميعا ، وبسطت سلطانك ورهبتك في كل بلد ، وجعلت الرعب منك يمتد حتى عمد السماء الاربعة ، ووضعت احترامك في كل جسد ، نداؤك الحربي يمتد بين أقوام الاقواس التسعة ، وجمعت أمراء الارضين جميعا في قبضة يمينك ، ومددت يدي فقيدتهم جميعا ، صعدت لك الالوف وعشرات الالوف من عصاة الجنوب (أهل القوس) ، ثم مئات الالوف من أهل الشمال ، وطارحت أعدائك تحت قدميك ، لتهلك منهم العصاة والمثائرين ، حتى دان لك أهل المشرق والمغرب في طول البلاد وعرضها ، تستطيع أن تضرب فيها مغتبط القلب حيث تشاء ، دون أن تجد في ربوعها من يعصيك» •

«وأعبرتك ماء الفرات الى «نهرين» قويا مظفرا بتأييد من عندي ، يسمعون صيحتك فيلوذون بالكهوف والمخابيء ، على حين كتبت أسلب أنوفهم نسمة الحياة ، وألقى في قلوبهم الرعب من بأسك ، وجعلت الصل على جبينك ناشرا ياكلهم ، ويحرق بناره أهل المناقع ، ثم يأتى على الخارجين من الاسيويين فيما يبقى ولا يذر ، وهيات لك النصر تتغلغل به في الارض جاعلا كل من يشرق عليه نوري من رعبك وعبيدك ، ولم يبق تحت السماء من يعصيك ، يجيئونك بأمرى مهطعين ، مقنعي رؤوسهم ، يحملون اليك جزى بلادهم ، وأتيت لك بالخارجين على سلطانك صاغرين تلتاع نفوسهم ، وترتعش أبدانهم» •

«واقيتك مؤيدا لتسحق أمراء «زاهي» (فينيقيا) ، فجعلتهم تحت قدميك ، ثم ألقيت عليك من نوري ما جعلهم يرونك في صورتى ، وواقيتك لتسحق الاسيويين ، فضربت أمراء العامو في أعالي فلسطين ، وأطلقتك عليهم في زينة الحرب ترديهم من فوق ظهر فرسك ، وواقيتك لتسحق المشرق ، ثم سقتك على أرض الاله فأريتهم اياك شهابا رسدا ، وواقيتك لتسحق الغرب ، وجعلت أهل «كفيتو» (كريت) و «آشى» (الآشيا = قبرص) تحت سلطانك ، يرون فيك فحلا ظافرا فتيا حديد القرنين ، لا يغلبه غالب ، وواقيتك لتسحق أهل المناقع والاخوار ، فبات أهل ميتانى يهتزون أمامك رعبا وهرقا ، وأريتهم اياك في صورة تمساح يملأ الماء رعبا ، فلا يدنو منه أحد» •

«ووافيتك لترهب أهل الجزائر في قلب الميم ، تروعههم صيحتك في ساحة
الوغى ، وأريتهم اياك كالظافر يصول فوق ظهر غريمه ، ووافيتك لتهلك
«التحنو» (الليبيين) و «الاولتنتيو» تصرعهم قوتك ، وأريتهم اياك في
أقصى الارض ، وجعلت ما يحيط بالاقيانوس في قبضتك ، وأريتهم اياك
في صورة «فهد» ثائر يذرع شطرى الوادى ، ووافيتك لتسحق النوبة ،
وجعلت بقاعها في يمينك حتى «شط» (مكان غير معروف في النوبة) ،
وأريتهم اياك في صورة أخويك (حور وست) ، ووضعت أختيك (ايزة
ونفتيس) خلفك لحمايتك ، على حين أن ذراعى جلالتي كانتا مرفوعتين
لنقبضا على كل شر» .

«انى أمدك بحمايتى يا ابنى ، يا أيها الثور القوى الذى يسطم في
طبية ، الذى أنجبته أعضائى الآلهية ، تحوتمس المخلد أبدا ، الذى عمل
لى كل ما تتوق اليه نفسى (كا) ، لقد أقمت لى بيتا ، وهو عمل سيبقى
أبدا ، وجعلته أطول وأعرض مما كان عليه من قبل ، والباب العظيم
(من خبر رع - أعياد أمون رع) ، ان أثارك أعظم من آثار كل ملك سلف ،
اننى راض عنها ، لقد ثبتك على عرش مصر لملايين السنين ، حتى ترعى
الاحياء الى أبد الأبدين» (٢٣) .

(٢٣) احمد بدوى : المرجع السابق ص ٤٩٨ - ٥٠١ ، سليم حسن :
المرجع السابق ص ١٨٥ - ١٨٩ ، وكذا

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 286-288.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 35-38.

A. Erman, Op-Cit, p. 254-258.

ثانيا : من أدب الملاحم

ملحمة معركة قادش (١٢٨٥ ق م)

بدأ ملوك الاسرة التاسعة عشرة يعملون على استرداد الامبراطورية المصرية المفقودة في آسيا ، ومن ثم فقد بدأ «سيتي الاول» (١٣٠٩ — ١٢٩١ ق م) بحملات ثلاث في فلسطين وسورية ، حتى اذا ما كانت الحملة الاخيرة حدثت المواجهة بينه وبين الحيثيين ، وطبقا لنصوص الكرنك ، فقد كتب لفرعون النصر ، كما حصل على كثير من الاسرى والغنائم ، وأجبر الحيثيين على العودة الى بلادهم .

وهكذا نجح «سيتي الاول» في أن يجعل حدود امبراطوريته تمتد شرقا من نهر الليطاني ، وأن صورومجدو ، وربما بيسان ، قد استمرت كقواعد عسكرية ، وأن الرجل وان لم يستطع أن يحرز تقدما بعيدا في سورية ، فانه قد نجح في أن يفرض هيبة النفوذ المصري في كل فلسطين ، وربما في سورية الجنوبية ، وأن يهزم الجيش الحيثي ، وأن يسيطر على اقليم «بنتسينا ، أميرامور ، ومولى الحيثيين»^(١) .

ويخلف «رعسيس الثاني» (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق م) أباه «سيتي الاول» على عرش الفراعين ، ويبدأ حكمه بأن يوالى الانتصارات التي حققها أبوه في فلسطين ، ثم مدها نحو الشمال ، الى سورية ، التي كان النفوذ الحيثي قد تغلغل فيها منذ أيام العمارنة ، ومن هنا بدأ الصدام بين مصر وخاتى ، وفي العام الخامس من عهد رعسيس الثاني (حوالي عام ١٢٨٥ ق م) حدثت معركة قادش المشهورة ، حيث كتب النصر فيها لفرعون ، بعد أن تعرض لكمين كاد أن يقضى عليه وعلى جيوشه ، ولكنه استطاع بفضل شجاعته النادرة ، أن يحول الهزيمة الى نصر ، وان كانت النتائج السياسية للمعركة لم تكن في مستوى النصر العسكري ، ومن ثم

(١) أنظر :

R. O. Faulkner, JEA, 33, 1947, p. 37-38.

J H. Breasted, ARE, III, Parag. 140-141.

فان كثيرا من الباحثين انما يذهبون الى أن الحدود بين الدولتين بقيت في موقعها عند نهر الكلب في فينيقيا تماما ، كما كانت قبل المعركة (٢) .

هذا وقد سجل الفرعون نصره هذا في ملحمة شعرية رائعة ، جعلته من شروم الحرب ، وأبطال المعارك ، وان نسبت خطأ الى كاتبها «بنقأور» الذى لم يفعل شيئا سوى تدوينها ، وهكذا أعطت الايام لـ «بنقأور» ما ليس من حقه ، بينما أخفت الايام شاعر الملحمة الاصيل ، فبقى محجوبا عن عيون التاريخ حتى اليوم .

هذا وقد سجلت قصيدة معركة قادش هذه ، على سبع واجهات وجدران مختلفة ، منها بوابة معبد الاقصر ، والجدران الجنوبية والشرقية لردفة المعبد ، والحائط الخارجى من الجدار الغربى لردفة أمانحتب الثالث من نفس المعبد ، والجدار الخارجى لقاعة العمدة العظيمة بالكرنك ، وكذا على الجدار الخارجى من البوابتين التاسعة والعاشر من معبد الكرنك ، وعلى الجدار الشمالى الغربى لمعبد رععمسيس الثانى فى أبيدوس ، وعلى البوابة الثامنة لمعبد الرامسيوم فى طيبة الغربية ، كما رسمت المعركة بتنصيلاتها فى المصالة الاولى من معبد أبو سمبل على الجدار الايمن (٣) .

هذا وقد اهتم بهذه القصيدة كثير من العلماء ، فقاموا بنشرها وترجمتها ، والتعليق عليها ، ولعل من أهمهم كوينتر (٤) وسليم حسن (٥)

(٢) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رععمسيس الثالث ص ٧٤ - ٩٣ .

وكذا A. H. Gardiner, The Kadesh Inscriptions of Ramesses, II, Oxford, 1960, p. 7-9.

H. Goodicke, JEA, 52, 1966, p. 72-92.

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 38-39.

J. H. Breasted, A History of Egypt, p. 423-441.

A. Bum, JEA, 7, 1921, p. 5-7.

(٣) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٦٨/٢ ، ولعل من الجدير بالاشارة أن هناك نصا للملحمة على بردية اقتسمها متحف اللوفر والمتحف البريطانى ، وما زالت محفوظة بهما .

(٤) C. Kuentz, la Bataille de Qadech, Memoires de L'Institut

Francais d'Archeologie Orientale, Vol. 55, (Cairo, 1928-1934).

S. Hassan, Le Poeme did de Pentaour et la rapport officiel (٥)

=

وكتشن^(٦) وبرستد^(٧) وويلسون^(٨) وفولكنر^(٩) وجاردنر^(١٠) وبرن^(١١)
والت^(١٢) وايدل^(١٣) وشولمان^(١٤) وجدكه^(١٥) ، هذا الى جانب عدة
ترجمات عربية^(١٦) .

وفي الواقع فلقد سجل شاعر الفرعون ، الذى لا نعرفه على وجه
اليقين ، أخبار معركة قادش فى ملحمة شعرية رائعة ، أشاد فيها بشجاعة
الفرعون وبأسه ، وببطولته الفذة ، ثم بصبره وثباته وحسن بلائه ،
فصوره لنا فى ساعة الكرب ، وقد اندفع فى صفوف العدو ، حتى اذا
ما توسطها أو كاد ، أحاطت به عجالات الحرب ، يعلوها فوارس الأعداء
من كل قرم ، وهنا يترك الشاعر فرعون يتحدث عن نفسه فيقول : «ولم
يكن معى أمير ولا فارس ولا راجل ، فلقد تولى عنى فرسانى ورجالى ،
وتركونى نهبا للعدو ، اذ لم يستطع واحد منهم أن يثبت لضرباته .

وقد أرخت الملحمة : «السنة الخامسة ، الشهر الثالث من فصل
النصيف ، اليوم التاسع من عهد جلالة الملك رع دار أختى ، الثور القوى ،

sur la Bataille de Qadesh, Cairo, 1929 .

K. A. Kitchen, Ramesside Inscriptions, Historical and Biographical, Oxford, 1969, II, p. 2-124 (٦)

J. H. Breasted, ARE, III, Chicago, 1907 (Reprint N.Y., 1962). Parag. 298-327. (٧)

J. A. Wilson, AJSL, 43, 1927, p. 266-287. (٨)

R. O. Faulkner, MDIK, 16, 1958, p. 93-111. (٩)

A. H. Gardiner, The Kadesh inscriptions of Ramses, II, Oxford, 1960. (١٠)

A. H. Burne, JEA, 7, 1921, p. 191-195. (١١)

A. Alt, ZDPV, 55, 1932, p. 1-25, 66, 1943, p. 1-20. (١٢)

E. Edel, ZA, 15, 1949, p. 195-212, AEO, I, 188-189. (١٣)

A. R. Schulman, JARCE, I, 1962, p. 47-53. (١٤)

H. Goedicke, JEA, 52, 1966, p. 71-80. (١٥)

M. Lichtheim, Op-Cit, II, p. 57-70 وكذا

(١٦) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٨٦٠ - ٨٧٥ ، سليم حسن :
المرجع السابق ص ١٩٢ - ٢١٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص
٢٢٩ - ٣٣٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

محبوب معات ، ملك مصر العليا والسفلى ، وسر ماع رع ، ستب ان رع ،
ابن رع ، رعسيس ، محبوب أمون ، معطى الحياة أبدا ، والان لسان
جلالته فى زاهى فى حملة نصره الثانية»

وأما القصيدة فتبدأ كالتالى :

«بداية انتصارات ملك مصر العليا والسفلى ، وسر ماع رع ، ستب
ان رع ، ابن رع ، رعسيس ، محبوب أمون ، معطى الحياة أبدا ، التى
أحرزها على بلاد خاتى ، ونهرين ، ربلاد أرزاوا وبداسا ، ودردنى ،
وبلاد ماسا ، وبلاد كاركيشا ولوكا ، وقرقميش وكدى وبلاد قادش ،
وبلاد أوجاريت وموشانت» *

«وكان جلالته شابا يافعا نشيطا لا نظير له ، قوى الذراعين ، جسور
القلب ، قويا كمونتو فى وقته ، كامل كآنوم ، يعم السرور عند رؤية بهائه ،
عظيم الانتصارات على كل البلاد ، لا يؤسر فى القتال ، جدار قوى حول
جنوده ، ودرعهم فى يوم المعركة ، رام لا نظير له ، وقوته تفوق الكثيرين ،
وهو الزاحف قدما»

وتستمر القصيدة فى وصف المعركة ، ولعل من أروع أجزائها أن يكون
وصف الشاعر لموقف رعسيس الثانى فى محنته الكبرى ، عندما أحاطت
به قوات العدو ، فأخذ يستنثيث بأبيه ورب «أمون» ، ويطلب منه العون ،
ولما استبطأ معونته ضاقت نفسه ، وأخذ يناجيه معاتبا إياه ، عتابا يصور
ما فى نفسه الملل من صراحة وإيمان *

«وقلم جلالته مثل مونتو ، واندفع وسط العدو الحيثيين
الادنياء وكان وحيدا ، ولم يكن معه أحد ، والقفت الملك خلفه ،
فوجد حوله ٢٥٠٠ عجلة حربية ، وكل جيوش الحيثيين الادنياء بكل
حلفائهم ولم يكن معى أحد من قوادى ، بينما كان كل ثلاثة منهم
على عجلة معا ، لم تكن معى عجلة واحدة ، أو راكب عجلة ، أو ضابط
من الجيش أو خيال ، فسألت أمون ربى : ما معنى هذا يا أبى أمون ؟ هل
من شأن الوالد أن يتخلى عن ولده ، هل أتيت أمرا من وراء علمك ، ألم

أمش وأقف بوحى من ارادتك ، وطبقا لأوامرك ، ما أجل رب مصر العظيم ، حين يسمح للملجانب أن يقتربوا من حماه ، ما الذى غير نفسك يا أمون ، وما قيمة هؤلاء الاجانب يا أمون ، وهم يكفرون بالرب ؟» • «أو لم أقم لك الآثار الكثيرة ، وأملا معابدك بالعبيد والاماء ، انى بنيت لك البيت العظيم الخالد ، ونحرت لك فيه عشرات الالوف من الاضحيات، وتركت الفلك تجرى بأمرك ، ووضعت بين يديك الكنوز الكثيرة ، اننى ادعوك واستنصرك أبى أمون ، وأنا بين اجانب كثيرين لا أعرفهم ، وقد تضافرت الاقطار الاجنبية ضدى ، وأصبحت وحيدا وما من أحد حولى ، أنا حارس نفسى وليس معى أحد ، تركنى جنودى الكثيرون ، ولم يلتفت الى واحد من خيالى ، أنادى على عرباتى ورجالى فلا يرد واحد على ندائى ، فدعوتك أنت ربى يا أمون ، مؤمنا بأنك أجدى على من ملايين المشاة ومن مئات الالوف من الفرسان ، ألا انى أدعوك يا أمون من تلك البقاع النائية ، مؤمنا بأن دعائى سوف يبلغك فى طيبة» •

ويستجيب أمون الى دعوات ابنه رعمسيس ، ويسمع الملك صوت أمون ، وهو يهتف به مليا ، آمرا اياه أن «أقدم ، وانى لأبوك ، وانى لأكثر نفعا لك من مئات الالوف من الرجال ، أنا رب النصر الذى يحب الشجاعة» ، ويتشجع الفرعون عندما يحس أن ربه أمون معه يدفعه الى الجهاد ، فينحط على جماعات كثيرة من الاعداء ، ويبدى شجاعة خارقة فى تلك اللحظات العصيبة ، ويستطيع أن ينقذ نفسه من هذا المأزق الخطير، الذى وضعه فيه ملك الحيثيين وجنده ، عندما أحاطوا به من كل جانب ، فى وقت تفرق عنه جنوده وتركوه وحيدا فى ساحة الوغى •

وقد تمثل عون أمون لولده الفرعون فى فرقة «نعرين» الذين أتوا عن طريق أرض أمور ، واقتحموا الميدان ، وكانت قلوبهم واثقة من قوة الفرعون ، «لوكان هو لهم كجدار من النحاس ، وكجدار من الحديد» ، وشدد فرعون هجومه ، فلم يجد أعداء أمامهم سوى النهر ، وألقوا أنفسهم اليه ، وغرق بعضهم فيه ، والى هذه اللحظات العصيبة يشير رعمسيس بقوله : «هناك وجدت نفسى ، ففاضت نفسى غبطة وسرورا ،

وأحست أننى قادر على الجهاد ، فغدوت مثل اله الحرب مونتو ، وأخذت أرمي باليمين ، وأضرب بالشمال ، كأننى «بعل» فى ثورته ، وبدأت لى الخسمائة وألفا (٢٥٠٠) عجلة من عجلات الحرب التى أحاطت بى ، وكأنها حطام عديم الخطر أمام خيلى ، وأولئك أعدائى قد أصبحوا عاجزين فلا يستطيعون حربا ، لقد وهنت نفوسهم ، وكلت أيديهم ، فما يستطيعون أن يطلقوا سهامهم ، أو يهذفوا رماحهم ، فدفعتهم الى اليم يغوصون فيه كالتماسيح ، بعد أن كبكوا على وجوههم ، فاضطربوا وأخذ بعضهم يموج فى بعض ، وأخذت أنصيد من جسمهم كيف أشاء ، ووقف الملك الحيثى ينظر ذلك كله ، فاستدعى كل قواده وأحلافه ، واتجهت نحوهم أسرع من النار ، وجملت عليهم مثل مونتو وأذقتهم طعم يدى فى لحظة ، وكان الواحد منهم يصيح لآخيه ، ما هذا بشرا ، ان هذا الا «سوتخ» انه بعل مجسدا ، وانه لذو قوة طاغية ، وفعاله لا تتفق لبشر ، ألا فلننقذ أنفسنا ، وننجوا بحياتنا ، ألا تكون كيف يأخذ الشلل أبدان من يقتربون منه»

«وانطلق وراءهم وكاد يقتلهم ، وكان يصيح بالجند وراكبى العجلات ألا فلتثبتوا ، ولتثبت قلوبكم ، أى جندى وعرباتى ، أنا وحدى ، وأمون سندى ، وتحدث «مننا» الى جلالته يمتدح شجاعته ، ويثبت الملك قلب «مننا» قائد عربته ، وهو يقول : ماذا فى قلبك عن هؤلاء الاسيويين ؟ سوف أذبهم وألقى بهم فى الرغام ، أقسم بأمون انهم أشرار ، لانهم ينكرون الاله (الله) الذى سوف لا يضىء وجهه على ملايين منهم ، واخترق الملك صفوف العدو ست مرات ، وكان يذبهم ، ولم يفلت من أراد قتله منهم» .

وهنا أقبل جند الثرىون ، وأخذوا يصفون بركابه ، هناك خاطبهم بأغلظ القول ، ووجه اليهم أعنف اللوم ، لما كان من انصرافهم عنه وانفضاضهم من حوله ، وهحاولا فى الوقت نفسه أن يستفزهم الى حسن البلاء ، أنظر اليه اذ يقول متحسرا : «من هم اذا عظمائى وفرسانى ورجالتى الذين يعرفون القتال ؟ أوليس يجدر بالرجل أن يسعى الى المجد ليلقاه جزاء ما يبدى بين يدى سيده من شجاعة ، فيغدو بذلك طيب السيرة

لانه قاتل بما في وسعه من شدة وبأس ، ولان الشجاعة حلية الرجل منذ القدم ، كانى لم أعمل صالاحا ترصونه ، حتى نبذتمونى وحيدا بين جموع البدو ، وكأنكم استمترأتم طبيبات الحياة أو استمتعتم بنعيمها من دونى ، ألا ترون أنى سباجكم القوى ؟ لسوف يتحدث الناس بترككم اياى وحيدا لا يؤنسنى رفيق ، ولا يؤيدنى محارب.ولكنى حاربت الملايين من الاجانب وحيدا ، لا أملك غير فرسى ، وسائق ركابى ، ومن كانوا فى معيتى من خدام قصرى» •

ثم يتعمد الفرعون أن يذكرهم بما وفره لهم فى مصر من مآثر طيبة ، ومعاملة حسنة ، ثم كيف قربهم اليه وأحبهم ، وقال لهم : «لعله ما من أحد منكم الا أسديت له فضلا فى وطنى ، اذكروا انكم كنتم فقراء فأغنيتكم ، بأفضالى المستمرة ، وأقمت الابن منكم على أملاك أبيه ، وحرصت على أن أبعد كل شر عن مصر ، وتجاوزت عن ضرائبكم ، ولم يحدث أن اغتصب أحد شيئا منكم ، وكل من أعلن منكم شكايته زكيته تماما ، تذكروا أنه ما من مولى قدم لجنوده ما قمت به لارضائكم ، فقد سمحت لكم بالاستقرار فى بيوتكم ومدنكم ، كلما أعفيتكم من القيام بمهام الجيش ، وهكذا كان شأن خيالىتى يسرت لهم السبل الى قراهم» ••• ثم يقول : ها أنتم أولاء سوف تعودون عودة تعسة ، كلكم جميعا لا يعود أحد منكم ، فيقف ليمد يده الى ••• لقد كنت أحارب ، وأقسم على ذلك بـ «كا» أبى أمون ، الذى عاد فرأنى فوق مصر ، كما كان آبائى من قبل ، أولئك الذين لم يرو السوريين •••» ثم يختم حديثه بقوله : «انى حاربت وحدى ملايين البشر ، لا أملك غير فرسى هذين (النصر فى طيبة – والالهة موت) ، وانى لجاعل علفهما بين يدي وتحت عيني ، عندما أعود الى طيبة ، وذاكر منا سائق عجلتى ، لانه بقى الى جانبى مع خدم قصرى ، كل هؤلاء شاهدوا الموقعة معى ، تأمل : لقد وجدت أنهم أظهروا لجلالىتى الشجاعة والنصر ، بعد أن خذلت بساعدى القوى مئات الالوف مجتمعين معا» •

وفى اليوم التالى يوالى رعمسيس وجنده هجماتهم على الحيثيين ، «ولما انفلق الصبح واصلت الحرب ، وكنت مستعدا للمعركة مثل الثور

اليقظ المتأهب للنزال ، وقد ظهرت عليهم وكأنى «مونتو» ، ومعى محاربون أقوياء ، وقد اخترقت وسط المعمة مثل الصقر عند انقضاضه على الفريسة ، والصل الملكى على جبهتى ينفث النار فى وجه أعدائى ، وأما أنا فكنت مثل «رع» عندما يشرق فى الصباح ، فكأنت أشعنى تحرق أوصال العدو ، وكان الواحد منهم ينادى الآخر : خذوا حذرکم ، اجمعوا أنفسکم ، تأملوا فان «سخت» معه على جواديه ، فاذا اقترب منه أحد ، فان لهيب النار يمتد اليه ويحرقه» •

ويرسل ملك الحيثيين الى فرعون قائلا : «انك رع حار أختى ، وأنت سوتخ العظيم البطش بن نوت ، وان «بعل» فى أوصالك ، والفزع سرى منك الى أرض خاتى ، وقد كسر الى الابد ظهر أمير خاتى» ، ثم يرسل ملك الحيثيين رسوله يستعطف فرعون بعبارات لا تخلو من ألم ومذلة : «هل من الخير أن تبطش بعبيدك ، ووجهك الكريم يلاحظهم دون أن ترحم ، تذكر ما فعلته بالامس حين قتلت منا مئات الالوف ، أتأتى اليوم أيضا ، ولا تبقى من رجالنا باقية ، لا تكن قاسيا فى حكمك أيها الملك المهام ، فالسلام خير من الحرب» ، «هناك فاض قلب فرعون اشفاقا ورحمة ، ولكنه قبل أن يقبل ضراعة العدو ، أراد أن يعرف رأى رجاله ، الذين أجابوه فى صوت واحد : الصلح خير عظيم ، وليس فى السلام من بأس ، ان أنفذته ، ومن الذى لا يهاب يوم نقمته» ، وسرعان ما غلبت على الفرعون سماحة المصرى ، «فأذن فرعون بالاستجابة الى دعاء العدو ، وبسط يديه من أجل السلام ، وقفل راجعا مع جنوده فى أمان الى أرض مصر» •

«ووصل سالما الى «بيت رعسيس عظيم الانتصارات» (العاصمة قنتير) ، ومكث فى قصره ممثلا حياة مثل «رع» على عرشه ، وقد رحبت الآلهة بحضوره قائلين : مرحبا بابننا المحبوب ، رعسيس محبوب أمون» ، ثم منحوه آلاف آلاف الاعياد والخلود على عرش والده «أتوم» وكل البلاد والاراضى الاجنبية أصبحت تحت قدميه» (١٧) •

(١٧) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٨٦٨ - ٨٧٤ ، سليم حسن :

بقيت الإشارة الى أن هناك بعضا من الباحثين انما يتهمون الفرعون بالمبالغة في وصفه لدوره في معركة قنادش هذه، بل ان هناك آخرين يذهبون الى أبعد من ذلك ، حيث يرون أن الفرعون لم يحقق نصرا في معركته هذه •

وأما أن هناك مبالغة في وصف دور الفرعون ، فنحن لا نبرأ النص من ذلك ، وأما أن الفرعون لم يحقق نصرا في معركة قنادش هذه ، فتلك مبالغة من الذين يتهمون الفرعون بالمبالغة ، ذلك لان نصر الفرعون في المعركة انما هو حقيقة ، لا ريب فيها ، وأن هناك عوامل كثيرة من وراء نصر الفرعون ، منها :

أولا : تباطؤ جيش الحيثيين ، وانهمالهم في جمع الاسلاب والغنائم من فيلق راع •

ثانيا : وصول فرقة «نعرين» الى ميدان المعركة في الوقت المناسب •

ثالثا : شخصية الملكين - المصري والحيثي - كقائدين •

والرأى عندي أن أهم الاسباب جميعا ، انما كانت شخصية الفرعون الشاب - والذي لم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره بالكاد ، ان لم يكن قد وصلها - فلقد لعبت شجاعة رعمسيس الثاني النادرة ، وصموده أمام أعدائه ، واستبساله في القتال ، قبل وصول فرقة نعرين ، الدور الاساسي والحاسم في النصر •

والا فخيرنى بربك : ماذا ستكون فائدة قوة فرقة نعرين ، لو أن الفرعون الشاب قد تنازل عن القتال - كما فعل كثير من جنده - ومن

المرجع السابق ص ٢٠١ - ٢١٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٣١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، وكذا
H. Goedicke, Op-Cit, p. 71-80.
J. A. Wilson, Op-Cit, p. 266-287.
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 62.
R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 93-111.
A. H. Burne, Op-Cit, p. 191-195.

هنا فأننى أميل إلى أن موقف رعمسيس الثانى ، النادر الشجاعة ، انما كان العامل الاول والحاسم فى احراز النصر ، وأما الملك الحيثى ، فلم يكن كفؤا لإدارة المعركة ، يبدو ذلك واضحا ، عندما نراه يقف عاجزا ، دون أن يرسل مشاته ، بعد أن قضت عجالاته على فيلق رع ، نتيجة الكمين الذى أحكم تدبيره ، بل وكاد أن ينشر الرعب فى قلوب المصريين ، وأن يشيع روح الهزيمة بينهم ، وأن يجعل الفرعون محصورا بين جنود الحيثيين .

وقد ناقش الميجر «برن» ذلك ، وخلص منه الى أنه ربما كانت مخاضة «تسبتونا» (التى أعد الكمين فيها للقضاء على الجيش المصرى) أعمق مما يجب على المشاة ، وأن الملك الحيثى لم يستطع أن يقنع مشاته بعبورها ، وربما كان الرجل يفقد تلك الهبة فى القائد ، فضلا عن الحزم وحسن التصرف فى الملاحظات الحاسمة ، ومن ثم فان فرقة خيالاته التى كثر عددها قد اختلفت فى غبار التراب ، وأصبح الموقف مظلما ، وضاع النصر ، ومع ذلك كله ، وكما أشرنا من قبل ، فان النتائج السياسية لم تكن فى مستوى النصر العسكرى ، حتى أن الحدود بين المولتين بقيت فى مكانها عند نهر الكلب فى هينيقيا تماما ، كما كانت قبل المعركة ، وعلى أية حال ، فان الفرعون طالبا أرجع النصر الى عون ربه آمون أولا ، ثم الى شجاعته وجهده الشخصى ثانيا (١٨) .

(١٨) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ص ٨٤ - ٩١ ، وكذا

A. Burn, JEA, 7, 1921, p. 194-195, The Art of War on Land, p. 36-47.

A. Gotz, LDZ, 32, 1929, p. 832-838.

J. Kuentz, BIFAO, 55, p. 14.

F. Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, p. 409.

A. Weigall, Op-Cit, p. 157-159.

وانظر عن «نعرين»

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, p. 263.

J. A. Wilson, ANET, p. 256.

H. Goedicke, Op-Cit, p. 79-80.

A. Burn, Op-Cit, p. 194.

ثالثا - من أدب الغزل والغناء

اولا : اغانى الغزل

عرف المصريون القدامى على أيام الدولة الحديثة (١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق.م) لونا من الادب يتمثل في أغاني الحب التى يتغزل فيها الحبيب بمحبوبته ، غزلا ساذجا مرسلا ، خاليا من التكلف والصنعة ، وعلى أية حال ، فلدينا مجموعات كاملة من قصائد الحب ، ورغم قلتها - بالنسبة الى غيرها من فنون الادب الاخرى - فانها تبين لهما يرى بعض الباحثين^(١) ، أن شعر الغزل قد وصل الى شكل ربما يدل على ممارسة ، ليست ، على أية حال ، قصيرة ، كما يشير الى ذلك ، اختيار اللفظ وتكوين العبارة ، واذا قارنا لغة الشعر بلغة النثر ، لوجدنا أن الاولى ، انما تتميز على الثانية برقة اللفظ وموسيقيته وانسجامة ، وأما الصورة الشعرية فربما قد وصلت الى مستوى قريب مما وصلت اليه الصورة في الشعر الحديث غير المقفى ، وليس من المستبعد أن ذلك الشعر ، بما فيه من قوة المعنى وجمال الاسلوب وصدق التعبير ، انما كان يؤثر في عواطف السامعين ويشجئهم ، عندما يسمعون غناء يوقع المغنون والجوارى أنغامه على أوتار العود ، وأى نغم تشجى النفوس ، وتحرك فيها العواطف ، أقوى من تلك النغم التى يغنيها الرجل الذى يضمنيه الحب ، فيلتمس منها شفاء الروح في عينى حبيبته ، ويستقطر الدواء من شفيتها ، وأى وصف أجمل وأوفى من ذلك الذى يخلعه الحبيب على من يحب ، فهو يجد في طلعتها طلعة الزهراء في باكورة العام السعيد ، تضىء بأشراقها دنياه ، وتجعلها جميلة وضاءة ، ويرى الجمال في عينها ينبعث منها كلما مدت الطرف اليه ، ويرى الحلاوة في شفيتها سيالة بكلماتها العذاب اللطاف ، وهى - الى كل ما ذكر من محاسنها - طويلة الجيد ، ناعمة الثدى ، سوداء الشعر ، يللمع سواده في عينيه فيبهره ، وعلى ذراعيها طلاوة تفوق

(١) منير مجلى : الجزيرة المسحورة - نصوص من الادب المصرى القديم ص ٢٣ .

طلاوة الذهب^(٢) ، ثقيلة الردف ، دقيقة الخصر ، فى ساقىها جمال يزيدھا
رشاقة ، كلما تهادت على الارض^(٣) .

وهناك مجموعة من أشعار الحب مكتوبة على بردية هيراطيقية من
عصر الاسرة التاسعة عشرة (١٣٠٩ - ١١٨٤ ق م) ، وهى محفوظة الان
بالمتحف البريطانى برقم ١٠٠٦٠ ، وتعرف عند العلماء باسم « بردية
هاريس رقم ٥٠٠ »^(٤) ، وان كان البعض يفضل تسميتها باسم «مجموعة
منف» لذكر اسم المدينة فيها ، وعنوانها «بداية الاغنى الجميلة لحبيبك
الذى يحبها قلبك والذى تأتى اليك من المرح» ، وتتحدث فيها الفتاة التى
وقعت فى الحب عن الطائر والشرك والطعم والعبير والتعويذة وصيحات
الطير والطبيب الذى يحمله فى مخالفه^(٥) . الخ ، هذا وقد تعرض كثير
من الباحثين لاغنى الحب ، نشرا وترجمة وتعليقا^(٦) .

(٢) كان ذلك اللون القمى الفاتح هو لون النساء فى مصر الفرعونية ،
وهو ما يزال كذلك بين سكان الريف حتى اليوم - وخاصة فى الصعيد - ولولا
الذى أدخل على دماء المصريين من مختلف الشعوب التى صاهرتهم منذ
نهاية العصور الفرعونية ، لاستطاع القسوم أن يحتفظوا باللون بشرتهم
القديمة التى تبدو لنا فى صور القبور ورسومها ، ولم ير الشاعر المصرى
طلاوة يكسو بها جمال ما يبدو من لون بشرة الحبيب خيرا من لون الذهب
(أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٢٩ ، هامش ٢) .

(٣) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٢٨ - ٩٢٩ .

(٤) انظر : منير مجلى : المرجع السابق ص ٢٧ - ٤٨ ، وكذا

A. Erman, LAE, 1927, p. 244-246.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 189-192.

(٥) منير مجلى : المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٧ .

E. F. Wente, in JNES, 21, 1962, p. 118-128.

H. Briner, JNES, 25, p. 130-131.

M. Lichtheim, in JNES, 4, 1945, p. 178-212.

W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London,

1977, p. 296-326.

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1976,

Vol. II, p. 179-193.

S. Schot, Altägyptische Liebeslieder, Zunch, 1950, p. 39-69.

P. Gilliert, La Poesie égyptienne, Brussels, 1949, p. 42-79.

هذا الى جانب عدة ترجمات عربية للاستاذة : سليم حسن وأحمد بدوى
وأحمد فخرى ونجيب ميخائيل وعبد العزيز صالح وعبد الحميد زايد ومنير
مجلى وغيرهم .

١ - ومن أغاني هذه المجموعة :

حبيبي قلبي يتمنى حبك
وكل ما تفكر فيه هو لك
انظر ماذا فعلت
جئت اصطاد بشرك في يدي
تهبط طيور بونت محملة بالطيب في مصر
وأول طائر يهبط يأكل طعمي
وأظفره فيها عبير
لكم أود أن نطلقها معا
وحيدة أنا بجوارك
حتى تسمع صيحات طائري المعطر
كم يحلو لي أن تكون معي وأنا أنصب الشرب
فما أطيّب الذهاب للمرج مع المحبوب
سأسحب شباككي وأعود ، ولكن ماذا أقول لأمي
وكل مساء أعود اليها محملة بالطيور
لسوف تقول لي : ماذا ألم تنسبني اليوم أي شراك ؟
آه أدار حبك رأسي
أوز البري يطير ويهبط جميعا
وهاهي الطيور ، ولكنها لا تهمني
فلدي حبك ، لي أنا وحدي
وقلبي يوائم قلبك تماما ولن أبعد عن جمالك
يا حبيبي يتوقف قلبي في الكعك اللذيذ أماهي
ولكن مذاقه كالملح في فمي
الشرب الذي كان حلوا له الآن طعم مرارة المطير
عبير أنفاسك ، هو ما يحيي قلبي
يا أجمل كل الناس كم أود أن أشاركك بيتك
زوجة لك ، كي تضع على ذراعي ذراعك
ولكنك أدركت عني حبك

أقول لقلبي بداخلي
 غاب عني حبيبي هذه الليلة
 وأصبحت كمن في القبر
 ألسنت أنت الصحة والحياة
 ألا تأتي الى ومعك الفرحة ، ألا تهلك صحة قلبي
 أظل على باب دارى أنظر ، آيات حبيبي الى
 عيناى على الطريق وأذنأى تسمع
 حب حبيبي لى هو همى الوحيد
 وقلبي معه لا يسكت
 ما هو ذا بيعث لى رسولا
 يجرى ويمضى مهرولا ليقول أصابنى مكروه
 قل أنك وجدت حبيبة أخرى
 لماذا تجعل قلب امرأة أخرى يتألم وأموت أنا
 ويسترجع قلبي حبك ، وينصف شعري مصفف
 اهرع لأبحث عنك لا يهمنى تصفيف شعري
 لسوف أصفه ان كنت ما تزال حيا
 حتى أكون على استعداد لك ، فى أى وقت

٢ - ومن أغانى هذه المجموعة :

تسعد قلبي فافعل بى ما تريد
 حينما أكون بين ذراعيك
 حبيبي دواء عيني ، رؤياك نور عيني
 أسكن بجوارك هادئة لانى أرى حبك
 يا من تسكن قلبي ، يا أعظم الرجال
 يا لهناء ساعتى التى أرتاح فيها معك
 آه لو دامت الساعة الدهر كله
 أنت حياة قلبي ، ولكنى حزينة فقد يهجرنى
 أنا حبيبك الاولى ، حديقتك
 زرعت فيها الزهور والنباتات ذات العبير

يصفو جدولها الذي حفرته يداك
حين تهب ريح الشمال المنعشة فهو المكان الجميل
الذي أنتزه فيه ، وعلى يدي يدك
جسدي مستريح وقلبي منتعش
عندما نسير معا عذب أن أصغى لصوتك
وأنا أحيا لأنى أسمع
عندما أراك كل نظرة
أطيب لى من أى طعام أو شراب
عندما تعود منتشيا وتنام على سريرك
أمسح قدميك ، فالصحة والحياة عندما ترجع
وهناك مقطوعة غزلية جاءت على (بردية شستر بيتى الاولى) ، يتنزل
فيها فتى بفتاة فيقول :

حببيتى درة فريدة لا مثيل لها في حسنها
هى أكثر جمالا من كل النساء
انها كنجم الزهراء في مطلع العام السعيد
ضياؤها ساطع وبشرتها وضاء
جميلة العينين حين تنظر ، عذبة الشفة حين تتحدث
تتكلم على شفثيها الكلمات المحرصة
طويلة العنق ، جميلة الثديين ، شعرها أسود فاحم
ذراعاها أبدع من الذهب في طلاوته
أصابعها مثل براعم اللوتس
ثقيلة الاردا ف ، نحيلة الخصر
ينبىء ساقها عن جمالها
ما أرشق قدما عندما تسير
سلبت قلبي مع قبلتها
انها تجعل أعناق الرجال تنثنى
مستديرة نحوها عند رؤيتها

ما أسعد من يلثم لهاها ، انه يصبح أقوى من غيره^(٧)

وهناك أغنية جاءت على «أوستراكا» في متحف القاهرة ، برقم ٢٥٢١٨
يبتدأ فيها فتى وفتاة ، حيث تقول الفتاة له «يا أخى» ، وهو يناديها
بـ «يا أختى»^(٨) ، ويبت كل منهما الآخر ما يعتدل في نفسه من شوق ،
وما يلاقيه من اوة ، حتى يحين وعد الزواج •

وقد جاء في هذه الاغنية :

تقول الفتاة :

«أخى : انه لجميل أن أذهب الى البحيرة لاستحم أمامك ، حتى ترى
مفاتنى في ثوبى الكتانى الجميل ، وهو مبتل ملتصق بجسدى ، أنزل معك
الى الماء ، ثم أعود اليك بسمكة حمراء وقد استقرت جميلة بين أصابعى ،
تعالى وانظر الى»

ويجيب الفتى :

«هناك على الشاطئ الآخر حب أختى (حبيتى) ، وبينى وبينها الماء
وتمساح على الشاطئ الآخر ، ولكنى حين أنزل ، فإن قلبى تملؤه الشجاعة
وإذا الماء أرض لقدمى ، فحبها يقوينى ، هى تعويذة سحر لى فى الماء»

«عندما أرى حبيتى قادمة ، تنفتح ذراعى لاحتضانها ، ويفرح قلبى
فى مكانه مثل ... عندما تأتى سيدتى الى ، وعندما أعانقها ، وتفتح لى

A. H. Gardiner, The Chester Beatty Papyri, No. I, p. 227-228. (٧)

Miriam Lichtheim, Op-Cit, P. 182.

(٨) كان المصريون القدماء يطلقون على الزوجة فى لغتهم - فضلا
عن «حمة» و «ست حمة» - لفظ «الاخت» أى «سنة» أو (سونة) (ولعلها
تشبه اللفظ العربى صنو) ، وكان ذلك نوعا من التعبير عن المحبة والاعزاز
للزوجة ، وكان الزوج يوصف بالنسبة لزوجته «هى» بمعنى «البعل» ،
و «نب» أى ولى الامر ، و «سن» أى أخ ، وكانت الانثى بالنسبة لزوجها
«رحمه» أى حرمه ، و «مره» أى حبيبة و «سنة أو سونة» أى أخت ، وإذا
تحدث الناس عنها قالوا «نبت بر» ، بمعنى سيدة البيت (عبد العزيز
صالح : الاسرة فى المجتمع المصرى القديم ص ٦)

ذراعها ، أحس كأننى فى «بونت» محاطا بالعطور ، وعندما أقبلها وتنفرج
شفتها ، انثنى بلا شراب ، وددت لو كنت جارية بين يديها ، حتى أرى
لون جسدها كله ، ليتنى كنت غاسل ثيابها ، لاغسل الغطر الذى فى ثيابها ،
وددت لو كتبت خاتما فى أصبعها ٠٠» (٩)

وأخيرا هذه القصيدة من أغانى الغزل :
«سبعة أيام حتى أمس لم أر فيها اخفى (حبيبتي)»
«تملكنى الداء ، وثقلت أطرافى ، وصرت أنسى نفسى»
«إذا عادنى مهرة الاطباء لا يرتاح قلبى الى علاجهم»
«إذا عادنى مهرة السحرة فمرضى لا يستجيب لسحرهم»
«ان ما يحينى هو أن يقولوا لى : انها هنا فاسمها هو منقذى»
«ان رسولها يأتى ويذهب ، لينعش قلبى»
«أختى أنفع لى من كل علاج ، انها أنفع لى من كل دواء»
«ان حضورها لى هو تعويذتى»
«لو نظرت لى اخضر جسمى ، واشتد ساعدى»
«حديثها يقوينى ، وحضنها ينعشنى»
«ولكنها مضت منذ سبعة أيام» (١٠) •

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 193.

(٩)

A. Erman, Op-Cit, p. 243-244.

وكذا

W. M. Muller, Liebesposie der alten Aegypten, Leipzig, 1899.

(١٠) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٣٤ ، أحمد فخرى :

المرجع السابق ص ٤٢٦ ، وكذا

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 185.

ثانيا - الغناء

اغنية الضارب على العود

توجد لدينا نسخة من هذه الاغنية محفوظة في «بردية هاريس رقم ٥٠٠» ، والتي توجد الان في المتحف البريطانى فى لندن (تحت رقم ١٠٠٦٠) ، وترجع الى حوالى عام ١٣٠٠ ق م^(١) ، وهناك نص آخر وجد فى مقبرة «با - أتون - حب» فى سقارة ، وترجع الى أيام العمارنة، وهى الان بمنصف ليدن^(٢) ، وان كانت تختلف عن الاولى الى حد ما .

هذا والبردية مكتوبة كذلك بمقبره «نفر حتب» فى طيبة الغربية (رقم ٥٠) ، وترجع الى الفترة (١٣٥٠ - ١٣٢٠ ق م) على رأى «جون ويلسون»^(٣) ، وان كان الدكتور أحمد فخري يرجع بمقبرة «نفر - حتب» هذه الى الاسرة الحادية عشرة^(٤) (الدولة الوسطى) ، وهناك كذلك رواية للاغنية منقوشة على قبر الملك «أنتف» من الاسرة الحادية عشرة ، ويذهب «جيمس هنرى برستد» الى أن أنشودة كاهن أمون «نفر حتب» من طيبة ، لا تكاد تماثل مقبرة «أنتف» ولا تعادلها فى التأثير ، وان كانت تحتوى على بضعة أسطر قيمة يجب الالتفات اليها^(٥) .

هذا وقد قام بنشر هذه الاغنية وترجمتها وشرحها والتعليق عليها كثير من العلماء من أمثال - جاردنر^(٦) ، وميلر^(٧) ، وشتياندورف^(٨)

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 467.

Ibid., p. 467.

Ibid., p. 467.

(١) احمد فخري : المرجع السابق ص ٤٢٢

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939. (٢)

p. 166. (٣)

A. H. Gardiner, in PSBA, 35, 1931, 165-170. (٤)

W. M. Muller, Die Liebesposie der alten Aegypter, Leipzig, 1932. (٥)

K. Sethe, Op-Cit, p. 94. (٦)

=

وزيتة^(٩)، وارمان^(١٠)، وويلسون^(١١)، وسيمبسون^(١٢)، وان كان (Miriam Lichtheim) من أكثر العلماء اهتماما بهذه الأغنية^(١٣)، هذا وقد كتبت «أغنية الضارب على العود» على أيام الدولة الوسطى، وكانت من الاغانى المحبوبة لدى المصريين القدامى حتى أخريات الدولة الحديثة، حتى أننا نجد لها نسخا من عهد الدولة الوسطى، ومن عهد الدولة الحديثة سواء بسواء.

وهي تعتبر، دونما ريب، من أجمل الاغانى المصرية، وتمثل نوعا من الاناشيد الدينية، وكانت تنشد بمصاحبة «الجنك» في حفلات الامراء، وهى على نقيض الدعوة الى السرور والابتهاج، تدعو الشاربين الى تذكر الموت القريب، وقد جاء في المصادر اليونانية انه كان يعرض في مجالس الشرب في مصر صور لموميا، حثا على الاستمتاع بالحياة القصيرة عن طريق تذكر الموت، وليس من شك في أن أغنية الضارب على العود، انما تصور لنا هذه الفكرة تصويرا فنيا جميلا^(١٤).

وأما أهمية الاغنية — كمصدر تاريخى — فهي تصور لنا ناحية من التفكير الجديد الذى بدأ ينتشر في تلك الحقبة من تاريخ البلاد، منذ أيام الثورة الاجتماعية الاولى، ذلك التفكير الجديد، هو الشك، فلقد بدأ القوم يتشككون في العقائد التى توارثها القوم عن الاجداد، جيلا اثر جيل، والتى كانت تجعل من الوسائل المادية طريقا للخلود، ووسيلة للمساعدة في الآخرة، وربما دفعهم الى ذلك ما أصاب جبانة الجيزة الفخمة

G. Steindroff, in ZAS, 32, 1894, p. 123-126.

A. Erman, LAE, 1927, p. 253-254.

J. Wilson, in ANET, p. 33-34.

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 306-307.

M. Lichtheim, JNES, 4, 1954, p. 178-212, Pls. 1-VII.

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, I, 1975, p. 193-197. وكذلك II, 1977, p. 115.

وانظر : سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٢١ - ٤٢٣ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٧٧/١ - ٢٧٨ .
(١٤) ارمان ورائكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ص ٤٣١ .

ومعابدها الرائعة ، من تخريب ، حتى أصبحت خرائب مهجورة ، حتى من كهانتها ، فضلا عن الذين أوكل اليهم أمر العناية بها •

ولم يقف الشك عند زعزعة الايمان بقيمة هذه الاضرحة الفخمة ، بل تعداها الى الشك في الحياة الآخرة نفسها ، وكما كانوا يقولون : وهل عاد الينا واحد من الراحطين •

وهنا قامت دعوة جديدة تنادى بأن يترك القوم لأنفسهم الحرية في أن يتمتعوا بالدنيا — ما استطاعوا الى ذلك سبيلا — فان الواحد منهم لن يأخذ به الى الآخرة شيئا مما اقتناه في دنياه ، ومن ثم فقد كان شعارهم : «امرحوا ولا ترهقوا النفس ، هل للانسان أن يأخذ شيئا مما اقتناه معه» ، وهكذا كانت هذه الاغنية تدعو القوم الى الاستمتاع بالدنيا ونبد الهموم ، بل والتشكيك فيما ينتظر الناس في العالم الآخر (١٥) •

وهكذا فان أغنية الضارب على العود ، انما تمثل عصرا بعد كل البعد عن عهد التسليم بالعقائد التقليدية ، دون معارضة فيها ، كما ورثت عن الآباء ، فان عقيدة الشك انما تعنى تجربة طويلة للعقائد الموروثة ، وبحيثا مستمرا فيما كان معترفا به حتى ذلك الحين دون تفكير ، ثم الشعور بالمقدرة الشخصية على الاعتقاد في الشئ وانكاره ، وهى تعد خطوة مميزة الى الامام نحو نمو الوعي النفسى ، والوازع الشخصى ، على أن عقيدة التشكيك هذه لا تنمو الا بين أفراد شعب له مدنية ناضجة ، ولا تنبت في الاحوال الفطرية ، ولذا فان هذا العصر (عصر الثورة الاجتماعية الاولى) والذي يمثل قمته التشكيكون الذين جاءوا عقب سقوط الوحدة الثانية ، يعد عصرا هاما في تاريخ التقدم العقلى عند البشر (١٦) ، وفي أغنية الضارب على العود ، دعوة الى أننا لا نعرف شيئا عن الحياة فيما وراء الموت ، لان واحدا من الراحطين لم يأت ليقص علينا ما رآه هناك ، واذا فلا طريق أمامنا سوى أن نمتع أنفسنا بأكبر قدر من الملذات

(١٥) انظر : محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعونية — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢١ — ٢٣ (رسالة ماجستير) •
J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y, 1939, p. 162 (١٦)

الحسبية ، ذلك لاننا لن نأخذ من ممتلكاتنا في هذه الدنيا شيئا معنا الى
الآخرة (١٧) .

تقول أغنية الخارب على العود :

«هذا خير للامير النبيل ، فقد مر بالنهاية السعيدة ، تمر أجيال وتأتى
في مكانها أجيال منذ زمن الاوائل ، يوقظه الاله رع عند الصباح ، ويغيب
الاله أتوم في المغرب ، يتناسل الناس ، وتحمل النساء ، وتستنشق كل
أنف من الهواء ، وعندما يشرق الصباح ترى أولادهم في أماكنهم» .
«الآلهة الغابرون (الملوك القدماء) يستقرون في أهراماتهم ، وكذا
يستقتر الاشراف الامجاد في مقابرهم ، لقد شادوا القصور التي لا أثر
لها اليوم ، فماذا حل بهم ؟ لقد استمعت الى كلمات «ايمحوتب» و «حور-
ددف» اللذين يتغنى الناس بأقوالهما في كل مكان ، أين مكان كل منهما
الان ، لقد تهدمت جدرانهما ولا أثر لكانهما بعد ، كأنهما لم يعيشا على
هذه الارض على الاطلاق» .

«لا أحد يعود من هناك (من عند الموتى) حتى يقص علينا ماذا في
الآخرة ؟ وحتى يحدثنا عما هم في حاجة اليه لتطمئن قلوبنا ، حتى تلك
اللحظة التي نرحل فيها نحن أيضا ، الى حيث «ذهبوا»

«ألا فلتبتهج ، ارم بكل الاحزان وراء ظهرك ، افرح وفكر في السرور
ولتتشبع رغباتك طالما أنت حى ، ادهن رأسك والبس الكتان الجميل ،
وتعطر بالروائح الزكية ، دع الغناء والموسيقى أمام ناظريك ، أكثر مما
لديك من ملذات ، اعمل ما أنت في حاجة اليه على الارض ، ولا تضجر
قلبك الى أن يدركك وقت الندب» .

«ان القلب الساكن (أوزير) لا يسمع عويلا ، والبكاء لا يوقظ أحدا
من عالم الموت ، لذلك فلتبتهج لليوم السعيد ، ابتهج دائما ، ولا تشعر
بكل من ابتهاجك ، استمع الى : لا يستطيع أحد أن يأخذ أمواله معه ،
ولا أحد من الراحلين يعود ثانية» .

(١٧) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٦٦ - ١٦٨ .

الفصل السادس

من أدب الحوار

عرف الادب المصرى القديم من فنون الحوار محاورة الانسان
للانسان ، ومحاورة الانسان لروحه أو ذاته ، ومحاورة بعض جسم
الانسان للبعض الآخر ، ومحاورة الحيوان للحيوان ، والطير للطير ،
والنبات للنبات ، فضلا عن محاورة المعبودات للمعبودات ، ولنأخذ مثالا
لهذا النوع من الادب «بردية اليائس من الحياة» •

بردية اليائس من الحياة

لاريب في أن «بردية اليائس من الحياة» انما تمثل نوعا من أدب
الحوار ، كما أنها تمثل واحدة من أهم وثائق عصر الثورة الاجتماعية
الأولى في مصر الفرعونية ، وتسمى أحيانا «نزاع رجل مع روحه» ،
وأحيانا «شجار بين انسان سيئم الحياة وبين روحه» ، وأحيانا «حديث
نسو مع روحه» ، وعلى أية حال ، فالبردية محفوظة في متحف برلين تحت
رقم (٣٠٢٤) •

هذا ، وكان «أدولف ارمان» أول من نشر البردية في عام ١٨٩٦م^(١)،
ثم أعاد ترجمتها ، مع ادخال تحسينات في كتابه عن أدب المصريين
القدماء، الذى نشره بالالمانية عام ١٩٢٣م ، والذى ترجمه الى الانجليزية
«بلاكمان» في عام ١٩٢٧م^(٢) ، كما نشر فولكر في عام ١٩٥٦م^(٣) ،
و «بارتا» في عام ١٩٦٩م^(٤) ، وهانز جدكه في عام ١٩٧٠م^(٥).

وقد اهتم أيضا بترجمة البردية وتحليلها كثير من العلماء من أمثال :

-
- | | |
|---|-----|
| A. Erman, Gespräch eines Lebensmuden Mit Seiner Seclé,
APAW, Berlin, 1896. | (١) |
| A. Erman, LAE, London, 1927, p. 86-92. | (٢) |
| R. O. Faulkner, JEA, 42, 1956, p. 21-40. | (٣) |
| W Barta, Das Gespräch eines Mannes Mit Seinem Ba, Mun-
chner agyptologische Studien, 18, Berlin, 1969. | (٤) |
| H. Goedicke, The Report about The Dispute of a Man With
His Ba, Baltimore, 1970. | (٥) |

الكسندر شارف^(٦) ، وجيمس هنرى برستد^(٧) ، و هـ هـ هرمان^(٨)
 و دى بك^(٩) وريموند فيي^(١٠) ، وهرمان يونكر^(١١) ، وجاكبسون^(١٢)
 وفون بسنج^(١٣) وجون ويلسون^(١٤) و سـ هـ هرمان^(١٥) و رـ وـ وليامز^(١٦)
 وفولكنر^(١٧) وغيرهم^(١٨) ، فضلا عن ترجمات عربية عدة^(١٩) .

هذا ويرجع تاريخ النسخة التى تحت أيدينا الى الاسرة الثانية عشرة
 (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق.م) ، وهناك اتجاه الى أنها منقولة عن نص أقدم ،
 يرجع الى ما قبل أيام الدولة الوسطى ، وربما الارجح الى وقت
 الاضطرابات فيما بين الدولتين القديمة والوسطى ، أى عصر الثورة
 الاجتماعية الاولى (نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد)^(٢٠) .

وتتكون البردية من مقدمة طويلة بليغة ، ثم أربع قصائد شعرية ،

-
- A. Scharff, SBAW, Munich, 1937. (٦) =
 J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, (٧)
 p. 168-181.
 H. Hermann, OLZ, 42, 1939, p. 141-153. (٨)
 A. de Buck, EX. Oriente Lux. 7, 1947, p. 9-32. (٩)
 R. Weill, in BIFAO, 45, 1947, p. 89-154. (١٠)
 H. Junker, AOAW, Phi-hist, KI, 1948, No. 17, Vienna, 1949. (١١)
 H. Jacobsohn, in Zeitfise Dokumente der Seele Studen aus (١٢)
 dem C. G. Jung Institut Zurich, Vol. 3, 1952, p. 1-48.
 F. W. Von Bissing, Altgyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, (١٣)
 p. 124-128.
 J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 405-407. (١٤)
 S. Hermann, Untersuchungen Zur Ueberlieferungsgestalt Mittela- (١٥)
 gyptischer Literaturwerke, Berlin, 1957 p. 62-79.
 R. Williams, JEA, 48, 1962, p. 49-56. (١٦)
 R. O. Faulkner, The Literature of Ancient Egypt, London, (١٧)
 1977, p. 201-209.
 Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, Londo, (١٨)
 1975 I, p. 163-169.
 F. Brunner-Traut, ZAS, 94, 1967, p. 6-15. وكذا
 G. Thausing, MDIK, 15, 1957, p. 262-267. وكذا
 (١٩) سليم حسن : المرجع السابق ٢٨٢/٢ - ٢٨٩ ، نجيب ميخائيل :
 الحضارة المصرية ص ٥١٨ - ٥٢٥ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص
 ٤٤٧ - ٤٤٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤٤ - ٣٤٧ .
 J. A. Wilson, Op-Cit, p. 405. (٢٠)

يذكر صاحبها في الاولى ، كيف قل تقدير الناس للرجل الفقير ، ثم يروى في الثانية بعضا من مأساته ، مبينا مدى ضيقه بالناس وبدنياتهم ، ورأيه هذا لاشك في أنه ملء بالتشاؤم ، جدير بتسخن يئس من حياته ، وصمم على ازهاق روحه ، وأما في الثالثة ، فاننا نرى «نسو» (صاحب القصيدة) انما يشيخ بوجهه عن شرور الدنيا ، ثم يتأمل الموت كمنجاة مباركة له ، وهذا الجزء الثالث من القصيدة ، انما هو — فيما يرى الدكتور أحمد فخري (٢١) — أجمل ما في البردية ، وأما في القصيدة الرابعة فنرى «نسو» يضيف امتيازات الموتى الذين لهم القدرة على مقاومة الشر ، وحرية الاتصال بالآلهة .

وأما أهمية البردية — كوثيقة تاريخية — فيرجع الى انها انما تقدم للباحث صورة لهذا العصر — عصر الثورة الاجتماعية الاولى — الذي سادته الشك واليأس ، فصاحب البردية (نسو) انما يدعو الى ترك الحياة ، والالتجاء الى الموت ، نتيجة لما لاقاه في حياته من ظلم وقسوة ، ومن ثم فهو في الواقع انما يصف الحالة الفعلية والتجارب الباطنية لنفس معذبة ، تتألم مما حاق بها من الظلم وسوء الطالع ، وانطلاقا من كل هذا ، فان «جيمس هنري برستد» ، انما يذهب الى أن هذا الموضوع ، انما يعد أقدم قطعة أدبية تتناول موضوع الخبرة ، والتي تعد أقدم مثال يمثل لنا صورة مما ورد في سفر النبي «أيوب» — كما جاء في توراة يهود المتداوله الميوم (٢٢) — وقد كتبت بردية «اليابس من الحياة» هذه ، قبل أن تظهر التجربة الماثلة المتضمنة هذا الشعور في سفر مماثل بين العبرانيين بنحو ألف وخمسمائة سنة (٢٣) .

هذا ويدعو «نسو» كذلك الى الاستغناء عن الطقوس الجنازية المعتادة ، كما تدعو روحه الى أن يعيش الانسان ناسيا حزله ، منعصا في السرور الى أذنيه ، ولعل هذه الدعوة التي تتنادى بأن يأكل الانسان

(٢١) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٤٨ .

(٢٢) أنظر عن «سفر أيوب» — كما جاء في التوراة — (محمد بيومي

مهران : اسرائيل ٦٧/٣ - ٧٣) .

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 168-169.

(٢٣)

ويشرب ، وأن يكون فرحا في يومه ، لأنه سيموت في غده ، انما تتفق مع ما نادت به من قبل «أغنية الضارب على العود» ، وان اختلفت معها في أمر هام وخطير ، اذ أخذت تبين أن الحياة فوق أنها ليست فرصة للسورر، والاسراف في اللذات ، فهي عبء أثقل حملا من الموت ، وهكذا دار حديث «نسو» حول السؤال الخالد عن معنى الحياة ، وهو سؤال يبرز للمرة الاولى — فيما نعلم — في تاريخ الآداب عامة ، وحديث الرجل ، على أية حال ، قطعة أدبية من خير القطع الادبية التي حفظت لنا من تاريخ مصر القديمة (٢٤) .

هذا فضلا عن أن قصيدة «نسو» هذه ، والتي مدح فيها الموت ، انما أقدم صيغة وصلت الينا ، عبر الفرد عما أصابه من العذاب ظلما وعدوانا، وأول صرخة من متألم برىء وصلتنا في عصور ذلك العالم القديم ، وهي تعد بحق ذات فائدة فريدة ، ولا تخلو من جمال حقيقى بما احتوته من حرارة نفسية خلابة (٢٥) .

وموضوع البردية حوار فلسفى بين «نسو» وبين روحه ، ذلك أن «نسو» انما قد يتأس من حياته بعدما أصابه فيها من نكبات ، وبعد أن تنكر له أقرب الناس اليه ، وبعد أن حرم من الدفاع عن نفسه ، وبعد أن حكم عليه ظلما ، وصار اسمه نتنا في أنوف الناس ، وبعد أن خربت الذمم ، وفسدت الضمائر ، وكفر الناس بالله وصدوا عن سبيله «منصرفين عن جد الامور لينغمسوا في الشهوات ، وليتورطوا في كبائر الاثم ، وقد قست القلوب وأنكر الناس ما قدم لهم ربهم من خير ، وفي لجج هذه الغمرة النفسية أخذ الرجل يسبح في ظلمات اليأس ، ويلتمس منها المخرج ويبحث عن أسباب الراحة ، فلا يكاد يهتدى اليها الا بالانتحار، والتخلص من هذه الحياة التعسة .

غير أن روحه قد التزمت جانب الرضا بدنياها ، والتخاضى عما وراءها ومن ثم فقد احتدم الجدل بينهما ، حتى تحدثه بأن يقدم على الانتحار

(٢٤) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٧٥/١
J. H. Breasted, Op-Cit, p. 173-174.
(٢٥)

حرقا ، ان كانت عازفا عن الدنيا ، راغبا في الموت ، فما جرؤ صاحبها في بداية الامر ، ولما امتنع عليها في الحالتين - الرضا بالواقع أو الرضا بالموت - امتنعت هي الاخرى عن مناقشته ، ولكنه سرعان ما عاود التفكير ثانية فيما دعت اليه ، واعتزم أن ينتقل هو وأياها الى عالم الآخرة ، وبدأ يستدرجها في الحديث عما تشجعه ، وأشهد عليها جمعا تخيله من الناس ، فما جاوبته بغير رد مقتضب عاتبها في اثره قائلا :

«عزيز على ألا تجاوبني روحى في يومى هذا ، أنها تهرب في يوم الشقاء ، أى روحى انه لغباء أن تصدى امرأ يملؤه الشجن ليحيا ، خذني الى الموت قبل أن يأتيني ، واجعلني من الغرب (عالم الآخرة) مكان سرورى ، فقد يثيبنى في الآخرة «تحت» ، مرضى الارباب بقضائيه ، وينافح عنى «خونسو» الكاتب بعدالة ، ويستجيب «رع» لابتهالاتي ، فعنائى قد ثقل وطؤه».

. وتصنعت الروح الغضب مرة أخرى ، وأجابته مرة ثانية باقتضاب . وهى تؤنبه «أأست رجلا ؟ لقد ابتغيت الحياة من قبل ، فماذا أنجزت ، ثم تأخذ الان تتأسى على الحياة شأن رب النعمة ؟ فأجابه : «إذا أبصخت لى روحى ، ولا خطيئة لى ، وكان فؤادها معى ، فلسوف تهنا ، ولأجعلنها حينذاك تبلغ الغرب ، شأن من أقام في هرمه ، ووسده وريئه ... ، لماذا حلت بينى وبين الموت على هذا الوضع ، فلن تجدى ما تحطين عليه في عالم الغرب ، تجلدى اذن روحى ، وقومى منى مقام الوريث ، يقدم القربان ، وينهض على مئوى يوم الدفن ، ويهيب مضجع الآخرة» (٢٦) .

وقد يبدو ذلك غير متوقع من رجل اتضح أنه يشك كثيرا في فائدة المعدات المادية التى كانت تعمل للموتوفى ، حين ينتقل الى العالم الآخر ، الا أننا نكشف السر بعد ذلك ، فنرى أن ذلك حيلة أدبية ، أراد الكاتب عن طريقها أن يندد بالمعدات الجنائزية (٢٧) ، ثم أخذت روحه تتردد في

(٢٦) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ١/٣٤٤ - ٣٤٥ .

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y, 1939, p. 169. (٢٧)

المواظقة على مراقبته ، ثم تحاول أن تنفرد عن الموت ، فأخذت تصف له
فظائع القبر ، «ثم فتحت روجي فمها وأجابت : اذا تذكرت الدفن فانه
حزن ، وذكره تثير الدمع ، وتفعم القلب حزنا ... فهو ينتزع الرجل من
بيته ، ويلقى به على الجبل ، ولن يصعد ثانية ليرى الشمس» (٢٨) .

وهكذا لم تستقر الروح على رأى ثابت فى فكرة الخلود التى كانت
تسيطر على القوم وقت ذاك ، فنراها تشككه فى تلك الفكرة الخالدة فى
أذهان الناس ، فهؤلاء الذين بنوا لانفسهم مقابر فخمة ، انما هم والذين
لم يبنوها سواء بسواء ، فلكل تحت حرارة الشمس ، والكل تعتقد معه
الاسماك الاحاديث « عندئذ فتحت روجي فمها لتجيبني : لن تعود ثانية
لتشهد الشمس ... ان من شادوا انلبانى الفخمة من أحجار الجرانيت
الصلبة ، وخصصوا لأنفسهم قاعة فى الهرم ، وقدمت لهم كل الخدمات
الجيدة ... أصبحت موائد قرابينهم خالية ، بعد أن صاروا آلهة (أى
ماتوا) ، وأصبحوا سواء ، والمتعبين الذين قضوا على ضفاف القنوات ،
نال الفيض مقصده منهم ، وكذا حرارة الشمس ... أما الاسماك على
ضفة النهر ، فتجلس اليهم تعتقد معهم الاحاديث» (٢٩) .

وتتجه روحه اليه بعد ذلك ، ناصحة اياه بأن ينسب الهموم ، ويأخذ
من اللهو نصيبه «اصنع الى وانه لجدير بالناس أن يصنعوا ، تمتع بيوم
المسرة ، وانس الهموم» (٣٠) ، ولكنها بعد ذلك توافق على البقاء بجانبه
— حتى ولو انتحر — ذلك أن الحياة — بجانب أنها فرصة للسرور
واللذات — فهي عبء أثقل من الموت نفسه ، وأنها سيئة لدرجة تجعل
الموت خلاصا للإنسان من سيئاتها ، ولذا فهي ترحب بالموت ، «مرحبا

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, London, (٢٨)
1927, p. 87-88.

R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, (٢٩)
1977, p. 203-204.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 165.

A. Erman, LAE, 1927, p. 88.

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 204.

وكذا

وكذا

(٣٠)

بالموت ، اننى فى شوق للقاءه ، كشوق الرجل الى بيته ، بعد أن يقضى
سنينا طويلا فى الاسر والعناء» •

وهكذا نرى الروح التى حاولت أن تبعد صاحبها عن الموت ، لم يكتب
لها نجحا فى سعيها ، بل على العكس هو الذى نجح آخر الامر فى أن
يضمها الى رأيه ، مما يدل على مدى ضيقه بالحياة ، ورغبته فى التخلص
منها ، ولكن علينا ألا نتههم أن ما دفع «نسو» الى كره الحياة ومحاولة
التخلص منها ، انما كانت آلامه الشخصية ، وما لاقاه من عناء فى حياته ،
ذلك لان الرجل انما قد استطاع أن يسمو على آلامه الشخصية ، ويلم
بأطراف المجتمع اذ ذاك ، ويحيط بأحواله ، وبذا لم تكن آلامه الشخصية
الا نموذجا لما يلاقيه المجتمع الذى يعيش فيه ، ويؤيد ذلك قوله : ان
أتحدث اليوم ، فليس هناك عدول ، والارض قد تسلمها الظالمون» (٣١) ،
وأن هؤلاء الظالمين قد أجزموا فى حق كل مقدس ، وداسوا بأقدامهم
القانون ووطئوا مجد وتاريخ مصر ، ومن ثم فهو لا يود أن يعيش فى هذا
الجو ، ولعل فى هذا شبه بما جاء فى تحذيرات الحكيم المصرى «ايو —
ور» «آه لو يبنى الناس ولا يعود هناك حمل ولا ولادة ، ليت العالم
يتخلص من المغواء ، وتنقضى المشاحنات» (٣٢) •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هذا الحوار بين «نسو» وبين
نفسه (روحه) انما يتناول السؤال عن معنى الحياة من ناحيتين ، تتعلق
احدهما بما اذا كان هناك معنى للحياة اذا اختلف كل ما كان من شأنه أن
يجعل الحياة سعيدة ، والاخرى أكثر عمقا وأوسع مدى ، فلم يكتف
الكاتب فيها باستعراض ذلك المراك بين الافكار والرغبات ، وانما عمد
الى موازنة بين وجهتى النظر المختلفتين اللتين سادتا الحياة فى ذلك العصر
بينما نجد روح «نسو» تلتزم الدفاع عن متع الحياة الرخيصة وتدعو
ألا يفكر كثيرا فى الآخرة ، وأن يتقبل برضى كل ما تقدمه الحياة ، ويمثل
الكاتب ذلك الفريق من المصريين الذين احتفظوا بجائسهم ، والذين

Ibid., p. 207.

J. A. Wilson, ANET, p. 442.

(٣١)

(٣٢)

محصلتهم الآلام والنكبات ، وطهرتهم من أردانها ، فأكسبتهم بصيرة وزادتهم ايماناً بالآخرة ، وبقيمة أعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا •

وانطلاقاً من كل هذا ، انما يبدو واضحاً أن ما حدث انما يتكرر حدوثه في الانسانية ، وان فرط النكبات والمساوىء الاجتماعية المنتشرة ، وازدياد البلاء ، انما يحدث أثراً مزدوجاً ، ففريق ممن تصيبهم النكبات — وهم أكثرية — يجرفهم تيار الاحداث ، بينما يفترض أن تدعو تلك الاحداث الى التبصر ، وأحياناً الى التشكك» (٣٣) •

وعلى أية حال ، فالنص فريد في نوعه بين النصوص المصرية ، حتى ذهب بعض الباحثين الى أنه غير مصرى في روحه ، فهو يدعو الى ترك الحياة ، والالتجاء الى الموت ، كما أنه غير مصرى في استغنائها عن الطقوس الجنائزية المعتادة وما يتبعها من أثر نفسي ، وفيما أباح فيه الفرد لنفسه من حرية في مناقشة العقيدة السائدة ، وأن من حق الانسان أن يجد حلاً فردياً في أخطر المشكلات •

غير أننا لو بحثنا في آداب الامم الاخرى لما وجدنا أصلاً له فيها ، وطبيعة «الباء» مصرية صرفة ، كما أن الوثيقة تتفق وروح العصر الذي كان يخيم عليه روح التشاؤم (عصر الثورة الاجتماعية الاولى) ، انه غير مصرى لأن مصر لم تعرف ذلك اليأس الروحي والمادى ، وربما كان ذلك بالمصادفة ، وربما كذلك أن المصريين — فيما تلا ذلك من عصور — لم يحبوا هذا النوع من اليأس عند ظهور العقبات ، وأنهم اهتموا الى حلول أخرى للتغلب على ما أصابهم من مآزق (٣٤) •

هذا وتتكون الوثيقة — كما أشرنا من قبل — من مقدمة بليغة ، فيها حوار بليغ ، كما رأينا في المسطور السابقة ، يرى فيها صاحب الوثيقة (نسو) الموت منقذاً من حياته البغيضة الشقية ، بعد أن ذاق مرارة البؤس ، وهجره خلانه ، وأزرى به المهوان ، فأشرف على الانتحار ليضع

(٣٣) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٧٥/١ - ٢٧٦ •

(٣٤) J. A. Wilson, The Burden of Egypt, Chicago, 1954, p. 113.

بيده خاتمة لحياته فيحرق نفسه ، فلقد دفعته حياته الى أن يخطو هذه الخطوة ، ولكنه عاد فأحجم عنها ، فلا قبر يأويه ، ولا عقب يتردد عليه بالقرابين ، ومن ثم فسوف يقضى هناك جوعا وبردا ، وهكذا نراه يحرض روحه على ألا تتخلي عنه عند الموت •

« ثم فتحت فمى لروحي حتى أجيب عما قالت ••• ان روحي ستسندنى هناك ، انها تهرب في يوم الشقاء ، ان روحي تعطلنى ، وأنا لا أكثرث بها ، وتجذبنى الى الموت قبل أن ألقاه ، وتلقى بى في النار لتحرقنى ••• أى روحي انه لغباء أن تصدى أمرا يملؤه الشجن ليحيا ••• وينافح عنى «خونسو» المكاتب بعدالة ، ويستجيب «رع» لابتهاالاتى ، فعنائى قد ثقل وطؤه » •

«وأجابت روحي : أنت بمثابة لا شيء ، ثم تتحدث عن الاشياء الطيبة كما لو كنت تملك الكنوز»

«قلت : سوف لا أذهب طالما هذه روحي ، باقية على الارض ، ان نصيبك الموت ، لو أن روحي تصغى الى ستكون منعمة ، سأجعلها تصل الى الغرب ، كروح من دفن في الهرم ، وفتحت روحي لهاها وأجابت : اذا تذكرت الدفن فانه حزن ، وذكره تثير الدفح ، وتفعم القلب حزنا ••• فهو ينتزع الرجل من بيته ، ويلقى به على الجبل ، ولن يصعد ثانية ليرى الشمس ، أين بناء الاهرام من زينوا الابهاء ، وشادوها بأحجار الجرانيت المصلبة ، وخصصوا لأنفسهم قاعة في الهرم ، وقدمت لهم كل الخدمات المجيدة ، أصبحت موائد قرابينهم خالية ، بعد أن صاروا آلهة (أى ماتوا) ، وأصبحوا سواء هم والمتعبين الذين قضوا على ضفاف المقنونات ، نال الفيض مقصده منهم ، وكذا حرارة الشمس ••• أما الاسماك على ضفة النهر فتجلس معهم تعقد الاحاديث ، استمع الى ••• فخير للمرء أن يستمع •• تابع لذات اليوم ، وانس المهم •••»

وعندئذ فتحت فمى الى روحي لأقول :

القصيدة الاولى :

انظر : ان اسمى أصبح كريبها أكثر من رائحة اللحم النتن في أيام
الصيف ، والسماء حارة

انظر : ان اسمى كريبه أكثر من صيد السمك في يوم صيده ، والسماء
حارة

انظر : ان اسمى كريبه أكثر من رائحة الطيور ، واشد من تلك صفصاف
مزدحم بالأوز

انظر : ان اسمى كريبه أكثر من رائحة الصيادين ، وأكثر من شيطان
المستنقعات حين يصيدون

انظر : ان اسمى كريبه أكثر من رائحة التماسيح وأكثر من الجلوس
حيث تكون

انظر : ان اسمى كريبه أكثر من زوجة ردد عنها الناس البهتان أزوجها
انظر : ان اسمى كريبه أكثر من مدينة ... وأكثر من ثائر مدبر

القصيدة الثانية :

لن أتحدث اليوم ، فلقد أصبح الرفاق شرارا ، وأصدقاء اليوم غير
جديرين بالحب

لن أتحدث اليوم ، فالقلوب ملأى بالجنشع ، وكل شخص يأخذ
متاع جاره

لن أتحدث اليوم ، وقد وقر الناس على السوء ، وأهملت الحسنى في
كل مكان

لن أتحدث اليوم ، وقد استحال الرجل الطيب الى سُرير ، والخير
مكروه في كل مكان

لن أتحدث اليوم ، فمستثير الحليم بشروره ، يدع الناس يسخرون
منه حين تشدد وطأة عسفه

لن أتحدث اليوم ، فالناس يسرقون ، وكل امرئ يغتال متاع جاره
لن أتحدث اليوم ، فليس للمريض صديق يوثق به ، وأخوه أصبح عدوه

لن أتحدث اليوم ، فلا أحد يذكر ألامى ، وليس هناك اليوم من يجازى بالخير من قدمه

لن أتحدث اليوم ، وما عاد أحد يذكر الماضى ، ولا معونة لأحد فى هذه الايام

لن أتحدث اليوم ، فالأخوة شر، والمرء يعامل كعدو ، رغم نقاء سريرته
لن أتحدث اليوم ، فالوجوه محجوبة ، وكل امرئ يولى وجهه عن اخوانه

لن أتحدث اليوم ، وما من أحد رضى الفؤاد ، ومن كان يرافق لم يعد له وجود

لن أتحدث اليوم : فليس هناك عدول ، والارض قد تسلمها الظالمون
لن أتحدث اليوم ، فالصديق الصدوق قد اختفى ، والمرء يعامل كمجهول رغم اعلان نفسه

لن أتحدث اليوم ، فليس هناك مسالم ، والصاحب لا وجود له
لن أتحدث اليوم ، وأنا مثقل بالتعاسة ، وفى حاجة الى صديق صدوق
لن أتحدث اليوم، والخطيئة التى تحل بالارض تبدو وكأنما لانهاية لها
القصيدة الثالثة :

الموت أمامى اليوم يبدو كالبرء للسقيم ، والخروج الى الفضاء بعد حجز

الموت أمامى اليوم كعبير «المر» وجلسة تحت ظله فى يوم ريح صر
الموت أمامى اليوم كرائحة اللوتس تخدرنى كما لو كنت جالسا على شاطئ الانشراح

الموت أمامى اليوم كالسماء عندما تصفو ، وكحصول المرء على ما لم يكن يتوقعه

الموت أمامى اليوم كشوق الرجل الى بيته بعد قضاء سنين طوال فى الاسر والعناء

القصيدة الرابعة :

ويم الحق من وصل هناك ، سيكون ربا يحيا ، يرد الشر على من أتاه
ويم الحق من وصل هناك ، سيقف في قارب رع ، وسيعين الاشياء
المختارة للمعبد

ويم الحق من وصل هناك ، سيكون عالما بالامر ، ولن يصرف عن
شكواه لرع اذا ناجاه

ثم تستمر القصيدة بعد ذلك ، وتأخذ الروح تخفف آلام صاحبها ،
فتطلب منه أن يترك الحزن والاسى ، وتؤكد له أنهما سيكونان معا :
«سيهدأ بالى بعد أن يستقر أمرك (فى الموت) وسنعيتس معا» (٣٥) .

-
- (٣٥) نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ص ٥١٩ - ٥٢٢ ،
أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٧ - ٤٤٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع
السابق ص ٣٤٤ - ٣٤٧ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٨٤ - ٢٨٩ ،
وكذا
R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 202-209.
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 164-169.
A. Erman, Op-Cit, p. 86-92.
J. A. Wilson, ANET, p. 405-407.
J H. Breasted, Op-Cit, p. 168-181.
R. Williams, Op-Cit, p. 49-56.

الفصل السابع

من أدب الحكمة والنصائح

كانت كتب الحكم والنصائح — وما زالت حتى اليوم — من أحب الاشياء الى قلوب المصريين ، كما كانت تحتل مكانة عظيمة بين كتب القدماء لانها تقدم للناس خلاصة تجارب الحياة ، وترسم لهم طريق السعادة ، وتضع بين أيديهم المثل العليا لكل من يبغي النجاح في هذه الدنيا ، فضلا عن الآخرة ، كما أنها تنظم صلات الناس بعضهم ببعض الآخر ، وإذا تصفحنا هذه الكتب ، فأننا نقبل عليها بنفوس راضية ، سواء أكانت مما أتت به الاديان ، أم وردت في كتب الحكماء ، وذلك لأنها تكشف لنا عما في قرارة النفس البشرية ، نقرأها ثم نقف قليلا لنتأكد من صداها في نفوسنا ، وكثيرا ما نجد — مهما بلغت الشقة بيننا وبين زمان كتابتها — أننا مازلنا في حاجة اليها ، وأننا نتعلم منها الكثير ، وكان المصريون القدامى يهتمون كثيرا بهذا النوع من الادب الذى كان يكتبه الحكماء على لسان أب ينصح ابنه ، ويرشده الى حسن السلوك ، كيما يصل الى أعلى المراتب ، أو على هيئة تعاليم ووصايا يوجهها فرعون — أو واحد من رجاله البارزين — معتمدا على تجاربه وخبرته الى ابنه أو أحد تلاميذه .

وليس هناك من ريب في أن هذا النوع من الادب ، انما هو أرفع أنواع الادب المصرى القديم ، ولدينا منه ، على سبيل المثال ، كتاب الحكم والنصائح للوزير «بتاح حوتب» الذى عاش في الأسرة الخامسة ، وقد اتخذ المصريون هذا الكتاب أساسا لقواعد السلوك وأصول التربية ، ثم استمرت الاجيال تتناقله حتى العصر اليونانى الرومانى ، والواقع أن من يقرأ هذه النصائح ، وتلك التعاليم ، انما يستطيع أن يحكم في ضوئها على أهداف الادب الفرعونى في هذا العهد ، وأن يرى فيه ما يشير الى ارتفاع مستوى الحياة المصرية ، وتقدير هذا الشعب النبيل الاصيل لبناء القيم الانسانية النبيلة .

وهناك من عهد الدولة الوسطى كنز ضخم من البدائع والروائع من تلك التعاليم والنصائح النبيلة ، جاءت اثر حوادث الايام ، فاصطبغت بصبغة سياسية كان لها أثرها في حياة الشعب المصرى القديم ، ومن ذلك تلك النصائح التى وجهت للملك «مرى كارع» ، ثم ما جاء على لسان الملك

«أمنمحات الاول» — مؤسس الاسرة الثانية عشرة — من تلك الدرر التي تركها لولده وولى عهده «سنوسرت الاول» ، لتكون لديه بمثابة دستور يسترشد به في حكم البلاد وسياستها ، أضف الى ذلك ، ماذخر به أدب الدولة الحديثة والعصر الذي تلاها ، بالتعاليم والحكم ، ومن أهمها تعاليم «آنى» من الاسرة الثامنة عشرة ، وتعاليم «أمنمؤوبى» والتي ترجع في الغالب الى أيام الاسرة الثانية والعشرين ، ولنتحدث الان بشئ من التفصيل عن أهم أدب الحكمة والنصائح .

١ - تعاليم بتاح حوتب

لاريب في أن هن أروع وأشهر أدب الحكمة والنصائح ، انما كانت «تعاليم بتاح حوتب» وزير الملك «جد كارع — اسيسى» من الاسرة الخامسة (٢٤٨٠ — ٢٣٤٠ ق م) وله مقبرة معروفة في جبانة سقارة^(١) ، هذا وقد توفر لهذا الوزير «بتاح حوتب» نصيب واسع من الشهرة ، وقدر لاسمه أن يخلد في عالم الادب المصرى القديم قرونا طويلة ، وسجل له خلفاؤه نصائحه في آداب المعاملة والسلوك نصح ولده بها ، وابتغى أن يتأدب بها بقية الشبان في مثل سنه ، وحاول خلالها أن ينظم علاقة ولده بقرارة نفسه وأسرته وعمله ومجتمعه ، وأن يجعله على تقى من ربه ، فيما دعاه ، الى أن يراعى التوسط في الاختيار مناسبات صمته ومناسبات كلامه ، ويراعى التوسط في معاملته لنفسه ومطالب بدنه ، ويراعى التوسط في معاملة رئيسه ومرؤسيه .

(١) يذهب بعض الباحثين الى أن «بتاح حوتب» انما كان مربيا للملك «جد كارع» ، كما يظهر أنه كان من أفراد العائلة المالكة ، وربما كان عمًا للملك ، كما كان رائدا له ورأى بعضهم أنه كان وزيرا للملك «وناس» ، ورأى فريق ثالث أنه كان وزيرا ، ولكن دون تحديد للملك الذى عمل له وزيرا ، وان كان هناك شبه اجماع على انه كان وزيرا للملك «جد كارع اسيسى» ، وقد تميزت مقبرته — كما تميزت مقبرة «تى» أحد رؤساء الكتاب في عصره ، وغيره من أفراد الطبقة العليا في عصر الاسرة الخامسة — بما يدل على ما كان ينعم به أفراد هذه الطبقة من حياة رغدة ، ومن رعاية الخدم والاتباع ، ومن أمتع ما يستشهد به من مقابرهم من حيث أسلوبها المعمارى والفنى ، ومن حيث تنوع مصدرها التى تصور الحياة اليومية داخل البيوت وخارجها (نجيب ميخائيل : مصر ١٩٤/١ عبد العزيز صالح حضارة مصر القديمة وآثارها ٣٧٦/١) .

هذا ويبدو أن تعاليم «بتاح حوتب» هذه ، انما تمثل أقدم نص موجود في آداب العالم كله ، عبر في قوة وبلاغة عن قواعد السلوك المستقيم ، وهى ، بما فى مادتها من غزارة ، تلخص لنا مقداراً كبيراً من أدب ذلك العصر ، وقد وصلت إلينا هذه التعاليم فى أكثر من نص واحد ، أقدمها من الاسرة الثانية عشرة ، أى بعد موت مؤلفها بأكثر من ستة قرون ، ونرى فيها كثيراً من الكلمات والتعبيرات التى لم تكن معروفة على أيام الدولة القديمة ، ولهذا يرجح الاثاريون أنه قد دخل على البردية الاصلية اصطلاحات وازافات كثيرة ، ولكنهم ظلوا ينسبونها الى الوزير «بتاح حوتب» .

وتتكون هذه التعاليم من ٣٧ حكمة ، والنسخة الكاملة من هذه البردية موجودة الان فى متحف اللوفر فى باريس ، وتعرف باسم Papyrus Prisse D'Avennes ، وكان هذا العالم الفرنسى «ابريس» قد اشتراها من أحد الفلاحين فى الاقصر ، وأهداها الى المكتبة الاهلية بباريس عام ١٨٤٧م ، ويبلغ طولها نحو ثمانية أمتار ، وهى فى حالتها الحاضرة تتكون من ثمانى عشرة صفحة ، مكتوبة كتابة واضحة بالقلمين الاسود والاحمر ، بالخط المهيروطيقى . وهى من الاسرة الثانية عشرة ، شأنها فى ذلك شأن برديتين أخريين فى المتحف البريطانى فى لندن ، برقمى (١٠٣٧١ ، ١٠٤٣٥) من الدولة الوسطى ، ولكن هناك بردية أخرى فى المتحف البريطانى أيضا برقم (١٠٥٠٩) من الدولة الحديثة ، وتوجد مقتطفات منها على ألواح بعض التلاميذ^(٢) .

وكان أول من اهتم بنشر هذه التعاليم هو العالم الفرنسى «جيكيه»^(٣) ثم «زابا»^(٤) و «وزيته»^(٥) ، وان كان (Devaud)^(٦) أول من درسها

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٦ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٣١ - ٤٣٢ ، وكذا

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 61-62.

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 159.

G. Jequier, Le Papyrus Prisse et ses Variantes, Paris, 1911. (٣)

Z. Zala, les maximes de Ptahhotep, Prague, 1965. (٤)

K. Sethe, Agyptische Lesestücke, Leipzig, 1924, p. 36-42. (٥)

E. Devaud, Les Maximes de Ptahhotep, Fribourg, 1916. (٦)

دراسة وافية ، وقارن بين نصوصها المختلفة ، كما اهتم بترجمة الوثيقة وتحليلها والتعليق عليها كثير من العلماء من أمثال جن^(٧) وارمان^(٨) ولكسا^(٩) وويلسون^(١٠) وشبيجل^(١١) وفون بسنج^(١٢) وفواكنر^(١٣) وجدكه^(١٤) وفولتن^(١٥) وغيرهم^(١٦) ، هذا الى جانب بعض الترجمات العربية — كلياً أو جزئياً — (١٧) .

- B. Gunn, The Instruction of Ptah-Hotep and the Instruction of Kagemni, The Oldest Book in The World, London, 1909. (٧)
A. Erman, LAE, 1927, p 54-67. and The Ancient Egyptians, (٨)
p. XXVI, 54-66
F. Lexa, Enseignement de Ptahhotep et fragment de L'enseignement de Kagemni, Paraguc, 1928. (٩)
F. Lexa, Quelques Corrections, Griffith Studies, p. 111-118. وكذا
F. Lexa, in Archiv Orientalni, 7, 1935, p 200-207. وكذا
J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 412-414. (١٠)
J. Spiegel, Das Warden der Altagyptischen Hochkulture, (١١)
Heidelberg, 1953, p. 455 F.
F. W. Von Bissing, Altagyptische Lebensweisheit, Zurich, (١٢)
1955, p. 45-51.
R. O. Faulkner, in Aggyptologische Studien, p. 81-84. (١٣)
R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, وكذا
1977, p. 159-176.
H. Goedicke, JARCE, 5, 1966, p. 130-133, 6, 1967, p. 97-102. (١٤)
A. Volten, in Miscellanea Gragoriana, p. 371-373 (١٥)
G. Fecht, Der Habgierige und die Maat in der lehre des (١٦)
Ptahhotep, 1958
G. Fecht, Literarische Zeugnisse..., Heidelberg, 1965, p. 125-130 وكذا
P. Seibert, Die Charakteristik, I, Wiesbaden, 1967, p. 71-84. وكذا
M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, I, London, 1975. وكذا
p. 61-80
T. E. Peel, A Comparative Study of The Literature of Egypt, وكذا
Palestine and Mesopotamis, London, 1931, p. 100 F.
J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N Y, 1939, p. 129 F. وكذا
Meyer, The Oldest Books in The World, N. Y. 1900. وكذا
(١٧) محرم كمال : الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء —
القاهرة ١٩٦٢ ص ١٧ — ٤٢ ، احمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٣١ —
٤٣٥ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٧٦ — ١٨٧ ، نجيب ميخائيل :
المرجع السابق ص ٥٠٩ — ٥١١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق
ص ٣٧٦ — ٣٧٨ .

وأما عنوان هذه البردية — كما جاء في النسخة القديمة — فهو «تعاليم حاكم المدينة ، الوزير بتاح حوتب ، في عصر ملك مصر العليا والسفلى ، اسيسى ، المستمتع بحياة خالدة أبدية» .

وأما في النسخة الحديثة فتبدأ : «هكذا قال بتاح حوتب لملك مصر العليا والسفلى ، اسيسى ، لقد أقبلت الشيخوخة ، وبدأ خرقها ، وسرت الالام في الاعضاء ، وتبدى الهرم وكأنه شئ جديد ، بصرى يضعف ، وأذناى تكاد تتوقف عن السمع ، قوتى تضمحل ، وذهنى يكل ، فمى يخرس ولا يتكلم ، وذاكرتى تهرب منى ، ولا تقوى على استذكار الامس الدابر ، عظامى تتوجع ، والسرور ينقلب فى نفسى الى غم ، ورائحة كل شئ تتلاشى» .

«فمرنى حتى اتخذ لى سنداً فى شيخوختى ، وحتى أجعل من ابنى خليفة لى ، يحتل مكانى ، فأعلمه عظات من يسمعون ، وآراء من سبقوا ، وهم الدين خدموا السلف فى العصور الماضية ، ليتهم يعملون لك مثل ذلك حتى يزول النزاع من بين الناس» .

«فأجاب جلالته : نظم العظة أولاً ، حتى يكون قدوة لأولاد العظماء ، ويتحلى بالطاعة ، ويدرك كل رأى صائب فمن يتحدث اليه ، فليس هناك من أوتى الحكمة من تلقاء نفسه» .

وهنا تبدأ الحكم والعظات ، حيث يقدم فيها «بتاح حوتب» خلاصة تجاربه ، وثمره تفكيره لولده ، حتى يندو حكيماً ، حين يرث منصبه بعد موته ، وهى ليست مرتبة ترقياً منطقياً ، أو مبنية ، وإنما سجلت كما وردت عفو خاطر ، ومن ثم فكثيراً ما نراه يذكر أمراً من الامور ، ثم يذقل منه الى ثان وثالث ، ثم يعود من جديد الى الموضوع الاول ، مما ينقص من قيمة هذه النصائح كعمل أدبى ، ذلك لان محتويات هذه النصائح ، فيما يرى بعض الباحثين ، الذين عنوا بدراسة هذه البردية ، أقرب الى مقالة خطيب يتحدث مرتجلاً ، مايرد على خاطره ، منتقلاً من موضوع الى آخر ، هذا فضلاً عن أن هذه الحكم والنصائح ، رغم أنها

كتبت للخاصة من الناس ، فان الاقبال عليها في عهد الدولتين — الوسطى
والحدیثة — فضلا عن املائها لتلاميذ المدارس كمحفوظات يتدربون على
حفظها وكتابتها ، الى جانب تناولها لموضوعات عامة يتعرض لها كل
انسان — أيا كانت طبقة — انما جعلتها حكما عامة •

وأيا ما كان الامر ، فهي لاشك انما قد شملت أهم ما أراد «بتاح
حوتب» أن يلقنه لولده من وصايا ، وما أراد أن يتصف به من سجايا
حميدة ، حتى يكون جديرا بمنصب الوزير — أعلى المناصب وأسمها —
والذى سوف يشغله بعد وفاة أبيه ، أو اعتزاله الخدمة ، ومن المعروف
أن منصب الوزير انما كان منتهى آمال الموظفين الكبار طوال العصور
الفرعونية ، كما كان الوزير أكثر موظفى الدولة محبة في نفوس الشعب ،
ذلك لان القوم انما كانوا يعتقدون أنه هو الذى يقوم الحق ، ويمحق
الباطل ، وكان الشاعر اذا وصف قصر الملك لم ينس أن يضيف الى وصفه
«أن فيه وزيرا يتولى الحكم ، عطوفا على مصر» •

يقول «بتاح حوتب» في نصائحه لولده :

«لا تزه بمعارفك ، ولا تصبى نفسك عالما ، ولكن اجعل الامر شورى
مع الجميع ، خذ نصيحة الجاهل ، كما تأخذ نصيحة العالم ، لان حدود
العالم لا نهائية ، وليس هناك من يبلغ الكمال في أحاديثه ، والقول الحكيم
أشد ندرة من الحجر الأخضر ، ومع ذلك فقد تجده الاماء اللائى يجلسن
الى الرحى» •

«اذا وجدت رجلا يتكلم ، وكان أكبر منك وأسدى حكمة ، فاصنع اليه ،
واحن ظهرك أمامه ، ولا تغضب الا اذا تفوه بالسوء ، وعندئذ سيقول عنه
الناس : تبا له من جاهل — اذا وجدت رجلا مساويا لك يتجادل ، وأثار
حديث السوء فلا تسكت ، بل اظهر حكمتك وحسن أدبك ، فان الكل
سيثنون عليك ، وسيحسن ذكراك عند العظماء — اذا وجدت رجلا فقيرا
(ليس مساويا لك) يتكلم فلا تحتقره لانه أقل منك ، بل دعه وشأنه ،
ولا تحرجه لتسر قلبك ، ولا تصب عليه جام غضبك فاذا بدا لك أن تطيع
أهواء قلبك فتظلمه ، فاقهر أهواءك ، لان المظلم لا يتفق مع شيم الكرام» •

«إذا كنت في صحبة جماعة من القوم ، وكنت رئيسا عليهم فعاملهم بالحسنى حتى لا تلام ، وليكن مسلكك معهم لا يشوبه نقص ، ما أعظم الحق ، فان قيمته خالدة ، ولم ينل منها أحد منذ أيام الاله «أوزير» . من يخالف الحق يعاقب ، ومن استحل حقوق الناس حراما ، أخذ الحرام معه الحلال وذهب ، الحق خير وجزاؤه دائم ، وقد تجنى ثراء من وراء الشر ، ولكنه لا يدوم كما يدوم الخير ، فالحلال بين والحرام بين ، والمرء يفعل بما تعلمه من أبيه» .

«ولا تحاول أن تنتشر الرعب بين الناس ، فهذا أمر يعاقب عليه الرب ، ولا تحاول أن تخدع الناس ، فذلك لا جدوى منه ، فما أراد الله سيكون ، فعش آمننا مطمئنا ، راضيا بحاضرك ، واثقا بمستقبلك ، فسوف يأتي اليك رزقك من حيث لا تدري ولا تحتسب» .

«إذا دعيت الى مائدة عظيم من العظماء ، فخذ مما يقدم اليك ، ولا تمدن عينيك الى ما هو أمام غيرك ، بل انظر الى ما قدم اليك ، ولا تصوب اليه نظراتك ، لان النفس (كا) تشمئز عندما يصطدم المرء بها ، غض من بصرك حتى يحبيك ، ولا تتحدث اليه الا اذا حياك ، اضحك عندما يضحك ، فان هذا مما يبهج قلبه ويجعل ما تفعله مقبولا لديه ، لان المرء لا يعلم ما في القلب» .

«إذا جلس الرجل العظيم الى الطعام ، فان مسلكه وأعماله تجيء من وحي روحه ، فقد تمتد يده بالطعام الى من يجلس بجواره ، وقد تتجاوز الى البعيد بوحى من الروح (كا) والخبز يرزقه الرب لمن يشاء» . «إذا كلفك نبيل برسالة الى نبيل آخر ، فأدها كما أخذتها تماما ، دونما أى تحريف أو تبديل ، ولا تثر عداوة بكلماتك ، ولا تؤلب نبيلاً على نبيل ، بقلب الحقائق واللباس الباطل ثوب الحق ، ولا تكن ناما فالنميمة تمجها النفس ، وتأبأها الروح» .

«إذا كنت مزارعا فاحصد نتاج حقلك ، وسيبارك لك الرب فيه ، ولا تملأ فمك على مائدة جارك» .

«لا تجعل الرجل الذى لا ولد له حسودا ، ولا تنبذه وتجعله مغموما محسورا من أجل ذلك ، فالرجل ذو الولد قد يعتريه الهم ، رغم عظم مكانته ، وأم الاولاد نصيبها من راحة البال قليل ، والرب هو خالق الانسان ، وهو الذى يقدر له نصيبه فى الحياة» •

«إذا كنت فقيرا وتعمل تابعا لرجل مشهور ممن يشملهم رضا الاله (الملك) ، فلا تحاول أن تعرف شيئا عن ماضيه عندما كان مغمورا ، لا تجعل قلبك يتعالى عليه بسبب ما تعرفه عن ماضى أيامه ، احترمه بقدر ما صار اليه ، ان الثروة لا تاتى وحدها ، انها تفقد على من يريدوها ويعمل لها ، فاذا عملت لها وسعيت وراءها ، فان الرب ينيلك اياها ، أما اذا قعدت وتوانيت وتمسكت بأهداب المكسل والخمول ، فان الرب لك بالمرصاد ينزل عليك غضبه وعقابه» •

«إذا أصبحت عظيما ، بعد أن كنت وضيعا ، وصرت غنيا بعد أن كنت فقيرا ، فلا تنس ما كنت عليه فى الماضى ، ولا تفخر بثروتك وتستكبر ، فانك لست بأحسن حالا من رفاقك الذين حل بهم الفقر» •

«إذا كنت رجلا عاقلا ، فليكن لك ولد تقوم على تربيته وتنشئته ، فذلك أمر يسر الآلهة ، فاذا اقتدى بك ، ونسج على منوالك ، ونظم من نسؤوك ورعاها ، فاعمل له كل ما هو طيب ، لانه ولدك ، وقطعة من نفسك وروحك ، ولا تجعل قلبك يجافيه ، فاذا ركب رأسه ولم يأبه لقواعد السلوك فطغى وبغى ، وتكلم بالافك والبهتان ، فقومه بالضرب حتى يعتدل شأنه ويستقيم قوله ، وياعد بينه وبين رفقاء السوء حتى لا يفسد، أما اذا تحدى قولك فاطرده ، لانه ليس ابنك ، ولم يولد لك» •

«إذا كنت تقف فى بهو أحد العظماء فانظر حتى يأتى دورك ، وانتبه للخادم الذى يعلن الحاضرين بالدخول ، فالبهو تقاليده المرعية ، وعندئذ كن مستعدا للدخول ، دون دفع أو تراحم ، فالمكان رحب ، وقاعة المجلس يسيطر عليها نظام دقيق ، انه هو الرب الذى يهب المرء مقعدا فيها يجزى به المستحقين ، ولا يناله المعتدون» •

«إذا كنت بين جماعة من الناس ، فاجعل حب الناس هدفك ومنيتك ، ومبتغى قلبك وهواك ، فيقول من يراك ، هذا رجل ناجح وغنى ، فسوف أقبله ، فيحسن ذكرك دون أن تنتظم ، ويعلو قدرك بين جيرانك ، ويكتمل من أمرك ما ينقصه ، أما من قسى قلبه وضل فؤاده ، وأطاع جسده فإنه يكون قد أحل صفاره محل حبه ، وتعس عقل صاحبه ، وساء وجهه بما جرفته عليه نفسه ، ولتند غرت نفوس أتباع الرب ، فالقلب انما يشعر بالدفء من فضل الرب وحده ، ومن أطاع بجنه كان عدو نفسه» •

«كن صريحا ولا تخف من أعمالك سيئا ، بل صارع بها رئيسك في مجلسه ، حتى ولو كان يعلم بها ، فلا يضير المرء أن يقال له : ان هذا نبي أعلمه» •

«إذا كنت سيد قوم فتصرف في شؤونهم طبقا للقوانين والانظمة ، وانظر الى مستقبل الايام ، حين يأتى وقت لا يفيد فيه الكلام» •

«إذا كنت فى منصب بحيث يتقرب الناس اليك ، فكن مؤدبا واصنع الى شكاة الشاكي فى رفق ، ولا تعترض كلماته ، حتى يخرجك ما فى قلبه ، وكل ما جاء ليقوله ، فالرجل المهموم يحب الموظف الذى يتقبل شكاته ، ويتحدث عن مناعبه نظها له ، فالكلمة الطيبة تضىء قلبه ، ولكن اذا تردد فى أن يغضى اليك بما يجيش فى صدره ، قيل ، ان القاضى يظلم من لا يستطيع لظلمه دفعا» •

«إذا كنت ترد أن تعيش موفور الكرامة فى أى منزل تدخله — سواء أكان منزل عظيم أم أخ أم صديق — فاحذر مخالطة النساء ، فما طاب مكان طللن فيه ، ومن سوء الراى أن يتلصص عليهن انسان ، وكم من امرئ ضل عن رشاده حين استهواه جسم براق ، ثم تحول عنه الى هباء ، وأصبحت فترات استمتاعه القصار أضغاث أحلام ، وأفضت به الى الهلاك ، ان الرجال ليفتتون بأعضاء النساء البراقة ، ولكن سرعان ما تصبح بعد ذلك مثل أحجار «هرست» (وكان يعد رمزا للكرب والبلاء) والموت يأتى فى النهاية» •

«إذا أردت أن يكون سلوكك حسنا ، وأن تباعد بين نفسك وبين الشر ، فاحذر الجشع ، فانه مرض وسقم ، ولا دواء له ، ومن المستحيل أن يجد صاحبه صديقا ، فهو يحيل حلاوة الصديق الى مرارة ، ويبعد المرء المخلص عن سيده ، بل انه ليسى الى الاب والام ، والاخوة والاخوات ، ويذر بذور الشقاق بين الرجل وزوجه وقد يجعل الامر ينتهى بهما الى الطلاق ، انه جماع الشر ، ان الرجل ذا الاخلاق الحميدة ، الذى يسير على الطريق المستقيم ، يطول عمره ، ويحظى بالثروه ، لكن الرجل الجشع لا يجد له قبرا» •

«لا تكن تشرها فى القسمة ، فلا تأخذ منها ما ليس لك ، ولا تلطم فيما هو لأقاربك ، والكلمة الطيبة اللينة خير من القوة وأجدى ، والطماع يخرج صفر اليبدين من بين أقاربه وأخلائه ، لانه حرم موهبة الكلام الرقيق ، وان القليل الذى يختلس يولد العداوة ، حتى عند صاحب الطبع اللين» •

«إذا كنت رجلا عاقلا ، فأسس لنفسك بيتا ، وأحبب زوجتك حبا جما ، وخذها بين ذراعيك ، اشبع جوفها ، واستر ظهرها ، وعطر بشرتها ، بالدهن العطر ، فان الدهن ترياق بدننها ، واسعداها ما حييت ، فالمرأة حقل نافع لصحبها ، ولا تتمها عن سوء ظن ، وامتدحها يضعف شرها ، فان نفرت راقبها ، واستملى قلبها بعطايك ، تستقر فى دارك ، وسوف يكيدها أن تعانس علة فى دارها» •

«أوصيك بأمرك التى حملتك ، هى ارسطتك الى المدرسة حتى تتعلم الكتب ، وهى تشغل نفسها طول النهار ، وهى التى تعطيك الطعام والشراب من البيت ... والان وقد كبرت وتزوجت وأصبحت سيد بيتك ، التفت الى تلك التى ولدتك ، وزودتك بكل شئ ... هى أمك ، لا تدع لها فرصة لتوبيخك ، لا تدعها ترفع يدها غضبا بسببك لان الله تعالى سيستمع اليها دونما ريب» •

«أشبع خدمك الاجراء بما لديك ، مما أفاء الرب عليك ، فهذا واجبك ولو أنه من الصعب ارضاء الخادم الاجير ، فواحد يقول : انه مسرف ،

ولا يعرف المرء ماذا يأتى منه فى قابل الايام ، وفى الغد يقول : انه قانع وباق حيث هو ، وعندما تطوق الخدم بفضلك وكرمك يأتون اليك يقولون : نريد أن نذهب ونتركك ، ألا فلتذهب الرحمة من مدينة يقيم فيها خدام خبيثاء تعساء» •

«أتبجح أصدقائك بما أفاء الرب عليك من خير وحظوة ، فالحكمة تقتضى بذلك ، فما من انسان يعرف مصيره ، اذا فكر فى الغد ، واذا حصل سوء الطالع بمن كان ذا حظوة ، فان أصدقائه هم الذين يقولون له : مرحبا ، فاستبق مودتهم لوقت الشدة الذى يتهدد الانسان» •

«لا تردد كلاما قليل فى ساعة غضب ، ولا تصنع اليه ، لانه خرج من جسد أحمرته ثورة الغضب ، واذا أعيد عليك هذا الكلام فلا تستمع اليه ، بل انظر الى الارض ، ولا تتكلم بشأنه ، فيخجل من هو أمامك ويعرف الحكمة — اذا امرت باقتراف سرقة ، فعليك أن تتفادى الامر ، لان السرقة شنيعة ، طيما للشريعة» •

«اذا كنت رجلا ذا شأن ، وجلست فى مجلس سيدك ، فثق أن المصمت خير وأجدى لك من الثرثرة فى الكلام ، لا تتكلم الا اذا كان لديك ماتريد أن تقول حقا ، وعندئذ يجب عليك أن تكون هنانا فى الحديث ، فالكلام من أشق من العمل الشاق ، فجاهد لتعرف كيف ومتى تتحدث — واذا كنت ذا بطش وسلطان فدعهم يوقرونك من أجل علمك ورقة حاشيتك ، ولا تصمت، ولكن حذار من أن تقاطع أحدا وهو يتكلم ، وإياك أن تجيب وأنت فى فورة غضبك» •

«اذا كان أميرا منهمكا فى عمل فلا تثر ما يعوقه ، ولا تخضب قلبا مثقلا بالهموم ، انه لينصرف عن يعطله ولكنه يفضى بدخيلة نفسه الى من يحبه ، ان تألف الارواح من عمل الرب الذى يجب خلقه ، انطلق اذن بعد شجار مرير ، وتصاف مع من كان لك خصما ، فمثل هذه الاحاسيس هى التى تقوى الحب» •

«اذا كنت أستاذا ومربيا تقوم على تعليم ابن أحد النبلاء ، فعلمه

الاشياء ، التى تعود عليه بالنفع ، ودعه يختلط بالناس ، ويقر بالفضل لاستاذة ، اذ ان رزقك ياتيك منه ، هانت من خيره تتسبع بطنك ، وتكسو ظهرك . ودعه يصبك حتى يعمر بيتك ويعلو سرفك ، ولسوف يمد يده فى رفق الميك ، ويعطيك فترضى ، ولسوف ينرس حبك فى قلوب اصدقائك» .

«اذا كنت ابن احد رجال الدين ، ورسول سلام بين جموع الناس ، فتكلم دون ان تحابى طرفا على آخر ، ولا تجعلهم يقولون : ان شأنه شأن النبلاء يحابى طرفا فى كلامه ، وليكن هدفك اصدار احكام دقيقة» .

«اذا كنت تسامحت فى سالف الايام ، مصفحت عن شخص بغية هدايته ، فدعه وشانه ، ولا تذخره بفضلك فى الغد — واذا كنت رجلا عظيما ، وكنت من قبل صغيرا ، واذا صرت غنيا ، وكنت من قبل فقيرا ، فلا تتكبر لانك بلغت هذه المرتبة العنالية ، فما انت سوى قيم على الحسنات التى اعطاها الرب لك ، ولست انت الاخير ، فسرعان ما يبلغ دواك المرتبة التى بلغتها ، فيذون مساويا لك ، ياتيهم من الثروة والجاه ما اأتاك» .

«اكن ظهرك لمن هو ارفع منك ، الى رئيسك الذى فى القصر ، وبذلك تحمئن على مرتبك ، ودخل بيتك ، وتكون مكافأتك ما يجب ان تكون ، ان المعارضة للرئيس تجلب المتاعب ، لان الانسان يحيا طالما كان رقيق الطبع» .

«لا تسلب منازل المزارعين ، ولا تسرق متاع حديق ، حتى لا يتهمك فى مواجهتك فينقبض قلبك واذا علم بأمرك ، هانه لن يتوان عن اذاك وضررك» .

«ما أحق الخصام بدل الصداقة» .

«اذا أردت معرفة أخلاق صديق ، فلا تسال أقرانه عنها ، ولكن اختلط به ، وامتنح قلبه فى معرض كلام ، فاذا كشف لك عن ماضى حياته ، فقد هيأت لك الفرصة ، لتخجل منه أو تكون صديقا له ، لا تكن متحفظا عندما يبدأ الحديث ، ولا تجبه بخشونة ، ولا تتركه أو تقاطعه ، حتى

ينهى حديثه ، فقد يفيدك ما يقول ، أما اذا أفشى شيئا يكون قد رآه ،
أو فعل شيئا يغضبك ، فكن حذرا حتى في اجابتك» •

«لكن سمح الوجه ، وضاح الجبين ، مشرق الطلعة ، مادمت حيا ،
ولا تحزن على ما فات ، والمرء يذكر بأعماله بعد موته» •

«اعرف جيدا من يعاملك من التجار ، فاذا ساءت حالك ، فان سيرتك
الطيبة بين أصدقائك ستكون خير عون لك ، انها خير من الالقاء وهن
الغنى ، فالغنى يزول ، والمال ينتقل من فرد لآخر ، والذكرى الطيبة باقية
للانسان مفخرة له ، ان الخلق المحسن يبقى شيئا مذكورا» •

«ألا فلتعلم أن الرذيلة يجب أن تمحق ، حتى يتأتى للفضيلة أن
تعيش وتبقى» •

ثم تلى ذلك خاتمة تمتدح ما في هذه النصائح من فوائد ، ينبغي أن
يتناقلها الخلف من السلف ، جيلا اثر جيل ، للانتفاع بما فيها من موعظة
حسنة وقول حكيم •

ثم يحثه على الافادة من هذه الحكم فيقول :

«ان حكى وأمثالى ستعلم المرء كيف يتكلم ، بعد أن يسمعها ويعيها ،
ومن ثم يصبح عبقرى في كلامه ، وفي سمعه وطاعته ، وسيكون النجاح
حليفه ، يعلو شأنه ، وينبه ذكره ، وتسمو مرتبته ، ويصل الى أعلى
عليين ، وسيظل فاضلا كريما حتى آخر أيامه في هذه الدنيا ، يملأ الرضا
نفسه ، وتهديه حكمته الى مكان الامان ، حتى يعيش في طمأنينة وسعادة
على وجه الارض ، وسوف يكون العالم راضيا بما أوتي من علم» •

«أما الامير فسيكون سعيدا ، ولسانه مستقيما ، لان هذه الحكم
والامثال ، سوف تحل عقدة لسانه فيفهم الناس قوله ، وسوف تفتح
عينيه ، وتسمع أذنيه ، وتوقفه على كل ما هو مفيد لولده ، فينصلح حاله ،
ويستقيم أمره» •

«ما أجمل طاعة الابن ، يأتى ويستمتع مطيعا ، انه عبقرى في سمعه ،

عبقري، في كلامه ، ذلك الذى يطيع كل ما هو خير وطيب ، وطاعة المطيع شئ نبيل ، ان الطاعة هى خير ما فى الوجود ، انها تكون الرغبة المحسنة، وما أجمل أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته اليه تجارب شيخوخته ، ان ما يريده الرب هو الطاعة ، أما العصيان فهو بغض الى الرب ، حقا ان القلب هو الذى يجعل صاحبه يطيع أو يعصى ، لان حياة الانسان الحققة من وحى قلبه ، ان من يطيع يطاع» •

«ما أجمل أن يستمع المرء الى أبيه عندما يتكلم ، أما المغبى الذى لا يسمع فلن يلقى نجاحا ، لانه ينظر الى العلم ، كما لو كان جهلا ، والى الخير ، كما لو كان شرا ، ويجلب على نفسه اللوم كل يوم ، لانه يفعل، ما يكره الناس ، ويعيش على ما يسبب الموت ، ان قالة السوء هى طعام فمه ، ولهذا سيعرف أولو الامر حقيقة خلقه ، وسيموت كل يوم وهو حى وسيحتاجه الناس لكثرة مساوئه التى تزداد يوما بعد يوم» •

«ان الابن الذى يسمع ويطيع كأحد أتباع حور، يبلغ سن الشيخوخة، ويصل الى أعلى مراتب الشرف والسؤدد ، وهو يرد على مسامع أبنائه وبناته نصائح أبيه وتعاليمه . حتى تظل خالدة متجددة ، ينقلها الآباء الى الابناء ، جيلا اثر جيل ، واياك أن تتناولها بالتحريف» •

«كن حذرا فى الكلام حين يسمع اليك رجل علم ، واحرص على أن تعلق سمعتك فى أفواه من يسمعونك ، واذا دخلت فى أمر كخبير ، فلا تجعل لسانك ينطق الا بما هو حق ، حتى يكون مسلكك حسنا» •

«نفذ وصية سيدك ومولاك التى أوصاك بها ، فما أجمل نصيحة الاب لابنه الذى أنجبه ، حقا ان الابن النجيب هبة من الرب ، فهو يعمل أكثر مما يؤمر به ، ويفعل الخير ، ويضع قلبه فى كل أعماله» •

«فاذا وصلت الى مركزى ، وقدرت ما أوصيتك به ، فسيكون جسمك سليما معافى ، وسييسر الملك بكل ما تعمل ، وستبلغ من العمر ما لا يقل عما بلغت من سنوات أمضيته على الارض ، فقد بلغت العاشرة بعد المائة ، وأغدق على الملك من وفير نعمائه ما يفوق آلاءه على أجدادى، لانى أقمت الحق والمعدل للملك حتى شيخوختى» •

٢ - نصائح الى كاجمنى

وردت هذه النصائح فى الصفحتين الاوليين من بردية بريس ، الآنفه الذكر ، والمحفوظة بمتحف اللوفر فى باريس ، وعنوانها «نصائح موجهة الى كاجمنى» (كايجمنى أو جمينكاى) ، وهى — فيما يرى استاذنا الدكتور أحمد فخرى^(١) — من انتساء الدولة الوسطى (الاسرة الثانية عشرة) ، ولكن كاتبها نسبها الى أيام الدولة القديمة ، وربط بينها وبين اسم الملك «سنفرو» مؤسس الاسرة الرابعة ، والذي اشتهر أمره شهرة كبيرة على أيام الاسرة الثانية عشرة ، وألهمه القوم ونسبوا الى أيامه كثيرا من قصصهم •

هذا ولم يعثر على الجزء الذى يحتوى نهاية البردية ، ونعرف منها أن مؤلفها (ربما كان يدعى كارسو) كان حاكما للعاصمة ووزيرا للملك «حونى» آخر ملوك الاسرة الثالثة ، وقد أدركته الشيخوخة فكتب هذه النصائح ليسير عليها أبنائه ، وبخاصة «كاجمنى» الذى تولى وظائف أبيه فى عهد الملك سنفرو •

غير أننا لم نعثر أبدا على اسم موظف يدعى «كاجمنى» من عهد سنفرو ، وربما اختلط الأمر على كاتبها فى الاسرة الثانية عشرة ، فاعتقد أن الوزير الشهير «كاجمنى» الذى عاش على أيام الاسرة السادسة وصاحب القبر المعروف فى سقارة ، إنما قد عاش على أيام الملك سنفرو ، وربما كانت هناك نصائح كتبها هذا الوزير أعادوا كتابتها فى الاسرة الثانية عشرة ، كما حدث لنصائح «بتاح حوتب» ، وعلى أية حال ، فسواء أصبح هذا الاحتمال أم لم يصبح ، فالذى لا شك فيه أن النص الذى بين أيدينا إنما يرجع الى أيام الدولة الوسطى •

هذا وقد اهتم بنشر هذه النصائح وترجمتها والتعليق عليها ، كثير

(١) أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى
ص ٤٣٥ — ٤٣٦ •

من العلماء ، منهم جيكيه^(٣) ، وشارف^(٣) وجاردنر^(٤) وزيته^(٥) وجن^(٦) وارهان^(٧) وفون بسنج^(٨) وفيدرن^(٩) وبونز^(١٠) ويويوت^(١١) وايدل^(١٢) وسبسون^(١٣) وغيرهم^(١٤) ، فضلا عن بعض الترجمات العربية^(١٥) .

هذا وقد جاء في هذه النصائح والتعاليم :

«السلامة في التواضع ، والشريف في معاملته ممدوح ، ومن يتخذ الاستقامة أساسا عمله يمتدحه الآس ، والدذر الفطن في حديثه تفتح له الابواب ، ولكن المسكين تشبه لمن يجيد عن الطريق المستقيم» .

«إذا جالست قوما على مائدة طعام ، فتعفف عن الطعام ولو كنت تشتهي ، فانها برهة قصيرة تقهر الرغبة فيها ... وقد خسى من شره جوفه ، ان قدحا من الماء يروى غلة الظامى ، وماء الفم من حشائش

-
- G. Jequier, Papyrus Prisse et ses Variantes, Paris, 1911 (٢)
A. Scharff, in ZAS, 77, 1941, p. 13-21. (٣)
A. H. Gardiner, JEA, 32, 1946. p. 71-74, JEA, 37, 1951, p. 109-110. (٤)
K. Sethe, Agyptische Lesestücke, Leipzig, 1924, p. 42-43 (٥)
B. Gunn, The Instruction of Ptah-Hotep and The Instruction of Kagemni, The Oldest book in The World, London, 1912, p. 62-64. (٦)
A. Erman, LAE, 1927, p. 66-67 (٧)
F. W. Von Bissing, Altägyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, p. 52-53. (٨)
W. Federn, in JEA, 36, 1950, p. 48-50. (٩)
G. Poyenr, in RdE, 6, 1951, p. 32-33. (١٠)
J. Yoyotte, in BSFE, 11, 1952, p. 67-72. (١١)
E. Edel, in MIO, I, 1953, p. 210-226. (١٢)
W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 177-149. (١٣)
M. Lichtheim, Ancient Egyption Literature, London, 1975, p. 59-61. (١٤)

(١٥) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٣٥ - ١٤٣٦ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٥ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٢ ، سليم حسن : المرجع السابق ١/١٨٨ - ١٨٩ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥١١ .

الارض يقيم أود القلب ، ورب حسنة تقوم مقام الخير كله ، ونزر يسير
يغنى عن الكثير كله ، وتعس رجل شره من أجل بطنه» •

«إذا جالست نهما فكل عندما تنتهى شهيته ... وإذا شربت مع
سكير ، فشاركه حين يبلغ كفايته» •

«لا تتكالب على اللحم فى حضرة ... ، وإذا أعطاك شيئا فخذ
ولا ترفضه ، فان ذلك يرضيه» •

«إذا كان المرء غير مألوف العشرة ، فما من قول يفيد فيه ، انه يقطب
وجهه أمام من يحسنون اليه ، وهو نكبه على أمه وأصدقائه ، وكل الناس
تقول عنه : ان فمه لا يستطيع الكلام عندما يخاطبه أحد» •

«لا تفاخر وتزهو بقوتك بين من هم فى سنك ، وكن على حذر من كل
انسان ، حتى من نفسك ، ان المرء لا يدري ماذا سيحدث ، كما انه
لا يدري ما الذى سيفعله الله عندما ينزل عقابه» •

ثم تختتم التعاليم بالفص التالى :

«ثم نادى الوزير أولاده بعد أن انتهى من مقاله عن قواعد سلوك
بنى الانسان وأحوالهم ، كما عرشها بنفسه ، وقال لهم :

«اصغوا واعوا كل ما أوردته فى هذا الكتاب طبقا لما قلته» •

«عندئذ خروا سجدا على بطونهم ، وقرأوه ، طبقا لما هو مكتوب ،
وكان فى قلوبهم أحسن من أى شئ آخر فى البلاد كلها ، وقاموا وقعدوا
متبعين ما جاء فيه» •

«وعندما وافى الملك «حونى» الاجل ، واعطى جلالة الملك «سنفرو»
عرش البلاد ، عين «كاجمنى» محافظا للعاصمة ووزيرا» •

٣ - تعاليم خيتى بن دواوف لابنه بيبى

ظلت هذه التعاليم تعرف باسم «تعاليم دواوف» الى أن برهن الاستاذ «جاردرنر» على أن اسم كاتبها انما هو «خيتى بن دواوف» ، وأن «خيتى» هذا انما كتبها لولده «بيبى» •

هذا وقد وصلت الينا نسخ كثيرة من هذه التعاليم ، بعضها على أوراق بردية ، وبعضها الاخر على لوحات خشبية ، فضلا عن فقرات على قطع الخزف ، وشظائيات من الحجر الجيرى الابيض الاملس ، كما وجدت كاملة فى برديتى سالييه الثانية ، وانسطاسى السابعة ، المحفوظتين بالمتحف البريطانى فى لندن . وأما أقدم فقرات وصلت الينا من هذه التعاليم فهي التى اهدى الى حلها «بيانكوف» ، ويرجع عهدها الى أوائل الاسرة الثانية عشرة ، وقد كتبت على لوح من الخشب بقى لنا بعض أجزاء منه وهى بلاشك ترجع الى عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، كغيرها من قطع الادب ، ولا غرابة فى ذلك فهو العصر الذى ازدهر فيه الادب بدرجة عظيمة •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هذا النوع من التعاليم الذى سنقدم بعضا منه ، انما كان محببا بصغة خاصة عند مدارس عهد الدولة الحديثة (١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق م) ، ومن ثم فقد نال مكانة ممتازة عند القوم ، غير أن الطريقة التى عبث بها التلاميذ فى المتون كانت معيبة لدرجة يقصر أمامها كل وصف ، فلا يكاد القارئ يتم قراءة فقرات منها حتى يتساءل بياس عما كان مكتوبا فى الاصل ، ذلك لان معظم ما كتبه التلاميذ انما هو فى الغالب كلمات لا معنى لها ، ولعل السبب فى ذلك أن التلاميذ كانوا ينقلون ما لا يفهمون ، أو أنهم كانوا يجبرون على نقل فقرات من هذه التعاليم ، دونما أية رغبة فى نقلها ، وفى كلتا الحالتين كانت النتيجة أن ترجمة هذه الفقرات انما أصبحت أمرا لا يخلو من الصعوبة ، ولكن من حسن الحظ أن المقطع الذى عثر عليها «بيانكوف» ، وقرنها بما يقابلها من النسخ الاخرى قد حلت لنا بعض معضلات هذه

التعاليم ، وان كان الجزء الاكبر منها لا يزال غامضا بعض الشيء في نقاط ، ومغلقا تماما في أخرى •

هذا ويجمع السبب في حظوة هذه التعاليم وانتشارها في مدارس عصر الرعامسة الى أنها انما كانت تتغنى بفضل المدارس والتربية المدرسية ، فضلا عن امتداحها لمهنة الكاتب ، وسخريتها من المهن الأخرى ، وهى بالضبط كالرسائل التي كان يتبادلها المدرسون على أيام الدولة الحديثة •

وتمتاز هذه التعاليم بأن كاتبها لم يكن وزيرا ينصح ولده الذي سيتولى وظيفة أبيه من بعده ، وانما كان رجلا عاديا من عامة القوم يدعى «خيتى بن دواوف» كتبها لينصح بها ولده المدعو «بيبي» عندما عتد العزم على ارساله للعاصمة ليلتحق بالمدرسة (بيت الكتب) ليتلقى العلم مع أبناء كبار الموظفين •

وقد اهتم بنشر هذه التعاليم كثير من علماء المصريات ، منهم «جودوين» في عام ١٨٨٥ م ، ثم بيير^(١) وبييت^(٢) وبيانكوف^(٣) و ارمان^(٤) و هلك^(٥) وسمبسون^(٦) وغيرهم^(٧) ، فضلا عن بعض الترجمات العربية^(٨) •

هذا ويفتتح «خيتى» هذه التعاليم كالعادة بذكر اسمه واسم ابنه الذى من أجله كتبت هذه النصائح فيقول «تعاليم ألفها مسافر في حجرة سفينة اسمه «خيتى بن دواوف» لابنه «بيبي» حينما سافر مصعدا في النهر الى عاصمة الملك ليلحق ابنه بالمدرسة بين أولاد الحكام» •

M. Pieper, Die Agyptische Literature, p. 30.

(١)

E. Peet, Op-Cit, p. 104 F.

(٢)

Piankoff, in Revue d'Egyptologie, 11, 1933, p. 51-74

(٣)

A. Erman, LAE, 1927, p. 67-72.

(٤)

W. Helck, Die Lehre des DW-HTJJ, 2 Part, Wiesbaden, 1970.

(٥)

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 329-336.

(٦)

G. Maspero, Genre Epistolaire, p. 48 F.

(٧)

(٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٠٧ - ٢١٦ ، محرم كمال :

المرجع السابق ص ٥٤ - ٦٠ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٣٧-٤٣٨ •

ويكشف لنا هذا العنوان عن حقائق خطيرة من الوجهة التعليمية والتاريخية . فمنه نعرف أنه كانت توجد مدرسة جامعة يتعلم فيها أولاد عليا القوم ، في عاصمة الملك ، وأن العاصمة كانت وقتئذ في الصعيد ، لأنه كان على خيتي أن يقلع بسفينته مصعدا في النهر ، وربما كانت في «اهناس المدينة» (بمحافظة بنى سويف) أو في «طبية» (الاقصر الحالية) هذا فضلا عن أن هذه المدرسة انما كان يتعلم فيها أبناء حكام الاقاليم ومن في طبقتهم ، وسنرى أن «خيتي» يقول لولده : وستكون رئيسا لمجلس «قنبت» وهو ذلك الجمع الذى كان يدير حكومة البلاد في العهد الاقطاعي ، وكان معظمه وقت ذاك من حكام المقاطعات .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن أول ما يلقي «خيتي» على ولده من النصائح ، هو أن يرسم له صورة قبيحة للجاهل ، ثم يغريه بحب العلم أكثر من حبه لأمه ، ويقول انه عجز عن تصوير جماله له ، ثم يشبر اليه بأن صناعة الكتابة تفوق كل صناعة ، وأنه لو تعلمها فان القوم سيهتئون به على ذلك ، فيقول : «انى قد رأيت من خرب ، فعليك أن توجه قلبك للكتب ، انى قد رأيت من أطلق من الاعمال الشاقة ، فانظر ، فلا شئ يعملو الكتب ، وأنت اذا قرأت في خاتمة كتاب «كمت» (ربما كان اسم كتاب قديم) فانك لو اجد فيه هذه العبارة : ان الكاتب يفسح أمامه كل مجال في العاصمة ، ولن يعاني فيها فقرا ، والرجل الذى يسير وراء رأى غيره لا يصيب نجحا ، ليتنى أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك ، وليتنى أستطيع أن أريك جمالها ، انها أعظم من أى شئ آخر ، ان الطالب اذا بدأ في طريق النجاح ، فان الناس تعالى من شأنه ، ويوفد لتنفيذ الاوامر ، ولا يعود الى البيت ليرتدى ثوب العمل» .

ثم يصف الاب لابنه بعد ذلك ، الفرق بين مهنة المكاتب . وما ينال صاحبها من الشرف ، وبين المهن الاخرى التى يكون من جرائها تعب الجسم واضمحلاله ، وتعرض محترفها للاخطار فيقول : «على أننى لم أرقط نحاتا كلف برسالة ، ولا صائغا أرسل في مهمة» .

ثم يتناول بالشرح كل مهنة وما فيها من مقاب ، وازدراء لصاحبها ،

إذا قورنت بمهنة الكتابة ، ويقدم لولده درسا في الحياة الاجتماعية ، ويستعرض أمامه أهم أنواع الحرف في صر الفرعونية وقتئذ ، ونصيب كل صاحب حرفة من متاعها ، يذكر ذلك في شيء قليل أو كثير من المبالغة، ولكنه يكشف لنا في الوقت نفسه عن نوع الحرف التي كان يتخذها أبناء العصر المظلم الذي يتحدث عنه ، فيتحدث عن صانع المعادن فيقول : «لقد رأيت صانع المعادن يعمل عند فوهة موقدة ، وأصابه مقييسة مجعدة مثل جلد التمساح ، ورائحته أنقن من فضلات السمك ، وكل صانع يقبض على الازميل يصيبه من الأعياء أكثر مما يصيب من يفلح الأرض، لأن حقله هو الخشب ، وفأسه هو المعدن ، وحسين يطل الليل ويطلق سراحه ، يعمل على ضوء السراج أكثر مما تطيق ذراعه» .

ثم ينتقل الى الكلام عن البناء ، وما يناله من التعب الجسماني ، فيقول : «والبناء يعمل في كل صلب من الأحجار ، وعندما ينتهي منه تكون قد تكسرت ذراعه ، وانهدت قواه ، فإذا ما جلس عند الخسق ، يكون فخذه وظهره قد تحطمت» ، ثم يتناول بعد ذلك حرفة الحلاق ، فيظهر لابنه أنها حرفة مضيئة ، صاحبها لا بد أن يجول في الشارع ليبحث عن عمل يسد رمقه بما يكسبه منه ، فيقول : «والحلاق يظل يحلق متأخرا الى الغروب ، وهو يتجول من تسارع الى شارع بحثا عن يحلق له وهو ينهك ذراعيه من أجل لقمة عيش يهلا بنا بطنه ، كالنحلة التي تاكل وهي تعمل وتكد» ، وكذا يظهر له المتاعب التي يلاقها التاجر الجوال» الذي يسافر الى الدلتا ليحصل على ثمن بضاعته ، ويعمل فوق طاقتة ، على حين يقتله البعوض» .

ويتناول بعد ذلك صناعة اللبن ، فيقول : «وضارب الطوب من طمي النيل ، يقضى حياته بين الماشية ، وملابسه خشنه جامدة ، وهو يعمل بقدميه» ، والظاهر أن حرفة البناء كانت شاقة حتى أن حكيمنا هنا انما يعود اليها مرة أخرى ، فيقول : «لودعنى أعود الى ذكر البناء الذي يشيد الجدران ، فهو غالبا ما يكون مريضا ، وملابسه قذرة ، ولا يغتسل الا مرة واحدة فحسب ، وهو تعس تعاسة تفوق حد الوصف ، فهو كقطعة

حجر في غرفة ، طولها عشر أذرع ، وعرضها ست أذرع ، وأطفاله يضربون ضرباً» •

ثم يصف الحكيم لابنه حالة البستاني (ولعله يقصد به زارع الخضر والفاكهة سواء بسواء) فيقول : «والبستاني يحضر أحمالاً تنوء بها ذراعه ورقبته ، وفي الصباح يقوم بارواء الكراث وفي المساء يروى المكروم ، فهو أسوأ حالا من غيره» •

ثم ينتقل الى وصف حالة الفلاح ، فيصفه بان الامراض تفتك به ، وصاحب الاملاك يستنفذ كل محصوله ، فهو كالحيوان الذي يعيش بين الاسود ، فهو لابد مأكول ، فيقول : «أما الفلاح فحسابه مستمر الى الابد (ربما مع مالك الارض) وصوته أعلى من صوت الطائر «أبو» (أى كثير الشكوى) ، وهو أيضا يناله الاعياء بما يجل عن الوصف ، وهو يعيش كمن يعيش بين الاسود ، وطالما يعتريه المرض ، وعندما يقفل راجعا الى منزله في المساء ، فان كثرة المشى تكون قد أنهكت قواه» •

ثم يتحدث عن «النساج» الذى يعمل وهو جالس طول اليوم ، فيشبهه ببعيدة البيت ، فهو لا يتمتع بالهواء الطلق ، وهو مراقب دائما ، فاذا تباطأ عن العمل يوما ضرب بالسوط ، واذا أراد الخروج من مصنعه ليستنشق الهواء ، فلا يصل الى ذلك الا بالرثوة ، فيقول : «أما النساج فى مصنعه فأمره أسوأ من أمر النسان (اللائى يجلسن أيضا فى المنازل) فخذاه تكونان على بطنه ، فلا يستطيع استنشاق الهواء ... وهو يعطى حارس الباب خبزا ليتمكن من الخروج فى ضوء النهار» •

وبعد ذلك يصف حكيمنا هذا المحنك لابنه حرفة من الحرف التى كانت شاقة فى ذلك الوقت ، ولكنها قد اختلفت فى عهدنا الحاضر بانتشار المدنية ، وأعنى بها «الصناعة السهام» ، وقد كانت من أهم أسلحة الحرب وقت ذاك فيتحدث عنها ، وكيف يتحتم على صاحبها أن يذهب الى الصحارى والجبال حيث الظران الذى تصنع منه السهام ، وما فى ذلك من بعد المسافة وما يعانى به هو وحماره ، وما يستلزمه من المال لمن يرشده الى الطريق فى وسط

تلك الفياقي والقفار ، وما يتطلب ذلك من وقت ونصب ، فيقول : «أما صانع السهام فما أسوأ حاله حينما يخرج الى الصحراء ، فهو يعطى الكثير لحماره ، ويعطى الكثير لما في الحقل ، وعندما يعود الى منزله في المساء ، فإن السير يكون قد هده» .

ثم يتناول بعد ذلك حرفة أخرى أخذت تتلاشى الان في مصر ، وأعنى بها نقل البريد برجال خصصوا لذلك ، فيصف لنا كيف أن عامل البريد عند ذهابه الى بلد أجنبى يترك وصيقه خوفا من عدم عودته الى أهله ، لما في رحلته من المخاطر ، وحتى اذا عاد الى مصر ثانية ، فإنه لا يعود مرتاح النفس ، هادى البسال ، لان التعب يكون قد أضناه ، فيقول : «وحامل البريد عندما يرحل الى بلد أجنبى ، يوصى بأمواله لاولاده ، خوفا من الاسود والاسويين ، وحينما يعود الى بيته يكون السير قد قطعه اربا» .

ثم يصف حرفة الاسكافي بالتعاسة ، وكيف أن هذا التعس يحمل أوانيه التى فيها أدواته وجلده ، وكيف أن صحته تسوء ، وجسده يهزل ، وقد يضطر الى قطع الجلد بأسنانه ، فيقول : «ويالسوء حال الاسكافي فهو دائم الاستجداء ، وما عليه هو الجلد» ، ثم يتحدث عن حرفة «الغسل» ومجازفة صاحبها بنفسه أمام خطر التماسيح ، مما يدل على كثرة هذا الحيوان فى ذلك العصر فى النيل ، وما يلاقيه بسببها من تعب جسمانى ، فيقول «والغسل يعمل على شاطئ النهر ، فهو جار قريب للتمساح» .

ثم يتحدث عن حرفة لهو ، تجعل صاحبها يهمل عمله ، وأعنى بها «حرفة صيد الطيور» ، فيقول : «وصائد الطيور تراه تعسا حينما يرى الطيور فى السماء ، ويقول : ليست عندى شبكة هنا ، ولكن الله لا يهمل له سبل النجاح ، ودعنى أنتقل بك الى صائد السمك ، فان حرفته أسوأ حالا ، فهو يعمل فى النهر حيث تكثر التماسيح ، والخوف يعميه» .

وهنا يصل الحكيم الى بيت القصيد ، وهو تمجيد مهنة الكتابة فيقول :

«أنظر انه لا توجد مهنة من غير رئيس لها ، الا مهنة الكاتب ، فهو رئيس نفسه ، وان رحلتى تلك التى أقوم بها معك الى العاصمة تستهدف الخير لك ، وأقوم بها حبا فيك ، فان يوما تقضيه فى المدرسة يعود عليك بالنفع ، وما تفعله فيه يبقى مثل الجبال» •

ثم تلى ذلك فقرات غير مترابطة ، منها :

«اذا دخلت على رب البيت وكان فى منزله مشغولا بآخر حضر من قبلك ، فاجلس ولا تطلب شيئا» •

«لا تتحدث بكلمات خفية ، ولا تجعل الالفاظ النابية تخرج من فمك» •

«اذا أرسلك عظيم برسالة ، فانقلها وبلغها كما نطق بها ، ولا تنقص فيها شيئا ، ولا تضيف اليها جديدا» •

«اقنع بطعامك ، فاذا أشبعتك ثلاثة أرغف ، وشربت قدحين من الجعة ، ولم تكف لا شباع بطنك ، فقاوم ذلك الشعور» •

«من الخير أن تبتعد عن جمهرة الناس ، وتستمع وحدك الى أقوال العظماء ... ولتتخذ لنفسك صديقا من أبناء جيلك» •

«ما من كاتب ينقصه الزاد الوفير ، وان الآلهة لثرعاه وتضعه على رأس هيئة الموظفين» •

«أنظر : فان هذا الذى أنصحك به ، هو ما أضعه أمامك وأمام أولاد أولادك» •

وفى النهاية نرى «خيتى» يقول لابنه : انه قد وضعه على الطريق الالهية ، وان ربه «حصاد الكتاب» على كتفه منذ يوم مولده — بمعنى أنه لن يقاسى آلام الحاجة ، وأنه بفنه يصل الى أعلى وظيفة فى البلاط ، وذلك بأن يصبح عضوا فى المجلس الاعلى لحكام الاقاليم (قنبت) ، بل قد يكون رئيسه بما أوتى من علم وحكمه ، ثم يخبره بأن هذا الطريق ممهد له ولأولاده ، فيقول :

«أنظر : انى قد وضعتك على طريق الاله ، وأن «رننوت» (ربة
 الحصاد) قد أصبحت على كتفه منذ يوم مولده ، وهو يصل الى باب
 مجلس «قنبت» عندما يصل الى سن الرجولة ، تأمل : انه لا يوجد كاتب
 قد حرم القوت ، الذى هو متاع بيت الملك ، عاش فى صحة وفلاح ، وأن
 «مسخنت» (المهة الكتابة) هى سعادة الكاتب ، وهى التى تضعه على
 رأس المجلس الاعلى (قنبت) ، ويجب على المرء أن يشكر والده ووالدته
 اللذين وضعاه على طريق الاحياء ، والان تأمل : فان هذا (أى الذى
 نصحتك به) ما أضعه أمام وجه أولادك،وقد انتهى هذا بسلام».

٤ - نصوص الحكيم أنى

توجد هذه النصوص الموجهة من الحكيم «أنى» لولده «خونسو حتب» في بردية محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة (بردية بولاق رقم ٤) ، وترجع الى عهد الاسرة الاحادية والعشرين أو الثانية والعشرين ، ويبدو ان التلميذ الذى قام بنسخها ونقلها عن أصل أقدم عهدا ، لم يفهم الكثير من محتويات النص ، فوقع في عدة أخطاء في كتابة معظم الكلمات ، بحيث جاءت جمل باكملها مضطربة ، لا يستطاع فهمها ، وبالتالي ترجمتها •

وفي الواقع ان النص قد كتب في الاصل باللغة المصرية الحديثة ، وهى تختلف بعض الاختلاف عن اللغة التى تعود عليها هذا التلميذ في عصره (في الاسرة الثانية والعشرين) ، وأن فارق الزمن الذى يفصل بين العصرين انما كان له اثر في مقدار فهم هذا التلميذ لما ينقله ، ويفسر الاخطاء الكثيرة التى وقع فيها •

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن متحف برلين يمتلك أدوات كتابة خاصة بتلميذ عاش في الاسرة الثانية والعشرين أيضا ، ومن بينها لوحة كتابة كتب عليها مقدمة هذا النص (أو الكتاب) نفسه ونظرا لان هذا التلميذ لم يفهم بعض الكلمات ، فقد وجد أن الواجب يقضى عليه بأن يضيف الى هذه الكلمات شرحا باللغة التى كانت مألوفة لديه ، وشائعة في عصره ، وهذه هى المقدمة كما كتبها هذا التلميذ على لوحه :

(فاتحة تعاليم المنصح (أى مقدمة اتعاليم الوعظية) التى ألفها الكاتب أنى (أى التى قام بتأليفها أنى) الذى ينتسب الى بيت «نفر كارع نزوى» (نفر كارع تارى) •

وعلى أية حال ، فإن هذا اللوح محفوظ بمتحف برلين (برقم ١٩٣٤)، كما أن هناك فقرات من هذه النصوص وجدت في أجزاء من ثلاث برديات محفوظة في (The Musée Guimet) وفى «بردية شستر بيتى الخامسة

بالمتحف البريطاني في لندن ، وفي أربع قطع من أوستراكا في دير المدينة
في طيبة الغربية •

ولعل من الجدير بالاشارة هنا أن الحكيم «آنى» نسب نفسه الى
بيت الملك «نفر كارع تارى» الذى ينسب الى الاسرة الثامنة ، رغم أنه
سمى نفسه وسمى ابنه (خونسو حتب) باسمين من أعلام الدولة الحديثة
ولعل السبب في ذلك انما يرجع الى ما كان للادب القديم — وبخاصة
أدب الامثال والحكم — من منزلة ، فكل ما كان قديما له في نظر القوم
روعته واحترامه ، ومع ذلك فقد كان من السهل كشف الحقيقة ، وذلك
من التعبيرات والاصطلاحات اللغوية التى كان يتميز بها كل عصر من عصور
الأدب •

وعلى أية حال فلعل من الأفضل أن نشير أيضا الى أن نرائح آنى
هذه انما كتبت في عصر كانت مصر قد فقدت فيه كثيرا مما كان من قوة
وزعامة على أيام الدولتين القديمة والوسطى ، فضلا عن سيادتها على
الشرق الأدنى القديم في عهد الدولة الحديثة ، وبدأت الآن عصرا من
عصور الضعف ، علت فيه كلمة رجال الدين ، وطغت فيه فلسفة الامثال
لحكم القضاء والقدر ، والدعوة الى التدين والقيام بشعائر الدين — كما
يقدمها الكهان — ومع ذلك فإن النص انما يقدم لنا كثيرا عن آداب
السلوك ، وما كان يراه المصريون في ذلك العهد في تكوين المجتمع ، وصلة
الناس بعضهم ببعض (١) •

هذا وقد اهتم كثير من العلماء بنشر البردية وترجمتها ، والتعليق

(١) انظر : محرم كمال : المرجع السابق ص ٨٦ — ٨٧ ، أحمد
فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٣ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٢١٩ ،
M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1976, p. 135

عليها ، ومنهم مرييت^(٢) وساييس^(٣) وجساردنر^(٤) وبيونز^(٥) وفولتن^(٦) وارمان^(٧) وبرسند^(٨) وويلسون^(٩) وغيرهم^(١٠) ، فضلا عن الترجمات العربية للبردية^(١١) .

هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن نصائح «أنى» لمولده «لخونسو حطب» . انما تتخذ تنسبه تعاليم «بتاح حطب» ، فهى على نسقها ، وتكاد تعالج نفس الموضوعات ، حتى ليذهب بعض المؤرخين الى ارجاعها الى عصر الانتقال الاول ، ومن المبدهى أن ذلك أمرا بعيد الاحتمال ، وعلى أية حال ، فإن «أنى» انما يطلب من ولده أن يكون حريصا في حديثه ، حذرا من اتيان ما يؤذى الناس والا يزهى بفتوته ، وأن يؤسس له بيتا ، وأن يكون تقيا ورعا ، وأن لا يمد نظره الى بيوت الآخرين ، وأن يتجنب المعاهرات . وأن لا يكون سلوكه موضح ربيية ، فلا يفرط في شراب ، ولا يسعى وراء حياة دنسة ، وأن يكون حديثه في مجلس القضاء موجزا ، وأن يذكر الموت دائما ، وأن يعرف كيف ينتقى أصدقاءه ، وكيف يحترم

A. Mariette, Les Papyrus égyptiens du Musée de Boulaq, Paris, (٢)
1871, Pls, 15-28.

E. Suys, La Sagesse d'Ani, Texte traduction et Commentaire, (٣)
Analecta Orientalia, 2, Rome, 1935.

A. H. Gardiner, Hieratic Papyri, I, S and II, 27, p. Chester (٤)
Beatty V, Verso 2, 6-11 (= P. Boulaq 4, 3, 1-3 and 6, 1-4.

A. H. Gardiner, JEA, 45, 1959, p. 12-15.

G. Posener, Ostr. Hier, Nos, 1063, 1257, 1258, 1259. (٥)

A. Volten, Studien Zum Weisheitsbuch des Ani..., Copenhagen, (٦)
1937-1938.

A. Volten, Agyptische Nemesis-Gedanken, Miscellanea Gra-
goriana Rome, 1941, p. 373-374.

A. Erman, LAE, 1927, p. 234-242. (٧)

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, (٨)
p. 319 F.

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 420-421 (٩)

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 135-146 (١٠)

(١١) محرم كمال : المرجع السابق ص ٨٦ - ٩٥ ، سليم حسن :
المرجع السابق ص ٢١٩ - ٢٣٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص
٣٥٢ - ٣٥٣ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥١٤ - ٥١٥ .

ذاقه ، ثم يوصيه بتوسيع أفقه العلمى ، وبرعاية أمه واحترامها ، وبحسن
معاملة زوجته ، وباحترام رؤسائه ، وبالإبتعاد عن الشغب (١٢) .

ولفتحدث الآن عن نصائح «آنى» هذه بشيء من التفصيل .

يقول آنى لولده «خونسو حتب» فى فاتحة نصائحه هذه :

«سأحدثك بكل ما هو حسن ، لكى يعيه قلبك ، فاتبع ما أقول ، حتى
تكون محمود السيرة ، بعيدا عن كل شر ، ويقول عنك الناس : انك لعل
خلق عظيم ، ولا يمتولون : انك فاسد بليد ، واذا اتبعت ما أقول فانك
ستجنب كل شر ، وتبتعد عن مواطن الزلل» .

وفى الزواج المبكر والحض عليه يقول آنى لولده «خونسو حتب» :

«تخير لنفسك زوجة منذ الصبا ، عسانا تنجب لك طفلا ، فانها ان
أنجبته وأنت شاب ، استطعت أن تربيته وتجعله رجلا ، وطوبى للرجل
إذا أصبح كثير الاهل ، وأصبح يرتجى من أجل أبنائه» .

وفى آداب الزيارة يقول :

«لا تكن سليطا ولا متطفلا ، ولا تدخل بيت غيرك (من غير اذن) ،
وعندما تكون فى منزل أناس آخرين ، وترى عينيك شيئا فالزم الصمت
ولا تبع به لأى شخص كان فى الخارج ، حتى لا تكون لك جريمة كبرى،
عندما يصل أمره الى الاسماع» .

وفى تحذير ولده من النساء الغريبات وارتكاب الفاحشة يقول آنى :

«كن على حذر من المرأة المجهولة ، لا تطل النظر اليها عندما تمر بك،
ولا تقضى منها وطرا ، فقد تراودك عن نفسها ، لا تستجب لها حتى فى
غفلة من الناس ، انها جريمة يستحق صاحبها الموت عندما يشيع أمرها
بين الناس» .

وفى التحذير من الثرثرة يقول آنى لولده :

«لا تكثر من الكلام ، والزم الصمت فهو خير لك ، ولا تكن ممن

(١٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥١٤ .

يحبون الخوض في الحديث عن الناس ، كن حريصا في كلامك ، اذ أن هلاك المرء في لسانه ، ان جسم الانسان أوسع من مخزن الغلال ، وهو ملئ بأنواع الاجابات ، فاختر منها الطيب الجيد وقله ، واحتفظ بالخبيث السيء حبيسا في جسدك» •

وفي تقوى الله واحترام بيوته يقول أنى لولده :

«ان تر ما يحدث في بيت الله هو احداث الصخب فيه ، فصل بقلب يملؤه الحب ، ولا ترفع صوتك بكلماتك ، أدع ربك بقلب ودود ، وبكلمات خفية ، فسررف يجيب الرب سؤلك ، ويسمع قسولك ، ويتقبل قربانك ، اعرف قيمة ربك ، واحترم اسمه ، وقدم قربانك له ، ولا تتعد على حدوده» •

وفي البر بالوالدين يقول :

«قدم الماء لأبيك وأهلك اللذين انتقلا الى قبرهما في الصحراء ، واياك أن تغفل عن هذا الواجب ، حتى يعمل لك ابنك بالمثل» •

وفي التحذير من شرب الخمر يقول :

«لا تفرط في الشراب ، فانك اذا تكلمت خرجت من فيك عبارة أخرى (غير التي تريدها) ، وانك لتسقط فتتشم أعضاءك ولا يمد اليك أحد يده ، ويقوم رفقاؤك ويقولون : ألا بعدا لهذا الاحمق ، واذا جاء من يبحث عنك ليستجوبك ، فانهم يجدونك على الارض ملقى مثل طفل صغير» •

وفي التذكير بالموت يقول :

«أقم لنفسك قبرا يثوى فيه جسمانك ، فذلك أمر جد هام ، لان رسول الموت سيأتيك ، واذا أتاك ، فانك لن تستطيع أن تقول له : اتى منازلتي صغيرا ، فانك لا تدري متى تحين ساعة رحيلك عن هذه الدنيا ، فالموت يأتي على حين غفلة ، وهو يختطف الطفل الذي يرقد بين ذراعى أمه ، كما يختطف الرجل الذي بلغ من الكبر عتيا» •

وفي حسن اختيار الصديق يقول :

«ابتعد عن الرجل الشرير ، ولا تتخذ منه صديقا ، وتخير اخوانك ،

بعد أن تبلوهم ، وتتحقق من صدقهم واستقامتهم ، وتجنب من كان سىء السيرة» •

وفي عدم الغرور بكثرة المال ، والدعوة الى الاعتماد على النفس يقول :
«وقد تملك قطعة أرض ، أحيطت بسياح جميل من الازهار ، وتنمو فيها أشجار الجميز ، وقد تمتلئ يدك بأجمل الازاهير وأنضرها ، ومع ذلك فقد تكون شقيا ... ، لا تعتمد على مال غيرك ، ولا تتكل على ما يملكه شخص آخر» •

وفي احترام الغير يقول :

«لا تجلس ، على حين يتف من هو أكبر منك سنا ، أو أرفع مقاماً» •

وفي الادب ومكانته في المجتمع يقول :

«إذا كنت راسخا في الادب ، فإن الناس ستعمل بكل ما تقوله لهم ، ادرس الادب (الكتابة) وضعه في قلبك ، فيطيب كل ما تقول» •

«إذا عين الم كاتب في وظيفة ، فإنه سيرجع حتما الى المكتب (حتى يحالفه النجاح)» •

وفي فضل الام ومحبتها يقول أنى لولده :

«ضاعف كمية الخبز لأمك ، واحتملها كما احتملتك ، انها عندما ولدتك بعد شهور من حملك ، استمرت تحملك حول عنقها ، ثم أعطتك ثدييها سنوات ثلاث ، انها لم تنتقز يوما من قدرك ، انها لم تقل لك يوما : لم فعلت ذلك ؟ لقد أخذتك الى المدرسة ، الى حيث تتعلم الكتابة ، وانتظرتك هناك كل يوم ، ومعها الطعام والشراب الذي أحضرته من البيت ، فاذا ما شبيت واتخذت لك زوجا ، وأصبح لك بيت خاص ، فلا تنس أمك التي حملتك وزودتك بكل شيء ، فانك ان نسيتها كان لها الحق في أن تغضب عليك ، وأن ترفع يديها شاكية الى الله الذي سوف يستمع الى شكواها» •

وفي الرحمة والبر بالناس يقول :

«لا تأكل خبزا بينما يقف آخر على مقربة منك ، دون أن تمد اليه

يدك بالخبز ، فهناك الغنى وهناك الفقر ، ومن كان في عام مضى غنيا ، صار في هذه السنة ضاربا في الآفاق (أى فقيرا)» •

وفي دوام الحال من المحال يقول :

«ان النهر الذي كان يجري في العام الماضي قد يتحول مجراه هذا العام الى مكان آخر ، وان البحار التي كانت تتدفق بالمياه قد تصبح أمكن جافة» •

وفي شر البطنة يقول :

«لا تكن شرها في ملء بطنك» •

وفي آداب دخول بيوت الناس يقول :

«لا تدخل الى بيت انسان ، الا بعد أن يؤذن لك بدخوله ، ويقول لك صاحبه : أهلا بك»

وفي حسن معاملة الزوجة يقول أنى لولده :

«لا تقس على زوجتك في دارها ، ان أدركت صلاحها ، ولا تسأل عن شيء أين موضعه ؟ اذا تخيرت له وضعه الملائم ، افتتح عينيك وأنت صامت تدرك فضائلها ، وان شئت أن تسعد فاجعل يدك معها وعاونها ، حاول أن تمنع أسباب الشقاق في دارك ، ولا تعمل على خلقه ، واعمل على الاستقرار في دارك ، بأن تتحكم سريعا في نزعات نفسك ، ولكن احذر أن تمشي في طاعة امرأة ، وأن تسمح لها بأن تسيطر على رأيك» •

وفي معاملة الرؤساء يقول :

«لا تجب رئيسا وهو غاضب ، بل ابتعد عن طريقه ، واذا خاطبك شخص بالفاظ جارحة ، فخاطبه بكلام عذب ، وهدى من ثورته ، فلاجابة المذيرة للنزاع ضرب السياط (لقائلها) فاذا مرت ساعة غضبه ، فان الرئيس سيتحدث اليك ، لان كلماتك الودودة قد استوعبها قلبه» •

وفي الحض على العمل يقول :

«كن مجتهدا ، لان الرجل العاطل يصبح خـاملا ، ولا يكون شيئا
مذكورا» .

وفي ختام النصائح يقول أنى لولده «خونسو حوتب» :

«ليتنى كنت مثلك ، حتى أسير على هدى نصائحك ، ويرقى الابن الى
منصب أبيه ، انك لرجل عال المهمة ، وان كلماتك درر مختارة ، تريح
قلبي ، ويستوعبها عقلى ، ويفرح بها فؤادى» .

٥ - تعاليم أمنمؤوبى

وجدت هذه التعاليم التى وجهها «أمنمؤوبى» بن «كانخت حور ماخر» مكتوبة كاملة على بردية محفوظة الآن فى المتحف البريطانى فى لندن (رقم ١٠٤٧٤) ، كما وجدت فقرات قليلة منها فى بردية فى «استكهولم» ، وفى ثلاث لوحات من تورين وباريس وموسكو ، وفى أوستراكا فى متحف القاهرة .

وقد ظلت هذه البردية منذ أن حصل عليها «سير ارنست الفرد واليس بدج» فى عام ١٨٨٨م منسية تماما ، الى أن بدأ علماء الآثار منذ عام ١٩٢٢م يهتمون بأمرها . فتولوا شرحها وترجمتها والتعليق عليها عدة مرات ، ومن هؤلاء العلماء بدج^(١) ولانجه^(٢) وارمان^(٣) وجريفت^(٤) ولكسا^(٥) وفون بسنج^(٦) ووبلسون^(٧) وسمبسون^(٨) ووليامز^(٩)

E. A. W. Budge, The Teaching of Amen-em-opt, Son of (١)
The British Museum, Second Series, London, 1923, p. 9-18, 41-51, Pls. 1-14.

E. A. W. Budge, Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in
Kanehlit, London, 1924, p. 93-234.

H. O. Lange, Das Weisheitsbuch des Amenemope, Dansk (٢)
Videnskabskabernes Selskab, historisk-filologiske meddelelser, xi, 2, Copenhagen, 1925.

A. Erman, OLZ, 27, 1924, Columns, 241-252. (٣)

A. Erman, Eine Agyptische Quelle der Spruche Salomos,
SPAW, 1924, p. 86-93.

F. L. Griffith, in JEA, 12, 1926, p. 191-231. (٤)

F. Lexa, Archiv Orientalni, 1, 1929, p. 14-49 (٥)

F. W. Von Bissing, Altägyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, (٦)
p. 80-90.

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 421-424. (٧)

W. K. Simpson, in The Literature of Ancient Egypt, 1975, p (٨)
241-265.

R. J. Williams, in JEA, 47, 1961, p. 100-106 (٩)

وبترسون^(١٠) وبوزنر^(١١) وأنش^(١٢) وبرستد^(١٣) وغيرهم^(١٤) من العلماء الاجانب ، الى جانب الترجمات العربية للبردية^(١٥) .

هذا وترجع نصائح «أمنمؤوبى» هذه - والتي وجهها لولده الاصغر «حور ماخر» (حار مع خر) الى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد ، في الفترة الممتدة من الاسرة الحادية والعشرين الى الثانية والعشرين ، هذا ويكاد العلماء يتفقون الان على أن نصائح «أمنمؤوبى» هذه انما هي الاساس الذى اعتمدت عليه الحكم والامثال التى نسبت الى سليمان عليه السلام - كما جاءت في توراة يهود المتداولة اليوم .

وقد كتبت هذه النصائح في أسلوب شعري ممتع ، كل أربعة أسطر وحدة مستقلة ، وتحتوى مقدمة وثلاثين فصلا ، تبدأ بواجبات التلميذ ، ثم تتناول بعد ذلك نصائح مختلفة ، من بينها الحزم في المناقشة،والتفرقة بين الجهول والحكيم ، وبين الرزائة والتهور في المعبد ، وبين سوء مصير التعدى على الغير ، أو الطمع في ثروته ، أو قول السوء ، ثم التحذير من معاشرة الاحق ، والحض على الاخلاص والامانة في معاملة الناس ، وضرورة احترام المسنين وأصحاب العاهات ، وأدب معاملة الغير .

هذا وتتضمن مقدمة تعاليم أمنمؤوبى تلخيصا لما ورد فيها ، وتعريفا

P. J. Peterson, in JEA, 52, 1966, p. 120-128. (١٠)

G. Posener, in RdE, 18, 1966, p. 45-62. (١١)

G. Posner, in ZAS, 99, 1973, p. 129-135.

R. Anthes, in Galling Festschrift, p. 9-18. (١٢)

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 320-282. (١٣)

D. C. Simpson, in JEA, 12, 1926, p. 232-239. (١٤)

M. Lichtheim, AEL, 1976, p. 146-163.

I. Grumach, Untersuchungen Zur Lebenslehre des Amenemope, Munchner Agyptologische Studien Heft, 23, Munich, 1972.

P. H. Humbert, Recherches sur les Sources égyptiennes de la Littérature Sapientiale d'Israël, Neuchatel, 1929.

(١٥) سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٣١ - ٢٨٠ ، محرم كمال :

المرجع السابق ص ١٠٩ - ١٢٩ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٥ - ٤٤٧

بمحتوياتها ، وحصرنا للفوائد التي تهدف الى تحقيقها ، فهي تتضمن «دروسا في الحياة ، وارشاد الى الخير ، ومجموعة من المقواعد التي تتبع في معاملة الموظفين ، حتى يتصرف المرء على خسائها ، فتزوده الى سبل الحياة ، وتكفل له النجاح في حياته ، والراحة لقلبه ، وتبعده عن الشر وتجنبه السنة السوء ، وتجعل ذكراه حسنة عاطرة في أفواه الناس» .

ثم هي تتحدث عن مؤلفها ، فتذكر عنه أنه «كاتب مصري ماهر في عمله ، اشتغل ملاحظا للغالل ، ومديرا للمكاييل ، وواضعا لعلامات حدود الارض المزروعة ، وحافظا اذكرى الملك بنقوتسه ، وماسحا للارض السوداء (الزراعية) . الكاتب الذي يقرر الاوقاف للالهة ، والذي يمنح الايجار لمن يشاء ، القابض على زمام الاطعمة ، الثاوي حقا في «تاو - ور» (أبيدوس) ، المذكور في «آمو» (أخميم) ، صاحب القبر الهرمي في «سنوت» (غربي أخميم) ، وصاحب الضريح في أبيدوس ، أمنمؤوبي بن كائخت ، المبرأ في «تاو - ور» .

ثم تنتقل التعاليم الى التعريف بولده الذي وصفته بأنه أصغر ابنائه «حور مآخر» (حار مع خر) ثم تورد الكثير من صفاته .

هذا ويبدأ الفصل الاول بتفصيل واجبات التلميذ :

«املء أذنيك لتسمع أقوالى ، واعكف قلبك على فهمها ، لانها شئ مفيد اذا وضعتها في قلبك ، ولكن الوليل لمن يتعداها ، فاذا أمضيت مدة حياتك ، وهذه الامور في قلبك ، فانك ستلقى بها نجحا ، وستجسد في كلماتي ذخيرة الحياة ، وسيفتح جسدك على الارض» .

وتتضمن الفصل الثانى نصائح متنوعة ، تحذر المرء «من أن يسلب فقيرا يائسا ، أو أن يكون شجاعا أمام رجل مهيب الجناح ، وألا يمد يده ليمس رجلا مسنا بسوء» .

ويتناول الفصل الثالث : البحث في الحزم عن اجابة الخصم ، فهو يوصى «بأن لا يشتبك المرء في جدال مع أحق ، وأن لا يخرجه بالفاظ وأن يعرض عنه ، ويطيل التفكير قبل أن يتكلم ، واذا تكلم الاحق في

ساعة غضب ، فيجب أن يتركه الانسان وينصرف من أمامه ، فان الله سيتولى جزاءه» •

ويتحدث الفصل الرابع عن الرجل الاحمق والرجل الحكيم ، «فيشبه الاول بشجرة نبتت في غابة ، تفقد خضرتها في لحظة ، ويكون مصيرها مرفأ الاخشاب » ، على حين «يشبه الثانى بشجرة باسقة في حديقة تنمو يانعة ، تقوم أمام سيدها ، ثمرها حلو ، وظلها ظليل ، وينتهى مصيرها في الحديقة» •

وينقسم الفصل الخامس الى ثلاثة أقسام :

اولها : يحض على احترام أملاك المعبد
وثانيها : يذكر الانسان بأن الامور تتقلب كالنيل
وثالثها : توصى المرء بالرزانة والثقة بالله تعالى

ويحذر الفصل السادس من التعدى على أملاك الغير

«لا ترخر من علامات حدود الحقول ... ولا تكونن شرها من أجل ذراع أرض ، ولا تتعدين على حدود أرملة» •

وينقسم الفصل السابع الى أربعة اقسام :

الاول : يحرض على ضرورة التسليم بالقدر خير وشره
والثانى : عن المثرة التى لا تدوم
والثالث : عن مزية القناعة
والرابع : عن صلاة الرجل المقنوع

وهذه أمثلة مما ورد فيها : «لا تتعبن نفسك فى طلب المزيد حينما تكون قد حصلت على حاجتك ، واذا جلب اليك المال بالسرقة ، فانه لا يملك معك سواد الليل ، وعندما ياتى الصباح لا يكون بعد فى منزلك ، بل يكون قد صنع لنفسه أجنحة وطار الى السماء» •

«الفقر فى يد الله خير من الغنى فى الهوى (المخزن) ، وأرغفة (تحصل عليها) بقلب فرح ، خير من ثروة (تحصل عليها) فى تعاسة ، والثناء على

الانسان كشخص محبوب عند الناس ، خير من الغنى فى الهرى (المخزن)•

وينقسم الفصل الثامن الى ثلاثة أقسام :

أولها : عن أهمية الذكرى الطيبة ، «اغرس طيبتك فى قلوب الناس ، حتى يحييك كل انسان» •

وثانيها : يحض على اجتناب القول الخبيث ، «كن رصينا فى تفكيرك ، وثبت فؤادك ، ولا تتعود على أن تجدف بلسانك حتى تكون مفضلا عند الآخرين ، ومحترما فى شيخوختك ، وآمنا من بطش الاله (الله)» •

وثالثها : عن حفظ السر ، لا تفصح انسانا بهتك سره ، وإذا عرض عليك أمر لتحكم فيه ، فكون رأيك فى نفسك ، واجعل الحسن منه على لسانك ، وأما القبيح فاخفه فى بطنك» •

ويحض الفصل التاسع على تجنب الاحمق وسبله ، وهذه أمثلة مما ورد فيه :

«لا تصاحب رجلا حاد الطبع ، ولا تلتحن فى مصادثته ، واحفظ لسانك من مقاطعة من هو أرفع منك مقاما ، وخذ الحيطة لنفسك من أن تذمه ، ولا تجعله يرمى بكلام يوقعك فى شركه» •

«والرجل الاحمق يقول قولا مقذعا يستحق عليه الضرب ، وجوابه ملىء بالشر ، وهو يثير النزاع بين الاخوة ، واللهيب يتقد فى جوفه ، فحذار أن تنضم الى هذا الرجل» •

ويتحدث الفصل العاشر عن الاخلاص ، وفى ذلك يقول الحكيم :

«لا تقرىء أحدا السلام رياء ، وأنت تحقد عليه ، لا تتحدث بالافك والبهتان ، فان الكذب يمقته الله ، وأكبر ما يكرهه الله انما هو النفاق ، كن ثابتا أمام غيرك من الناس ، فالانسان فى مأمن أمين عندما يكون فى يد الله» •

ويوصى الحكيم في الفصل الحادى عشر بالقناعة ، وأن يرضى المرء
بنصيبه من هذه الدنيا :

«لا تطمع فى متاع انسان آخر ، ولا تتطلع لخبزه ، فان متاع الغير
لا خير فيه» *

ويتحدث فى الفصل الثانى عشر عن ترك متاع الغير أيضا :
«لا تطمع فى متاع نسييف ، واذا عينك الشرييف مدير لاعماله فتجنب
ما يخصه حتى يثمر ما تمتلكه» *
ثم ينصحه قائلا :

«لا تشارك رجلا أحقق ، ولا تخالط رجلا خائنا ، واياك أن تهتك ستر
الرجل فى أمر حقير ، لان ذلك يعوق استخدامه لك مرة أخرى» *
ويقول فى الفصل الثالث عشر :

«لا تضرن رجلا بجرة قلم ، لان ذلك يمقته الله ، ولا تقولن قد وجدت
حاميا ، والان يمكننى أن أهاجم الرجل الممفوت ، ضع نفسك فى ذراعى
الاله يهزمهم صمئك» *

لا تشهد زورا ، ولا تستعمل قلمك فى الباطل ، واذا وجدت فقيرا
عليه دين كبير ، فسامحه فى ثلثيه ، وخذ الثلث ، ونم بعد ذلك نوما عميقا ،
فاذا أصبح الصباح فستجد كل ما فعلته على ألسنة الناس ، ان حب الناس
ومدحهم للانسان خير من الثروة التى فى المخازن ، وخير للانسان أن
يأكل خبزه بقلب سعيد ، من الثراء الذى يصحبه النكد» *

ويتحدث فى الفصل الرابع عشر عن الكرامة فيقول :
«كن ثابتا أمام غيرك من الناس ، فالانسان فى مأمن فى يد الرب ،
والرب يمقت من يزور الكلام ، وكبر مقتا عند الله النفاق ، لا تجعل كل
عنايتك لمن اقتسى بثوب قشيب ، ولا تتقبل رشوة من صاحب نفوذ ، ولا
تظلم مقصور اليد من أجله ، فالعدل هبة غالية من الرب يهبها لمن يشاء ،
ان الرب يحب اسعاد الفقير ، أكثر مما يحب تعظيم النبيل» *

وفي الفصل الخامس عشر يتحدث الحكيم عن الكاتب وحامية الاله
«تحتوت» - اله الكتابة والعلم - فيقول :

«لا تغمس قلمك في المداد لتضر شخصا آخر ، فان عينى الاله تحتوت
ترقبان كل شىء حول الارض ، واذا رأى الاله من يسعى في الشر ، فانه
يرمى بطعامه الى اللجة العميقة ، والكاتب الذى يضر الآخرين باصبعه ،
فلن يكون لابنه من بعده ذكرا» •

ويتحدث الفصل السادس عشر عن التطفيف في الميزان :
«لا تتلاعبن بكفتى الميزان ، ولا تطففن الموازين ، ولا تنقصن المكاييل
فان الاله تحتوت يراقب الميزان ، واذا رأيت انسانا يغش فابتعد عنه ،
وما فائدة ثوب من نسيج كتانى فاخر ، اذا كان ضلالا أمام الله» •

وفي الفصل السابع عشر يتحدث عن كيل الغلال فيقول :
«لا تطفف في الكيل ، وأوف المكيال بالدقة الواجبة ، لا تتخذ لنفسك
مكيالا ذا حجمين ، لا تغش فان الاله يمقت الرجل المدلس» •

ويتحدث في الفصل الثامن عشر عن ترك الهم ، فيقول :
«لا تقل اليوم أشبه بالغد ، فالغد آت واليوم منقضى ، وقد تصبح
اللجة الغائرة حافة للامواج ، ولا تنقض الليل وأنت قلق من الغد ، فما
يعلم انسان ما سيكون عليه الغد ، والله دائما في فلاح تدبيره ، والانسان
دائما في خيبة ظنونه ، كن حازما في قلبك ، وثابتا في عقلك ، وحافظ على
لسانك ، لان لسان الانسان هو الذى يسيره ، ورب العالمين هو الأمر
الناهى»

وفي الفصل التاسع عشر يقول عن المحكمة :
«لا تدخل المحكمة وتزيف كلماتك ، لا تردد في جوابك ، عندما يكون
شهودك قد وقفوا ، قل الصدق أمام القاضى ، ولا تجعل لأحد سلطانا
عليك» •

وفي الفصل العشرين يتحدث عن الامانة في الوظيفة :

«لا تظلم رجلا في قاعة المحكمة ، ولا تظلم صاحب حق ، ولا تهتم
برجل بسبب ملابسه البيضاء الناصعة ، على حين تترك من يرتدى خرقا
بالية ، ولا تقبل هدية رجل قوى لتظلم الضعيف من اجله ، فالعدل هبة
غالية من الرب يهبها لمن يشاء ، لا تستعمل الوثائق المزيفة ، حتى لا تفسد
تدبير الاله ، سلم الامتعة لأصحابها ولا تختصبها ، والا هلكت» .

وفي الفصل الحادى والعشرين يتحدث عن الصمت فيقول :

«انك لا تعرف تدابير الله ، ولا تعرف ما ياتى به الغد ، فاجلس بين
يدين الله ، وبالعلم ستتغلب على الجميع ، ان التمساح الصامت يحدث
الفرع في النفوس ، لا تنفس بسرك لانسان ، ولا تدع أقوالك لآخرين ،
ان الرجل الذى يحتفظ بأخباره في قرارة نفسه ، خير من الذى يفشيها
ميصيه الضرر» .

وفي الفصل الثانى والعشرين يتحدث عن آداب المناقشة ، فيقول :

«لا تتأمر ضد زميلك في المحاورة ، بل انظر ماذا يفعل ، وسوف
تفهم من جوابه ، كن هادئا وعندئذ تأتى معارفك ، دعه حتى يفرغ ما في
قرارة نفسه ، ثم خفه ولكن لا تمله ، أنت لا تعرف تدابير الله ، ولا
ما سوف يأتى به الغد ، اجلس بين يدين الله ، وسوف يتغلب حلمك عليهم» .

ويحضر في الفصل الثالث والعشرين على آداب المائدة مع العظماء ،
وعلى تجنب أكل الحرام :

«لا تأكل الخبز في حضرة رجل عظيم ، ولا تعرض فمك في حضرة ،
واذا شبع من طعام محرم ، فان ذلك ليس الا لذة ريقك ، وانتظر فقط
وأنت على المائدة الى الوعاء الذى أمامك ، وكن مكتفيا بما فيه» .

ويتحدث الفصل الرابع والعشرون عن الرجل الأمين :

«لا تصغ الى أجوبة رجل شريف في بيت ، ثم تنشرها الى آخر في
الخارج ، حتى لا يتألم قلبك ، وقلب الرجل (أى ضميره) هو منقار الاله
تحوت (اله الحكمة) ، فاحذر أن تهمله» .

ويتحدث الفصل الخامس والعشرون عن احترام أصحاب العاهات :

«لا تسخر من أعمى ، ولا تهزأ من قصير ، ولا تستقِر أعرج ، لاتعبس في وجوههم فالإنسان قد خلق من طين ، والله وحده خالقه - وهو قد ير يهدم ويبني كما يشاء كل يوم ، ويخلق الالفوف بأمره ، ما أسعد الرجل الذي انتقل الى الغرب (أى مات) وهو آمن في يد الله تعالى» .

وفي الفصل السادس والعشرين يتحدث عن معاملة من هم ارفع مقاما في المجتمع :

«لا تجلس في مجلس شراب - ولا تخالط من هم أكبر منك مقاما ، وصاحب من هم في مرتبتك ، ولا تلعن من هم أسن منك ، مد يد المساعدة للمسن اذا كان قد ثمل من الجعة ، واحترمه كما يحترمه أولاده ، فالظهر لا يكسر عندما ينحنى ، والفقر لا يصيب الرجل الذي يقول الشيء السار ، ولا يأتي له الننى عندما يكون قولك من القش ، والنوتى الذى يرى من بعيد لا يخرق قاربه» .

وفي الفصل السابع والعشرين يتحدث عن الخضوع للرجل المسن :

«لا تسبن رجلا أكبر منك سنا ، حتى لا ينسكوك الى الاله رع عند شروقه ، فان مما يؤلم الاله رع أن يسب شاب رجلا مسنا ، فان ضريك بيده في صدرك فإلزم السكون ، فانك ان حضرت أمامه في اليوم التالي ، فسوف يعطيك خبزا بلا عدد» .

وينحدث في الفصل الثامن والعشرين عن كرم الاخلاق :

«لا تسأل عن شخصية أرملة عندها تقبض عليها في الحق ، ولا يفوتك أن تتذرع بالحسبر عند سماع اجابتها ، لا تمر على غريب باناء زيتك ، بل اجعله يتضاعف أمام اخوانك ، ان الله يحب سعادة المتواضع ، أكثر من احترام الشريف» .

وفي الفصل التاسع والعشرين يتحدث عن التعدية (عبور النهر) :

«لا تمنعن أناسا من عبور النهر ، عندما يكون في قاربك مكان ، خذ الاجر من الرجل الغنى ورحب بمن لا يملك سئيئا» .

وفي ختام الفصول ، وهو الفصل الثلاثون ، يقول :

«بندر نغسك في هذه الفصول الثلاثين ، حتى تكون مسرة لك وتعلما ، يفوقان ما في الكتب جميعا ، فهي تعلم الجاهل وتظهر نفسه من الخبائث ، فاستوعبها وضعها في قلبك ، لتكبر بها عظيم ، ولأمرها عارفا ، فان المكاتب الماهر في وظيفته سيجد نفسه كفرا لان يكون من رجال البلاط» •

وهذه هي نهاية المقال •

سفر الامثال وتعاليم امنمؤوبى :

رغم أن العالم البريطاني «السير ارنست الفرد واليس بدج» (١٨٥٧ - ١٩٣٤) هو الذى نشر في عام ١٩٢٤^(١) «تعاليم امنمؤوبى» (The Instruction Of Amen - Em - Opet) والمحفوطة الان بالمتحف البريطانى ضمن بعض أوراق البردى الهيروغليفية^(٢) ، الا أن العالم الالماني «أدولف ارمان» (١٨٥٤ - ١٩٣٧) ، انما كان اول من أشار في مايو من عام ١٩٢٤ م ، الى ان تعاليم امنمؤوبى (أمن - أم - بت) هي الاساس الذى اعتمدت عليه حكم سليمان ، كما جاءت في سفر الامثال من العهد القديم (التوراة)^(٣) •

وفي عام ١٩٢٥م قام «لانج» بنشر البردية كذلك ، ثم قام في عام ١٩٢٦م العالمان «فرنسيس اللولين جريفت» (١٦٨٢ - ١٩٣٤)^(٤) ،

(١) اشترت هذه البردية من احد تجار الاقصر ، ولهذا كثيرا ماقرأ انه قد عثر عليها في جبانة طيبة ، ولكننا لو وضعنا في اذهاننا أن صاحبها وهو «امنمؤوبى» كان من اهل اخميم ، وأن قبره كان في جبلها الغربى ، لرجحنا العثور عليها هناك ، وشراء نجار الاقصر لها من تجار اخميم ، كما يحدث دائما ، وهى على أى حال ، محفوظة الان بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠٤٧٤ (أحمد فخري : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٤٤٥ •

J. A. Wilson, in ANET, 1965, p. 421.

Sir Ernest Alfred Wallis Budge, The Teaching of Amen-Em (٢)

Opet, Son of Kanakht, London, 1924.

Adolf Erman, Eine Aegyptische Quelle der, "Spruche (٣)

Salomos", SPAW, May, 1924, p. 86-93.

F. L. Griffith, JEA, 12, 1926, p. 191-123 (٤)

و «د. س. سمبسون»^(٥) بترجمه الويقة التي تحوى هذه التعليمات من جديد ، ثم عمل مقارنة بين بعض نصوصها وبعض نصوص سفر الامثال ، اثبتا فيه أن سفر الامثال انما قد اعتمد على تعاليم امنمؤوبى الى حد كبير ، نظرا لما وجدناه بينهما من مشابهة قسوية فى الافكار وفى الاساليب .

وهناك ترجمه أخرى للوثيقة نشرت فى عام ١٩٢٩م^(٦) ، الا أن البحث المستفيض فى هذا الموضوع انما قسام به العالمان الكبيران « هوجو جرسمان»^(٧) و «جيمس هنرى برستد»^(٨) .

وكان من البدهى أن نتوقع ألا يرحب المحافظون من اليهود بالرأى المقاتل بأن أجمل ما فى كتابهم المقدس نقل عن آداب الامم الاخرى ، فقام بعضهم — كما كان الامر بالنسبة الى المزمور (١٠٤) ونشيد اخناتون — يزعم أن بردية امنمؤوبى هى التى نقلت عن سفر الامثال ، ومن هؤلاء «كفين»^(٩) ، ولكن اعتراض «كفين» لا يغير من حقيقة الامر شيئا ، ذلك لان هناك اجماعا بين العلماء الجادين فى كافة أنحاء الارض ، على أن جزءا من سفر الامثال (من الاصحاح ٢٢ : آية ١٧ وحتى الاصحاح ٢٥ : آية ٢٢) منقول نقلا يكاد يكون حرفيا من بردية امنمؤوبى كما أن أجزاء كثيرة من حكم هذه البردية ، انما قد اقتبسها العبرانيون فى مواضع كثيرة من التوراة فى غير سفر الامثال^(١٠) .

D. C. Simpson, JEA, 12, 1926, p. 233-239. (٥)

H. J. Cadbury, Egyptian Influences on the Book of Proverbs, (٦)

JR, 1929, p. 99-108.

Hugo, Gressmann, Die Neugefundene Lehre des Amen- (٧)

Em-Ope, und die Vorklassische Spruchdichtung Israels, in ZOW, XLII, 1924, p. 273-296.

James Henry Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y. 1939, (٨)
p. 370-381.

H. O. Lange, Das Weisheitsbuch des Amenemope. وانظر
Copenhagen, 1925.

R. O. Kevin, The Wisdom of Amen-em-apt and its possible (٩)

Dependence Upon the Hebrew Book of Proverbs, Philadelphia, 1931.

(١٠) أحمد فخري : تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى —
الادب المصرى ٤٤٥ ، (القاهرة ١٩٦٢) .

هذا فضلا عن أن سفر الامثال نفسه انما يبتدىء بنسبة السفر الى سليمان في مطلع الاصحاح الاول ، ثم تتكرر النسبة في بداية الاصحاح العاشر ، والامر كذلك بالنسبة الى المجموعة التي تبدأ بالاصحاح الخامس والعشرين . في حين أن الاصحاحين الآخرين انما ينسبان الى مؤلفين آخرين مجهولين الاسم ، وأحدهما منسوب الى امرأة ، مما يدل على أن العهد القديم نفسه يشهد بأن سفر الامثال هو مجرد مؤلفة جمعت من مجموعات متفرقة .

أضف الى ذلك اننا نجد في الآية (٢٣) من الاصحاح الرابع والعشرين ما يكشف لنا عن عنوان جديد بهذا النص «هذه أيضا للحكماء» ، ثم يلي ذلك جزء قصير ، ويجوز أنه ماحق وضعه مؤلف مجهول ، كما نجد في ثنايا الاصحاح الثاني والعشرين ما هو بالتأكيد جزء آخر — ان لم يكن عنوانا له — (١٢ : ١٧) يسمى «كلام الحكماء» ، الامر الذي تكرر في الاصحاح الرابع والعشرين (١١) .

ولعل سؤال البداة الان : من هم هؤلاء الحكماء الذين كتبوا هذا الجزء الذي يبلغ اصحاحا ونصف اصحاح من سفر الامثال ؟
في الواقع ان هذا السؤال انما قد عجز عن الاجابة عنه كل الباحثين ، حتى نشرت بردية «أمنموؤوبى»^(١٢) (والتي كانت محفوظة بالمتحف

M. F. Unger, Op-Cit, p. 896. وكذا

O. Eissfeldt, Einleitung in des Alt Testament, Tübingen 1956. وكذا
p. 525.

W. F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel. وكذا
Baltimore, 1942, p. 5.

(١١) امثال ١ : ١٠ ، ١ : ٢٢ ، ١٧ : ٢٤ ، ٢٣ : ٢٥ ، ١ : ٣٠ ، ١ : ٢١

M. F. Unger, Op-Cit, p. 897. وكذا

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, p. 370-371. وكذا

G. R. Burry, The Book of Proverbs, Philadelphia, 1906. وكذا

(١٢) يختلف الباحثون في الفترة التي كتبت فيها «تعاليم أمنموؤوبى» هذه ، فذهب البعض الى أنها الفت فيما بين القرنين العاشر والتاسع ق م ،

البريداني من حصل عليها «السير ارنست ألفرد واليس» (١٨٥٧ - ١٩٣٤) للمتحف في عام ١٨٨٨ م ، فأصبح جميع العلماء بكتاب العهد القديم (التوراة) ، الذين يعتد بأرائهم وأبحاثهم يجزمون بأن «تعاليم آمنمؤوبى» انما كانت الاصل الذى نقل منه ادساح ونحف على الاقل من سفر الامثال ، بل ربما كانت للنسخة العبرية ترجمة حرفية عن الاصل الهيروغليفى العتيق ، بل ان حكم آهنمؤوبى انما كانت شائعة في أسفار التوراة ، حيث نراها مصدرا لذلك الافكار والتشبيهات والمقاييس الخلقية، وبخاصة لروح الشفقة الانسانية الصارة ، لا في سفر الامثال فحسب ، بل وفي التناين العبرية (١٣) .

ولندحاول الآن تقديم بعض الامثلة على اعتماد سفر الامثال على تعاليم آمنمؤوبى :

=

وذهب آخرون الى انها كتبت فيما بين عامى ١٠٠٠ ، ٦٠٠ ق م ، وذهب فريق ثالث الى انها كتبت في القرن السابع قبل الميلاد .
واما عن تاريخ انتقالها الى العبرانيين فربما كان بعد فترة قصيرة من تاليفها ، وربما بعد ذلك ، لان سفر الامثال انما يرجع في وضعه النهائي الى القرن الخامس ق م ، وان كانت الامثال ترجع في بداعتها الى عصر سليمان ، الذى ربما يكون هو الذى وضع نواتها الاصلية ، اذ تنسب اليه التوراة حوالى ثلاثة آلاف مثل (ملوك الاول ٤ : ٣٢) ، حبيب سعيد : المرجع السابق ص ٤٤٦ ،

M. F. Unger, Op-Cit, p. 896-897.

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 370-371

وكذا
(١٣)

سفر الامثال العبرانى	نعالييم امنمؤوبى المصرى
(١) أمل أذنك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك الى معرفتى، لانه حسن ان حفظتها فى جوفك ، ان ثبتت جميعا على شفتيك (سفر الامثال ٢٢ : ١٧ - ١٨)	(١) أمل أذنك لتسمع أقوالى ، واعكف قلبك على فهمها لانه شئ مفيد اذا وضعتها فى قلبك ولكن الويل لمن بتعدها .
(٢) لأعلمك قسط كلام الحق ، لنرد جواب الحق لمن أرسلوك (سفر الامثال ٢٢/٢١)	(٢) لأجل ان ترد على بقرير لمن أرسلك
(٣) لاتنقل التخم القديم، ولاتدخل حقول الايتام (١٤) (سفر الامثال ٢٣ : ١٠)	(٣) لا تزحزن علامات حدود الحقول . . . ولا نكونن شرها من أجل ذراع أرض ، ولا تنعدين على حدود أرملة
(٤) لانتعب لكى نصير غنيا . . . (١٥) لانه انما يصنع لنفسه أجنحة ، كالنسر يطير الى السماء (سفر الامثال ٢٣ : ٤ - ٥)	(٤) لاتعجن نفسك فى طلب المزيد ، حينما تكون قد حصلت على حاجتك ، واذا جلب اليك المال بالسرقة ، فانه لايمكث معك سواد الليل ، وعندما يأتى الصباح لا يكون بعد فى منزلك ، بل يكون قد صنع لنفسه أجنحة كالأوز ، وطار الى السماء
(٥) القليل مع محافظة الرب خير من كنز عظيم مع هم ، أكلة من البقول حيث تكون المحبة ، خير من ثور معلوف ومعه بغضه	(٥) الفقر فى يد الله خير من الغنى فى النهى (المخزن) ، وأرغفة (تحصل عليها) بقلب فرح ، خير من ثروة (تحصل عليها)

(١٤) ذهب نقاد العهد القديم ، قبل الكشف عن بردية امنمؤوبى
الى أن كلمة «تقديم» التى تشبه فى اللغة العبرية كلمة «أرملة» ، هى
بلا شك غلطة فى النسخة الخطية صحتها «أرملة» ، ومن ثم فقد اتفقوا
على أن تكون الفقرة (أمثال ١٠ : ١) كالتى : «لا تزحزن حدود الارملة ،
ولا تدخلن فى حقول البتامى» .

(J. H. Breasted, Op-Cit, p. 373)

(١٥) النص المحذوف من سفر الامثال (٢٣ : ٤ - ٥) (كف عن
فطنتك ، هل تطير عينيكم نحوه وليس هو) ، مشوه فى الاصل العبرى ،
وربما يمكن اصلاحه بفحص النص الاصلى لبردية امنمؤوبى .

(J. H. Breasted, Op-Cit, p. 374)

سفر الامثال العبراني	نعاليم أمنمؤوبى المصرى
(أمثال ١٥ : ١٦ - ١٧) لقمة يابسة ومعها سلامة، خير من بيت ملآن دبائح مع خصام (سفر الامثال ١٧ : ١)	فى تعاسة، والثناء على الانسان كشخص محبوب عند الناس ، خير من الغنى فى الهرى (المخزن)
(٦) لانسحب عضويا، ومع رجل ساخط لا تجيء (سفر الامثال ٢٢ : ٢٤)	(٦) لا تصاحب رجلا حاد الطبع ، ولا تلحن فى محادثته
(٧) لافل انى اجازى سر ، انتظر الرب فيخلصك ، لافل اجزى على الشر ، بل انتظر الرب فيخلصك (سفر الامثال ٢٠ : ٢٢)	(٧) لا تفرح قد وجدت حاميا ، والآن ، مكننى ان اهاجم الرجل المفوب، ضع نفسك فى ذراعى الاله يهزمهم صمتك
(٨) اذا جلست تاكل مع متسلط ، فتاكل ما هو أمامك تاملا ، وضع سكيننا احنجرتك ان كنت شرها ، لا نسفته أطايبه ، لانها خبز الكاذب (سفر الامثال ٢٣ : ١ - ٣)	(٨) لا ناكل الخبز فى حصرة رجل عظيم ، ولا نعرض فمك فى حضرة ، واذا شبع من طعام محرم ، فان ذلك ليس الا لذة ريقتك ، وانظر فقط وانت على المائدة الى الوعاء الذى أمامك ، وكن مكتفيا بما فيه .
(٩) ارأيت رجلا مجتهدا فى عمله ، أمام الملوك يقف (سفر الامثال ٢٢ : ٢٩)	(٩) الكاتب الماهر فى وظيفته سيجد نفسه كفؤا لان يكون من رجال البلاط
(١٠) الم اكتب لك ثلاثين فصلا من جهة مؤامرة ومعروفة (سفر الامثال ٢٢ : ٢٠) (١٧)	(١٠) تبصر نفسك فى هذه الفصول الثلاثين، حتى تكون مسرة لك وتعلما

(١٦) قارن النص العربى ، حيث يقول «الم اكتب لم أمرا نريفة»
ولكن النص الانجائزية (Have I not Written the Thirtv) - وعلى
أى حال ، فان هذا يشير الى وجود ترجمة عبرية كاملة أمام مؤلف سفر
الامثال لنسائج «أمنمؤوبى المصرى» ، بمعنى أنها تحتوى على ثلاثين
فصلا ، والا لكانت كلمة «ثلاثين» فى سفر الامثال لا تدل على أى معنى ،
ولكى بحافظ الناقل العبرانى على المعنى نراه ، مع نقله للثلاثين فصلا
التي يحويها الاصل المصرى القديم برمتها - قد استعمل بالضبط نفظة
«ثلاثين» فى نسخته العبرية المختصرة (أمثال ١٧ : ٢٤ : ٢٢) انظر
(J. H. Breasted, Op-Cit, p. 380)
(J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y, 1939) (١٧)

=

ولعل، من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هناك تأثيرات مصرية أخرى في التوراة منها (أولا) ما يرويه سفر الامثال من أن «فعل العدل والحق، أفضل عند الرب من الذبيحة»^(١٨) ، فليست هذه الكلمات التي تفضل العدالة والاخلاق الحميدة على مجرد الشعائر الدينية ، الا صدى لما آمن به المصريون منذ عصر الثورة الاجتماعية الاولى أن الوسائل المادية ، ليست وحدها هي وسيلة النجاح في الآخرة ، وانما أصبح للاخلاق في هذا العصر ، شأن عظيم في تقرير مصير الانسان بعد مماته ، وبذا أصبحت الاهمية الكبرى للوصول الى الخلد ، انما عن طريق العمل الصالح .

ومن ثم كانت الكلمات التي وجهها الملك الاناسى لولده «مرى كارع» قبل عهد سليمان بهوالمى ١٥٠٠ عام — والتي ظهر أثرها في سفر الامثال ، وذلك حين يقول «اجعل الناس يحبونك في الدنيا ، فالخلق الطيب ذكرى الانسان»^(١٩) ، ثم يعلن في صراحة ووضوح ، أن الخلق الطيب أفضل عند الله ، من القرابين التي تقدم لاستعطائه ، «ان خلق الرجل المستقيم أحب عند الله من نور الرجل الشرير» (أى الثور الذى يقدمه كقربان الى الله)^(٢٠) .

ومنها (ثانيا) ما جاء في سفر الامثال من أن «الرب وازن القلوب»^(٢١) ، حيث يبدو واضحا أن الحكيم العبرانى انما كان مقتنيا

p. 372-280.

J. A. Wilson, The Instruction of Amen-Em-Opel, ANET, وكذا
1966, p. 421-423.

(١٨) أمثال ٢١ : ٣

Sir Alan H. Gardiner, pap. petersburg, 116A, JEA, 1, 1914, (١٩)
p. 26.

J. A. Wilson, The Instruction for King Meri-Ka-Re, in
Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament, princeton,
1966, p. 417.

J. A. Wilson, Op-Cit, p. 417.

(٢٠)

Sir Alan H. Gardiner, Op-Cit, p. 27.

A. Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, London.
1927, p. 77.

(٢١) أمثال ٢١ : ٢

أثر المفكر المصرى القديم اذ لم يكن فى التشرق القديم الا عقيدة انسانية واحدة تقول بأن الاله يزن القلب الانسانى ، وهى الديانة المصرية القديمة، مما تستعمل عليه من المحاكمات الازيرية (٢٢) .

وهكذا بدأ المصريون يعتقدون — منذ عصر الثورة الاجتماعية الاولى — فى «محكمة اوزير» ، حيث يقف الناس أمامها جميعا ، يؤدون آلهامانا عسيرا عما قدموه فى دنياهم — خيرا كان أم شرا — ولئن يذبح فى هذا الامتحان الالهى أصحاب الثروة والجاه ، وانما أصحاب العمل الصالح ، وذو النفوس الطيبة ، لان اعمال كل انسان ستوضع مكدة بجواره (٢٣) .

وقد رأينا من قبل أن ذلك التمييز بين قيمة الخلق ، ومجرد الشعائر الدينية الظاهرية ، كان دون ريب نتيجة للخبرة الاجتماعية فى مصر، فهذه الخبرة الاجتماعية نفسها ، انما كانت سائرة فى تكوينها بين الاسرائيليين بخطى سريعة ، ويرجع ذلك الى الارت الادبى والخلقى الذى ورثه العبرانيون ، اذ وجدوا تلك الحقائق الاساسية فى كتابات وتجارب جارتهم الكبرى ، مصر العظيمة ، وأخذوا يعملون بسرعة أيضا على تهيئة هذه الخبرة لتكون ملكا لهم (٢٤) .

ومنها (ثالثا) ما جاء فى سفر ملاخى — والذى كتب فى أخريات القرن الرابع قبل الميلاد — «لكم أيها المتقون اسمى ، تشرق شمس البر ، والتسقاء فى أجنتها» (٢٥) .

ومن المعروف أن العدالة — فيما يرى المصريون — انما كانت ممثلة فى شخص الالهة «ماعت» التى كان يعتقد القوم أنها «بنت اله الشمس» وبما أن شمس العدالة (أو البر) العبرانية قد وصفت بأن لها أجنحة ،

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 356-357.

(٢٢)

A. Erman, Op-Cit, p. 77.

(٢٣)

J. Wilson, Op-Cit, p. 416.

وكذا

A. J. Gardiner, JEA, I, 1974, p. 26-27.

وكذا

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 357.

(٢٤)

(٢٥) ملاخى ٤ : ٢

فلا يمكن أن يكون المراد بذلك سوى الإشارة الى اله الشمس ذى
الاجنحة ، لانه لم يكن يوجد بين جميع التصورات العبرانية القديمة
لاله «يهوه» أى صورة تمثله بأجنحة (٢٦) .

هذا وقد دلت الحفائر الحديثة فى «السامرة» على أن هذه التصورات
المصرية لاله الشمس العادل كانت شائعة الانتشار فى الحياة الفلسطينية،
فقد كشف الحفاريون فى خرائب قصر ملوك بنى اسرائيل فى «السامرة»
بعض ألواح من العاج منقوشة نقشاً بارزاً كانت تستعمل يوماً ما فى
التطعيم الزخرفى الذى كان يحلى به أثاث الملوك العبرانيين ، ومن بين تلك
القطع قطعة نقشت عليها صورة الهة العدالة «ماعث» يحملها الى أعلى
ملك شمس هليوبوليس فى وضع نفهم منه أنه كان على ما يظهر يقدم
تلك الصورة لاله الشمس ، وتصميم الرسم مصرى فى كل نواحيه ، الا
أن صناعته تدل بوضوح على أن نقشه من صنع أياد فلسطينية .

ومن ذلك يتضح أن الصناع العبرانيين كانوا على علم ومعرفة بمثل
تلك الرسوم المصرية القديمة ، وأن وجهاء العبرانيين التى يجلسون عليها،
ينظرون كل يوم الى هذه الرموز التصويرية الدالة على اله الشمس
المصرى وهى تزين نفس الكراسى التى يجلسون عليها ، ولم يكن اله
الشمس ذات الاجنحة المتأصلة فى وادى النيل معروفاً عند العبرانيين
بأنه اله عدالة فقط ، بل كان كذلك معروفاً بأنه الاله الحامى لعباده
الرؤوف بهم ، وقد أشارت المزامير العبرانية أربع مرات الى الحماية
الموجودة «تحت ظل أجنحتك» (٢٧) .

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 360.

(٢٦)

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 360-61

(٢٧)

الفصل الثامن

من أدب النقد والسياسة

لم يتخلف الادب المصرى القديم عن أداء دوره فى النقد والسياسة ، ووصف ما حل بالبلاد فى فترة من فترات تاريخها ، ومن ثم فقد قدم لنا على سبيل المثال - وصفا للحالة السيئة - من الناحية السياسية - التى وصلت اليها البلاد فى عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، هذا فضلا عن أن خيرا من الملوك قدموا لأولياء عهودهم تجاربهم السياسية ، حتى يكون لهم من تجارب الآباء ما يفيدهم فى ادارة شئون البلاد ، ومن النوع الاول كان الحكيمان «اييو - ور» و «نفرتى» ، ومن النوع الثانى تلك النصائح التى قدمت للملكين «مرى كارع» و «سنوسرت الاول» ، ولنقدم الان نماذج مختلفة من أدب النقد والسياسة :

١ - تحذيرات الحكيم اييو - ور

تعتبر هذه الوثيقة التاريخية من أهم الوثائق التى تسترعى النظر بين كافة مجموعة تلك المقالات الاجتماعية والمخفية التى كتبت فى عصر الثورة الاجتماعية الاولى (عصر الانتقال الاول) ، وتوجد تلك الوثيقة الادبية فى «متحف ليدن» ، وتعرف باسم «بردية ليدن رقم ٣٤٤» ، بعد أن نقلت الى متحف ليدن فى عام ١٨٢٨م ، وكان قد اشتراها هذا المتحف فى نفس العام من «أنستاسى» الذى اكتشفها فى «منف» (١) .

هذا والبردية بحالتها الراهنة غير الكاملة تبلغ من الطول ٣٧٨سم ، ومن العرض ١٨سم ، وقد كتبت بالخط الهيراطيقى ، كتبها حكيم مصرى يدعى «اييو - ور» (أو اييو العجوز) ، وصور فيها حالة البلاد على أيامه . وما انتهت اليه من ضعف ودمار ، وذلك فى خطبة طويلة أمام فرعون عصره الذى يكاد كثير من المؤرخين يجمعون على أنه «ببى الثانى» وان كان «سير ألن جاردنر» يذهب الى أنه ربما كان آخر خط الملوك

_____ (١)
A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, Liepzig, 1909, p. 1.

المميين^(٢) ، وهذا ما نميل، اليه ونرجحه^(٣) .

ويرجع تاريخ هذه التحذيرات لفترة ليس أبعد من الأسرة التاسعة^(٤) ، ولكنه منقول عن نص لا يمكن أن يكون قد كتب إلا في فترة الاضطرابات نفسها ، على أيام الثورة الاجتماعية الاولى ، أى ربما في أخريات أيام الأسرة السادسة ، وذلك اعتمادا على أجروميته ، فضلا عن بعض المميزات الأدبية من كتابات ذلك العصر^(٥) .

ومن أسف أن البردية — نسائها في ذلك شأن كثير من المخطوطات المصرية القديمة — قد فقدت بدايتها ، كما فقدت نهايتها كذلك ، هذا إلى جانب فجوات في وسطها ، ومن هنا لاقى الباحثون صعوبة في معرفة موضوعها ، حتى ظن البعض — باءىء ذى بدء — أنها ورقة تعليمية ، فمثلا نشر «لوث» في عام ١٨٧٣م ترجمته للصفحات التسع الاولى منها ، إلا أنه نظر إليها كمجموعة من الأحكام والأمثال التى قيلت للأغراض التعليمية أو الارشادية^(٦) .

وفي عام ١٩٠٣م فُتح «لنجه» الباب لعلماء الآثار للقيام بدراسات عن هذه الوثيقة ، ومن ثم فقد قام بعد ذلك كثير من العلماء بابحاث عنها^(٧) ، غير أن الدراسة الكاملة للوثيقة إنما قام بها «سير آلن جاردنر» بنشر هذه الوثيقة في كتاب مستقل تحت عنوان :

A. H. Gardiner, The Admonitions of An Egyptian Sage, Leipzig, 1909.

وقد كانت دراسة جاردنر للوثيقة مثلا يستندى ، فهي دراسة كاملة لها ، كما أنه قدم كذلك ترجمة دقيقة للوثيقة .

(٢) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 109.

(٣) أنظر : محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعنة — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٥ - ٨ .

(٤) A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, p. 2.

(٥) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ١٥٩ .

(٦) A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 2

(٧) M. Pieper, Die Agyptische Literatur, p. 23.

(٧) أنظر T. E. Peet, A Comparative Study of The Literature of Egypt Palestine and Mesopotamia, p. 118-119.

وفي عام ١٩٢٣م أخرج «أدولف ارمان» كتابه عن «أدب المصريين القدامى» باللغة الألمانية ، ويحتوى ترجمات كاملة لأهم القصص المصرية ، وكتب الحكم والالائييد والأغاني وغيرها مما كان معروفا ، وسبق أن ترجمه علماء الابحات الاثرية حتى ذلك الوقت ، وقد ترجم فيه لهذه الوثيقة ، هذا وقد نقل كتاب ارمان هذا الى اللغة الانجليزية الاثرى الانجليزى «ادوارد بلاكمان» فى عام ١٩٢٧^(٨) .

وفي عام ١٩٣٣م أخرج المؤرخ الأمريكى الكبير : (جيمس هنرى برستد) كتابه «فجر الضمير»^(٩) ، وقد حلل فيه الوثيقة تحليلًا ممتازا ، وفى عام ١٩٥٠م قامت مجموعة من العلماء الاجانب بترجمة «نصوص المشرق الادنى القديم» ، وقد ترجم فيه : (جون ويلسون) ، لهذه الوثيقة^(١٠) ، ولعل من أحدث الترجمات والدراسات الحديثة عن «تحذيرات ايبو - ور» هذه ، ما قام به «فولكنر»^(١١) و «Lichtheim»^(١٢) .

وتتلخص البردية فى أن الحكيم المصرى «ايبو - ور» انما يتقدم فى خطبة طويلة ، باتهام مريد يصف فيه حالة البلاد ابان عهد الثورة الاجتماعية ، امام فرعون عصره الذى أوقع عليه كثيرا من اللوم لضعفه

(٨) A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, Translated into English by, A. M. Blackman, London, 1927, p. 92-108.

(٩) J. H. Breasted, 'The Dawn of Conscience, New York, 1933, p. 192-200.

وانظر الترجمة العربية (جيمس هنرى برستد : فجر الضمير - ترجمة سليم حسن - القاهرة ١٩٥٦ ص ٢٠٧ - ٢١٤) .

(١٠) J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 441-444.

(١١) R. O. Faulkner, in JEA, 50, 1964, p. 24-36.

R. O. Faulkner, in JEA, 51, 1965, p. 53-62.

R. O. Faulkner, in 'The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 210-229.

(١٢) M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, p. 149-163.

وأما أهم الترجمات العربية فانظر : سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٩٤ - ٣١٧ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٤٩ - ٤٥٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٨ - ٣٦٢ ، حضارة مصر القديمة وآثارها ٣٩٣/١ - ٣٩٥ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٤٦ - ٥٣ .

وكسله ، وقد ألقى «ايو — ور» اتهامه هذا أمام مليكه ، وبحضور آخرين ، ربما كانوا من حاشية ذلك الفرعون ورجال بلاطه ، وربما كان ذلك في اجتماع لامر من الامور عقد في القصر الملكي ، وينتهي الحكيم بالنصح والتحذير من الاهمال والاخذ بالاصلاح ، ثم يلى ذلك رد قصير من جانب الملك ، ثم ينتهى المقال بتعقيب قصير من الحكيم «ايو — ور» على الرد الملكي (١٣) .

هذا وتقع البردية في أربعة عشرة صفحة ، يشغل الاتهام منها ما لا يقل عن الثلثين ، اذ يستمر النص في نحو عشر صفحات في صيغ متجددة لفكرة واحدة : الارض تدور كعجلة الفخار (١٤) .

ويذهب الدكتور عبد العزيز صالح الى أن «ايو — ور» انما كان على صلة بالثلاثين ، كما كان كذلك مصلحا ، وكان يدرك مفسد الحكم في عصره ، ولكنه كان من طبقة ارسقراطية قديمة ، وكان يطمح الى اصلاحها من داخلها ، أو بوحى من فرعون حازم مصلح ، ولم يكن يهضم أن يفرض عليها التغيير فرضا عن طريق طبقة أقل منها منزلة ، أو عن طريق الشعب — في حدود تعبيراتنا الحديثة — ولهذا اختلط الاخلاص في روايته بالمبالغة واختلط التحسر بالامل ، واختلط الخيال بالواقع (١٥) ، ومع ذلك فان روايته انما تعبر عن الحالة السائدة وقد ذاك ، من وجهة نظره — ذلك لان كل الاحداث انما تدل على أنه شاهد منصف ، فان حالة البلاد التي تناولها بالوصف لا يمكن أن تكون من وصف خيال قصاص أو راوية (١٦) .

هذا ورغم الجهد الذى بذل في تنسيق البردية ، فلم يراع في عناصرها الترتيب المنطقى ، وقد قسمها صاحبها الى فقرات تبدأ كل مجموعة من فقراتها ببدايات متشابهة .

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 194.

(١٣)

(١٤) ادولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة — ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال — القاهرة ١٩٥٣ ص ٤٢٨

(١٥) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ١/٣٨٣-٣٩٤

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 109.

(١٦)

وليس هناك من ريب في أن «تحتذيرات ايبو - ور» ، الى جانب أنها قطعة أدبية ممتازة ، فهي أيضا مصدر من أهم مصادرنا التاريخية في دراسة أحداث الثورة الاجتماعية الاولى ، تلك الثورة التي قامت بدور هام في تاريخ مصر الفرعونية ، وفي تغيير كثير من معتقدات القوم وأفكارهم ، فهي اذن واحدة من النصوص التاريخية الهامة ، وذلك لان صاحبها قد عاصر الاحداث المبريرة التي كتب على كنانة الله في أرضه أن تعيشها حينما من الدهر ، فهو شاهد عيان في وصفه للفترة اللاحقة لانهايار الاسرة السادسة ، وربما كان قد شارك بوسيلة أو بأخرى في أحداث الثورة .

هذا فضلا عن أن الوثيقة ترسم لنا صورة عن مفكرى ذلك العصر (حوالى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد) فصاحب البردية ، حكيمنا «ايبو - ور» أنما يوجه نقد اللازاع المر الى الملك نفسه ، بشجاعة منقطعة النظير ، لصدورها من مصرى يخاطب فرعون مصر ، ذلك الفرعون الذى كان يعتبر نفسه - كما كان يعتبره رعاياه - الها فوق البشر ، فيتهمه بأنه سبب البلىا التي حاقت بالبلاد ، ثم يزيد من جرأته حتى نراه يتمنى للفرعون أن يتذوق بعض هذا الباس بنفسه ، ثم يرسم بعد ذلك صورة للحاكم الامثل الطاهر النقى ، الذى يعز عشيرته ويحميها ، ويسحق الاشرار ، أضف الى ذلك أن البردية ، كما قلنا ، قطعة أدبية ممتازة ، وأسلوبها قوى ممتاز يجمع بين النظم والنثر (١٧) .

وتحتذيرات ايبو - ور هذه انما تتكون من قول منثور ، ومن ست قصائد شعرية فيها جوهر الموضوع نفسه ، وهي تبدأ بوصف ما حل بالبلاد من فساد واضطراب ، فيقول :

«يقول حراس الابواب : فلننطق ولننهب ، وتنحى الغسال عن حمل
حملة ، وأعد صيادو الطيور أنفسهم للمعركة ، وحمل آخرون من الدلتا

(١٧) محمد ببيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر
الفرعونية ص ٧ - ٨ .

الدروع ، ومن يزاولون أهدأ الحرف ، كصانعى الحلوى والجمعة ، ثاروا ،
وصار المرء ينظر الى ولده نظرتة الى عدوه ، وأصبح الرجل الكريم فى
حزن وأسى لما أصاب البلاد ، وغدا الاجانب مصريين فى كل مكان» •

القصيدتان الاولى والثانية :

ويصف الحكيم المصرى «اييو — ور» فى هاتين القصيدتين ما حل
بالبلاذ من فساد واضطراب ، وكيف انقلبت الامور ، وتحول القوم الى
عصابات ، وأصبح كل فرد مسلحا بدرعه ، لان المجرمين قد انتشروا فى
البلاذ يبيعون فيها فسادا ، وكل بيت من هذه القصيدة يبدأ بكلمتين هما :
حقا لقد •

وليس فى وسعنا سوى ان نسوق الى القسارىء غير آثار من تلك
المصورة التى رسمها الحكيم المصرى من حياة الناس فى ذلك العصر ،
يقول الحكيم «اييو — ور» :

«تدور البلاذ كما تدور رضى الفخار ، حقا لقد تغيرت صورة البلاذ ،
وتبدلت احوالها ، واهتلات بالعصابات ، ويذهب الرجل الى حقله ومعه
درعه ، حقا لقد شحب الوجه ، وقد تنبأ الاجداد بذلك حقا لقد شحب
الوجه ، وحامل القوس أصبح مستعدا ، والمجرمون فى كل مكان ، ولا يوجد
رجل من رجال الامس ، حقا ان الناهيين فى كل مكان» •

«حقا ان النيل يوافينا بفيضه مبارك ميمونا ، ولكن ما من احد يحرث
الارض ، لانهم لا يعرفون ما يطلعهم به الغد من شرور وأحوال» •

«حقا لقد غدت النساء عاقرات ، ألا ليت ذلك يكون نهاية الناس ،
فلا يحدث حمل ولا ولادة ، وليت الاله خنوم لا يشكل الناس بسبب
ما أصاب البلاد» •

«حقا ان القلوب قد ثارت ، والوباء قد انتشر ، والدم قد سال فى كل
مكان ، ولفائف الموميات تتكلم ، وان لم يقترب أحد منها ، حقا لقد أصبح
النهر قبرا لرجال كثيرين دفنوا فيه ، وصار المكان الطاهر مجرى» •

«حقا ان الارض تدور كمجلة الفخار ، واللص أصبح صاحب ثروة .
حقا ان النهر قد امتلأ بالدم ، فأصبح الرجل يعاف الشرب منه ، حقا ان
البلاد قد أصابها الدمار ، وأصبح الصعيد خالوياً» •

«انظر لترى قلائد الذهب والجواهر على نحور الجوارى ، على حين
تشتهى الحرة كسرة من خبز ، وتقول «اما من تىء نأكله» •

«أنظر : لقد حدث هذا بين الناس ، فمن لم يكن في قدرته أن يقيم في
حجرة ، أصبح الان يملك فناء مسورا ، أنظر : ان المفصيلات الاثريقات
يرقدن على الفراش المخشن ، والامراء ينامون في المخزن ، ومن لم يكن
ميسرا له أن ينام على الجدران ، أصبح صاحب سرير ، ان الرجل الغنى
أصبح يمشى الليل وهو ظمآن ، ومن كان يستجدي منه الحثالة ، أصبح
يمتلك الجعة القوية ، أنظر : ان أولئك الذين كانوا يمتلكون الملابس
أصبحوا في خرق بالية ، أنظر : ان الذى لم يصنع أبدا قاربا ، أصبح
الآن يملك سفنا ، وأصبح صاحبها ينظر اليها ، غير أنها لم تعد ملكا له ،
أنظر : ان الذى لم يكن يملك ما يظله من حرارة الشمس ، أصبح الآن
يملك ظلا ، والذين كانوا يملكون ما يأويهم ، أصبحوا عرضة للعاصفة» •

«أنظر لترى المناصب وقد خلت من أربابها ، ولترى الناس يهيمون
كالانعام ، بل هم أصل سبيلا ، حقا لقد عز الذليل ، وذل العزيز ، وطمع
الغرباء في البلاد ، فهاهم ينتشرون في الارض ، ويعيتون فيها فسادا» •

«أنظر : لقد عم الحزن البلاد من أقصاها الى أقصاها ، والناس
يستغيثون ولا مغيث ، ويستجيرون ولا مجير ، أنظر : لقد أصبحت الحياة
مرة حتى غافها الناس ، رخيصة حتى هانت على الناس ، يقول الكبير :
يا ليتنى مت قبل هذا . وكنت نسيا منسيا ، ويقول الصغير : ليت أمى
لم تلدنى ، انظر : كيف يضحك الوضع من بكاء العظيم» •

« أنظر : لقد أصبح الناس يأكلون الحشائش ، ويشربون الماء ،
ولا توجد فاكهة ، كما لا يوجد عشب يأكل منه الحيوان والطيور ، وأصبحت
القاذورات تخطف من أفواه الخنازير ، ولم يعد أحد يقول : هذا لى

فخذه بدلا عنى ، لان القوم صاروا جياعا ، أنظر : لقد ضاع محصول القمح ، وأصبح القوم لا يجدون لباسا أو عطورا أو زيوتا ، وأصبحت مخازن الحبوب خاوية ، وألقى حارسها على الارض» •

«أنظر لقد قتل الود ، وانقطع الرجاء ، وانعدمت الرحمة ، وفقدت المروءة ، حتى أصبح المرء لا يتورع عن قتل أخيه ، أنظر : لقد سلبت قاعة المحاكمة الفاخرة ، وأصبح المكان السرى مكشوبا ، أنظر : لقد فتحت الادارات العامة ، ونهبت قوانينها ، وسلبت كشوف الاحصاء واطلعت سجلات كتبة المحاصيل» •

«أنظر : لقد ألقيت قوانين دار القضاء فى الجهو ، ووطئت بالاقدام فى المشوارع ، ومزقتها الغوغاء فى الازقة ، وأخذ العوام يروحون ويجيئون فى دار القضاء الكبيرة ، ونفى القضاة فى الارض ، واحترقت البوابات والاعمدة والاسوار» •

«أنظر : ان الناس يثورون ضد حية التاج التى كانت تهدى الارضين لقد عرف سر البلاد التى لا يعرف أحد حدودها ، ان القصر الملكى يمكن أن يهدم فى ساعة ، وتصبح أسرار ملك مصر العليا والسفلى معروفة» •

«أنظر : ما عاد يجر الى «جبيل» ، فما الذى سوف نفعله بأخشاب الارز التى اعتدنا أن نصنع منها تواييتنا ، والزيت التى يحنط بها الامراء ، وكانت ترد من هناك ، ومن مجاورات «كفتيو» ، ما عاد يأتى من ذلك شىء ، حتى أصبح مجيء أهل الواحات بمنتجاتهم البسيطة شيئا ذا بال» •

«أنظر ما الذى جعل الارض المحصراء تنتشر فى طول البلاد وعرضها ، خربت الاقاليم ، وجاءت قبائل قواسة غريبة الى مصر ، ومنذ أن وصلوا لم يستقر المصريون فى مكان ، وأصبح الاجانب مصريين فى كل مكان ، وأولئك الذين كانوا مصريين أصبحوا غرباء ، وأهملوا جانبا» •

«أنظر : حقا لماذا لم تدفع اليفانتين وثنى — وهما من ممتلكات مصر

العليا الضرائب بسبب الحرب ، وهناك حاجة الى الفاكهة والقمح وكل أنواع التجارة ، وكل ما ينتجه الصناع ، فما فائدة الخزانة بدون دخل» .

ويبلغ الاسى بالحكيم «اييو - ور» نهايته : أسفا على ما أصاب البلاد من اضطراب لا يعرف له علاجاً ، فيفقد الامل في انقاذ شئ ، ويزداد تأثره بالكارثة التي لحقت بالبلاد ، حتى أنه يطلب من الاله أن تكون هذه نهاية الحياة نفسها ، ثم يتجه بعد ذلك الى نفسه فيوجه اللوم اليها ، ويحملها جزءاً من الوزر الذي ارتكبه حين سكت على الشر ، وامتنع عن أن يقول الحق ، فينصح وينتصح ، يقول : «ليتنى رفعت صوتي في ذلك الوقت ، حتى أنقذ نفسي من الالم الذي أنا فيه ، فالويل لى ، لان البؤس قد عم في هذا الزمان» .

هذا وقد سادت البلاد في تلك الفترة المظلمة موجة غير دينية ، وان لم تكن الحادية ، فقد تخطى المصريون الى حين عن ألحق صفاتهم بهم — وأعنى بها صفة التدين والورع المطبوع في نفوسهم — حتى وصل الامر ببعضهم أن ينكروا وجود الاله نفسه ، يقول الحكيم «اييو - ور» : «حقاً ان الرجل الاحق يقول : اذا عرفت أين يوجد الاله ، فانى أقدم له قرباناً» .

وتسود المجتمع المظالم ، ويفقد القوم ثقتهم في العدالة ، اذ تنحرف عن طريقها المستقيم ، يقول «اييو - ور» : «والعدالة موجودة باسمها فقط ، وما يعملها الناس حين يلتجئون اليها هو الظلم» ، ولم يكن لدى الثوار وازع من دين أو خلق يحميهم من نبش قبور الموتى ، حتى قبر الملك الاله نفسه ، كتب عليه ذلك المصير الاليم ، يقول «اييو - ور» . «أنظر الآن ، فلقد حدث شئ لم يحدث أبدا منذ زمن بعيد ، فان العامة سرقوا الملك ، أنظر : ان الذى دفن كصقر الهى ، صار اليوم فوق خشبة نعش ، وأصبح ما فى الهرم خاويًا» .

القصيدتان الثالثة والرابعة :

لم يبق منهما سوى القليل ، وأهم فقراتهما :

«ان الدلتا تبكى ، ومخازن الملك أصبحت مشاعا للجميع ، والاضرائب للقصر مما هو مستحق له من شعير أو قمح أو سمك ، وذلك بالرغم مما يستحق له من قماش أبيض وكتان رقيق ، ونحاس وزيت وحصير وسجاد وما عداها من المستحقات الجيدة» •

القصيدة الخامسة :

تتضمن مقدمتها حديثا عن عبادة الآلهة ، وكيف كانت تعبد فيما مضى وكيف يجب أن تعبد في المستقبل ، وتبدأ بكلمة «تذكر» وقد جاء في هذه القصيدة :

«تذكر كيف يضحك بالطيب والبخور ، وكيف يقدم الماء من ابريق في بكرة الصباح •

تذكر كيف يجلب الاوز السمين ، ويقدم هو والبط والقربان المقدسة للآلهة •

تذكر كيف يمسح النطون (ليطهر الكاهن فمه) ، ويجهز الخز-بز الابيض في اليوم الذي ييلك فيه الرأس •

تذكر كيف تقام أعمدة الاعلام ، وتنتش أحجار القربان ، ويظهر الكاهن المعابد ، ويبيض بيت الله كاللبن ، ويعطر الافق (أى المعبد) ، ويخلد خبر القربان •

تذكر كيف تراعى القواعد ، وتنظم أيام الشهر ، ويعزل الكهنة الاشرار

تذكر كيف تنذر الثيران ، ويوضع الاوز على النيران ، ويقدم قربانا»

ثم يلى ذلك جزء كبير غامض تعتوره بعض الفجوات الكثيرة ، وأهم ما هو ظاهر فيه عن الحاكم العادل المنتظر ، والذي وصفه « ايبو - ور» بأنه :

«انه يطفى لهيب (الحريق الاجتماعى) ، ويقال عنه انه راعى الانسانية ، ولا يحمل في قلبه شرا ، وحينما تكون قطعانه (بمعنى رعيته)

متفرقة فانه يصرف يومه في جمعها ، وقلوبها محمومة ليته عرف أخلاقها في الجبل الاول ، فحينئذ كان في مقدوره أن يضرب الشر ، وكان في قدرته أن يهد ذراعه ضده (أى الشر) ، وكان في مقدوره أن يقضى على بذرتهم هناك ، وعلى ورثتهم ، فأين هو اليوم ، هل هو بطريق الصدفة نائم ، أنظر : بأسه لا يرى»

ثم يستطرد «ايو - ور» الى بيت القصيد ، وهو توجيه النذر الى الملك نفسه فيقول :

«لديك الحكمة والبصيرة والعدل ومع ذلك تترك الاضطرابات وضوضاء المتعاركين تنتشر في البلاد ، أنظر اليهم ان كل واحد منهم يضرب الآخر ، والا يعبأ بالاوامر ، فهل تلقى راعيا يحب الفناء»

«لقد كذبوا عليك ، فالبلاد تشتعل كالقش ، والناس على شفا المهلاك وهذه كلها سنوات حرب أهلية ، فالرجل يقتل على سطح منزله ، حينما يكون مراقبا في حدود بيته ، ولكنه ان كان قويا ، فانه ينجى نفسه بنفسه ، ويبقى حيا»

«ليتك تتذوق بعض هذا البؤس بنفسك ، وعندئذ يمكنك أن تقول...»

وعندما يرد الملك بأنه حاول حماية شعبه ، نظر اليه وقال : ان الملك أحسن القصد ، ولكنه لم يصل الى الغرض بسبب جهله ، وعدم كفايته «إذا كنت تجهل ذلك ، فقد يكون الجهل شيئا مريحا للنفس ، وربما فعلت شيئا طيبا لقلوب الناس وأحببتهم، ولكنك تعطى وجوههم فزعا من الغد»

القصيدة السادسة :

وفيها وصف للوقت السعيد الذى يدخره المستقبل
«على أنه من الخير أن تسير السفن متجهة نحو الجنوب
على أنه من الخير أن تنصب الشباك وتمسك الطيور
على أنه من الخير أن تبني أيدي الرجال الاهرام ، وتحفر البرك ،
وتقام للالهة مزارع فيها أشجار

٢ - نبوءة نفرتى

كان اسم صاحب هذه البردية «نفرتى» هذا ، ينطق الى عهد قريب «نفر - روهو» (نفر - رحو) ، وهو - فيما تروى البردية - كاهن مرثل من «بر - باست» (بوابستس ، وهى تل بسطة الحالية ، فى مجاورات مدينة الزقازيق ، عاصمة محافظة الشرقية) ، وعلى أية حال ، فالبردية محفوظة فى «متحف ليننجراد» فى الاتحاد السوفيتى (برقم ١١١٦ ب) ، وقد عثر عليها «فلاديمير ساميو نوفتش جولينشف» الذى قام بنشرها فى عام ١٩١٣م^(١) ثم نشرها أيضا «هالك» فى عام ١٩٧٠م^(٢) . هذا وقد قام «سير آلن جاردنر» بترجمة البردية فى عام ١٩١٤م^(٣) ، ثم ترجمها «أدولف ارمان» فى عام ١٩٢٣م^(٤) ، كما قام «جيمس هنرى برستد» بتحليل البردية تحليلًا ممتازًا^(٥) ، كما قام بترجمتها والتعليق عليها كثير من العلماء ، من أمثال «جون ويلسون»^(٦) و «جوستاف لوفيفر»^(٧) و «بونز»^(٨) و «بارنا»^(٩) و «فولكنر»^(١٠) وغيرهم^(١١) ،

V. S. Golenischeff, Les Papyrus Hieratiques, N. 9, PA, 1116B, de L'Ermitage Imperial, ast-Petersbourg, 1913, Pls. 23-25. (١)

W. Helck, Die Prophezeiung des Nfr-ti, Wiesbaden, 1970. (٢)

A. H. Gardiner, in JEA, I, 1914, p. 100-106. (٣)

A. Erman, LAE, 1927, p. 110-115 (٤)

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 200-206. (٥)

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 444-446. (٦)

G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de l'epoque Pharaonique, Paris, 1949, p. 95-105. (٧)

G. Posener, Litterature et Politique dans L'Egypte de la XIIe dynastie Paris, 1956, p. 21-60 and 145-157. (٨)

W. Barta, in MDIK, 21, 1971, p. 35-45. (٩)

R. O. Faulkner, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 234-240. (١٠)

B. Gunn, in JEA, 12, 1926, p. 250 F. (١١)

T. E. Peet, Op-Cit, p. 120 F. وكذا

M. Pieper, Op-Cit, p. 15 . وكذا

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 139-145 وكذا

على أنه م، الخير أن يكون الناس سكارى ، وأن يشربوا ... فرحى
القلب •

على أنه من الخير أن يبعدو الفرح في أمواه الناس
على أنه من الخير أن تكون الاسرة وثيرة ، ومساند رؤوس العظماء
تحميها التمائم ، ويهيأ لكل انسان سرير خلف باب مغلق ، فلا
يحتاج الى النوم في الاعشاب ...» •

هذا الى جانب عدة ترجمات عربية للبردية (١٢) .

وترجع البردية الى أوائل عهد الاسرة الثمانية عشرة ، وربما الى عهد مؤسسها الملك «أمنمحات الاول» (١٩٩١ - ١٩٦١ ق.م) ، أو على الاقل ليس بعد عهده بفترة طويلة ، ولكن كاتبها نسبها الى عهد قديم ، فلقد زعم أنها ألفت في حضرة الملك «سنفرو» مؤسس الاسرة الرابعة ، أى قبل عصر الاسرة الثمانية عشرة بفترة طويلة .

ويذهب «برستد» الى أن ذلك انما هو مجرد وضع تمثيلى ليسبنغ على كلمات «نفرتى» الهامة قوة التأثير ، ومن حسن الحظ أن كاتبها من عهد الدولة الحديثة ، ممن عاشوا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، قد ظهرت له أهمية هذه الوثيقة ، حتى أنه عندما لم يجد برديا جديدا ينقل فيه نص الوثيقة ، أخذ جزءا من بعض أوراق مستعملة في تدوين حساباته ، ونقل تلك النبوءة على ظهرها ، وهكذا بقيت «نبوءة نفرتى» في تلك الصورة التى وحسنتها عفا ، بما تحويه من غموض بسبب أغلاطها الكثيرة التى حدثت عند نقله لها بطريق المصادفة كما أشرنا آنفا (١٣) .

وليس هناك الى سبيل من شك في أن الدافع الى كتابة هذه النبوءة ، انما الدعوة الى تمجيد الملك «أمنمحات الاول» ، ووصفه بالصفات التى يتمناها الناس فى العاهل الجديد ، والذى كان الحكيم «ايو - ور» ينتظر قدومه ، وأغهام الناس أن «أمينى» (وهو اختصار اسم أمنمحات) انما سيتولى العرش بناء على ارادة الآلهة ، وأن الحكماء قد تنبأوا بذلك أمام الملك «سنفرو» ، ذلك الفرعون الذى كان له فى قلوب الناس مكانة لا تعادلها مكانة فرعون آخر ممن سبقه من الفراعين ، حتى أنه كان يوصف بأنه «الملك المحسن» و «الملك الرحيم» و «الملك المحبوب» و «الملك الفاضل» ، كما صورته الوثائق متواضعا ، يميل الى المعرفة ،

(١٢) أنظر : سليم حسن : المرجع السابق ص ٣١٨ - ٣٢٤ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٥٠ - ٤٥١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٣٥٢-٣٥٤ .
J. H. Breasted, Op-Cit, p. 201.

ويكرم العلماء ويحسن الاستماع ، ويكتب بنفسه ، ولا يبالى أن يسأل عما لا يعرفه (١٤) .

وتشتمل البردية على موضوعين رئيسيين ، أولهما : الحالة السيئة التي آل إليها أمر البلاد ، أبان الثورة الاجتماعية الاولى — شأنها في ذلك شأن تحذيرات ايبو — ور ، وثانيهما : الاعلان عن مليكه الجديد الذى سيخلص البلاد مما نزل بها من شر ، وسيسعد من يعيشون في عصره .

وفي الحقيقة أن كلا الموضوعين قد تحدث عنهما «ايبو — ور» ، فلقد وصف الخراب والدمار الذى حل بالبلاد ، كما تنبأ بقرب ظهور الملك الامثل ، وهكذا يأتى «نفرتى» فيتحدث عن ذلك كله ، ولكنه يزيد على «ايبو — ور» بأن يحدد اسم المخلص الجديد ، وأنه «امينى» ، وهذا هو الهدف من البردية ، ولهذا فهي دعاية للملك «امنمحات الاول» (امينى) ما في ذلك من ريب . وأما ما جاء من وصف الخراب الذى حل بالبلاد ، فصحيح يتفق وعصر الثورة الاجتماعية الاولى، ما في ذلك من ريب أيضاً، ومع ذلك فمكانة نبوءة نفرتى كوثيقة تاريخية ليست في مكانة تحذيرات ايبو — ور ، لان الاخير انما كان شاهد عيان يدفعه الى كتابة ما كتب دوافع عليه، وأهداف سامية ، حتى اننا نجده يلوم نفسه لتأخره في اسداء النصيح لملك عصره ، «ليتتى رفعت صوتى في ذلك الوقت ، حتى أنقذ نفسى من الالم الذى أنا فيه ، فالويل لى لان البؤس قد عم في هذا الزمان» (١٥) ، كما أنه لم يكن في دعوته هذه مدفوعا الى الدعاية لحاكم بذاته ، وانما كان يطلب الحاكم الامثل فماسب ، أيا كان هذا الحاكم .

وأما «نفرتى» فلم يكن شاهد عيان ، وانما ينسب تأليفها الى عهد قديم ، الى عهد الملك «سنفرو» ، كما يظهر في نبوءة نفرتى بوضوح مظهر

G. Posener, Op-Cit, p. 32.

(١٤) أنظر

B. Gunn, JEA, 12, 1926, p. 250-251.

(١٥) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، وكذا

J. A. Wilson, ANET, p. 449.

الدعاية للملك «الأممحات الاول» ، بل ان بعض المؤرخين انما يرى أنه لا يستبعد مطلقا أن يكون الحديث (يعنى النبوءة) من وضع الملك «الأممحات الاول» نفسه (١٦) ، وفي كلتا الحالتين انما يعتبر كاتب هذه النبوءة شبه شاهد عيان ، لقرب عهده من أحداث الثورة الدامية نفسها . ولنقدم الآن صورة مجملة لهذه النبوءة التى جاءت فى «بردية نفرتى» :

١ - وصف حال البلاد :

يقول «نفرتى» فى نبوءته بعد المقدمة :

«لقد أصبحت البلاد خرابا ، فلا من يهتم بها ، ولا من يتكلم عنها ، ولا من يذرف الدمع عليها ، لقد حجبت الشمس فلا تضىء حتى يبصر الناس»

«لقد جف نيل مصر حتى ليخوضه الناس بالقدم ، وسوف يبحث الناس عن الماء لتجرى عليه السفن ، فيجدون أن الطريق صار شاطئاً ، كما صار الشاطئ ماء»

«ان البلاد فى كرب وعويل ، لقد حدث ما لم يحدث من قبل ، سيجمل الناس أسلحة الحرب ، حتى تعيش الارض فى قلق واضطراب ، وسيصنع الناس أسلحة من النحاس حتى يلتمسوا الخبز بالدم ، ويضحكوا ضحكة الموت ، لن يبكى الناس من الموت ، ولن يهتم أحد الا بنفسه»

«لن يعنى أحد بترجيل شعره ، ويجلس المرء فى مكانه لا يحرك ساكناً ، بينما يرى الناس يقتل بعضهم بعضاً ، سأريك حالة البلاد ، وقد أصبح الاب خصماً ، والاخ عدواً ، الرجل يقتل أباه ، واختفى كل شئ طيب ، وخربت البلاد ، وأصبحت أملاك الرجل تغتصب للغريب ، وغدا المالك فى حرمان ، والاجنبى فى شبع ورفاهية»

(١٦) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٤ .

«لقد أصبح للكلام في قلوب الناس وقع كوقع النار ، ولم يعد أحد يصبر على النصيحة ، لقد نقصت الارض وتضاعف حكامها ، وأصبحت الحقول عارية ، غير أن ضرائبها كثيرة ، وغلتها قليلة ، مع أن المكيال صار كبيرا ، وكانوا يملؤنه حتى يطفح ، لقد ظهر الاعداء في الشرق ، واقتحم القبطيون مصر ، ولكن ما من مدافع يسمع أو يجيب» .

«لقد تباعد الاله راع عن الناس ، وإذا ظهر أشرق ساعة ، ولا يكاد أحد يعرف أوان الظهر لانه ما من ظل يدل عليه ، لم تعد الابصار تبهر عند التطلع اليه ، ولم تعد العيون تبك بالماء ، اذا أصبحت الشمس في السماء شبيهة بالقمر»

«سأريك البلاد ، وقد أصبحت شذر مذر ، لقد أصبح الكليل صاحب سلطة وسلاح ، وصار القوم يبجلون من كان يبجلهم ، سأريك البلاد ، وقد أصبح في القمة من كان في الدرك الاسفل ، وسيعيش الناس في الجبانة ، وسيتمكن المعدم من الثراء ، وسيأكل التسولون خبز المقرابين ، بينما يفتجع الخدم بما حدث» .

٢ - الدعوة الى الملك الجديد :

وهنا يصل المتنبي الى هدفه — وهو الدعوة للملك الجديد (اميني) :

«سيأتي ملك من الصعيد ، يدعى «اميني» له المجد ، ابن امرأة من «ناستي» (جزيرة أسوان) ، ويولد في الصعيد في «خن نخن» (البصيلية مركز ادفو بمحافظة أسوان) ، وسوف يتلقى التاج الابيض ، ويتتوج بالتاج الاحمر ، فاسعدوا اذن يا أهل عصره ، ولسوف يعمل ابن الانسان على تخليد سمعته الى الابد ، أما الذين كانوا قد تأمروا على الشر ، ودبروا الفتنة ، فسيطبقون أفواههم خوفا منه، وسوف يسقط الاسيويون بسيفه ، والليبيون أمام لهيبه ، وسيستسلم الثوار أمام غضبه ، والمعصاة أمام جلالته ، وسيخضع المتمردون للمصل الذي على جبينه ، وسوف يبنى حائط الامير ، ولن يستطيع الاسيويون أن يدخلوا مصر عنوة ، وانما سوف يستجدون الماء منها لتشرب مائيتهم ، كما ألوف عادتهم ، وسوف

تعود العدالة الى مكانها ، ويقضى على الظلم ، ولسوف يسعد من يرى ،
ومن سيكون فى خدمة الملك» •

وهكذا يصف «نفرتى» مليكه المنتظر بأنه سيحقق كل ما فقده القوم
أثناء الثورة ، فهو سيقضى على الفتن الداخلية ، وسيحمى البلاد من شر
جيرانها الليبيين والاسيويين ، وأنه سيبنى سور الحناكم لحماية الدلتا من
تسلط البدو ، وهكذا يستطيع المخلص الجديد أن يقضى على شرور الناس
وأن يبدأ عصرا جديدا •

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن «نفرتى» انما يصرح فى
نبوءته بأن مليكه الجديد ، ليس من سلالة البيت الملك القديم ، فهو اذن
ليس باله كغيره ممن سبقوه من الفراعين المؤهلين ، وانما هو ابن امرأة
من جزيرة أسوان (اليفانتين) وانه قد ولد فى البصيلية (نخن) ، وربما
تدد دفعه الى ذلك ضياع الهالة القديمة التى كان يتمتع بها الفراعين
من قبل ، وربما دعاه الى ذلك كثرة المطالبين بالعرش أو المدعين له ، تلك
الكثرة التى جعلت ملكه الجديد ، ليس بدعا بين المدعين أو المطالبين ،
وربما كان «أمنمحات» (امينى) نفسه قد لجأ الى الدعاية لنفسه ،
فماضت تلك النبوءة المعروفة ، فأمر ذلك جائز ، وقد دعا اليه بعض
المؤرخين ، ذلك لان الظروف التى أحاطت به قد ألجأته الى ذلك ، فهو لم
يكن أميرا ، ولم ينتسب الى بيت امارة ، ولانه انما كان قد فطن بذكاء
وسعة ادراكه وتجاربه الواسعة الى أن الناس قد سئموا المدعين من فلول
الامراء الذين ينتسبون الى بيت الملك ، وكرهوا سلطانهم ، وبذلوا ما فى
وسعهم فى سبيل الخلاص من تلك الاسر التى رفعت نفسها الى مجال
التأليه ، فكان من المنطق أن يلجأ «أمنمحات» الى الدعاية لنفسه بمـ
يصادف فى نفوس الناس هوى وارتياحا ، ومن ثم فقد أخذ يبشر بظهور
مخلص جديد ، أسماه «امينى» تارة ، وأسماه «ابن الانسان» تارة أخرى
وكان يقدم بذلك الى اقناع الناس بأن مخلصهم وحاكمهم الجديد ، ليس
من بيوت الملك والامارة ، وانما هو من الشعب ، صديق الشعب وربيب

الشعب (١٧) •

وهكذا أصبح الانتساب الى الشعب شرفا يدعيه الظالمون الى تبوأ عرش الكنانة ، فهامو «أمنمحات» يذيع عن نفسه «انه ابن امرأة من تاستى ، وقد ولد في «خن نخن» ، ولم يقل أنها ، أو هو ، من أصل ملكي ، ومن البدهى أن ذلك لم يكن عن رغبة عن الانتساب الى الاصل الملكي ، ولكنها كانت رغبة العصر ، ذلك العصر الذي أعطته الثورة الاجتماعية الاولى مبادئها ، والتي كان منها أن الانتساب الى الشعب ميزة يفخر بها من يحاول التقرب اليه (١٨) •

ولعل مما تجبر الاشارة اليه أن هذا المبدأ قد سرى بين أمراء الاقاليم كذلك ، ومن ثم فقد ادعى بعضهم ادعاءات عريضة عما قدموه من خير لأقاليمهم ، ثم يفخرون بعد ذلك أنهم اتما كانوا محبوبين من مدتهم ، وهكذا رأينا الواحد منهم يفخر بأنه «الحاكم المحبوب في مدينته» (١٩) •

(١٧) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ١٢٠ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعونية ص ٢٠١ - ٢٠٣ •
(١٨) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٠٢ ، وكذا
A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 105.
(١٩) P. E. Newberry, Beni Hassan, I, Table, 8, p, 415.

٣ - ارشادات الى الملك مري كارع

تعرف هذه البردية التى تحوى «ارشادات الى الملك مري كارع» باسم «بردية بطرسبرج» ، وهى محفوظة الآن فى «متحف ليننجراد» تحت رقم رقم (A ١١١٦) ، غير أن هذه النسخة ليست هى النسخة الوحيدة ذلك لان النص انما قد جمع فى ثلاث برديات ، الواحدة فى ليننجراد ، والثانية فى «موسكو» (برقم ٤٦٥٨) ، والثالثة فى «كوبنهاجن» ويرجع تاريخها جميعا الى حوالى نهاية الاسرة الثامنة عشرة ، وهى جميعا معقدة بسبب الفجوات والغموض من كل نوع ، ولو بقى الجزء الاول من النص ، وكان أكثر تماسكا وحفظا ، لكان أهمها جميعا ، مادام يقدم النصح بأنه من الافضل حسن معاملة الموالى العنيدى الذين يستمتعون بشعبية ملحوظة^(١) .

هذا وقد اختلف المؤرخون فى صاحب هذه الارشادات أو النصائح ، لان اسم الاب (صاحب النصائح) مفقود ، ولكنه ربما كان «اختوى» ، وان لم يكن أول من يحملون هذا اللقب ، ومن هنا فقد ذهب فريق الى انه «اختوى» (خيتى) الثالث ، بينما رأى آخرون أنه «خيتى الرابع» ، هذا فضلا عن الخلاف لم يكن فى اسم الملك صاحب التعاليم ، وانما امتد كذلك الى الاسرة التى ينتسب اليها ، ومن ثم فقد ذهب فريق من الباحثين الى أنه من الاسرة التاسعة ، بينما ذهب آخرون الى أنه من الاسرة العاشرة .

وعلى أية حال ، فهناك فريق كبير من الباحثين يكادون يجمعون على أن «نب كاورع» انما هو «خيتى الثالث» ، وهو نفسه صاحب الارشادات — موضوع بحثنا هذا — وأنه من ملوك الاسرة التاسعة ، على أن هناك وجها آخر للنظر ، يتزعمه بعض علماء المصريين ، من أمثال الدكتور

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 97.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, p. 115.

(١)

وكذا

أحمد فخرى^(٣) ، ووليم هيز^(٣) ، وويلوك^(٤) ، انما يرى أن صاحب الارشادات انما هو «خيتى الرابع» (واح كارع) من الاسرة العاشرة ، على أن «الكسندر شارف» انما يذهب الى أنه «خيتى الثالث» ، وأنه من الاسرة العاشرة ، حيث وضع الاب والابن في هذه الاسرة العاشرة^(٥) ، واننى لأميل الى أن صاحب الارشادات اللوجهة الى الملك «مرى كارع» انما هو «خيتى الرابع» ، وانه كان من ملوك الاسرة العاشرة الالهاسية ، وليس من الاسرة التاسعة .

هذا وقد اكتشف هذه البردية في عام ١٨٧٦م ، الاثرى الروسى «فلاديمير جوليشيف» ، وكان أول من قام بنشرها^(٦) ، ثم ظهرت لها بعد ذلك عدة ترجمات ، كان من أهمها ترجمة «جاردنر»^(٧) و «ارمان»^(٨) ثم تحليل «برستد» لها في «فجر الضمير»^(٩) .

وفي عام ١٩٣٦م ، قام «الكسندر شارف» بأهم ترجمة للوثيقة ، مع التحليل السياسى والنقد التاريخى لمحتوياتها^(١٠) ، وفي عام ١٩٤٥م قام

-
- (٢) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ١٦٨ .
 W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, New York, 1953, p. 144. (٣)
 H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom (٤)
 in Thebes, New York, 1947, p. 20.
 (٥) الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٧٣ .
 Vladimir S. Golenischeff, Les Papyrus hieratiques, Nos. 1115, (٦)
 1116A et 1116B de L'Ermitage imperial a St-Petersbourg, St-Petersburg,
 1916, Pls. IX-XIV.
 A. H. Gardiner, in JEA, I, 1914, p. 20-36. (٧)
 A. Erman, in LEA, 1927, p. 75-84. (٨)
 J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, (٩)
 p. 145-150.
 وفي الترجمة العربية (جيمس هنرى برستد : فجر الضمير - ترجمة
 سليم حسن - القاهرة ١٩٥٦ ص ١٦٧ - ١٧٣) .
 A. Scarff, Der historische Abschnitt der lehre fur Konig (١٠)
 Merikare, in SPAW, 1936, Heft, 8, (Lines 69-110 and Most of Lines,
 111-144).

«فولتن» بنشرها مرة أخرى^(١١) ، كما قام بترجمتها أيضاً والتعليق عليها كل من «بوزني»^(١٢) و «دريوتون»^(١٣) و «وليامز»^(١٤) و «مـولر»^(١٥) و «كيس»^(١٦) و «ردفورد»^(١٧) و «بيكرات»^(١٨) و «لوبيز»^(١٩) و «سمبسون»^(٢٠) وغيرهم^(٢١) ، فضلاً عن الترجمات العربية للوثيقة^(٢٢) .

وأما عن الظروف التاريخية للوثيقة ، فمن المعروف أن مصر قد تعرضت في أخريات أيام الدولة القديمة لفترة ضعف سياسي ، وهي الفترة التي يطلق عليها المؤرخون «عصر الانتقال الأول» أو «عصر الثورة الاجتماعية الأولى» ، والتي تقطعت فيها أوصال البلاد ، وتفرقت كلمتها ، وقد بدأت تلك الفترة منذ أخريات الأسرة السادسة (حوالي عام

-
- A Volten, Zwei altagyptische Politische Schriften, *Annalecta Aegyptiaca*, 4, Copenhagen, 1945, p. 3-82, Pls. 1-4. (١١)
G. Posener, *Annuaire du College de France*, 62, (1962), p. 290-295, 63, (1963), p. 303-305, 64, (1964), p. 305-307, 65, (1965), p. 343-346, 66, (1966), p. 342-345. (١٢)
G. Posener, *RdE*, 7, 1950, p. 176-180. (١٣)
E. Drioton, *RdE*, 12, 1960, p. 90-91 (Line 92). (١٤)
R. Williams, in *Essays in Honour of T. J. Meek*, Toronto, 1964, p. 16-19. (١٥)
D. Muller, in *ZAS*, 94, 1967, p. 117-121. (١٦)
H. Kees, in *MDIK*, 18, 1962, 6, (Lines 88-89). (١٧)
D. Redford, in *JEA*, 51, 1965, p. 105-107. (١٨)
J. Von. Beckerath, in *ZAS*, 93, 1966. (١٩)
J. Lopez, in *RdE*, 25, 1973, p. 178-191. (٢٠)
W. K. Simpson, *The Literature of Ancient Egypt*, 1977, p. 180-192. (٢١)
J. A. Wilson, in *ANET*, 1966, p. 414-418. (٢٢)
M. Lichtheim, *Op-Cit*, p. 97-109.
P. Seibert, *Die Charakteristik*, I, Wiesbaden, 1967, p. 90-98, (Lines 91-94 and 97-98).
(٢٢) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٩٠ - ١٩٧ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٦١ - ٨٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٤١ - ١٤٢ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٠ - ٤٤٢ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٠٥ - ٣٠٨ ، نجيب ميخائيل : مصر ٢٩٢/١ - ٢٩٤ ، أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٢ - ٢٨ .

٢٢٨٠ ق.م) ، واستمرت حتى قيام الدولة الوسطى (حوالى عام ٢٠٥٢ ق.م) .

ولعل من أهم أحداث تلك الفترة سيطرة ملوك اهناسيا ، مكونين الأسرتين التاسعة والعاشره — على الشمال ، ثم الصدام المرير بينهم وبين أمراء طيبة (الأقصر) ، ذلك أن اهناسية انما كانت تحس أن سلطانها على مصر لن يتم ، مادام هناك أسيوى فى الشمال ، وطيبى فى الجنوب ، وكل منهما يحتل جزءا من البلاد ، وكانت طيبة بدورها تحس أن استقلالها لن يمكنها من زعامة الصعيد والتحكم فى شئونها ، مادامت تدين بالولاء لاهناسية وتدفع لها الجزية ، وكان كل من الفريقيين يتربص بالآخر الدوائر ، ويجعل علي جميع أنصار له ، وهكذا دارت رحى الحرب بينهما نحواً من ثمانين عاماً ، وانتهت بانتصار طيبة على اهناسية ، رغم أن عوامل النصر كانت فى يد اهناسية أكثر منها فى يد طيبة .

وعلى أية حال ، فإن هذا النصر لم يكن لأمراء طيبة ، وانما كان لمصر كلها ، حين وسعها الله تعالى برحمته ، فأعاد وحدتها ، التى أضاعها عصر الثورة المضطرب ، ومن ثم فقد بدأت مصر تتبوأ مكانها فى التاريخ الانسانى من جديد ، وذلك بقيام الدولة الوسطى ، تحت زعامة سادة طيبة الجدد .

هذا ولم يزدهر الادب فى أى عصر من عصور التاريخ المصرى القديم ، كما ازدهر فى هذا العصر — عصر الثورة الاجتماعية الاولى — فقد كتبت فيه كثير من البرديات ، التى وصل فيها فن الكتابة الى قمة مجده ، مثل برديات : الفلاح الفصيح ، وتحذيرات ايبو — ور ، واليائس من الحياة ، وغيرها ، هذا فضلا عن أن هذه الفترة قد تميزت بالاعلاء من شأن الفرد واعتزازه بنفسه ، وتحطيم تلك المهالة التى كانت تجعل الشعب يذوب فى شخصية «الملك — الاله» ، والتى تجعل المجد فى الدنيا ، والسعادة فى الآخرة لن ينال رضى الاله وعطفه ، وتكون له الثروة التى تمكنه من انشاء قبر كبير يعين له من الكهنة من يقومون بالصلاة على

روحه فى الاعياد ، ويقدمون له القرابين فى كل يوم ، ويوقف من أرضه
ما يكفى للاتفاق على ذلك كله .

وتقوم الثورة الاجتماعية فى أخريات أيام الأسرة السادسة ، وفيها
لم يحطم الشعب دواوين الحكومة وقصور الاغنياء ومقابر الملوك
وأصفائهم فحسب ، وإنما يحطم كثيرا من التقاليد القديمة ، ويصبح
المصريون يؤمنون بالمساواة الاجتماعية ، ومن ثم لم يعد تقدم الفرد فى
حياته رهينا برضى الملك أو بنسبه أو ثرائه ، وإنما أصبح متوقفا على
جده واستقامته ، كما أصبحت الجنة لمن يحسنون فى الدنيا عملا ، وجانبوا
المعاصى ، وصلحت سيرتهم ، كما أنها لم تعد وقفا على الملك ومن أحاطوا
به من رجال بلاطه ، ومن اشتروا بثرواتهم قرابين تقدم لارواحهم بعد
الموت ، يبدو هذا واضحا فى أدب ذلك العصر ، وبخاصة فى النصائح
الموجهة الى الملك «هرى كارع» ، والتى سنحاول هنا تقديمها بايجاز ،
مستغلين بفقرات منها على الأفكار النبيلة التى تحتويها ، ونلاحظ أنه على
الرغم من أنها نصائح سياسية فى الدرجة الاولى ، إلا أن أسلوبها الأدبى
لا يقل جمالا وجودة عن أية قطعة أدبية أخرى ، ولنحاول الآن أن نقدم
أهم ما جاء فى هذه الارشادات الموجهة للملك «هرى كارع» من أفكار :

تكاد تعاليم الملك الاناسى هذه أن تكون مرآة لايام عهده ، فهو قد
اصطدم فى حروب مع أهل الجنوب دارت رحاها حول اقليم «ثنى» ،
وعلى مقربة من «أبيدوس» (مركز البلينا — بمحافظة سوهاج) ، احدى
عواصم البلاد الدينية العريقة ، فقص علينا كيف انقض على المدينة
المقدسة انقضاض الصاعقة ، فخر عليها وأخذها كما تأخذ الغمامة الماطرة
ما تحتها من أرضين ، فإذا الديار خربت ، وإذا القبور بعثرت ، ثم
سرعان ما يحدثنا الفرعون عن ندمه الذى آذى نفسه ، ثم أخذ عواطفه
فهزها هذا ، وهو يعود فيعتذر من هول ذلك الجرم ، حين ينسبه الى
جهل عساكره ، ويبدو لى أن أمير طيبة قد اهتبل الفرصة ، فأخذ يؤلب
القوم عليه ، ويثير النفوس ضده ، ويغري به الناس ، وذلك حين اتخذ
من انتهاك حرمة القبور فى أبيدوس ، سبيلا للضرب على عواطف
المؤمنين ، وطرقها بمطارق من حديد .

وظاهر من تعاليم الملك الشيخ لولده «مرى كارع» أنه كان يعاني من فعلته هذه كثيرا من المرارة والالام بين الفينة والفينة ، ثم يعود فيعزى نفسه عن هولها ، معتذرا بأنها قد وقعت من وراء علمه ، وأنه لم ينبأ بالامر الا بعد وقوعه ، ولم يعلم بالكارثة الا بعد أن تمت ، ولم يعرف بأمر النكبة الا بعد فوات الاوان، أنظر اليه حين يقول لولده في ارشاداته :

«ان مصر تحارب حتى في الجبانة ، انى فعلت ذلك ، وحدث لى ما يحدث لمن يخالف أوامر الاله ، أنظر : لقد حدثت كارثة في عهدي ، غزى اقليم ثنى بسبب ما فعلت ، غير انى لم أعرف الا بعد حدوثه ، أنظر : ان ما فعلته هو السبب فيما جوزيت به ، فالضربة ترد بضربة أخرى ، مضى جيل من الناس ، والله الذى يعرف القلوب لم يختبئ تعس هو الرجل الذى يطلب الحرب ، لان العدو وسط مصر ، ونحن نريد جندا لاخضاع المحاربين لكى تصدق النبوءة : هذه مصر تحارب وسط قبورها ، لا تؤذ القبور بالحرب ، لاننى فعلت ذلك ، ولهذا أستحق ما حل بى من عقاب الله» •

ثم يحمل الملك الشيخ هذه الحرب الالهية ، ما حل بالبلاد من مصائب فهي التى مكنت الاجانب من دخول البلاد ، ثم ينصح ولده بأن يتخذ الاجراءات ضدهم : «اذا تعرضت حدودك للخطر ، فاعلم أن هذا يعنى أن حملة القوس الذين فى الشمال ، سيتمنطقون بعدة الحرب ، ابن حصونك فى الشمال» •

وحين يستعيد المصريون شعورهم بالسيادة على غيرهم من الشعوب نرى الملك الاهناسى يتحدث الى ولده باحتقار شديد عن الاسيويين : «أنظر الى الاسيوى اللعين (يعنى البدوى) ، أن الامور سيئة فى بلاده ، فماؤه آسن ، وطرقاته وعرة ، لذلك فهو دائم الترحال ، لا يستقر فى مكان واحد ، وانما ظل يشاغب منذ عهد الاله حور ، لا يغلب ولا يغلب ، لانهتم بأمره ، فهو ليس الا بدويا ، شخص منبوذ على الشاطئ ، لا يغير الا على الوطن المنعزل ، ولا يجروء على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان ، أقم الحصون فى تخومك الشرقية ، وابن مدنا ، وعمرها بالسكان» •

ويعصور الفرعون لولده «مرى كارع» الطريقة التي اتبعها في اضعاف
الاسيويين ، وفي اجلاتهم من الدلتا ، ودعاه الى أن يترسمها ، وصور له
هذه الطريقة في شقين :

أولهما : بث الروح الحربية في البلاد ، والعناية بجندها الشبان ،
وقال له عنها : «اعل من شأن الجيل الجديد تحبك العاصمة ، وزد أتباعك
من الرعية ، ان مصر بلد عامر بنشئ غرض في سن العشرين ، وان الجيل
الناشئ انما يسعد بمن يستوحى ذميره ، فان شعاع ذلك قللك العامة ،
وأنتك رب كل أسرة بأبنائه راضيا ، فبهذه السياسة حارب المقدماء من
أجلنا ، وازد رفعت أنا شأنهم ، فانزع أنت شأن نبلاتك ، وعظم محاربك ،
واسبح الخير على جيل الشباب من أتباعك ، واحرص على أن يتزودوا
بالعطايا ، ويطمثنوا بامتلاك الارض ، ويكافأوا بالانعام» .

وثانيهما : التضييق على الاسيويين والحد من سبل نشاطهم ، وذلك
بانشاء مدن محصنة على حواف الوادى ، وتعميرها بخير الرجال ،
يسكنونها ويزرعون ما حولها ، ويتحصنون بها حين الشدة ، ويصدون
منها غارات الاسيويين ، وقال له في ذلك : «لا تنهيب البدوى فهو لا يغير
الا على المواطن المنعزل ، ولا يغير على المدن الآهلة بالسكان» .

ويحض الفرعون ولده على عمل الخير ، فيقول له : «هدى من روع
الباكى ، ولا تظلم الارملة ، ولا تحرم رجلا من ثروة أبيه ، ولا تطرد
موظفا من عمله ، وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم ،
لا تقتل فان ذلك لا يكون ذا فائدة لك ، بل عاقب بالضرب والحبس ،
فان ذلك يقيم دعائم هذه البلاد ، اللهم الا من يثور عليك ومنتضح لك
مقاصده ، فان الله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، والله هو الذى
يعاقب أخطاءه بدمه ، ولا تقتل رجلا تعرف جميع مزاياه ، رجلا كنت
تتلمذ معه الكتابات (أى زميلا لك على أيام الدراسة)» .

ويوصى الشيخ الاهناسى ولده بتقريب ذوى المواهب ، «لا تفرق
بين ابن النبيل وبين ابن فقير الاصل ، وتخير الفرد بكفاءته الشخصية» ،

ولا ينسى الفرعون أن يحذر ولده من الاعتداء على آثار السابقين، فيقول له : «لا تحدث ضررا لمبنى أقامه غيرك ، اقطع أحجارك من طره ، ولا تبني قبرك من أحجار قبور غيرك ، أنظر أيها الملك الذى أريد له دوام الصحة والسعادة والحياة ، لا تتقاعس وتتم مطمئنا الى قوتك ، اعتمادا على ما فعلته أنا قبلك ، افعل أنت بنفسك » .

ولا ينسى الفرعون الشيخ أن يوصى ولده بالاهتمام بالفصاحة وحسن التعبير ، ولعمري أنه لم يكن فى ذلك مجددا ، ففى «تعاليم بتاح — حنن» يظهر لنا مدى تقدير القوم للفصاحة وتقديرا كبيرا ، وقالوا بأنها من الجائز أن توجد عند الفقيرات اللاتى يعملن على أحجار المسن، وفى «قصة القروى الفصيح» نرى أن هذه الفكرة مازالت سائدة عند القوم ، وأن أقل المصريين شأننا انما يستطيع أن يتكلم ، وأن يكون لكلامه الاثر المرجو ، وأنهم جعلوا هذا القروى يستمر فى حديثه مرة بعد أخرى — بعد أن أعجبوا بفصاحته — حتى بلغت شكاياته تسعا ، كما رأينا من قبل ، وأن الملك ورجاله انما كانوا جدا مسرورين من تلك الفصاحة ، وأخيرا نرى هذا القروى غير المثقف ، ينال ما يستحقه من تكريم، عندما أنهى كل ما فى جعبته من كلام ، وهكذا نرى الملك الالهاسى انما يقدم لابنه النصيح قائلا :

«كن فنانا فى الحديث حتى تسود ، فان القوة فى اللسان ، وهو كالسيف للرجل ، والحديث أمضى من أى سلاح ، اقتد بأبائك الذين ذهبوا من قبلك ، أنظر ان كلامهم الحكيم باق فى الكتب ، فافتح واقرأ واقتد ، كن فطنا فان الرجل الفطن لا يجد من يفحمه ، والذين يعرفون أنه أوتى الحكمة لا يعارضونه ، وبذلك لا تحدث له مصيبة فى زمانه» .

هذا وقد كانت عصور ما قبل عصر الثورة الاجتماعية تهتم كثيرا ببناء وصيانة ضريح رائع يبقى خالدا على مر السنين ، لانه انما كان — فى نظر تلك الاجيال السالفة — ضمانا للخلود ، بل ان فقدان القبر انما كان فى نظر المصريين القدامى أعظم كارثة يمكن أن تحل بمصرى ، ولهذا فقد اتخذها الملوك كأقصى عقاب يمكن أن ينزله الفرعون بمن

يشك في ولائه ، حتى أن أحد الحكام حذر أولاده هذا الجزاء الاليم لمن يخرج على الملك ، حيث يقول : «لا قبر لانسان خارج على الملك ، بل ان جثته سيلقى بها في الماء» .

وتقوم الثورة وتبقى على مثل هذه النصب ، ومن ثم نرى الملك الالهاسى ينصح ولده قائلا : «زين مثواك الذى فى الغرب ، وجمل مقعدك فى الجبانة» ، غير أن عصر الثورة الاجتماعية لم يقتصر على الوسائل المادية ، كسبيل للسعادة فى الحياة الثانية ، وانما أصبح للاخلاق فى هذا العصر شأن عظيم فى تقرير مصير الانسان بعد مماته ، وبذا أصبحت الاهمية الكبرى للوصول الى النخلد انما هو العمل الصالح ، بعد أن كان ذلك من قبل ، للثروة ، والقربى من الاله الملك .

ويقدم لنا الملك الالهاسى أمثلة كثيرة على ذلك ، هفى تعاليمه التى وجهها لولده «مرى كارع» جاء الحث على نبذ المادية فى فقرات ثلاث : «لا تكن شريرا ، فالصبر خير ، اجعل بيت ذراك خالدا بحب الناس لك» ، وذلك عندما أراد أن يقارن العمل الاخلاقى ، ببناء بيت الذكرى من الحجر «اجعل الناس يحبونك فى الدنيا ، فالخلق الطيب ذكرى للانسان» ، ثم يعلن فى الفقرة الثالثة بوضوح ، أن الخلق الطيب أفضل عند الله من القرايين التى تقدم لاستعطافه ، فيقول : «ان خلق الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الشرير (أى الثور الذى يقدمه كقربان)» .

وهكذا اعتقد القوم أنه يجب على الانسان أن يوجه عنايته لاقامة الشعائر الدينية لينال عطف الاله ، غير أن ذلك لن يغنى عنه من الله شيئا ، ما لم تسنده أعمال صالحة ، وخلق كريم ، وفى جملة الملك الالهاسى التى تنص على أن الاله يسر للخلق الفاضل ، أكثر مما يسر للقرايين الكثرية ، والمتى تعد من أنبل ما جاء به التفكير الخلقى عند المصرى القديم ، وفى هذه الجملة دلالة على أن للفقير ما للغنى من حق فى رعاية الله ، ذلك لان أكرمهم عند الله أتقاهم وأفضلهم خلقا ، وليس أكثر قربانا ، وأشدهم سلطانا .

وهكذا فان السعادة فى الاخرة لم تعد تتوقف على قبر بينى ، أو

على قرايين تقدم ، ولكنها في العمل الصالح ، والعدل بين الناس ، والعطف على الفقراء والعناية بشئونهم ، فهناك من تعاليم الملك الاهناسى قوله : «أقم العدل تخلد في الارض ، واسى الحزين ، ولا تحرم رجلا من ميراث أبيه ، ولا تضرن شريفا في مركزه» .

هذا وقد كان المصرى القديم يعتقد أن الميت سوف يحاكم أمام اله الشمس ، وذلك استجابة لطلب انسان كان الميت قد أخطأ في حقه ، وليس حسابا على شيء ، فان لم يطلب الانسان للمحاكمة بهذه الصفة ، فمن المحتمل ألا يتعرض في الحياة الثانية لمحاكمة أخرى ، ثم ما لبثت أن ولدت محاكمة الاله «أوزير» التي تنتظر كل انسان لتحاكمه على ما قدمت يداه من عمل ، وفقا لقواعد الاخلاق ، وهكذا أصبح من مستلزمات عصر الثورة الاجتماعية أن الانسان لابد ، وأن يجتاز امتحانا جادا أمام هذه المحكمة لينال السعادة المنشودة في العالم الآخر ، وفي تعاليم الملك الاهناسى إشارة الى ذلك ، فهو يقول :

«انك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون المذنب ولا يرحمون الشقى يوم المحاكمة ، وتسوء العاقبة ان كان المتهم هو الواحد العاقل (ربما تحولت رب الحكمة الذى سيدبر المحاكمة يوم الحساب) لا تضع ثقتك في طول السنين ، فهم ينظرون الى مدة الحياة كساعة ، ثم يبعث الانسان ثانية بعد الموت ، وتوضع أعماله بجانبه ككوام ، لان الخلود مثواه هناك (أى العالم الآخر) ، والنعبى من لا يهتم بذلك ، أما من يأتى اليهم دون أن يرتكب اثما ، فثاته سيثوى هناك ، ويمشى مرحا مثل سادة الابدية (اسم للابرار المتوفين) .»

وهكذا يحذر الفرعون الاهناسى ولده من يوم الحساب ، فهو لا ينفق فيه مال ولا بنون ، خاصة اذا كان الذى سوف يحاسب الناس هو الواحد العاقل ، ويحذره من أن يغتر بطول السنين ، فثاته في نظر القضاة وكأنها ساعة ، ثم يبعث ثانية ليجد أعماله كلها — خيرا أو شرا — مكدسة بجواره «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» ، وهكذا تكون نتيجة المحاكمة ، فالذى يصل الى الآخرة ، وقد عمل الخير

في دنياه ، فانه سيثوى هناك فرحا مع الابرار المتوفين ، ومن لا يكثر لذلك فهو غبي أحمق ، وسيكتب له سوء المصير ، وهكذا استطاع المصريون القدماء أن يقتربوا الى حد ما من المبدأ الذي قرره الكتب السماوية ، وهو أن الآخرة نتيجة عمل الدنيا «فمن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد» .

ويرى الملك الالهاسي أن الحياة الصالحة فوق الارض ، انما هي العماد الحق الذي ترتكز عليه الحياة في العالم الآخر ، حيث يقول : «ان الروح تذهب الى المكان الذي تعرفه ، ولا تحيد في مسيرها عن طريق أمسها» ، وليس هناك من ريب في أن الملك الالهاسي انما يعنى طريقها المعتاد للمخلوق الكريم ، والعمل الصالح .

وكان المصريون القدماء يؤمنون بأن أهم ما في حياة الانسان ، انما هو علاقته بربه في الحياة الدنيا ، وفي الحياة الآخرة ، ومن هنا رأينا حكيما ينصح ولده «مرى كارع» قائلا : «يهر الجبل منتقلا الى جبل آخر بين الناس ، والله العليم بالاخلاق قد أخفى نفسه ... انه الواحد الذي يبهر بما تراه الاعين ، فاجعل الاله يخدم بالصورة التي سوى فيها ، حجرا كريما كانت أم نحاسا ، لانه كالسوء الذي يحل محله الماء ، اذ لا يوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مختبئا ، بل يكتسح الذي يخفيه» .

وهذه الكلمات الهامة التي جاءت على لسان رجل من قادة الفكر في مصر ، منذ أكثر من أربعة آلاف عام مضت ، ليست الا محاولة منه ليميز بين الاله والصنم التقليدي الذي يوجد في المعبد ، ويظهر في الاحتفالات ، ويهتف له الشعب ، ولكن كينونة الاله كالماء يكتسح السد أمامه ، ولا يمكن أن يبقى في الصورة المحسوسة (أي الصنم) ، بل يبهر الناس بما تراه العيون ، وهذا الاله العليم بالاخلاق قد أخفى نفسه ، فلا يمكن ادراكه ، كجسم من الماء يمتزج في جسم آخر مثله من الماء ، ومن الجائز أن حكيما الالهاسي يريد بعبارة «كالماء الذي يحل محله الماء» . أن الاله الذي شبه بالماء ، اذا دخل في أي جسم ، سواء أكان من الاحجار الكريمة أو من النحاس ، أو من أية مادة أخرى ، لا بد أنه واجد لنفسه منفذا

يخرج منه ، أو يظهر قوته ، ولذلك فان تصوير الاله فى أى شىء مادي ليس بالامر المهم .

هذا وتحتوى ارشادات الملك الالهاسى هذه ، لولده ، مرى كارع ، سلسلة من الافكار عن اله الشمس ، نجد فيها الفكر المصرى القديم يقترب من عقيدة التوحيد ، فكاتب النصائح يعترف بوجود طائفة من الآلهة يقومون مقام القضاة فى العالم الآخر ، وبذلك يبتعد بعدا واضحا عن الاعتراف بوحداية الاله ، على أنه من جهة أخرى ، انما يقترب قربا واضحا من الاعتراف بالتسلط الخلقى لاله واحد ، لدرجة أن كلمة «اله» صارت فى مواضع — مع شىء من التناقض — تدل على مدلولها الحقيقى .

على أنه فى امكاننا أن نلاحظ صوغ هذه التأملات فى صيغة التوحيد، زيادة على ما ذكرنا ، فى الصورة التالية ، والتى صور فيها الحكيم الالهاسى الخالق والحاكم الرؤف فى خاتمة تأملاته ، حيث يقول :

«ان الله قد رعى الناس ، وهم قطيع الله ، وهو راعيهم ، وقد خلق السماوات والارض كما يرغبون ، وخفف من حدة الظلم بالماء ، وخلق الهواء لتحيا به أنوفهم ، وانها لصورة منه خرجت من أعضائه ، وهو يصعد الى السماء حسب رغبتهم ، وقد خلق لهم النبات والماشية والطيور والاسماك غذاء لهم ، ولكنه يعاقب كذلك ، فقد قتل أعداءه ، وعاقب أبناءه بسبب ما دبروه عندما انقلبوا عليه ، وهو قد خلق النور حسب ما يرغبون ، وجعلهم كذلك ينامون ، وهو يسمعهم عندما ييكون ، وجعل لهم حكاما وهم فى البيضة (أى قد وهبوا الحكم قبل الولادة) ليحموا ظهور الضعفاء منهم ، وجعل لهم من السحر سلاحا يتقون به الحوادث ، وهو الذى قتل عاتى القلب فيهم ، كما يقتل رجل ابنه أو أخاه ، ان الله عليم بكل اسم (أى بكل اسمان)» .

والاشارة هنا الى أن الاله قد ذبح أعداءه توجيهه الى «أسطورة هلاك البشر» التى سبق لنا أن ذكرناها فى باب الاساطير ، ونجد فى تلك الاسطورة ناحية خلقية فى منتهى الاهمية ، ذلك لانها انما تدل على حرمان

الانسان من العطف الالهى ، حين يعصى أمر ربه ، كما نتعرف فيها على سيادة اله الشمس (رع) سيادة خلقية مطلقة •

ويحاول الملك الالهاسى فى نصائحه لولده «مرى كارع» أن يوازن بين تصوره السامى للزاد الخلقى ، وبين التقاليد الموروثة الخاصة بقيمة المعتاد المادى ، ولذلك يقول لولده :

«أقم آثارا خالدة للاله ، لانها تحبى ذكرى اسم بانيتها ، وعلى المرء أن يعمل ما فيه صلاح روحه ، باقامة الشعائر الدينية كل شهر ، وليس الفعاليات البيضاء ، وزيارة المعبد ، والكشف عن الاسرار المقدسة ، والدخول فى قدس الاقداس ، وأكل الخبز فى المعبد ، املأ موائد القربان ، وقدم الخبز الكثير ، وضاعف عدد القرابين الدائمة ، فان فى ذلك الخير كل الخير لمن يقوم به ، اعل من شأن آثارك ونمها ، مادمت تملك القوة على ذلك ، وان يوما واحدا (أى من عمل مجيد) قد يؤدى الى الخلود ، ورب ساعة واحدة تحقق نفعا للمستقبل ، ان الله عليم بمن يعمل من أجله» •

على أن محاولة الموازنة بين ما يحتاج اليه الانسان من مادة ، وما يحتاج اليه من خلق كريم ، حد ظاهر فى الكلام الذى اقتبسناه من قبل ، عندما كان الملك الشيخ يقول «ان فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الظالم ، ومع ذلك افعل شيئا للاله حتى يجازيك بالمثل ، بقربان تمتلئ به المائدة ، وبنقش يخلد به اسمك ، والله عليم بكل من يعمل شيئا من أجله» ، وهكذا يبدو واضحا أن هناك اعتراها صريحا بقيمة الحياة الصالحة فى نظر الاله ، وهو الذى لا يقبل أن تقوم القرابين والهدايا عنده مقام الاخلاق الكريمة •

هذا ومن الواضح أن الملك الالهاسى لا يريد أن ينتهى من تلك النصائح السياسية والخلقية والاجتماعية ، دون أن يوصى ولده بقول الصدق ، فيقول له : «قل الصدق فى قصرك يرهبك أمراء البلاد وحكامها فى الاقاليم ، وأن من صلحت نيته صلحت أحواله ، والبيت مهربوب بمن فيه» •

ويبدو أن الملك الشيخ كان كلما تقدمت به الابام ، كلما كثر تفكيره في ماضيه ، وما أنفق فيه من تقتيل وتشريد ، في سبيل تأمين ملكه ، وتحقيق ما كان يطمح اليه من نفوذ وسلطان ، وكأنما كان يشعر أنه قتل كثيرا ، وظلم كثيرا ، فأخذ يذكر الله كثيرا ، ويحذر ولده من ارتكاب جريمة القتل ، أو الوقوع في خطيئة الظلم ، لان الله انما يرقب المجاني فيملي له ، ثم يأخذه من وراء ذلك بعذاب أليم ، يقول الاله : «انى المنتقم ، وسأخذ كل بذنبه ، فلكل امرئ ما سعى ، وحسابه في الآخرة ، يوم يأخذ قضاؤها من الظالم للمظلوم» ، ثم يمضى الرجل في وصاياه فيختمها بمثل هذه النصائح التى تصور الرجل مستغفرا تائباً ، خائفا مترقبا ، منتظرا مصيره عند قضاة يوم القيامة •

وأما أهمية البردية كوثيقة تاريخية ، فهى تقدم لنا صورة عن المحكام الاناسيين الذين كانوا يتمتعون بقسط وافر من الثقافة — أو على الأقل تعطينا فكرة عن أن صاحب هذه الارشادات انما كان ملكا حكيما — وهو رجل ذو عقل راجح ، وفكر قويم ، وهو في نفس الوقت رجل قلق ، متعب أنهكته الشيخوخة ، وأضعفته أحداث السياسة القاسية ، التى مر بها في حياته ، والتى لم تعد سنه تطبيق احتمالاتها ، كما أنها تعطينا صورة عن الحالة السياسية على أيام الاسرتين التاسعة والعاشرية (العصر الاناسى) أو على الأقل تعطينا فكرة — وان كانت غير كاملة تماما — عن الحروب الاهلية التى دارت رحاها بين ملوك اناسية (احدى مراكز محافظة بنى سويف) وبين امراء طيبة (الاقصر) ، على الارض المقدسة في أبيدوس ، كما تعطينا فكرة عن مدى نجاح الملك الاناسى في طرد البدو الاسيويين من الدلتا •

هذا وتمدنا الوثيقة بأفكار نبيلة ، وجديدة على التفكير المصرى القديم ، لعل من أهمها : نغمة التواضع الجديدة في حديث الملك المؤله ، والمناداة باختيار الموظفين على أساس من الكفاءة الشخصية ، وليس على أساس من حسب ونسب ، وهى في نفس الوقت تنادى بعدم اهمال الاسرة الشريفة القديمة ، ثم هناك الدعوة الى العمل الصالح ، فهو

— وليس الوسائل المادية التقليدية — طريق السعادة في الآخرة ، كما نادى الارشادات بوجود محكمة بعد الموت لن ينقذ المرء منها — مهما كان منصبه وثوراه — الا عمل صالح ، وخلق كريم ، كذلك حثت هذه التعاليم الملك «مرى كارع» ، على أن يكون قدوة حسنة لموظفيه ، وذلك بقول الصدق ليهابه أمراء البلاد والحاكمين في أقاليمها .

ثم هي تحذر «مرى كارع» من زعماء المحرقات السياسية ، وتغريه بمعاملتهم بمنتهى القسوة ، تغريه بقتلهم ، ومحو ذكراهم ، وذكرى أنصارهم جميعا ، وأخيرا ، فرغم أنها وثيقة سياسية في الدرجة الاولى ، غير أنها قطعة أدبية ، لا تقل جمالا وجودة عن أية قطعة أخرى من قطع ذلك العصر الذي وصل فيه فن الكتابة درجة عالية ، حتى أن الادب في ذلك العصر ، انما يعد أروع ما أنتجته مصر الفرعونية من أدب .

ولنقدم الآن ترجمة لأهم نصوص هذه الارشادات الموجهة الى الملك «مرى كارع» :

«كن فنانا في الحديث حتى تسود ، فان القوة في اللسان ، واللسان للرجل كالسيف ، والحديث أمضى من أى سلاح ، اقتد بأبائك الذين ذهبوا من قبلك ، أنظر ان كلامهم الحكيم باق في الكتب ، فافتح واقرا واقتد ، كن فطنا فان الرجل الفطن لا يجد من يفحمه ، والذين يعرفون أنه أوتى الحكمة لا يعارضونه ، وبذلك لا تحدث له مصيبة في زمانه ، والصدق يأتي اليه طائعا مختارا مصفى ، حسب ما جاء في كلام الاجداد السابقين» .

«لا تكن شريرا ، فالصبر خير ، من الخير أن تكون رحيما عطوفا ، اجعل بيت ذكراك خالدا بحب الناس لك ، وعندئذ يحمد الناس الله من أجلك ، ويمتدح الناس طيبة قلبك ، ويتمنون لك الصحة والعافية ، مجد العظماء ، واعمل على سعادة شعبك ، فكم هو جميل أن يعمل المرء من أجل المستقبل ، ولكن افتح عينيك ، فقد يمتلىء المرء بالثقة ، ثم يتكشف الامر عن حسرة ، لثقة جاءت في غير موضعها» .

«ارفع من شأن مستشاريك ، واغلق عليهم من الثروة ما يكفيهم ، حتى يقوموا على تنفيذ قوانينك بالعدل ، لان الرجل الغنى فى بيته لا يميل مع الهوى ولا يتحيز ، اذ يكون عنده من المال ما يغنيه ، ان الرجل الفقير (فى وظيفته) لا يتكلم طبقا للحقيقة ، ان الذى يقول : اننى أريد ، ليس عادلا ، انه متحيز للذى يحبه، انه يميل للذى يملك الهدية (الرشوة)»

«العظيم من كان مستشاروه عظماء ، والحاكم القوى من كانت حاشيته قوية ، قل الصدق فى قصرك يرهبك أمراء البلاد وحكامها فى الاقاليم ، وأن من صلحت نيته ، صلحت أحواله ، والبيت مرهوب بمن فيه» •

«أقم العدل تخلد على الارض ، وهدى روع الباكي ، ولا تنظلم الارملة ، ولا تهرم رجلا من ثروة أبيه ، ولا تطرد موظفا من عمله ، وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم ، لا تقتل ، فان ذلك لا يكون ذا فائدة ، بل عاقب بالضرب والحبس ، فان ذلك يقيم دعائم هذه البلاد، اللهم الا من يثور عليك ، وتتضح لك مقاصده ، فان الله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، والله هو الذى يعاقب أخطاه بدمه ، لا تقتل رجلا تعرف جميع مزاياه ، رجلا كنت تتلو معه الكتابات (أى زسلا لك على أيام الدراسة)» •

«ان الروح تذهب الى المكان الذى تعرفه ، ولا تحيد فى مسيرها عن طريق أمسها ، ان السحر لا يقوى على منعها ، ولكنها تأتى الى أولئك الذين يعطونها ماء» •

«انك تعلم أن القضاة يحاسبون المذنب ، ولا يرحمون الشقى يوم المحاكمة ، وتسود العقوبة ان كان المتهم هو الواحد العاقل (ربما تحوت رب الحكمة الذى سيدير المحاكمة يوم الحساب) ، لا تضع ثقتك فى طول السنين ، فهم ينظرون الى مدة الحياة كساعة ، ثم يبعث الانسان ثانية بعد الموت ، وتوضع أعماله بجانبه كأكوام ، لان المخلود مثواه هناك (أى فى العالم الآخر) ، والغنى من لا يهتم ، أما من يأتى اليهم دون أن يرتكب

اثما : فانه سيثوى هناك ، ويمشى مرحا مثل سادة الابدية (اسم للابرار المتوفين) •

« اعل من شأن الجيل الجديد تحبك العاصمة ، وزد اتباعك من الرعية . ان مصر بلد عامر بنشىء غرض فى سن العشرين . وأن الجيل الناشئ انما يسعد بمن يستوحى ضميره ، فان فعلت ذلك قللك العامة ، وأتاك رب كل أسرة بأبنائه راضيا ، فبهذه السياسة حارب القدماء من اجلنا ، منذ رفعت أنا شأنهم ، فارفع أنت شأن نبلائك ، وعظم محاربيك ، واسبع الخير على جيل الشباب من اتباعك ، واحرص على أن يترودوا بالمعاطيا ، ويطمئنوا بامتلاك الارض ، ويكافؤا بالانعام » •

« لا تفرق بين ابن النبيل وبين ابن فقير الاصل ، وتخير الفرد لكفافته الشخصية ، اذا تعرضت حدودك للخطر ، فاعلم أن هذا يعنى أن حملة القوس الذين فى الشمال سيتمنطقون بعمدة الحرب ، ابن حصونك فى الشمال •

« احسن علاقتك مع البلد الجنوبي (ربما يعنى طيبة) فيحضر اليك حملة الاكياس بالهدايا ، لقد فعلت مثلما فعل الاجداد ، واذا لم يكن لديه من التمتع ما يعطيه ، فقابل الامر بالرضى ، ماداموا مستضعفين ، واكتفى بخبزك وجعتك » •

« ان الجرائيت الاحمر يأتيك دون عوائق ، فلا تحدث ضررا لمبنى اقامه غيرك ، اقطع أحجارك من طره ، ولا تبني قبرك من أحجار قبور غيرك ، أنظر أيها الملك الذى أريد له دوام الصحة والسعادة والحياة ، لا تتقاعس وتتم سطمنا الى قوتك ، اعتمادا على ما فعلته أنا قبلك ، افعل أنت بنفسك ، اعمل الفكر فيما فعلت ، وانسج على منواله ، فلا يكون لك عدو داخل حدودك » •

« ثم قام رجل حاكم فى المدينة ، وقد امتلا قلبه بالأسى بسبب الدلتا »
« فنشرت السلام فى غربى الدلتا جميعه ، حتى حدود البحيرة (ربما

يعنى مستنقعات الدلتا) ، كما كانت الامور سيئة على شرقى الدلتا ، فلقد انقسمت الى اقاليم ومدن ، وأصبحت سلطة رجل واحد فى أيدى عشرة، ولكنهم الآن يقدمون كشفًا كاملاً بجميع أنواع الضرائب ، ويدفعون الجزية اليك ، كما لو كانوا عصبة واحدة ، وسوف لا يكون بينهم أعداء أشرار ، ولا خوف عليك من أن لا يجرى النيل ، فاطمئن على حصولك على حاصلات الدلتا ، ان الحد الشرقى للملكة أصبح الآن آمناً ضد البدو الاسيويين» •

«أنظر : لقد دققت أربطة السفينة وثبتها على الشاطئ. فى الشرق (يعنى وصلت الى الشرق) ، وأصبحت المحدود من مدينة «هبنو» (فى مصر الوسطى) الى طريق حور (ويبدأ عند الفرع البيلوذى للنيل) عامرة بالبدن. ، ومليئة بقوم من خيرة أهل البلاد حتى يدفعوا أسلحة الاسيويين وغاراتهم ، انبى أتوق الى رجل شجاع يساوينى فى هذا ، ويعمل أكثر مما عملت» •

«أنظر الى الاسيوى اللعين (يعنى البدوى) ، ان الامور سيئة فى بلاده ، فمآوه آسن ، وطرقاته وعرة ، لذلك فهو دائم الترحال ، لا يستقر فى مكان واحد ، وإنما ظل يشاغب منذ عهد الاله حور ، لا يغلب ولا يغلب، لا تهتم بأمره ، فهو ليس الا بدويا ، شخص منبوذ على الشاطئ ، لا يغير الا على الموطن المنعزل ، ولا يجرؤ على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان ، أقم الحصون فى تخومك الشرقية ، وابن مدنا وعمرها بالسكان» •

«أنظر : لقد جعلت الدلتا تضربهم ، وأسرت أهلهم ، ونهبت ماشيتهم ، فلا تجثم نفسك مشقة فى شأنهم» •

«أنظر : لقد عمرت مدينة «كموى» (ربما كانت تل أتريب فيما بعد) ، انها فى نقطة مركزية ، لقد حصنت جدرانها للقتال ، وزاد عدد جنودها ، وكثر أهاليها» •

«لقد كثر سكان اقليم «دد — اسوت» (ربما يقع على مقربة من منف) ، حتى بلغ عدد سكانه عشرة آلاف رجل من المواطنين ، يستمتعون

بخق الأعاء من الضرائب والمكوس ، وقد تعود كبار رجاله على الذهاب الى العاصمة ، منذ عصر الاله حور» •

«أنظر : ما قاله الملك «اختوى» (رأس البيت الالهاسى) فى تعاليمه : ان من يسكت على اساءة المتبجح يضر بنفسه ضررا بليغا ، وان الله يهاجم من يسىء الى المعبد» •

«قدم فروض الطاعة والاجلال لله ، ولا تقل انه ينسى» •

«لا تقترب بضرر الى الآثار التى أقامها الملوك الآخرون ، حتى لا يجيء ملك بعدك ، فيضر بالآثار التى أقمتها ، تذكر أنه لا يوجد انسان ليس له عدو» •

«أنظر : أن حاكم شاطىء النهر عليم بكل شىء ، وليس هناك ملك طائش ، مادات تقوم من حوله حاشية صالحة ، وهو فطن حكيم منذ اليوم الذى خرج فيه من بطن أمه» •

«ان الحكم مهنة شريفة وعظيمة ، ان الحاكم اذا لم يكن له ولد ، أو أخ ، يحيى ذكراه ويخلده ، فلا مانع من أن يقوم الحاكم باحياء آثار غيره ، فكل حاكم يجب أن يفعل ذلك لمن سبقه ، اذا أراد لما أقامه هو أن يعنى به الخلف الذين يأتون من بعده» •

«أنظر : ان مصر تحارب حتى فى الجبانة ، انى فعلت ، وحدث الى ما يحدث لمن يخالف أوامر الله ، أنظر : لقد حدثت كارثة فى عهدى ، غزى اقليم «ثنى» بسبب ما فعلت ، غير أنى لم أعرف الا بعد حدوثه ، أنظر : ان ما فعلته هو السبب فيما جوزيت به ، فالضربة ترد بضربة أخرى ، مضى جيل من الناس ، والله الذى يعرف القلوب لم يفتبى ، تعس هو الرجل الذى يطلب الحرب ، لان العدو وسط مصر ، ونحن نريد جندا لاخضاع المحاربين لكى تصدق النبوءة : هذه مصر تحارب وسط قبورها لا تؤذ القبور بالحرب ، لاننى فعلت ذلك ، ولهذا استحق ما حل بى من عقاب الله» •

«يُمرّ الجيل منتقلا الى جيل آخر بين الناس ، والله العليم بالاخلاق قد أخفى نفسه ... انه الواحد الذى يبهر ما تراه الاعين ، فاجعل الاله يخدم بالصورة التى سوى فيها — حجرا كريما كانت أم نحاسا — لانه كالماء الذى يحل محله الماء ، انه لا يوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مختبئا ، بل يكتسح الذى يخفيه» •

«زين مثواك الذى فى الغرب (عالم الآخرة) ، وجعل مقعدك فى الجبائنة ، ولكن اياك أن تكون شريرا ، فالصبر خير ، فاجعل ذكراك خالدا بحب الناس لك ، اجعل الناس يحبونك فى الدنيا ، فالخلق الطيب ذكرى للانسان ، تذكر أن فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الظالم الشرير (أى الثور الذى يقدمه كقربان) ، ومع ذلك افعل شيئا للاله حتى يجازيك بالمثل ، بقربان تمتلئ به المائدة ، وبنقش يخلد به اسمك ، والله عليم بكل من يفعل شيئا من أجله» •

«ان الله قد رعى الناس ، وهم قطيع الله ، وهو راعيهم ، وقد خلق السماوات والارض كما يرغبون ، وخفف من حدة الظلم بالماء ، وخلق الهواء لتحميا به أنوفهم ، وانها لصورة منه خرجت من أعضائه ، وهو يصعد الى السماء حسب رغبتهم ، وقد خلق لهم النبات والماشية والطيور والاسماك غذاء لهم ، ولكنه يعاقب كذلك ، فقد قتل أعداءه ، وحارب أبناءه بسبب ما دبروه عندما انقلبوا عليه ، وهو قد خلق النور حسب ما يرغبون ، وجعلهم كذلك ينامون ، وهو يسمعهم عندما يكون ، وجعل لهم حكما وهم فى البيضة (أى قد وهبوا الحكم قبل الولادة) ليحموا ظهور الضعفاء منهم ، وجعل لهم من السحر سلاحا يتقون به الحوادث ، وهو الذى قتل عاتى القلب فيهم ، كما يقتل رجل ابنه أو أخاه ، ان الله عليم بكل اسم (أى بكل انسان)» •

ثم تنتهى الارشادات بنصيحة عامة يفهم منها :

«ليتك تصل الى (أى فى العالم الآخر) دون أن يتهمك أحد ، لاتقتل

أحدا ممن يقفون قريبا منك ، بعد أن تكون قد امتدحتته ، والله يعرفه —
دع الدنيا كلها تحبك» *

«أنظر : لقد حدثتك بخير ما في نفسي من أفكار وآراء ، فاعمل حسب
ما تقرر أمامك» *

٤ - تعاليم الملك امنمحات الاول لولده سنوسرت

في أوائل القرن العشرين قبل الميلاد ، جلس «امنمحات الاول» (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق.م) على عرش المكتانة مؤسس الاسرة الثانية عشرة ، والتي تمثل فترة من ازهر فترات التاريخ المصرى القديم (الدولة الوسطى) ، ورغم أن الملك «امنمحات الاول» (سحتب ايب رع) انما كان على نشاط جم في تدبير أمور مملكته ، وحسن تنظيمها ، ولم يدخر وسعا في نشر الامن والسلام في ربوعها ، فلقد دبرت مؤامرة لاغتياله ، بتدبير من الحريم ، في أكبر الخن ، وقد اشتغل المؤرخون في نتائجها ، فذهب فريق الى أنها أودت بحياة هرعون ، بينما ذهب آخرون الى أن الرجل قد أصيب فيها ، ولكنه لم يلق حتفه ، ومن ثم فقد أشرك معه ولده «سنوسرت الاول» في العرش ، ثم زوده بنصائحه في الاثر المعروف باسم «التعاليم التى ألقها الملك «سحتب ايب رع» ، ابن رع ، أمنمحات متحدثا برسالة ضد لولده سيد الجميع» ، وهى قطعة أدبية ممتازة ، تشتمل على خلاصة تجاربه الشخصية الواسعة ، يصف فيها أعماله ، وما لقيه من جحود ، وسوء تقدير .

وكانت تعاليم «امنمحات الاول» هذه ، من أحب المقطع الادبية الى قلوب المصريين القدامى ، ومن ثم فقد كان لها نصيب كبير من الشهرة في عهد الدولة الحديثة ، وتوجد من هذه التعاليم أربع نسخ فيها النص الكامل ، كما وردت أجزاء منها على نحو تسع قطع من «اللخاف» (الاستراكا) ، يرجع تاريخها الى عصور مختلفة ، تبدأ في الاسرة الثانية عشرة ، وتنتهى في الاسرة العشرين ، أى خلال فترة لا تقل عن أربعة قرون ، وان كان كثير منها انما هو تمارين كتبها طلبة المدارس في عهد الاسرة التاسعة عشرة ، ومن ثم فهى حافلة بالاططاء .

هذا وقد اهتم كثير من العلماء بنشر هذه التعاليم ، لعل من أهمهم :

«جريفث»^(١) و «ماسبيرو»^(٢) و «فولتن»^(٣) و «هلك»^(٤) و «لوبيز»^(٥) ،
كما ترجمها وعلق عليها كل من «برستد»^(٦) و «ارمان»^(٧) و «ويلسون»^(٨)
و «جاردنر»^(٩) و «دى بك»^(١٠) و «فولكنر»^(١١) و «أنثيس»^(١٢)
و «جديكه»^(١٣) وغيرهم^(١٤) ، وهذا فضلا عن الترجمات العربية
للتعاليم^(١٥) .

ويقول الملك «أمنمحات الاول» (سحتب ايب رع) فى نصائحه لولده
«سنوسرت» :

F. L. Griffith, The Millingen Papyrus, in ZAS, 34, 1896, (١)
p. 35-51.

G. Maspero, Les enseigments d'Amenemhat Ier d Son fils (٢)
Sanoudsrit Ier, Cairo, 1914.

A. Volten, Zwei altägyptische Politische Schriften, 1945, (٣)
p. 104-128.

W. Helck, Der Text der Lehre Amenemhets, I für seinen (٤)
Sohn, Wiesbaden, 1969.

J. Lopez, les Papyrus Millingen, in RdE, 15, 1963, p. 29-33, (٥)
Pls. 4-8.

J. H. Breasted, in ARE, I, Parag. 474-483. (٦)

A. Erman, in LAE, 1927, p. 72-74. (٧)

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 418-419. (٨)

A. H. Gardiner, in Melanges Maspero, I, p. 479-496. (٩)

A. de Buck, in Melanges Maspero, I, p. 487-852. (١٠)

A. de Buck, in le Museon, 59, 1946, p. 183-200.

R. O. Faulkner, in Griffith Studies, p. 69-73. (١١)

R. O. Faulkner, The Literature of Ancient Egypt, p. 193-197.

R. Anthes, in JNES, 16, 1957, p. 176-190, 17, 1958, p. 208-209. (١٢)

H. Goedicke, in JARCE, 7, 1968, p. 15-21. (١٣)

M. Malinine, in BIFAO, 34, 1934, p. 63-74. (١٤)

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, 1975, p. 135-139.

(١٥) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ١٢١ - ١٢٣ ، محرم كمال :
المرجع السابق ص ٨١ - ٨٥ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٦٧ -
١٦٩ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ، نجيب ميخائيل :
المرجع السابق ص ٣٢٦ - ٣٢٨ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٩٨ -
٢٠٦ ، محمد بيومى مهران : مصر ٣٣٧/٢ - ٣٤٨ (الاسكندرية ١٩٨٨) ،
عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

«لأنت يا من غدوت ملكا ، استمع لما أقول ، حتى تصبح ملكا على البلاد ، وتحكم على ضفاف النهر ، وتسيطر على العالم ، وحتى يمكنك أن تحقق الخير ، خذ الحذر من عمالك ، فما أطاع الناس إلا من أَرهَبهم ، وإياك أن تدنو منهم وحدك ، لا تثق بأخ ، ولا تصطفى لنفسك صاحبا ، أو تتخذ خليلا ، فلا خير في ذلك ولا جدوى منه» •

«لكن حارس نفسك عندما تنام ، حرصا على حياتك ، فلا صديق لامرء في ساعة الشدة ، فأنا قد أعطيت المسائل ، وربيت اليتيم ، وأعنت المعدم ، ومع ذلك ، فالذى أكل خبزي هو الذى استعذى الناس على ، والذى مددت له يد المعونة ردها بالمكيدة ، والذين اكتسوا بكتانى الفاخر نظروا الى كخيال ، والذين ضمختهم بعطوري قد أنتنوا أنفسهم بطبيها ، فدخلوا مخدعى ليغدروا بى» •

«ان تماثلى وصورى قائمة بين الاحياء ، وأعمالى ذائعة بين الناس ، ومع ذلك فقد دبروا مؤامرة ضدى لم يسمع بها أحدا ، وأقاموا صراعا كبيرا لم يره أحد (أى لم يفش أحد الى بسره) ، لقد قاتل الرجال في مكان الصراع ، ونسوا ما كان بالامس ، ان حسن الطالع لا يكون من نصيب من يجهل ما دبر له» •

«كان ذلك بعد العشاء ، حينما أقبل الليل ، وكنت قد اضطجعت في فراشى بغية أن أحظى بساعة من هدوء ، فقد كنت مجهدا مكثودا ، فسمعت نغس وراء النوم ، ولكنى بصرت بأسلحة تبرق ، وسمعت من يذكر اسمى ، فظلت في مكانى كثعبان الصحراء ، ثم سرعان ما قمت لأحارب وحدى ، وقد أدركت أن هذا هجوم دبره الحرس ، ولو كان في يدي سلاح لأشئت أولئك المخنثين شذر مذر ، لولا أنه ما من شجاع بليد ، وما استطاع انسان أن يحارب وحيدا ، وليس هناك نجاح بغيرك أنت الذى تقوم على حمايتى» •

«أنظر : كيف أريق الدم ، وأنت بعيد عني ، وها أنذا أعهد اليك بالملك ، قبل أن يسمع بذلك رجال البلاط ، وانى لفاعل ما تريد ، ومن قبل

لم آخذ الحيلة لشر تلك المؤامرة ، لانى لم أكن أتوقعها ، ولم تظن
نفسى الى تراخى المحرس» •

«أنظر : أكانت المؤامرة بفعل الحریم ، أنبتت بذورها فى أركان بيتى،
أم خدع الخدم فيما فعلوا ، ان سوء الطالع لم يلزمنى منذ ولادتى (كما
لزمى اليوم) ، ولم يحدث شئ من قبل يعدل بسالتى واقدامى ، ومع
ذلك فهذه خاتمة كل شئ» •

«لقد شققت طريقى حتى «اليفانتين» (آبو = جزيرة أسوان) ،
وطويت الارض حتى أخوار الدلتا ، ووقفت عند أطراف الارض ،
وخبرت أواسطها ، وبلغت معاقل الحدود بقوة يمينى ، وبما قمت به من
جلائل الاعمال» •

«لقد زرعت القمح ، وأحببت الاله «نبر» (اله المحبوب) ، وحيانى
النيل فى كل واد ، ولم يشعر أحد بالجوع أو الظما فى عهدى ، وكان كل
الناس راضين عما فعلت ، والجميع يقولون : لقد أجيببت كل رغبة ، لقد
قهزت أهل «واوات» ، وأسرت «المجاي» ، وجعلت الاسيويين يفرون
كالكلاب» •

«لقد أقمت لنفسى بيتا مزينا بالذهب ، وحلى سقفه بالازورد، وكانت
لجدرانه أسس عميقة ، واتخذت أبوابه من النحاس ، ومتاريسها من
البرونز ، وقد صنعت للخلود ، وتحدى الابدية» •

ثم يختم الملك امنهجات نصائحه لولده سنوسرت بقوله :

«أيها الملك سنوسرت ... لتسر أقدامك ... أنت قلبى ، وعيناي
ترمقانه ، ان الاطفال أنفسهم يحسون النشوة حتى يقفون الى جانب
الخلق الذين يقدمون لك المديح ... تأمل اننى مهدت وجهت فى
البداية ، وأنت تسيطر فى النهاية ... هناك بهجة فى قارب رع فالتماثيل
قد أقيمت ، وقبرك سيكون فاخرا» •

الكتاب الثانى

العلوم

الفصل الأول

المراكز الثقافية ودور الحياة

١ - تقديم

لاريب في ان الثقافة والعلم والمعرفة انما قد كانت في عقيدة المصريين المقدامى اسمى ما يمكن أن يصل اليه المرء في حياته ، كما كانت سبيل الخلود بعد مماته ، فاسم العالم فوق الاسماء ، وعلمه من نور السماء ، ومن ثم فليس غريبا أن يجعل شعب مصر أصحاب العلم والمعرفة في المكان الاول من دنياهم وأخراهم ، وذلك لانهم يعلمون وغيرهم يجهلون ، وهم الذين رسموا لأهل زمانهم ، ولن جاء من بعدهم من أجيال البشر ، صور الحياة بأشكالها وأسمائها ، وهم الذين تخيلوا مصائر الناس ، ورسموا لها - ما توهموا - من صور ، تم هم الذين خالوا ، وصورا ما خالوا من عوالم السماء ، ومكان عرش الله تعالى منها ، وجعلوا عنده خزائن العلم وأسراره ، يهبط بها «تحتوت»^(١) - فيما يظنون - ليهدى من يشاء من علم السماء ما يعمرن به الارض ، ويملاونها خيرا ونورا •

هذا وقد مجد المصريون المقدامى - والحمد لله - أبطال الفكر ، لم يدفعهم الى ذلك خوف أو ملق ، ولكنهم فعلوا ذلك عن ايمان ويقين ، وحسبنا أنهم رفعوا رسل العلم والثقافة فوق مراتب البشر العاديين ، ولدينا من سير أولئك على سبيل المثال «ايمحوتب»^(٢) ، ذلك الذى ملأت شهرته آفاق الدنيا ، واستطاعت أن تفرض نفسها على الايام من مطلع الاسرة الثالثة (في أوائل القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد) حتى أدرك التاريخ بمصر زمان البطالة (في القرن الثالث قبل الميلاد) الذين عرفوا سيرة الرجل فأبلغوه مراتب الالهة ، وكانوا قد سمعوا بما له من معرفة بالطب •

وهكذا فقد شاد مريدو «ايمحوتب» - بصفته ربا للشفاء - في

(١) أنظر «تحتوت» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ٣١٣/٢ - ٣١٥) •
(٢) أنظر عن «ايمحوتب» (محمد بيومى مهران : مصر ١١٨/٢ - ١١٢) •

العصر الاغريقى، مقصورة فوق المسطح العلوى لمعبد الملكة «حتشبسوت» فى الدير البحرى، وشبهوه — فيما يرى مؤرخنا الوطنى مانيتو — بالمعبود الاغريقى «اسكليبيوس» — راعى الطب والحكمة — ومجدوه لمهارته فى الطب ، وفى الادب والكتابة ، فضلا عن استخدامه الحجر المنحوت فى البناء ، ومن ثم فقد قدسوه فى «الاسكليبيون» المجاور للعاصمة المصرية «منف» ، وهو معبد أقاموه فوق ما ظنوا أنه قبره القديم ، جنوبى السرابيوم ، وهكذا أصبحت سقارة من أهم المناطق التى تمتعت بشهرة هائلة فى عبادة «ايمحوتب» ، ولعل كل هذا انما يعنى أن المجد فى مصر الفرعونية لم يكن مقصورا على الفراعين وحدهم ، وانما كان للنوابغ من عامة القوم نصيب منه يزيد عن نصيب الفراعين أحيانا .

وهناك «أمنحيب بن حابو» الذى عاش على أيام «أمنحيب الثالث» من فراعين الاسرة الثامنة عشرة ، وقتسه القوم بعد وفاته ، فكانوا يحجون الى مزاره فى الدير البحرى بجبانة طيبة ، التماسا للشفاء ، ولما كان زمان البطالة الهوه ، كما ألها سلفه ، وما زالت الدنيا تذكر غير هذين العظميين من شيوخ العلم والحكمة فى مصر الفرعونية أبطالا ، نذكر منهم على سبيل المثال «بتاح حوتب» ، و «ددف حور» و «كاجمنى» من زمان الدولة القديمة ، كل أولئك من الاسماء الخالدة فى تاريخ مصر ، ويرجع الفضل فى ذلك الى رجاحة العقل المصرى الوفى الذى عرف كيف يمجّد العلم وأهله .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن المصريين القدامى لم يروا أبدا فى التعليم لونا من ألوان الترف ، ولكن كان التعليم عندهم ضرورة من ضرورات الحياة ، بل ربما كان عندهم كالتعام والشراب ، وحسبنا أن نرى من صور حياتهم كيف أن الولد الجاهل قد كان حملا ثقيلا على كتفى أبيه ، كان له مصدر تعاسة وشقاء فى حياته ، يظأطئ الرأس خجلا من بنوته ، ويضيق به حتى ليتمنى له الموت أحيانا ، فى حين كانت الفضيلة — كل الفضيلة — فى تعليم الابناء، لينقذوا أنفسهم من الجهالة والضلالة، وليغسلوا عن ذواتهم قدر الجهل ، وليوقوا آباءهم وذويهم كل هرج

وضيق ، ولينفعوا أنفسهم وأبناءهم ، وليؤدوا رسالتهم في الحياة ،
وينتظروا الجزاء على ذلك في الآخرة •

وعلى أية حال ، فلقد كانت دوافع المعلمين في مصر ثلاثة : دافع
التعلم للانخراط في سلك الهيئة الحاكمة ، ودافع التعليم لخدمة الطالب
الدينية أو لاكتساب نصيب من العلم الدينى الشخصى ، ثم دافع التعليم
تقديرا للعلم وكرامته •

هذا وقد اقتضت طبيعة الحياة وظروفها في مصر الفرعونية أن يكون
التعليم فيها أول الأمر مهنيا ، ونعنى تعليمًا يلقى بهاجات البلاد من
موظفين واداريين ، وعمال وفنيين ، كما كانت العلوم فيها تطبيقية ، أما
العلوم النظرية التي تقتضى أصحابها البحث الدقيق ، والنظر الطويل ،
والسعى المتصل ، بغية الوصول الى النتائج العلمية المرتقبة ، فلم تكن
مما يهتم بها العالم القديم في شئ ، ذلك لان العالم القديم لم يكن قد فرغ
بعد من بناء حياته العملية ، ليتجه الى العلم النظرى ، ومن ثم غقد كان
طبيعيا ألا يتعدى نشاط المصريين العقلى — وهم يضعون التواعد ،
ويرسون عليها بناء حياتهم — نطاق ما تقتضيهم مشاكل الحياة اليومية
من حلول •

وهكذا مارس المصريون الفلك ليحددوا موعد الفيضان بغية الوصول
الى مواقيت الزرع والحصاد ، وقد وصلوا عن طريق ذلك الى وضع
تقويم شمسي ، هو تقويم عالمنا اليوم ، واهتموا بالحساب للانتفاع به في
ضبط حاجاتهم العملية في البيع والتجارة والاحصاء وتحصيل الضرائب ،
واقامة المشروعات العامة من سدود وجسور وقنوات ، واقتضت حياة
الزراعة أن يمارسوا المساحة ليعرفوا ما يطرأ على أرضهم الزراعية من
نقص وزيادة بسبب فيضان النيل كل عام ، ومارسوا علوم الهندسة ،
وبخاصة المعمارية منها ، فأتقنوا اتقاناً لفت أنظار العالم وأثار إعجابهم
قديما وحديثا ، وما زالت الدنيا ترى آيات براعتهم فيما بقى من آثارهم
الخالدة ، من أهرام ومعابد ومسلات وقبور نحتت في الصخر ، وغير ذلك
من كل مبهر ومعجز •

وعرفوا التشريح لكثرة ما مارسوا من تحنيط أجساد الانسان والحيوان ، الذى أتاح لهم الاطلاع على أدق الاسرار فى بنية الاجساد ، وأكسبهم خبرة بنوا عليها معارفهم الطبية ، وجعلهم يومئذ أبرع أطباء الدنيا ، واقتضت حياتهم الفنية فى مجال الرسم والتلوين والتصوير والصباغة ، وصناعة الادوية والعقاقير أن يمارسوا كثيرا من الصناعات الكيميائية حتى برعوا فيها ، وحتى نسبها التاريخ الى وطنهم العظيم ، وجعلهم فيها أئمة .

وهكذا حملت مصر القديمة مشعل العلم والحضارة فى مختلف مظاهره وتعهدهته بالرعاية ، فظل دهرًا طويلا يضىء العالم ، حتى تسلمته منها شعوب أخرى نقلت الشعلة الى بقية أرجاء العالم فأضاءته ، وكانت القبس الذى أخذت منه ، والمعين الذى نهلت منه .

هذا وقد أُنِجَت الدراسات الحديثة أن المصريين المقدامى كان لهم — بجانب معارفهم وعلومهم التطبيقية — علوم نظرية ، قامت على أسس من الفكر الانسانى والبحث المنظم والمنهج التجريبي ، ولكنها لم تكن تعالج بنفس العمق أو على أسس من قواعد البحث العلمى المتبعة الان فى عصرنا هذا ، ولولا ذلك السياج القوى من السرية والغموض الذى أحاط به الكهنة المصريون علومهم ، لأمكننا التوصل الى الكثير من الآراء والنظريات العلمية التى كان لهم الفضل فى اكتشافها .

وقد قال « هيرودوت » فى أحاديثه عن مصر : « أما عن المصريين أنفسهم ، فهم أولئك الذين يعيشون فى الارضين المنزرعة ، ويهتمون دون سائر الناس اهتماما كبيرا بتمرين الذاكرة ، وهم فى العلم يتفوقون كثيرا على كل الشعوب التى خبرتها » ، ويقول : « لقد اكتشف المصريون من آيات الغيب أكثر من كافة الشعوب قاطبة ، وذلك لانه كلما حدثت معجزة خارقة ، راقبوا نتيجتها وسجلوها ، فاذا ما حدث شئء مشابه بعدئذ ، ظنوا أن عاقبته ستكون شبيهة بما سبقها » .

« والمصريون أول من عرف السنة الشمسية ، ووضعوا تقويما تفوقوا

به على اليونانيين ، وأول من سمى الآلهة بأسمائها وأول من أقام لها المعابد والهيكل والتمثيل ، وأول من حفر الصور على الأحجار ، ثم هم أسبق الناس الى إقامة الأعياد العامة والمواكب ، وعندهم تعلم اليونانيون ذلك ، وهم أول العرافين ، وعندهم نقلت العرافة الى بلاد يونان» •

«وهم أول من راعى السنة التي تحرم مباشرة النساء في المعابد ، ودخولها بعد ذلك دون اغتسال ، وهم أكثر الشعوب مراعاة للنظافة» •

هذا ولم ينس المؤرخون والفلاسفة من الاغارقة والرومان أن يذكروا بعض علوم المصريين ، التي أخذها عنهم اليونان ، ومنها علم المساحة ، وعلوم الحساب والهندسة والفلك والرسم ، فضلا عن الكتابة التي اعتبروها مصرية المنشأ •

وهكذا فلئن كان العالم الغربي اليوم يقر بأن اليونان مصدر حكمته وعلومه وفلسفته ، فإن اليونان أنفسهم ، انما قد أقروا من قبل بأن مصر انما كانت المورد الذي طالما لجأوا اليه ، ليغتروا من نبعه ، وهذا رأينا كثيرا من الفلاسفة والعلماء الهلنيين قد عبروا البحر المتوسط يلتمسون الاصول والمبادئ في كل جديد من العلوم في رحاب الكهان المصريين ، وكان الذين لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا ، يضيفون الى ما يسطرون من سيرهم من الوقائع بعض ما يشير الى وقوع هذه المرحلة التي أصبحت تقليدية ، بقدر ما كانت ضرورية في حياتهم ، وكان من أول هؤلاء الرحالة Orphee الذي شارك في الاحتفال بأعياد الاسرار الخاصة بالمعبود (ديونيس) ، وكذا «هوميروس» و «سولون» و «افلاطون» وغيرهم •

ومن ثم فقد ظلت مصر — حتى وقتما آذن مجدها بأفول — تعتبر لدى أغلب من وفدوا عليها وكتبوا عنها من الاغريق ، مهد الرقى وكثر الحضارة ، وهكذا تحدثت «الاولديسة» عن مصر ، وكأنها «بلاد الاطباء أحكم أهل العالم» ، و «سولون» يشير الى أن مصر كانت بفضل تشريعاتها ملهمة له ، فيما قدمه للانسانية ، و «طاليس» يشير الى أنه درس مبادئ الهندسة عن المصريين ، وأنه نصح تلميذه «بيதாகوراس»

ان يدرس في مصر ، ففضى هذا بها اثنين وعشرين عاما يدرس الفلك والهندسة ، و «افلاطون» جاء الى مصر لينهل من المعرفة التي اشتهر بها حكماءها ، واستعان على نفقات رحلته اليها بشحنة من الزيت ، ثم أوفد بعد عودته تلميذه «بيودكسوس» الذي قضى بمصر حيناً من الدهر يتعلم الفلك ، واليه ينسب عادة ترجمة بعض المؤلفات المكتوبة باللغة المصرية الى الاغريقية ، وادخل بعض معلومات دقيقة الى بلده عن «سير الكواكب الخمسة» التي ما زالت لم تحدد بعد بدقة ، والتي عرف الرجل ما عرف عن طبيعتها الحقيقية ، ابان اقامته بمصر ، وتلك في الغالب هي «نظرية الدائرة التي وسطها على محيط دائرة كبرى» .

هذا ويشير الكتاب الاغريق — في أغلب الاحوال — الى الهندسة والفلك ، عندما يذكرون كهان مصر ، وقد يضيفون الى ذلك أحيانا علم اللاهوت ، عندما يرضى الكهنة فيكشفون لضيوفهم عن أسرار هذا العلم ، ويحدثنا «بروفيريس» (٢٣٣ — ٣٤٠ م) عن رحلة «فيثاغورث» الى مصر ، فيقول : «بعد ان استقبله الفرعون «أحمس الثاني» (٥٧٠ — ٥٢٦ ق م) ملك مصر ، حصل منه على رسائل توصية لكهنة «هليوبوليس» (عين شمس) الذين أرسلوه بدورهم الى كهنة منف ، باعتبارهم أعرق منهم . وان كان المقصود بذلك ابعاده عنهم ، ومن ثم فلنفس السبب أرسله كهنة منف الى «طبية» (تيوسبوليس) ، وهنا ، خوفاً من الفرعون ، ولعدم عثورهم على سبب مقنع لابعاده عن معبدهم ، ورغبة في التخلص منه ، فلقد أجبروه على الخضوع لنظام قاس ، وعلى أن ينفذ ذلك في غاية من الصرامة ، ولكنه صبر على ذلك وثبت له ، فكان ينفذ في همة ونشاط كل ما كان يطلب منه ، حتى نال اعجابهم ، فعدلوا عن سلوكهم نحوه ، وأخذوا يعاملونه باحترام ، لدرجة أن سمحوا له بالتضحية لألهتهم ، وهو شرف لم ينله غريب قبله» .

هذا وقد جاء الى مصر حكماء وفلاسفة آخرون من الاغارقة ليتعلموا في المعابد المصرية ، ونحن نملك من التفاصيل أحيانا ما يبين مراحل تدريبهم ، فهذا «أونوبيدس» مثلاً أخذ عن الكهنة والفلكيين كثيراً من

الاسرار ، ومن ذلك : أن الشمس تدور في شكل اهليجي (أى أن سمت الشمس المنحرفة يقع على خط الاعتدال في السماء) ، وتتجه اتجاهها مضادا لاتجاه الكواكب الاخرى ، أما «ديموقريط» فقد عاشر الكهنة خمس سنوات ليتعلم ما يتصل بالفلك والهندسة •

وأما الجغرافى «سترابون» فهو يروى لنا فى وصفه لمصر ، رحلته الى هليوبوليس ، فيقول : «لقد رأينا هناك الابنية التى كانت مخصصة فى الماضى لسكنى الكهنة ، كما أطلعونا على مسكن افلاطون ، و «يودكسوس» لان الاخير قد صاحب افلاطون الى هذا المكان» ، وفيما تلا ذلك من عمور قال أحد المتصوفين الرومان على لسان أصحابه : «اننا لنعلم أن الآلهة كانت والآن لا تقطن مصر» كما ناقش غيره السبب فى أن من ولدوا فى مصر المقدسة انما كانوا دائما أكثر فطنة ممن يولدون خارجها ، وغير هذا وذاك كثيرون •

وهكذا كانت الرحلة الى مصر — فى نظر الاغريق — رغم أنها تمت فى العصور المتأخرة من الحضارة المصرية ، من الضروريات فى حياة الفلاسفة اليونان ، فقد كانت مصر تعتبر موطن العلم والحضارة ، وكان على شيوخ الحكماء أن يمضوا فيها وقت المرات والدربة ، ولقد نجحت التقاليد فى تأكيد ذلك على الاقل ، حتى لو كان البعض منهم لم تطل أقدامه أرض الكنانة أبدا •

ولعل هذا كله انما يشير بوضوح الى أن الشهرة العامة للحكمة والعلم اللذين استقرا فى أذهان الاغريق من أهل العصور القديمة مرتبطين بطبقة كهنوت المعابد المصرية الكبرى ، ذلك أن فلاسفة اليونان — مهما كانت شهرتهم — انما كانوا يكتسبون مزيدا من اعجاب شعبهم ، اذ بينوا أن رحلتهم الى مصر ، انما كانت مصدرا من مصادر علمهم ، وذلك بسبب شهرة الكهنوت المصرى فى المعابد المصرية الكبرى بالحكمة والعلم ، وقد استمرت هذه الشهرة حتى كتابة «الانجيل» فى القرن الرابع الميلادى ، حيث جاء فى أعمال الرسل عن سيدنا موسى عليه السلام ، «وتهذب بكل

• حكمة المصريين» (٣) •

٢ - المراكز الثقافية الكبرى

لعل أهم المراكز الثقافية في مصر انما كانت في عين شمس والاشمونين وطيبة وصا الحجر :

١ - عين شمس : (أون = ايونو = هليوبوليس) :

كانت «أون» عاصمة الاقليم الثالث عشر من أقاليم مصر المس وتقع فيما بين عين شمس (أر في مكانها) وبين المطرية شمالى الق ويشير «ه: يدوت» (٤) (٤٨٤ - ٤٣٠ ق م) الى أنها كانت بحق العلم والعرفان ، وكان علماؤها أحكم أهل مصر ، وأغزرهم علما يشار اليها وكأنما هي موطن الاسرار المقدسة التى تدرس فيها العقائد ، وتحتوى مكتبتها ذخائر العلوم ، ويتخرج فيها المبرزة الاطباء والفلكيين والحكماء ، وقيل أن المؤرخ المصرى «مانى (٣٣٣ - ٢٤٥ ق م) قد جمع تاريخه من سجلاتها ، وكان «سترابون» أن شاهد أطلال دور حكمائها ، وإن كان قد انقض الفلاسفة والفلكيين على أيامه ، بعد أن تخربت معاهدهم ، كما ؛ ويشير مؤلف بردية «ايبرس» الى أنه تلقى علومه في «هليوبوليس أن يتجه الى سايس •

(٣) أنظر : نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ص ، أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم في ص ٨٥ - ٨٦ ، ٢٣٧ - ٢٤٠ ، عبد العزيز صالح : التربية والتعليم في القديمة ص ١٣١ - ٣٥١ - ٣٥٢ ، سيرج سونيرون : كهان مصر الذى ص ١٢٣ - ١٣٠ ، هيرودوت يتحدث عن مصر : ترجمة محمد صقر ذ وتقديم أحمد بدوى ص ٦٧ - ٧٢ ، ١٢٤ ، ١٥٩ ، ٢٢٦ ، ١٨٢ - أعمال الرسل ٢٢/٧ ، وكذا

ebvre, Romans et Contes Egyptians, Paris, 1949 p. 221.

Schubart, Die Griechen im Aegypten, 1927, p. 6-7.

(٤) أنظر عن «هيرودوت» (محمد بيومى مهران : مصر - الاول - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٧٤ - ٨٢) •
(٥) أنظر عن «مانيتو» (محمد بيومى مهران : المرجع الس ص ٦٥ - ٦٨) •

هذا وقد كفل لمدينة «عين شمس» شهرتها في الفلسفة والدين قدم مذهبها في نشأة الوجود ، ثم ارتباطها باله الدولة «رع» فقد تدخل مذهبها الذي اتخذ «رع أتوم» المكانة الرئيسية فيه في أغلب فلسفات المصريين الدينية والاسطورية ، وأضحى موضعاً لتأويلات وشروح المجتهدين ، هذا فضلاً عن أن النشاط العلمى والفكرى في عين شمس قد تعدى أصول الفلك والدين وفلسفته وأسراره وتدرّس الحكمة وآداب السلوك ، الى الطب ، ومن ثم رأينا مؤلف بردية ايبرس الطبية يقول : «لقد تخرجت من أون مع كبراء القصر العالى ، أرباب الحماية وسادة الابدية»^(٦) .

٢ - منف (انب حج) :

لم تكن جامعة عين شمس اللاهوتية العلمية وحدها هي منار العلم في مصر الفرعونية ، وانما كانت تتنافسها — بل وتجهدها أن تظهر عليها — منف^(٧) (وتقع تحت وبجوار قرية ميت رهينة ، بمركز البدرشين ، على بعد ٢٢ كيلا الى الجنوب من القاهرة) ، وقد كان لها مذهب ينافس أون في نشأة الوجود^(٨) ، كما كان كبير كهنة الاله «بتاح» فيها يحمل لقب «عظيم الفنانين» .

وهناك مراكز أخرى عريقة للثقافة مثل «الاشمونين» (خمنو المصرية)،

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٢ - ٣٥٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، وكذا

W. W. Tarn, Hellenistic Civilisation, 1930, p. 235-236.

CAH, VII, p. 260

Strabo, XVII, 29.

A. D. Nock, JEA, XI, p. 127.

(٧) أنظر عن (منف) (محمد بيومى مهران : مصر - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٧٨ - ٨٢) .

(٨) أنظر عن نشأة الوجود في نظرية عين شمس (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة - الجزء الثانى ص ٢٤٣ - ٢٤٩) وعن نظرية منف (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٦١) .
(٩) أنظر عن الاشمونين (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٦٥) .

وتقع على مبعدة ١٠ كيلا شمال غرب ملوى بمحافظة المنيا) مركز عبادة «تحتوت» رب الحكمة وعاصمة الاقليم الخامس عشر من أقاليم مصر العليا (الصعيد) ، ثم «طلبية» (الاقصر) عاصمة الامبراطورية ، ولكل منهما نظريتها الخاصة بنشأة الوجود (١٠) .

ثم هناك «أبيدوس» (١١) (ابجو = عرابة أبيدوس، على مبعدة ١٠ كيلا غربى البلينا بمحافظة سوهاج) ، المركز الدينى الممتاز ، حيث كان القوم يزعمون أن رأس معبودهم «أوزير» دفنت فيها ، ثم هناك «سايس» (١٢) عاصمة الاقليم الخامس من أقاليم الدلتا (ساو المصرية ، ومكانها الان صا الحجب) ، على مبعدة ٧ كيلا شمال بسيون بمحافظة الغربية) ومدينة الطب في عصر النهضة (الاسرة السادسة والعشرون ٦٦٤ - ٥٢٥ ق م) .

٣ - دور الحياة

اختلف الباحثين في «دور الحياة» (برو - عنخ) ، فبينما ذهب فريق الى أنها معاهدة علمية ، ذهب فريق آخر الى أنها لا تعدو أن تكون دورا للنسخ والتصنيف (١٣) ، وقد عرفت «دور الحياة» في مصر منذ الدولة القديمة ، وكانت توجد في المواضع الهامة ، وحيث وجدت المعابد الكبيرة ، ففي دائرة معبد الاله «مين» في مدينة «قفط» (على مبعدة ٢٢ كيلا جنوبى قنا) عاصمة الاقليم الخامس من أقاليم الصعيد ، قامت دار حياة تواتر ذكرها من الدولة القديمة ، كما تواتر من العصور المتأخرة .

هذا وقد وجدت دور الحياة أيضا في المراكز الدينية الكبرى ، مثل عين شمس ومنك ، فضلا عن تلك التى كانت تنسب الى المعبود «خنوم» ، والتى يحتفل وجودها في مأكلا لها في أليفانتين (جزيرة أسوان)

- (١٠) أنظر عن شلر عن الاشمونين وطلبية في نشأة الوجود (محمد بيومى مهران : المرسى السابق ص ٢٤٩ - ٢٥٤ ، ٢٦١ - ٢٦٥) .
(١١) أنظر عن «أبيدوس» (محمد بيومى مهران : مصر ٧٨-٧٤/٢)
(١٢) أنظر عن سايس (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ١٧١) .

A. H. Gardiner, Onom., I, 1947, 35.

وكذا A. H. Gardiner, The House of Life, in JEA, 24, p. 167-177.

وادفوا واسنا والطود ، هذا فضلا عن تلك التى وجدت في غير أيام الدولة القديمة ، كما في طيبة وأبيدوس والعمارنة والبرشا والحيية واللشت (ايثت تاوى) ، وفي سايس وثل بسطة ، فمن الحقائق المفترضة أنه كان لكل معبد ذى مكانة ملحوظة «دار حياة» خاص به .

وكان خريجو «دور الحياة» يشغلون عادة مكانة ممتازة ، ومركزا مرموقا في المجتمع المصرى القديم ، فالواحد منهم انما هو «كاتب دار الحياة» ، «ما من أمر يسأل عنه ، الا ويجد له جوابا مناسباً» ، وكان أبرز ألوان النشاط في «دار الحياة» هو اعداد الكتب الدينية اللازمة للعبادة ، وذلك باعادة كتابة المخطوطات القديمة وتصحيح ما فيها من أخطاء ، وسد ما فيها من فراغ يتسبب عما لحق القراطيس من فعل المديدان الارضية ، كما كانت تعد هناك النصوص الدينية ، وبخاصة ما اتصل منها بأمور العبادة المتعلقة بكل معبد ، هذا فضلا عن تسطير الكتب المسحرية الخاصة بالحماية من الشر ، الى جانب الجداول الفلكية كما كانت تنسخ من «كتاب الموتى» آلاف النسخ ، ويمكننا القول بصفة عامة ان كل ما كان ينقش على جدران المعابد ، وكل ما كان ينسخ من قراطيس البردى التى كانت تقتضيها شؤون العبادة ، وسائر عناصر الثقافة الكهنوتية ، انما كان يخرج من «دور الحياة» .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن المتخرجين في دور الحياة لم يكونوا كهنة بالمعنى المعروف ، فهم ألصق بالعلم منهم بالدين ، وألقابهم تشير الى تمسكهم بالالقاب الخاصة بالكتاب ، أكثر من التصاقهم بألقاب الكهنة ، وان كان هذا لم يحل أن يجمع بعضهم بين وظائف دور الحياة ، ووظائف الكهانة في آن واحد ، أو أن يتولى منصبا دينيا في دار الحياة نفسها ، بحيث ظهر منهم من تلقب بلقب «الكاهن الاعلى لدار الحياة» ، ومن تلقب بلقب «الكاهن الاول لدار الحياة» ، ومن تلقب بلقب «الاب المقدس لرع أتوم في دار الحياة» .

وتشير نصوص من العصور المتأخرة الى أن كتبة دور الحياة انما كانوا يفحصون بأنفسهم العلامات في الحيوانات المقدسة ، والشرائط التى

يجب توافرها فيها ، تبعا لما تحت أيديهم من وثائق ، كما كان يعهد اليهم بكتابة أناشيد التبعد للملوك المتأخرين ، وكتابة نسخ منها لمختلف المعابد ، وكانت مواكب أعياد الالهة تقصد بهو الاحتفالات في دور الحياة ، فتقوم هيئة الدار بافتتاح الحفل ، وتفسير اسم المعبود .

وليس هناك من ريب في أن من أهم واجبات دور الحياة تعليم الآداب والمعارف العامة ، إذ أنه كان يفترض في كتبة دور الحياة التعمق في العلم ، والسحر بصفة خاصة ، حتى كان يلقب المتخرج فيها بلقب «رئيس السحرة» ، وطبقا لما جاء في الاساطير ، فهم يستطيعون معالجة الامور بسحر يستعصى فهمه ، قد يصل الى مرحلة اعادة الحياة الى الاوصال المقطوعة ، كما رأينا من قبل في أسطورة خوفو والسحرة ، ومن المعروف أن السحر عند القوم انما كان شديد الصلة بالدين ، ومن ثم فلا غرو اذن اذا اجتمعت هذه الدراسات في صعيد واحد ، وان صعبت التفرقة في التخصص بينهما .

هذا وكانت هناك صلة وثيقة لدور الحياة بالطب والاطباء ، كما يشير الى ذلك الكاتب كبير الاطباء «وجا حرسنت» الذي عاصر «أحمس الثاني» (٥٧٠ - ٥٢٦ ق.م) و «بسماتيك الثالث» (٥٢٦ - ٥٢٥ ق.م) وكان مقربا من «نقمبيز» (٥٢٥ - ٥٢٢ ق.م) و «دارا الاول» (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م) في نص جاء فيه : أن دارا أعاده الى مصر ، بعد أن كان قد اصطحبه الى فارس ، «لإصلاح أقسام دور الحياة الخاصة بالطب ، بعد أن تخربت» ، وقد وجه جهوده الى مدينة سايس ، عاصمة البلاد وموطنه الاصلى ، وفي هذا بطبيعة الحال تعزيز لما ذكره صاحب بردية ايبيرس الطبية من أنه في سايس ، حيث كان مع أمهات الآلهة ، كما فيه أيضا دلالة على أن هذه المدينة انما كانت مركزا هاما للدراسات الطبية في مصر القديمة .

هذا ويبدو أن «دور الحياة» لم تكن دائما في المعابد ، وانما كانت في مبان ملحقة بالمعابد ، كما تشير الى هذه التفرقة بعض النصوص المتأخرة ، وقد تعرف «بندلبرى» على أطلال دار حياة في العمارنة بعد أن وجد

أختاماً مرقومة باسمها على بعض قوالب اللبن التي بنيت بها ، وقد تبين أنها كانت على مبعدة ٤٠٠ متراً ، جنوبي معبد أثون الكبير في العمارنة ، وعلى مبعدة مائة متر شرقي المعبد الصغير ، والخاصة الملكية ، هذا ومما يؤيد تميز مباني دور الحياة عن المعابد — فيما يرى جاردنر — نص في معبد الدفو وصف تنقلات الاله «حور» في أحد أعياده ، فذكر : أنهم اتجهوا من المعبد الى بهو دار الحياة حيث يؤدي كل احتفال لدار الحياة، ثم قضوا ليلتهم في هذا المكان (١٤) .

-
- (١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢١٩ — ٢٢٨ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٠ — ٤٥١ ، ٢٦٠ — ٢٦١ ، سيرج سونيرون : المرجع السابق ص ١٤٨ — ١٤٩ ، وكذا
 G. Posener, La Première domination Perse en Egypte, le Caire, 1936, p. 4, 7, 22.
 J. Pendlebury, The City of Achenaten, III, London, 1951, Pl. XLIX, 3, LXXXIII, VI, p. 115.
 J. Pendlebury, JEA, Io, 1924, p. 134, XXIV, 1928, p. 160 F, 177. وكذا
 Urk., I, p. 286, Io, p. 289. وكذا
 B. Gunn, JEA, IV, 1917, p. 252, وكذا
 G. Maspero, Les Contes Populaires de L'Egypte ancienne, Paris, 1916, p. 130. وكذا
 A. H. Gardiner, JEA, 24, 1938, p. 177. وكذا

الفصل الثاني

الفلك

برع المصريون القدامى في علوم الفلك ، كما برعوا في غيره من العلوم ، وقد دفعهم الى ذلك عدة أمور ، منها : صفاء سمائهم وخلوها من المسحب والغيوم معظم أيام السنة ، ثم اتخاذهم بعض كواكب السماء ، وبخاصة الشمس ، أربابا ، ومنها : حرصهم على ضبط مواعيد النيل ، يربطون بينها وبين ظهور بعض الكواكب في أوقات معينة ، يقصدون بذلك تحديد مواعيد الزرع والحصاد .

هذا وقد ميز المصريون القدامى في السماء — غير الشمس والقمر — كواكب لا تعرف الفتور ، منها ما نسميه «عطارد» و «الزهرة» (نجمه المساء ونجمه الصباح) ثم «المريخ» (حور الاحمر) و «المشتري» (النجم الثاقب) وأخيرا «زحل» (حور الثور) ، وهم قد جعلوا هذه النجوم في بروج (تختلف عن بروجنا التي استمدت من البابليين) ومن العسير معرفتها ، وان كان قد أمكن التعرف على الدب الأكبر (نخض الثور) والبيجة (في صورة الرجل ذى الذراعين المفتوحتين) والجوزاء (في صورة رجل يحدو ، وهو ينظر من فوق منكبيه) ، و «الكاسيوبيا» (في صورة آدمى ممدود الذراعين) والحوت والأثريا والعقرب والحمل ، وكان النجم الابرق (والمعروف عند العرب باسم الشعرى الميمانية) ذا دور كبير في حساب الزمن لدى القوم ، فقد كان شروقه الشمسى محمدا للسنة الحقيقية (بمدى يبلغ ٣٦٥ يوما ، وربيع اليوم) .

وقد صورت هذه البروج بأشكالها المألوفة في سقوف بعض القبور ، وحيث كانت قبواتها تزين عادة بأشكال النجوم المألوفة في الدوائر الفلكية التي ألفوها لدى الاغريق في أواخر عصور حضارتهم ، وقد كان في معبد دندرة (على مبعده ٥ كيلا شمال غرب قنا ، عبر النهر) مثلا إحدى هذه الدوائر الفلكية التي تصور السماء تموج بصور البروج المصرية في أشكالها التقليدية ، وكواكبها السيارة ، وما يليها من العلامات التي استمدت وأضيفت للاستلوط النيلي — بصور البروج الاثني عشر ، ثم مناطق البروج الست والثلاثين ، وقد نقلت الدوائر الاصلية الى فرنسا على أيام الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ — ١٨٠١م) واستقرت في

متحف اللوفر في باريس ، ثم وضعت مكانها صورة لها ، غير أن هناك أخرى ماثلة في سقف مقبرة «سيتي الاول» ، ثم مقبرة «سنموت» في طيبة الغربية ، ثم تلك التي ماتزال باقية في معبد الملك «رعسيس الثانى» الجنائزي ، والمعروف باسم «معبد الرمسيوم»^(١) .

وهكذا فان شواهد الامور كافة انما تبين أن المصريين قد وصلوا في بعض المجالات الفلكية الى نتائج ملحوظة ، فلقد استطاع القوم أن يتوصلوا الى حساب الزمن حسابا لا يكاد يختلف عن حسابنا له ، الا بقدر طفيف ، ومن ثم فليس غريبا بعد ذلك أن يكون تقويم عالمنا اليوم في القرن العشرين الميلادي ، انما هو «التقويم المصرى القديم»^(٢) مباشرة وبلا تعديل ، فقد أعطى النيل التقويم لمصر ، وأعطته مصر للعالم ، ذلك أن حياة القوم انما كانت مرتبطة بالزراعة ، وهذه بدورها مرتبطة بفيضان النيل ، الذى يرتبط بالشمس ، وليس بالقمر .

وهكذا وضع المصريون التقويم الشمسى ، لأول مرة في التاريخ ، وانفردت به مصر عن سائر المجتمعات المعاصرة ، التى اعتمدت على التقويم القمرى ، وبينما جنح التقويم القمرى ببعضها الى التجسيم قبل الفلك ، وخاصة في العراق القديم ، حيث كان الفيضان الجاهح خطرا يصل الى حد الذعر ، كما في قصة الطوفان المشهورة ، لم ينحرف الفلك في مصر عن الاتجاه العلمى^(٣) .

وهكذا فليقتد لاحظ المصري منذ أقدم العصور ، أن الفيضان يأتى منتظما كل عام ، وفي وقت معين ، ثم حدث أن صادف أول يوم في الفيضان ظهور نجم «الشعرى اليمانية» (سوبدت) في المجال الشمسى في وقت الشروق ، مع الشمس في الأفق ،تجاه مدينة «منف» ولما استقرت

(١) سيرج مونيرون : المرجع السابق ص ١٦٦ - ١٦٨ ، أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٨٨ .
 (٢) انظر عن التقويم المصرى (محمد بيومى مهران : مصر ١٧٧/١ - ١٨٣ - الاسكندرية ١٩٨٨) .
 (٣) جمال حمدان : شخصية مصر - القاهرة ١٩٧٠ ص ٩٢ ، وكذا V. G. Childe, Man Makes Himself, London, 1955, p. 112.

هذه الظاهرة في أذهانهم ولحظوها زمناً ، أصبحوا يترقبونها عن قصد ، وأطلقوا على نجم الشعرى لقب «جالبة الفيضان» ، واعتبروا ظهورها في الفجر المبكر (حوالي ١٩ يولييه من التقويم الحالي) ، أول يوم في أول فصل ، أي «بداية السنة» التي قسموها — على أساس المظاهر المتعلقة بنهر النيل. وفيضانه — الى ثلاثة فصول •

على أن اتجاها آخر ، يذهب الى عدم الربط بين وصول المصريين الى اختراع التقويم الزمني ، وبين ظهور نجم الشعرى اليمانية^(٤) ، بل ان هناك وجها ثالثا للنظر ، لا ينفي ارتباط السنة المدنية في بادئ أمرها ، بظهور نجم الشعرى اليمانية فحسب ، وانما يذهب كذلك الى أن التقويم القمري ، انما هو الاساس في توصل القوم الى تقويمهم الزمني ، وأن الشهور القمرية انما هي الاساس لحساب الفترات الزمنية القصيرة في حياة الناس ، وفي أكثر الاحتمالات ، أنهم ربما أخذوا متوسط السنة القمرية في سنوات عدة ، ثم توصلوا بعد ذلك الى أن طولها انما هو ٣٦٥ يوما^(٥) •

وأيا ما كان الامر ، فلقد قسم القوم السنة الى ثلاثة فصول : فصل الفيضان (آخت) ، ويبدأ من منتصف يولييه وحتى منتصف نوفمبر ، ثم فصل الزرع أو الشتاء (بروت) ، ويبدأ من منتصف نوفمبر ، وحتى منتصف مارس ، ثم فصل الحصاد أو الصيف (شمو) ، ويبدأ من منتصف مارس ، وحتى منتصف يولييه ، وكل فصل منها انما يتكون من أربعة أشهر وكل شهر من ثلاثين يوما •

ثم قسموا اليوم الى أربع وعشرين ساعة ، اثنتا عشرة ساعة للنور ، واثنتا عشرة ساعة للظلام ، وتحمل كل ساعة اسما معيناً يحدد تأثيرها ، أي أن القوم انما قد استخدموا السنة الشمسية وليس القمرية ، كبقية

W. F. Edgerton, in JNES, I, 1942, p. 366-403. (٤)

E. Otto Neugebauer, in Acta Orientalie, 17, 1939, p. 169-195. وكذا.

R. A. Parker, The Calendars of Ancient Egypt, Chicago, (٥)
1950, p. 53.

شعوب العالم^(٦)، وكانت تستخدم لحساب ساعات النهار ساعات شمسية يقاس فيها امتداد الظل ، ولحساب ساعات الليل ساعات مائية أو ساعات النجوم ، وأما الساعات المائية فأحواض كبيرة مدرجة من الداخل تشير الى التوقيت بانخفاض مستوى مائها بتسربه الى الخارج أو بارتفاعه بتسربه الى الداخل ، وكان تحديد الزمن بمثل هذه الساعة يحتاج الى عمليات حسابية لضبط حجم الماء ودرجة التبخر ، كما كان يراعى اختلاف طول النهار ، وأما ساعات النجوم — وقد بدأ استعمالها منذ الدولة الحديثة ، ان لم يكن قبلها — فكانت تستخدم فيها أداة لقياس مواقع النجوم في جداول معينة تشير الى دخولها في مناطق معينة ، وهى عملية كانت تقوم في المعابد على الاغلب ، وتعتمد عملية الرصد على وجود راصدين من الكهنة يسجل الواحد منهما موقع النجوم بالنسبة لجسد زميله ، وقد حفظت لنا في مقابر ملوك الاسرة العشرين عدة قوائم من هذا النوع ، وهى تبين موقع النجوم خلال ساعات الليل الاثنى عشرة في فترات تبلغ الخمسة عشر يوما ، وعلى أية حال ، فلقد كانت ساعات المصريين القدامى على اختلاف أنواعها صالحة لقياس الزمن قياسا تقريبا^(٧) .

وكانت عدة أيام السنة في نظر المصرى القديم ٣٦٥ يوما ، ولكن مادامت السنة الفلكية تحوى أكثر بقليل من ٣٦٥ ١/٢ يوما ، فهذا يعنى أن السنة المدنية تتأخر يوما كل أربع سنوات عن السنة الشمسية ، أو بمعنى آخر ، ان اليوم الاول من السنة المدنية لا يتفق مع اليوم الاول من السنة الفلكية (الشمسية) الا مرة كل ١٤٦٠ سنة (٤ × ٣٦٥) ، وهذا ما يعرف باسم «دورة الشعرى اليمانية» .

ولم يكن هذا الفرق الضئيل واضحا في بادىء الامر ، ولكن بمرور

(٦) A. Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, p. 7-8.

(٧) أدولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ومحرم كمال ، القاهرة ١٩٥٣ ص ٣٧٧ - ٣٧٩ ، نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ص ٤٥٣ ، أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٨٨ .

الزمن بدت فصول التقويم غير مطابقة للفصول الحقيقية ، كما يبدو ذلك واضحاً من بردية من عصر الاسرة التاسعة عشرة ، يشكو صاحبها من أن الشتاء أصبح يجيء في الصيف ، والشهور تتعكس ، والساعات تضطرب^(٨) ويقدم «مرسوم كانوب» (أبو قير) ، والمكتوب بلغات ثلاث في مارس من عام ٢٣٧ ق م^(٩) ، دليلاً على أن المصريين بحرصهم الفرغيزي على التقاليد لم يسعوا إلى علاج لذلك الموقف ، ففي هذا المرسوم يعلن «بطليموس الثالث» (٢٤٦ - ٢٢١ ق م) ادخال يوم سادس الى أيام النسيء الخمسة ، كل أربع سنوات ، حتى يمنع الاعياد الوطنية التي تحدث في الشتاء من أن تجيء في الصيف ، فإن الشمس تتغير يوماً كل أربع ساعات ، وأن أعياد أخرى تقام الآن في الصيف يجب أن تأتي في المرات القادمة في الشتاء ، كما كان يحدث من قبل .

غير أن هذه المحاولة سرعان ما أهملت ، ولم يعمل بها أحد بعده ، وبقي التقويم كما كان ، حتى اتخذ «يوليوس قيصر» (١٢٠ - ٤٤ ق م) التقويم المصري والاصلاح المقترح وطبقه في روما ، وفي عام ٣٠ قبل الميلاد فرض الامبراطور «أغسطس» (٢٧ ق م - ١٤ م) على المصريين التقويم اليوناني ، والمكون من ٣٦٥ يوماً ، وإن كان كل من «استرابو» و «ديودور الصقلي» إنما نسب هذا التعديل الى المصريين أنفسهم ، ومع ذلك لم يستخدم المصريون الوطنيون هذه السنة التي أسموها «السنة اليونانية» ، الا بعد اعتناقهم النصرانية ، وبقي الامر كذلك حتى أصلحه البابا «جريجوري الثالث عشر» في القرن الرابع عشر الميلادي ، وأصبح التقويم هو المعروف الآن بالتقويم الميلادي^(١٠) .

J. Vercoutter and Others, The Near East, The Early Civilization 1967, p. 39. (٨)

A. H. Cardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 64. وكذا

E. Bevan, A History of Egypt under The Ptolemaic Dynasty, London, 1927, p. 208 F. (٩)

نجيب ميخائيل : مصر ٥١/١ - ٥٢ ، وكذا J. Vercoutter, Op-Cit, p. 39. (١٠)

Sirabo, XVII, 20. وكذا

=

هــذا ويذهب «لودفيج بورخاردت» (١٨٦٣ - ١٩٣٨م) الى أن المؤرخ الرومانى «سانسريون» قد سجل ظاهرة اجتماع الشعري اليمانية وطلوع الشمس فى عام ١٣٧م^(١١) ، ومن ثم فقد أصبح هذا العام نقطة ارتكاز تقوم على قرائن علمية فلكية ثابتة ، وما علينا الا أن نعود فى التاريخ فترة ١٤٦٠ عاما^(١٢) الى الوراء ، لنعرف متى بدأت فترة الشعري اليمانية هذه ، وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نحدد هذه الفترات بأعوام ١٣١٧ ، ٢٧٧٢ ، ٤٢٢٥ قبل الميلاد ، أى أننا نستطيع أن نتوغل فى أعماق التاريخ حتى عام ٤٢٢٥ ق.م ، وهكذا يتجه بعض الباحثين الى أن يرم ١٩ يولييه من عام ٤٢٤١ قبل الميلاد ، انما أقدم توقيت ثابت فى تاريخ العالم ، وهو بداية معرفة المصريين للتوقيت^(١٣) ، على أن تصحيحات «كارك شوك» تجعل أقدم تاريخ محدد فى العالم ، انما هو (٤٢٢٩ - ٤٢٢٦ ق.م) ، وهذا كله مبنى على حسابات رجعية وليست لها أهمية خاصة^(١٤) .

هذا وهناك وجه آخر للنظر ، يذهب الى أن اتباع توقيت فلكى دقيق ، انما هو عمل عقلى عظيم ، يعتمد دون شك على مقدرة ممتازة فى الحساب

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 64-65.

Diodorus, I, 50.

وكذا

وكذا

(١١) عبد المنعم أبو بكر : الموسوعة المصرية ١٨٥/١ - ١٨٦ .

(١٢) يذهب «كارل شوك» الى أن دورة الشعري اليمانية ليست بالضبط ١٤٦٠ يوما ، بل هى أقرب الى أن تكون ١٤٥٦ يوما ، وقد بنى تصحيحه هذا على زيادة سرعة الشمس على مر القرون ، وعلى الحركة الذاتية الكبرى للشعري اليمانية ، وعلى حساب أدق لمدى القوس البصرية (جورج سارتون : مصر - ترجمة مصطفى الامير - القاهرة ١٩٦٣ ص ٨٩ ، وكذا Carl Schoch, Die Lange der Solhisperiode beträgt, 1456, Jahre, Astorn, Abhandl, Ergänzungshefte Astorn. Nachr, 8, No. 2, B 9-B10, 1930).

(١٣) الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٣٤ - ٣٦ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, I, p. 30.

E. Meyer, Aegyptische, Berlin, 1904.

K. Sethe, ZAS, 1931, p. 1-7.

L. Borchardt, Die Mittel Zur Zeitlichen Festlegung, Kairo, 1935.

(١٤) جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩٠ .

والفلك ، لا نستطيع أن نتوقع حدوثه في عصر مبكر لم يعرف الناس فيه القراءة والكتابة ، ومن ثم فربما كان من الأفضل أن نحدد عام ٢٧٧٢ قبل الميلاد ، لمعرفة المصريين للتوقيت الزمني ، وليس عام ٤٢٤١ قبل الميلاد ، ذلك لأن هذا التوقيت لا يمكن أن ينشأ إلا بعد فترة طويلة من الملاحظة والتدقيق ، ثم المقدرة على أن يستخلص الإنسان من تلك التدوينات نظاما «حقيقا» ثابتا ، وأن ذلك ربما تم في عهد الملك «زوسر» من الأسرة الثالثة (١٥) .

هذا وقد أشارت الوثائق المصرية الى «دورة الشعرى اليمانية» ثلاث مرات ، على أقل تقدير ، وعلى فترات متباعدة ، أولها : في وثائق من العام السابع لحكم الملك «سنوسرت الثالث» حوالي عام ١٨٧٢ ق.م ، وثانيها : في العام التاسع من حكم الفرعون «أمنحتب الاول» ، حوالي عام ١٥٣٦ ق.م ، وثالثها : خلال عهد الفرعون «تحوتمس الثالث» حوالي عام ١٤٦٩ قبل الميلاد (١٦) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن قدرة المصريين القدامى في الفلك ، انما تتضح لا في تقويمهم ، ولا من جداول عبور النجوم خط الزوال ، ولا من جداول ظهورها فحسب ، بل من بعض أدواتهم الفلكية ، من المزاويل الشمسية المبراعة ، وتركيب الطمار على العصا الفرجونية التي مكنتهم من تحديد سمت البداية ، ومن هذه الأدوات بقايا محفوظة في متحفى القاهرة وبرلين ، ويمكن اختيار نماذج دقيقة منها في كثير من المجموعات الاثرية المصرية الفلكية (١٧) .

هذا وقد عرف الكهان المصريون أيضا ظاهرة الخسوف ، وهى التقاء

(١٥) أنظر :

J A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 30.

A. Scharff, HZ, 161, 1939, p. 3-32.

وكذا R. W. Sioley, The Origin of The 365 - day Egyptian Calendar,

وكذا ASAE, XLVIII, p. 261 F.

W. S. Smith, in JNES, 11, 1952, p. 122-123.

وكذا

(١٦) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ١٠٠/١ .

(١٧) جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩٠ .

الشمس بالقمر ، وقد جاء في الخبر كيف أربع الخسوف جنود الاسكندر الاكبر ، بهم يحاربون الفرس من جنود «دارا الثالث» (٣٣٥ - ٣٣٢ ق.م) ، وكيف استدعى أحد الكهان المصريين ليذهب عن قلوبهم الرعب (١٨) .

هذا ورغم أن المصريين القدامى قد حددوا ، بوجه عام ، جهاتهم الاصلية على أساس مجرى النيل ، جاعلين الجنوب - وفيه منابع النيل - قبلتهم ، فوقع الغرب على يمينهم ، والشرق على يسارهم ، إلا أن دقة تحديد اتجاهات أضلاع قواعد الهرم الاكبر ، وانطباقها على الجهات الاصلية الاربع وكذا اتجاهات ممراته ، تحملنا على التفكير في جواز استعانة المصريين بنوع من المراصد الفلكية ، وإن كنا لا نعرف كيف كانت ، ولا كيف استخدمت ، وإلى أين ذهبت (١٩) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد أقيمت الاهرامات الكبرى عند خط عرض ٣٠ شمالا ، وأن أضلاع الهرم الاربعة مواجهة تماما للجهات الاربع الاصلية ، وربما كان ذلك ليجعلوا مدخل الهرم الذي كان في الناحية الشمالية متجها نحو النجم القطبي (نجم الشمال) ، ولم يكن ليصعب على المصريين مثل هذا التهديد الصحيح لاتجاه أضلاع مربع الهرم ، وذلك لما كان لهم من دراية كافية بعلم الفلك (٢٠) ، كما أن ممرات الاهرام المائلة إنما كانت تنطبق على المستوى الزوالى .

هذا وقد لاحظ «بروكتير» Proctor أنه خلال سبعة أشهر ونصف من السنة ، نصفها قبل ونصفها بعد الانقلاب الصيفي ، تضيء الشمس عندما تكون على خط الزوال الاربعة أوجه ، وقد استنتج «محمود باشا الفلكي» أن الممرات الداخلية كانت تستعمل كآلات زوالية لرصد الاجرام السماوية قبل غلق الاهرام ، وأن ضوء الشعري اليمانية كان عموديا على

(١٨) سيرج سونيرون : المرجع السابق ص ١٧٠ .

(١٩) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٨٩ .

(٢٠) أحمد فخري : الاهرامات المصرية - القاهرة ١٩٦٣ ص ٢١ .

الوجه الجنوبي للهرم الأكبر ، حوالى عام ٣٣٠٠ قبل الميلاد ، واستنتج
«دلمبير» Delambre أن المصريين القدامى لابد وأنهم قدروا سعة
انحراف اتجاه الشمس عند المنقلبين — الصيفى والمشتوى — •

هذا وقد قام «كول» — وكان يعمل موظفا بمصلحة المساحة المصرية —
بقياس أضلاع هرم خوفو وانحرافاتهما عن الاتجاهات الرئيسية ، فوجد
ما يأتى :

الانحراف عن الاتجاهات الرئيسية	طوله	الضلع
٢٨° ٢'	٢٣٠ر٢٥٣	الشمالى
٥٧° ١'	٢٣٠ر٤٥٤	الجنوبى
٣٠° ٥'	٢٣٠ر٣٩١	الشرقى
٣٠° ٢'	٢٣٠ر٣٥٧	الغربى

وتدلنا هذه الدقة فى تعيين اتجاهات قاعدة هذا الهرم (الهرم الأكبر)
وغيره من الاهرام على أن الكهنة المصريين الذين كانوا يشرفون على بناء
الاهرام ، لابد وأنهم استعانوا بالارصاد الفلكية فى تعيين الاتجاهات •

أصف الى ذلك ، أنه فضلا عن هذه الدقة فى تعيين اتجاهات الاضلاع ،
نجد أنهم لابد ، وقد تخيروا مواقعها لتكون عند خط عرض ٣٠ درجة
شمالا ، فقد أقيمت عند حافة المستوى الصخرى وليست بأعلى نقطة
فيه ، وقد يوازى خط عرضها بأحداث الآلات الحديثة ٥١° ٥٨' ± ٢٩٥' ٣"
وعزا الفرق الى تأثير الانكسار الضوئى •

ولتقدير أهمية الحقائق السالفة الذكر ، علينا أن نتذكر أن الرجل
العادى فى عصرنا هذا لا يكاد يعرف غير أن الشمس تشرق من الشرق ،
وتغرب فى الغرب ، مع أن هذا لا يقع فى خط عرضنا سوى مرتين فى
السنة ، عندما تكون الشمس فى أحد الاعتدالين ، وتعيين هذه الاتجاهات
بهذه الدقة ليس من الامور الهينة حتى فى عصرنا هذا الذى تقدمت فيه

• صناعة الآلات الهندسية التي يستعان بها في مثل هذه الاغراض (٢١) •

بقيت الاشارة الى أن هناك وثائق محدودة العدد تشير الى أن المتنجوم — وهو الاعتقاد في تأثير مواقع النجوم على نفوس البشر وصلة ذلك بمصائرهم — وقد كان معروفا ، وقد ذاع هذا الاعتقاد ولقى كثيرا من القبول في أوساط المصريين ، وإن كانت ظواهر الامور تدل على أن هذا الموضوع دخيل على مصر ، وغير أصيل فيها وفي تفكير أهلها ، وربما قد جاءهم من آسيا مع الغزو الفارسي في أخريات العصور الفرعونية ، وقد يؤيد هذا الظن ما تردد في أسلوب تلك الوثائق من شذوذ غير معهود في اللغة المصرية •

وأما المذنبات من النجوم ، والتي كان يعتبر ظهورها من نذور الشؤم فيبدو أن معرفة المصريين بها لم تكن كافية ، وليس هناك من النصوص ما يشير اليها ، سوى واحد من عصر (تحتتمس الثالث) (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق م) ، يذكر مرور واحد من تلك المذنبات ، والذي يحتمل أن يكون ما أسماه القوم «هالي» (٢٢) •

وعلى أية حال ، فلقد ظن القوم أن للأبراج السماوية صلة بالناس ، فهناك أيام سعيدة ، وأيام منحوسة ، وهذه الايام تتصل في أغلب الامر بأحداث معينة مترسبة في نفوسهم من جراء ذكريات أسطورية أو دينية ، فمثلا أيام الصلح بين العبودين «حور» و «ست» أيام سعيدة من غير شك (وهو اليوم السابع والعشرون من هاتور) ، وأيام موت «أوزير» أيام نحس ، وكذا اليوم الرابع عشر من طوبة ، والذي ندبت فيه «إيزة» و «نفتيس» على «أوزير» كان يوما منحوسا ، بينما كان اليوم الاول من أمشير ، والذي رفعت فيه السماء ، فقد كان يوما سعيدا •

وكان القوم يمتنعون عن اقامة الحفلات في أيام النحس ، حيث كانوا

(٢١) عبد الحميد سماحة : الفلك عند المصريين القدماء — كتاب تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعوني ٥٧٨/١ — ٥٧٩ (القاهرة ١٩٦٢) •

(٢٢) سيرج سونيرون : المرجع السابق ص ١٧٠ •

يتفادون الموسيقى والغناء مثلاً في يوم الحداد على أوزير (الرابع عشر من طوبة) ، كما أن الغسيل كان محرمًا في اليوم السادس عشر من طوبة، وكان يفضل الامتناع عن السمك في أيام معينة ، واجتناب ذكر اسم المعبود «ست» في اليوم الرابع والعشرين من شهر برمودة •

وكان الذئس والسعد يتصلان أيضا بمولد الاطفال كذلك ، فبعض الاطفال لا يعيشون ، ان ولدوا في اليوم الثالث والعشرين من شهر توت، والبعض الاخر تحل بهم الكاره والامراض ، ان ولدوا في أيام معينة كذلك ، فالذى يولد في اليوم العشرين من شهر كيهك يصاب بالعمى ، والذي يولد في الثالث من كيهك يكون الصمم من نصيبه (٢٣) •

(٢٣) أدولف ارمان وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ،
نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٣ •

الفصل الثالث

العلوم الرياضية والهندسية

١ - العلوم الرياضية :

شغلت العلوم الرياضية والهندسة جانبا كبيرا من اهتمام المصريين القدماء ، وكانت تسير جنباً الى جنب مع تعلم القراءة والكتابة لأهميتها في الحياة العملية ، وكانت الدراسة نظرية وعملية معا .

وقد بزغ المصريون في بعض العلوم الرياضية بالنسبة لزمانهم ، ويعد عصر الدولة القديمة عصرها الذهبي ، والتي كانت ثمرة خبرة وتطور طويلين ومتصلين في آن معا ، ومن المشكوك فيه أن تكون الرياضيات في أيام الدولة الحديثة (١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق.م) قد تقدمت عما كانت عليه من قبل ، فقد استخدمت نفس النظريات والاساليب التي كانت معروفة على أيام الدولة القديمة ، ومن ثم فقد استنتج بعض العلماء أن المصريين لم ينظروا الى هذه العلوم نظرة أكاديمية بالمعنى المفهوم ، ولم يحاولوا تطويرها بالبحث المتصل أو استقصاء أصولها النظرية ، بل ان اتجاههم حيالها كان عمليا يكاد يقتصر على الناحية التطبيقية ، على أن هذه العلوم — على علاقتها — قد نفعت وأثمرت ، وأدت كل ما كان ينتظر منها، وسدت مطالب الشعب في كل نواحي الحياة .

وليس هناك من ريب في أن مقتضيات الحياة في مصر ، وجهود المصريين في حل المشاكل المتصلة ببيئتهم وحرصهم الشديد على ذلك ، كانت جميعاً من وراء أسباب تقدمهم في الحساب ، فتنظيم مياه النيل وقياسها وضبطها ، وتحديد مواسم الزراعة والحصاد ، وأعمال البذل والتجارة وجمع الضرائب المعينية ، وتقدير أبعاد الأراضي الزراعية ، ومساحاتها عند بيعها وتأجيرها وتقسيمها باسم الدولة، وتنفيذ المشروعات العامة ، وما الى ذلك ، كتغيير حدود الأرض الزراعية بعد موسم الفيضان فمثلاً اذا ما طاف طائف من الفيضان فأزال حدود الحقول ، فإنه لا يمكن اعادتها الى ما كانت عليه على وجه محقق ، الا اذا كان المرء يعرف مقاييسه بالضبط^(١) .

(١) أحمد بدوي وجمال مختار : المرجع السابق ص ٨٩ ، ارمان ورائكه : المرجع السابق ص ٣٣٩ - ٤٠٠ .

وقد سبق أن عرفنا في دراستنا السابقة أنه في بداية الدولة الوسطى (٢٠٥٢ - ١٧٨٦ ق.م) أن الملك «أمنمحات الاول» (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق.م) قد اتبع سياسة جديدة بين أمراء الاقاليم منعت التنافس بينهم ، وذلك عن طريق اقامة حدود ثابتة بين كل اقليم وآخر ، كما سن قانونا نظم به نصيب كل اقليم من مياه النيل الخاصة بـى الارض الزراعية ، وهكذا «قام جلالتة مشرقا كاله الشمس أتوم نفسه ، لكى يزهد الباطل ويعمر ما تخرب ويرده الى ما كان عليه ، ويعيد الى كل مدينة ما اغتصبته الاخرى منها ، ويجعل لكل مدينة حدودها التى تفصلها عن الاخرى ، وقد أرسى أحجار الحدود ثابتة كالسما» ، كما عين تبعية كل قناة بمفردها ، وثبت نصيب كل اقليم فى النيل ، ولما كان يجب الحق كثيرا ، فقد اتخذ أساسا لنفسه «ما هو موجود فى السجلات القديمة ، وما هو ثابت مقرر فى النصوص القديمة» ، وهذا يعنى انه منذ عهد الدولة القديمة ، على الأقل ، كانت حدود الاقاليم ثابتة ومدونة ومسجلة ، وهذا يعنى بالتالى افتراض وجود سجلات زراعية لاراضى المدن المختلفة ومناطقها .

هذا وقد قام «أمنمحات الاول» كذلك بتحديد الكمية التى يقدمها كل اقليم من المواد الغذائية ، وعدد السفن اللازمة للاسطول واعداد الرجال للجيش المربط ، وذلك للمشروعات الملكية فى أقاليمهم أو خارجها ، ومن المعروف أن أمراء الاقاليم انما كانوا مكلفين بحشد الجند ، الذين كانوا يكونون فى ذلك الوقت الجزء الاكبر من القوات المسلحة (٢) .

هذا وكان يدخل ضمن اطار الواجبات الملقاة على عاتق المشرفين على حقول أو مخازن غلال المعابد المسهر على صحة مقاييس ومساحة الاراضى التابعة لمعبدهم ، وهكذا يظهر السيد العظيم من الدولة الحديثة بعضا طويلة فى احدى يديه ، وفى الاخرى أدوات الكتابة ، يشرف على عملية

(٢) محمد بيومى مهران : مصر ٣٤٢/٢ (الاسكندرية ١٩٨٨) ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٣٥٧ ، أدولف ارمان وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٨٦ ، ٣٣٨ - ٤٠٠ ، وكذا ،

R. O. Faulkner, Egyptian Military Organization, JEA, 39, 1953, p. 36 F.

القياس التى يقوم بها خادمان ، ومعهم شريط قياس ، يظهر أن طوله نحو مائة ذراع ، قسم الى أجزاء بواسطة عقد عقدت فى أجزاء معينة لابد وأن تكون قد اختبرت دقته وصحته ادارة معبد أمون (٣) .

وكانت تلك كلها أمور تدعو الى استخدام الحساب ، فهم قد عرفوا العشرات والمئات والوف والالوف ، وعرفوا الجمع والطرح ، وأما الضرب فكان ضربا من الجمع وجمع الجمع ، أى مضاعفة العدد المضروب فى جدول صغير مرات تعادل العدد المضروب فيه ، ثم تجمع حواصل ضرب المضاعفات التى تعادل فى مجموعها العدد المضروب فيه ، فمثلا ضرب ١١ × ١٤ يجرى على النحو التالى :

١	١٤
٢	٢٨
٤	٥٦
٨	١١٢

حيث يشير الجدول الى ما يبلغ مجموعه ١١ ، أى أنه يجمع حواصل الضرب فى ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، وهى ١٤ + ٢٨ + ١١٢ ، فيكون المطلوب ١٥٤

وأما القسمة : فكانت عملية تجرى عكس عملية الضرب ، أى أنها كانت تعتمد على مضاعفة المقسوم عليه حتى يتعادل مع القاسم ، وهو الابدأ الذى يقوم عليه تصميم الآلات الحاسبة فى عصرنا الحديث ، اذ تجرى قسمة ١٥٤ ÷ ١٤ بأعداد الجدول السابق ، ثم جمع ما يقابل مجموع ١٥٤ ، أى ١ + ٢ + ٨ ، وهو ١١ ، فيكون ذلك خارج القسمة (٤) .

هذا وقد توصل المصريون الى معرفة الكسور البسيطة ، واستعاضوا بها عن الكسور المركبة (التى لم تستخدم الا فى أحوال قليلة) ، وكذلك

(٣) ارمان ورانكه : المرجع السابق ص ٤٠٠ ، وكذا L. Borchardt, AZ, 42, p. 70 F.

(٤) أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٨٩ - ٩٠ ، أحمد عبد الحميد يوسف : الموسوعة المصرية ٢٥٦/١ - ٢٥٧ .

استخدموا بعض المعادلات الجبرية البسيطة ، هذا وقد اتبع المصريون في جمع الكسور وضربها وقسمتها ، نفس ما كانوا يتبعونه مع الاعداد الصحيحة ، من حيث استخدام الطريقة التجريبية عند الضرورة ، والاكتفاء بالحلول الذهنية ، كلما تيسر لهم استخدامها^(٥) .

وتشير «بردية رند الرياضية» (كراسة عمموزة) الى جدول يبين

(٥) عبد العزيز صالح : الرياضيات في مصر القديمة - تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعوني ١/٥٩٠ .

(٦) بردية رند الرياضية : وتتكون من درجين من البردى ، محفوظة بالمتحف البريطاني في لندن (رقم ١٠٠٥٧ - ١٠٠٥٨) ، وقد عثر الباحثون على جزء صغير يصل بينهما في الجمعية التاريخية في نيويورك ، وهي جميعا تكون درجا واحدا ، أو رسالة واحدة ، وطول البردية ٥٤٤ سم ، وعرضها ٣٣ سم ، ويرجع تاريخها الى عصر الهكسوس (١٧٢٥ - ١٥٧٥ ق.م) ، ولكنها تذكر أنها نسخة من وثيقة أقدم منها ترجع الى أيام الاسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق.م) ، وقد سجلت البردية على عنوان صفحة منها اسم الملك «عاوسرع - أبوفيس الاول» من ملوك الهكسوس ، ويقول كاتب البردية في الصفحة الافتتاحية منها : «قواعد للبحث في الطبيعة وفي معرفة كل ما هو كائن وكل غامض ، وكل سر ، أشهد أن هذا الدرج كتب في السنة الثالثة والثلاثين ، في الشهر الرابع من فصل الفيضان ، زمن ملك مصر العليا والسفلى ، عاوسرع ، له الحياة ، نقلا عن كتابة قديمة دونت أيام ملك مصر العليا والسفلى ، نى معات رع (أممحات الثالث ١٨٤٣ - ١٧٩٧ ق.م) ، وكتب هذه النسخة عمموزة الكاتب» .

وتوحى عبارة «عمموزة» أنه يدرك مدى أهمية عمله ، فهو يدون كتابا ، أى مبحثا مرتبا في المعلومات المعروفة في ميدان تخصصه ، اضطلع فيه بتدوين المسائل الاساسية في الحساب والهندسة ، كما بدت لمعاصريه . وهناك ترجمات للبردية بالانجليزية ، احدها ترجمة «بيت» في عام ١٩٢٣ ، والثانية ترجمة «تشييس» في عام ١٩٢٩م هذا الى جانب ترجمات أخرى بلغات أخرى ، (أنظر

T. Eric Peet, The Rhind Mathematical Papyrus, Liverpool, 1923.

وكذا A. B. Chace, L. Bull, H. P. Manning and R. C. Archibald,

The Rhind Mathematical Papyrus, 2 Vols, Oberlin, Ohio, 1927-1929.

وكذا W. W. Struve, Mathematischer Papyrus des Staatlichen

Museums der Schönen Künste in Moskau, Berlin, 1930.

وكذا Otto Neugebauer, Vorlesungen über Geschichte der antiken

Mathematischen Wissenschaften, 1, Band Vorgriechische

Mathematik, Berlin, 1934.

وتتضمن البردية مجموعة من الامثلة النموذجية لمختلف مسائل الحساب

=

نتائج قسمة العدد ٢ على المقامات الفردية من ٣ الى ١٠١ في تفصيلات تشير الى صحة النتائج ، كما اشتملت على جداول لنتائج قسمة الاعداد من ١ الى ٩ على العدد ١٠ معبرا عنها بالكسر ذي بسط الواحد الصحيح ، مستندنا من ذلك غرضين ، أولهما : حفظ نتائج القسمة في كسور مجردة ، وثانيهما : تقديم مسائل عملية تستطيع عقلية التلميذ أن تسايرها بعد تقديم البرهان على صحة النتائج •

وقد اقتضت شئون الفلاحة ان يعرفوا علم المساحة ، وبخاصة ان النيل كان يغير المرقع الزراعي في كل عام ، وكانت وحدة القياس المستعملة هي الذراع الملخى الذى يبلغ طوله حوالى ٥٢٣ سم (أى يساوى ٢٠٦٢ بوصة) ، كما استخدموا ذراعا آخر يصغره قليلا ، ويستعمله الجمهور في معاملاته العادية ، وقسموا الذراع الى سبع قبضات متوسطة (أو ست قبضات كبيرة) ، تألفت كل قبضة منها من أربع أصابع ، واستخدموا وحدة قياسية تبلغ مائة ذراع ، أطلقوا عليها اسم «خذت» ، ووحدة مساحية للأراضي المتسعة تبلغ ٢٧٢٥ مترا مربعا ، أطلقوا عليها اسم (سئات) ، ووحدة طولية للمسافات الكبيرة تبلغ نحو كيلو مترين ، أطلقوا عليها اسم «أثرو» •

وأما الموازين (من الحجر أو المعدن) فكانت وحدثها «دبن» ، وزنته ٩١ جراما ، وجزؤه «قدت» ويعادل $\frac{1}{10}$ عشر الدبن ، وأما وحدة كيل الغلال فهي : «حققات» (حوالى ٧٨٥ لتر) ولها أجزاءها ، ومضاعفاتها وأما وحدة كيل السوائل فهي : «هن» ويعادل $\frac{1}{4}$ من «حققات» (أو ٤٦ ر • من اللتر) (٧) •

والهندسة ، ومن ثم فهي توضح لنا معارف المصريين في هذا الميدان ابان تلك العصور ، وهناك شك في أن معارف المصريين في الدول الحديثة قد زادت عن ذلك ، فبعد ١٥٠٠ عام ، نجد في قوائم معبد ادفو نفس النظريات الهندسية المشابهة لما في بردية رند هذه (جورج سارتون : المرجع السابق ص ١٠٠ - ١٠١ ، ١٣٧ - ١٣٨ ، ارمان ورائكه : المرجع السابق ص ٤٠٢ - ٤٠٣) •

(٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٨٧ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٥ •

٢ - الهندسة :

أدت مشروعات المصريين العامة ، من حفر الترع ، وتخطيط المدن ، وبناء المعابد والاهرامات ، ونحت القبور في الصخور ، الى نتائج مذهلة في دراسة المساحات والمحيطات والزوايا والارتفاعات والاحجام ، وأخيرا الى تقدم كبير في الهندسة النظرية والعملية سواء بسواء ، فعرف المصريون القدامى محيط الدائرة وقطرها ، كما توصلوا الى مساحتها ، والى مساحة المثلث والمربع والمستطيل وغيرها من الاشكال الهندسية ، كما قدروا الاحجام الاسطوانية والمهرمية ، واستخدموا في مبانيهم الاقواس والسقوف المقبوة •

وليس هناك من ريب في أن بناء الاهرامات — وأهرامات الجيزة بوجه خاص — انما يدل على أن التنفيذ لم يكن مرتجلا ، وانما كان قائما على نظريات هندسية وضع البنّاءون أسسها وقواعدها وتفصيلها المعمارية في ذلك العهد البعيد من أوائل عهد الدولة القديمة (حوالى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد) ، وقد أثارت معارف المصريين الميكانيكية — وبخاصة ما يتعلق منها بنقل الكتل الحجرية الضخمة ورفعها وإقامتها ، وفي مقدمتها المسلات — اعجاب العالم قديما ، وما زالت تثير مثل هذا الاعجاب حتى اليوم^(٨) •

وعلى أية حال ، ففي بناء الاهرامات — مثلا — تحتم على بنائتها أن يقطعوا الحجر الجيرى على مقاسات مضبوطة قبل وضعها في مواضعها المطلوبة ، وأكبر هذه الكتل هي التي رُتبت ترتيبا معقدا فوق المقبرة الملكية بمثابة دعائم لتحويل الضغط عن سقفها ، ويوجد من هذه الدعائم ٥٦ دعامة لسقف المقبرة الملكية في الهرم الأكبر^(٩) ، ويبلغ متوسط وزنها

(٨) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٩٠
(٩) يشغل الهرم الأكبر مساحة تقرب من ١٣ فداناً (٥٤ ألف متر مربع) ، وكان ارتفاعه ١٤٦ م ، تهدم منها تسعة أمتار منذ بضعة قرون فأصبح ارتفاعه الآن ١٣٧ مترا ، واستخدم البنّاءون في بنائه ، فيما يقال ، مليونين وثلاثمائة ألف كتلة حجرية ، وزنة الواحدة ٥ر٢ طنا ، وبعضها

٥ طنا ، وبلغت الدقة التي روعيت في بناء الهرم الأكبر ، درجة لا يمكن تصديقها ، يقول الاثرى الانجليزى « وليم ماثيوس فلنדרز بترى » (١٠) (١٨٥٣ - ١٩٤٢) عن ذلك :

« ان متوسط الخطأ في طول الجوانب - المتى تبلغ الواحد منها ٧٥٥ قدما - هو $\frac{1}{40.000}$ (واحد على أربعة آلاف) وهو خطأ يمكن أن ينشأ عن اختلاف في درجة الحرارة بمقدار ١٥ درجة مئوية بين قضبان النحاس المتى تستعمل في المقاس ، والخطأ في التريبع يبلغ دقيقة واثنى عشرة ثانية من الدرجة ، والخطأ في المستوى ٥ بوصات بين الجانبين ، أو ١٢ دقيقة ، أما الاطوال القصيرة التى تبلغ ٥٠ قدما ، فيبلغ الفرق ٠.٢ ر من البوصة» .

« وبلغت الدقة التى روعيت في ثلاثة توابيت من الجرانيت للملك (سنوسرت الثانى) (١٨٩٧ - ١٨٧٧ ق م) أن متوسط الخطأ فيها لا يعدو ٠.٠٤ ر من البوصة ، بخط مستقيم في بعض الاجزاء ، ٠.٠٧ ر من البوصة في أجزاء أخرى ، كما بلغ مقدار انحناء الجوانب ٠.٠٥ ر من البوصة في ناحية ، ٠.٠٢ ر من البوصة في ناحية أخرى ، أما متوسط الخطأ في نسب الابعاد المختلفة في الاعداد الزوجية فهو ٠.٢٨ ر من البوصة ، وهذا كله يشبه في دقته عمل صناع العدسات البصرية ، وليس عمل البنائين» .

هذا ويدل قطع الاحجار التى تطلب تركيب بعضها الى بعض معرفة

=
يزن ١٦٥ طنا ، ويتضمن الهرم الأكبر ثلاث حجرات كبيرة للدفن ، حجرة سفلية نحتت في باطن الصخر ، وثانية في باطن الهرم تعرف خطأ باسم «غرفة الملكة» ، وقد هجرتا ، ثم حجرة ثالثة بنيت بالجرانيت في منتصف الهرم العلوى ، دفن الفرعون فيها ، هذا ويصل بين حجرة الدفن الوسطى في باطن الهرم ، دهليز صاعد يعتبر آية من آيات الفن المعماري في عصره ، ويبلغ طوله ٥٣ قدما ، وارتفاعه ٢٨ قدما ، كسيت الاجزاء السفلى من جانبه بأحجار مصقولة ضخمة (محمد بيومى مهران : مصر - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ١٣٩ - ١٤٠) .
(١٠) أنظر :

W. M. Flinders Petrie, The Wisdom of The Egyptians, p. 89.

بالهندسة وقياس الاحجام ، كما يمكن للباحث أن يقول بحق ، انها تدل كذلك على احاطة بالهندسة الوصفية (قياس الاحجام) ذلك أنه لم يكن كافيا أن تحل مثل هذه المشاكل بطريقة عامة ، لانه يجب ارشاد قاطع الحجر الى الطريقة التى يجب اتباعها فى قطع كتل الحجر الجيرى ، وربما خللت تلك المعرفة تجريبية غير مرتبة ترقبيا ثابتا (١١) .

وعلى أية حال ، فليس هناك من ريب ، فى أن اقامة مثل هذه الابنية المنخفضة مذك ما يقرب من خمسين قرنا مضت ، انما يثير مشاكل فنية متعددة لم يتخـح كثيرا منها حتى الان ، فلا يزال مما يثير الفكر مثلا : كيف تمكن المعماريون على أيام خوفو ، صاحب الهرم الاكبر ، من ابتكار تصميم لهذا البناء ، وكيف تمكنت رعيته من اقامته ، ذلك أن أدواتهم الهندسية — بالعبارة ما بلغت من التقدم بالقياس الى أدوات الشعوب المعاصرة — كانت درجات كثيرة دون أدواتنا فى القرن العشرين بعد الميلاد .

والمواقع ان اهرام الجيزة عجيبة جدا ، لدرجة أن بعض العلماء الذين حاولوا كشف أسرارها وقعوا فريسة لنوع من الجنون ، فنسبوا الى بنائتها من المصريين القدامى ، أغراضا سحرية وميثافيزيقية ، ومعرفة بالغيب ، يستحق صاحبها من الاعجاب مايفوق الاعجاب بالمقدرة الهندسية التى توفرت دون شك لديهم (١٢) ، وعلى أية حال ، فلقد بنيت الازهرام وما هى قائمة فى الصحراء ، وهى أضخم حقائق العصور القديمة ، وأبلغ شاهد حتى اليوم على مقدرة بنائها ، وربما ظلت باقية بعد زوال معظم الابنية التى يفخر بها الانسان فى العصر الحديث .

وأيا ما كان الامر ، فالهرم الاكبر ، بكل المقاييس الهندسية ، ليس

(١١) جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩٨ - ٩٩ ، وانظر :
M. Baud, Les dessins ebauches de la Necropole Thepaine
au temps du Nouve Empire, IFAO, 1935.

(١٢) انظر : محمد بيومى مهران : مصر ١٩٢/٢ - ١٩٤ ، وكذا
J. P. Lauer, Le Probleme des Pyramides d'Egypte, Paris, 1948,
p. 113-160.

هو أعظم ما شيده المصريون من نوعه فحسب ، بل هو انما يمتاز أيضا بذلك الاتقان المعجز في هندسته ، والدقة في تخطيطه وجمال نسبه ، ومن ثم فقد كان ، وما يزال ، أهم عجائب الدنيا السبع ، لانه ، دونما ريب ، من المعجزات البنائية البشرية ، وليس من شك في أن رجال العمارة في العصر الحديث ، بكل ما أوتوا من أدوات ووسائل ، سوف يشفقون على أنفسهم أشد الاشفاق — وقد يترددون ، وربما يحجمون — ان نحن طلبنا اليهم أن يبنوا لنا هرما مثل هرم خوفو ، بالرغم من افادتهم من تجارب عصور قاربت آلافا خمسة من عمر الزمان ، ويقال ان اليابانيين فعلوها ، فلم يفلحوا (١٣) .

وليس هناك من ريب في أن «المسلات الجرانيتية» انما هي دليل آخر على عبقرية المهندس المصرى والتي لم نستطع التعرف عليها حتى الان ، ورغم ما كتب عن المسلات ، فمازال العالم يجهل أمور كثيرة ، لعل منها ، على سبيل المثال ، ما هو نوع الادوات التي استعملها المصريون في قطع الصخر البالى الصلود ؟ وكيف نقشت النصوص الهيروغليفية المطولة المعقدة على حجر الجرانيت الصلد ؟

هذا ويدل التحديد الواضح في أضلاع المسلة المصرية المقامة في باريس على مدى أناقة العمارة المصرية كما تدل إقامة المسلة نهائيا في العصور القديمة (منذ حوالى ٣٥ قرنا) على عظمة هندسية بالغة الدقة ،

(١٣) محمد بيومى مهران : مصر ١٩٠٢ ، هيرودوت يتحدث عن مصر ص ٢٥٢ ، جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩١ .
وعن بناء الاهرامات : أنظر :
أحمد فخرى : الاهرامات المصرية - القاهرة ١٩٦٣ ص ١٧ - ٣٤ ،
محمد أنور شكرى : العمارة في مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٧٥ -
٣٥٨ ، محمد بيومى مهران : مصر ١١٣/٢ - ١١٨ ، ١٣٩ - ١٤٠ ،
١٨٧ - ٢١٢ ، وكذا

W. M. F. Petrie, The Pyramids and Temples of Giza, London, 1883, p. 163 F.

I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, London, 1965. وكذا

S. Cyarke and R. Engelbach, Ancient Egyptian Masonry, London, 1930, p. 117-129.

مما يجعل المرء يتساءل : هل جرب المصريون هذا العمل في نماذج صغيرة أولا ، لكي يحددوا وزن المسلة ومحور ارتكازها واختبروا كذلك عملية الاقامة ليتحاشوا احتمالات الفشل ؟

وهناك في محاجر أسوان تركت مسلة في مكانها ، كانت تبلغ ١١٦٨ طنا في وزنها ، لو أنها قطعت ، ومعنى ذلك أنه كان في استطاعة المصريون أن يقيموا مسلات أضخم كثيرا مما هو معروف لنا في الغرب (مسلات الملاتيران والفساتيكان وباريس ولندن) وفي نيويورك ، بدليل أن مسلة أسوان أُنقل ست مرات من مسلة لندن ، ومع ذلك فقد تحدث الناس عن أعمال «(فوتانا)» عام ١٨٥٦ م ، و «(جورنيج)» عام ١٨٨١ م ، وكأنها أعجوبة الاعاجيب ، مع أن الرجلين لم يفعلا شيئا أكثر من تكرار جزء من العمل الذي سبقهما اليه المهندس المصري منذ آلاف السنين .

وعلى أية حال ، فلقد تضمنت مواضيع الهندسة المصرية طائفتين من المسائل : طائفة عملية يسيرة الحل والتطبيق ، اهتمت باستخراج المساحات والابعاد والحجوم ، ودلائف نظرية تطلب نصيبا من التخصص والمهارة .

هذا وقد تضمنت كراسات التلاميذ في التمرينات مسائل المساحة ، كمساحة المستطيل والمثلث والمثلث الناقص والدائرة ، ومساحتها (٤) ٢ من قطرها ، أى أن مساحة الدائرة تنقص تسعا عن مساحة المربع المساوى لها في أبعاده ، بمعنى أن مساحة الدائرة التى يبلغ قطرها ٩ ، تساوى مساحة مربع يبلغ طول ضلعه ثمانية فقط ، هذا وقد مارس القوم طريقة أخرى ناضجة في حساب الدائرة ، لم يدونوا تفاصيلها ، ولكن بعض الرياضيين المحدثين رأوا من تطبيقاتها العملية في الآثار المصرية الباقية ، أن نسبتها التقريبية لم تختلف عن النسبة الحالية غير اختلاف ضئيل ، وكانت تعادل ٣١٦٠٥ عوضا عن ٣١٤٢٨ الحالية .

وفي مساحة المثلث اتبع المصريون القدامى نفس النظرية الميسرة التى نهتدى بها حتى الآن ، وهى ضرب نصف مساعده فى ارتفاعه ، وبرروا نظريتهم بأن مساحة المثلث تساوى نصف مساحة المستطيل المشترك معه

في أبعاده ، وصاغوها صياغة عملية فقالوا : «إذا قيل لك أن مثلثا بلغ ارتفاعه العمودى ١٠ ، وقاعدته ٤ ، وطلبوا مساحته ، فهكذا يكون العمل : استخراج نصف الاربعة ، أى ٢ ، ثم اعتبر الشكل مستطيلا ، واضرب ١٠×٢ تستخرج المساحة» ، أى أن مساحة المثلث = القاعدة \times الارتفاع $\div ٢$

وأما في المثلث الناقص فكانت تحل مسائله على أساس :

القاعدة العليا + القاعدة السفلى \times الارتفاع ، ثم يقسم الحاصل على ٢ .

هذا وقد بلغ المصريون القدامى الذروة في تقدير حجم الهرم الناقص ، وابتدعوا له نظرية رياضية سهلة التطبيق ، تكاد تكون صورة أصلية لنظريته الرياضية المأخوذ بها حتى الآن وهى :

(مربع القاعدة العليا + مربع القاعدة السفلى + القاعدة العليا \times القاعدة السفلى \times الارتفاع $\div ٣$)

ويبدو أن كثرة التطبيقات العملية على أشكال الهرم الناقص ، في أعمال المهندسين المصريين هى التى ساعدتهم على ابتداع نظرية تقدير حجم الهرم الناقص البارعة ، فكثيرا ما كانوا يضطرون الى تقدير حجوم المسلات التى تشبه في هيئتها الهرم الناقص ، قبل وضع الجزء العلوى ذى الشكل الهرمى المدبب عليها ، لمعرفة وزنها التقريبي ، وتقدير مايلزم لها من رجال وأدوات لنقلها من محاجرها في أسوان ، والأبحار بها على متن النيل ، ثم أقامتها في مواضعها .

وقد وجدت في بعض المخطوطات مسائل تشير الى استخراج الزوايا والارتفاعات العمودية وهى مسائل متقدمة تشير الى مرحلة تخصص — على الاغلب — طبقة من المتعلمين الذين قطعوا مرحلة بعيدة ، ويزمغ تخرجهم في العلوم الهندسية وممارستهم لها ، فمنها مثلا مسألة تتطلب تقدير الارتفاع العمودى لشكل هرمى ، بعد تقدير طول قاعدته وزاويته ، وان كانت النتائج لم تكن دائما سليمة ، وخاصة فيما يتصل بالمساحات .

وأيا ما كان الامر، فلقد كانت الهندسة المصرية موضع تقدير الاغارقة
فرغم أنهم قد توصلوا الى نظريات رياضية جديدة بارعة ، منذ نشأت
مذاهبهم الرياضية في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، غير أن مؤرخيهم
وغلماستهم لم يترددوا في اعتبار الرياضيات المصرية أصلا لبعض
نظرياتهم وقوانينهم ، فلقد روى الفيلسوف الآثيني «افلاطون» عن
أستاذه «سقراط» (٤٦٩ — ٣٩٩ ق م) أن المعبود المصري «تحت» إنما
كان أول من اخترع نظام العد والهندسة والفلك ، وأكدت الروايات
الانغريقية أن «طاليس» إنما كان من أقدم من نقلوا أصول الهندسة
المصرية الى اليونان ، وأنه علم تلميذه «بيثاجوراس» كل ما يعرفه عنها،
ثم وجهه الى مصر ليتم دراسته الرياضية مع علمائها وكهنتها .

هذا وقد دعا «افلاطون» «حوالي ٤٢٧ — ٣٤٧ ق م» أحرار قومه
الى أن يتعلموا ما يتعلمه الناشئ المصري من فروع المعرفة ، وقد روى
لهم أن مصر جعلت تعليم الحساب متعة وقسرية ، وأن معلميها كانوا
يوزعون على تلاميذهم ثمارا وأزهارا ، ويطلبون منهم توزيعها على أفراد
يزيدون عنها في العدد تارة ، وينقصون عنها تارة أخرى ، ثم يوزعون
عليهم صحاها تتضمن أوزانا من ذهب ونحاس ونفضة ، ويطلبون منهم أن
يستعينوا بها في تمارينهم الحسابية ، وبهذه الوسائل — كما روى
«افلاطون» يتروى التلميذ المصري بخبرة حسابية طيبة ، يستعين بها في
ادارة شئون أسرته ، وفيما يسند اليه من أعمال حسابية في مستقبل
حياته الوظيفية ، كأن يقسم أرزاق الجنود في الجيش ، أو يقسم أرزاق
المعمال في المشروعات الكبيرة .

وانتهى الفيلسوف الآثيني (افلاطون) ، فعاب على معاصريه من
المفكرين الاغارقة ، ترفعهم المصطنع عن الاهتمام بفروع الحساب
وتضاياء ، ثم ذكرهم بفضل المصريين عليهم في معرفة حجوم الاشياء ذات
الطول والعرض والعمق ، وتحرير المصريين لهم من كثير مما كانوا يعيشون
فيه من جهل وسوء ادراك .

هذا وما زالت الدقة البالغة في المنشآت الهندسية المصرية القديمة ،

من أهرام ومعابد ومسلات ، تشجع بعض الباحثين المحدثين على الاعتقاد بأن ما عرف حتى الآن عن الرياضيات المصرية لا يمثل غير أقلها ، ولا يمثل غير أبسطها ، وهي في نفس الوقت تدل على مدى نضج العقل المصرى ، ومدى عبقريته^(١٤) .

(١٤) عبد العزيز صالح : تاريخ الحضارة المصرية ١/ ٥٩٢ - ٥٩٧ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٦ .

الفصل الرابع

الطب

١ - تقديم

كان للطب في مصر الفرعونية شأن عظيم ، كما كان الاطباء يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع المصرى القديم ، وكان ينظر اليهم نظرة ملوؤها التقدير والاحترام ، كما كانت لهم شهرة ملأت أسماع الدنيا ، فلجأ اليهم الحكام والامراء من كل مكان ، يلتصمون عندهم البرء والشفاء ، نذكر منهم على سبيل المثال الملك الفارسى الذى بعث الى فرعون يلتئم منه ان يأذن لأحد أطباء العيون من رجال بلاطه بالسفر الى فارس لمعالجته .

ويقول هيرودوت : «ان المدارس الطبية في مصر كانت في منتهى الشهرة ، والسمعة الطبية الطيبة ، كما أن رجاله الطب الذين تخصصوا في مختلف فروعها كان لهم صيت ذائع ، وأن الملوك والامراء والعظماء في البلاد الاخرى كانوا يستدعونهم لمعالجتهم» .

وجاء في «الاولديسة» أن رجال المهن الطبية في مصر على أعلى درجة من الذكاء الذى لم يصل اليه شعب من الشعوب» .

ثم يتحدث هيرودوت عن تخصص المصريين في فروع الطب المختلفة ، فيقول : «وينقسم الطب عندهم الى الفروع التالية : لكل مرض طبيب تخصص فيه ، وبلادهم كلها غاصة بالاطباء ، بعضهم متخصص في العيون وبعضهم في الرأس ، وبعضهم في الاسنان ، وبعضهم في الامعاء ، وبعضهم في الامراض الخفية» (١) .

وهناك من تراث المصريين بين أيدينا الان كتب في الطب تدل محتوياتها على معرفة في هذا العلم أذهلت أئمتة في العالم الحديث ، ذلك لانها حوت الكثير من النظريات المصادقة ، وألوان العلاج الناجحة والمبنية على ملاحظات واقعية وخبرات عملية ، والملم كبير بالتشريح ووظائف الاعضاء ، والمواقع أن ممارسة المصريين للتحنيط قد بصرتهم بطبيعة الجسم وأسراره ، ولقد يعاب على الطب في مصر الفرعونية أنه كان

(١) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١٩٠ - ١٩٢ .

مشوياً ببعض الخرافات والتعاويذ السحرية التى ترمى الى التخلص من الارواح الشريرة ، وتلك أمور لم تتخلص منها الدنيا حتى يومنا هذا^(٢) .

٢ - الطب والسحر

اختلف علماء السلالات فى النحو الذى تبعه الطب فى أول أمره ، فمنهم من رأى أنه بدأ عملياً تجريبياً تابعا لمقتضيات الحياة اليومية ، وأنه لم يصطبغ بالطابع السحرى أو الدينى ، الا عندما استيقظ ذهن الانسان فبدأ يتأمل فيما يحيط به ، على أن هناك فريقاً آخر انما ذهب الى أن الطب قد بدأ بالسحر والشعوذة ، قبل أن يصنف الملاحظات الواقعية .

غير أن المصرى القديم — على عكس الاغريق — كان بعيداً عن التفكير فيما وراء الطبيعة ، وعن النظريات الافتراضية ، واعتمد فى تشييد حضارته على تكديس الملاحظات الواقعية والافادة منها ، فأضاف بذلك خبرة عملية الى فطنته الغريزية ، سرعان ما أدت الى تناقض فى أساليب تفكيره ، لبقاء رواسب مختلفة من الفكر العتيق شابت ما حققته نزعة التجريبية ، وهذا المزاج العجيب سنصادفه كثيراً فى دراسة الطب المصرى القديم^(٣) .

وفى الواقع فلقد كان التعرف على التطبيق التجريبى من غير شك فى أول الامر ، ألجأته اليه الضرورة وتوارثته الاجيال فزادت عليه وأضافت اليه ، وكانت التفرقة بين العلاج الطبى الصحيح وبين السحر عسيرة ، فكان المرض من صنع الارواح يتطلب رقية ، الى جانب الدواء ، ومن ثم فقد كان الكاهن هو الطبيب الذى يباشر العلاج الطبى بالسحر والرقى والتعاويذ ، الى جانب ما يشير به من عقاير وأدوية ، بل انه كان يظن أن أعضاء الجسم تقع تحت تأثير بعض المعبودات ، فالاله «نو» للشعر ، و «رع» للوجه ، والالهة «حتحور» للعينين ، والاله «أنوبيس» للشفتين ،

(٢) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٩١ .

(٣) بول غليونجى : الطب عند قدماء المصريين — تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى ص ٥٢٣ .

و «تحتوت» للاعضاء ٠٠٠ وكانت هناك علاقة وثيقة بين بعض المعبودات والعقاقير ، فمثلا كانت «دموع حور» تتحول الى صمغ المر .

وكانت الرقى والتعاويذ تتلى عند تحضير الدواء وتعاطيه ، وتكتب أحيانا بنوع خاص من الحبر على البردى ، ثم ينقع هذا في الماء ويشرب المريض السائل بعد ذلك ، وعندئذ يقتضى الامر تلاوة تعويذة مطلعها : تعال أيها الدواء ، تعال واطرده من قلبى ومن أعضائى هذه ، فالرقى عظيمة المفعول في الدواء» ، وكانت الارواح الشريرة تسكن جسد الانسان ويمكن طردها بتلاوة بعض الرقى أو دهن الجسم ببعض الزيوت .

وكان الى جانب التعاويذ الخاصة التى ينبغى أن تقرأ على العقاقير المختلفة لتكسيبها القوة اللازمة ، فاننا نصادف أيضا استعمال الصيغ السحرية ، فمثلا عند نزع كل ضئاد كان من الواجب أن تتلى الصيغة التالية : قد خلص ، قد خلص بواسطة ايزة ، لقد خلصت ايزة حور ، من كل شر ، اقتطفه ست عندما قتل أباه أوزير ، أى ايزة ، أيتها الساحرة العظيمة ، خلصينى من جميع المساوىء الحمراء ، ومن مرض الآله ومرض الآلهة ، ومن الموت ، ومن العدو والمعدو اللذين يعترضانى ، كما تخلصت أنت ، وكما ولدت ابنك حور ، لانى دخلت النار ، وخرجت من الماء» .

وهكذا يمكن القول أن الطب قد ظهر ، أول ما ظهر ، متمشيا مع السحر ، والسحر ، ان أردنا ترجمة له من هذه الزاوية هو ، «علاج نفسى» ، ربما لم يكن هذا هو ما يقصد بالضبط من ممارسة السحر ، الى جانب الطب ، ولكن الاثر واحد ، ذلك لان السحر هنا — رغم عدم جدواه المباشرة — لون من ألوان الايحاء بالشفاء ، وكان يجب أن تتوفر في الطبيب الساحر صفات معينة كالمهارة والذكاء أحيانا ، أو تعرضه لاصابات معينة كالصرع — وهو من الظواهر التى كان يخفى عليهم تحليلها ، فيخالونها روحا تمسه تستطيع الاشفاء — أو غير ذلك ، ومن أجل ذلك نرى ارتباط الطب بالكهانة في أول الامر ، واصلطته في الوقت نفسه بحجاب من السرية ، لا ينفذ اليه الا المختارون .

ومع ذلك كله ، فالذى لا جدال فيه أن تراث المصريين الذى بين أيدينا من كتب ، وما ضمت من معرفة بالأمراض وتشخيصها والقيام بعلاجها ، ثم من أدوات الجراحة وطرق استعمالها ، إنما يدل على تقدم المصريين فى الطب عامة ، وفى فن الجراحة بخاصة — من بتر وجبر وخلع وختان وغير ذلك — تقدما لم يسبقهم فيه سابق ، ثم هم قد مهروا ، فضلا عن ذلك ، فى الطب الباطنى ، ووصفوا الكثير من الأمراض وصفا دقيقا يعتمد على الخبرة ، ويتسم بدقة الملاحظة ، بل يدل على قدرتهم على تشخيص الأمراض ، على أساس فهمهم العميق لوظائف أعضاء الجسم والمأمهم بالتشريح ، ثم هم قد عشقوا فنون الطب كافة ، فلم يقفوا فى جهودهم فيه عند حد ما قدمنا بل هم حاولوا معرفة نوع ما تحمل الانثى من جنين، كما توصلوا الى علاج تسويس الاسنان بالحشو ، وشد غير الثابت منها الى جاراته بأسلاك من ذهب ، كما اعتمدوا فى العلاج بوجه عام على الجراحة ، الى جانب استخدام العقاقير والمراهم وممارسة التدليك بمختلف أنواع الزيوت ، كل ذلك فضلا عن الاستعانة بالرقى والتعاويذ، كما فعلت بقية شعوب الارض •

وفى الحقيقة فإن تفوق المصريين القدامى فى علوم الطب أمر معروف، وقد وصلت الينا برديات كثيرة تدل بوضوح على تعمق المصريين فى شئون الطب وتنوع دراساته ، فهناك الطب البيطرى ، وهناك الطب الباطنى ، وطب أمراض النساء ، وطب الجراحة ، وطب العيون ، وطب الاسنان ، ومن ثم فلا غرو اذن ان امتلأت البلاد فى العصور المتأخرة من التاريخ الفرعونى بمراكز طبية ، كان يهرع اليها المرضى طلبا للشفاء ، بل ان فى وسعنا أن نقول أن وسائل العلاج قد انتقلت من المصريين الى اليونان ، ثم الى الرومان الى عصرنا الحاضر ، ولانزال حتى الان نجترع فى ثقة ، واطمئنان كثيرا من الادوية التى خلطها أطباء هذا الشعب العريق ، الذى عاش على ضفاف النيل منذ خمسة آلاف سنة (٤) •

(٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٧ ، أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٩١ ، محمد بيومى مهران : مصر ١٢١/٢ ، جورج سارتون : المرجع السابق ص ١١١ •

٣ - البدييات الطبية

لا ريب أننا لسنا في حاجة الى تأكيد قدم الطب المصرى ، ففى كل الحضارات يتطور الطب مبكرا ، لان الحاجة اليه عامة ملحة دائما ، بحيث لا يمكن اغفالها فى أية بقعة من بقاع الارض ، وليس هناك من شك فى أن المصريين قد مارسوا نوعا من الطب منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ ، فاستعمال الملائخيت - كحلا وطلاء للعين - مثلا انما يرجع الى عصر البدارى^(٥) ، وأن استعمال «الجالينا» (خام الرصاص) لاغراض مشابهة جاء بعد ذلك فى عصور ما قبل الاسرات أيضا ، وكان الخثان طقسا من طقوس المصريين منذ عصر سحيق دلت عليه آثاره فى الجثث، التى استخرجت من مقابر عصور ما قبل التاريخ (أى منذ حوالى عام ٤٠٠٠ ق.م)^(٦) .

هذا ويشار فى أكثر من مكان الى أن أول واضح لمجموعة دراسات طبية انما هو الملك «أثوتيس» ابن الملك «مين» (منى) مؤسس الاسرة الاولى المصرية (حوالى عام ٣٣٠٠ ق.م) ، وأن من بين ما وضعه من كتب ، كتاب خاص بالعقاقير الطبية ، وأن الملك «أوزيغايوس» حتى تقدما كبيرا فى علم التشريح .

غير أن أقدم طبيب مصرى معروف باسمه انما هو «ايمحوتب»^(٧) ، وزير الملك «نوسر» ثانى ملوك الاسرة الثالثة (حوالى عام ٢٧٠٠ ق.م) ،

(٥) أنظر عن «عصر البدارى وحضارته» : (محمد بيومى مهران : مصر ٢٤٧/١ - ٢٥٧ ، وكذا

G. Brunton and G. Caton-Thompson, The Badarian Civilisation and Predynastic Remains Near Baddri, London, 1928.

(٦) جورج سارتون : المرجع السابق ص ١١١ - ١١٢ .

(٧) وند «ايمحوتب» ، على الأرجح ، فى بلدة الجبلين ، على مبعدة ١٨ كيلا شمالى أسنا ، بمحافظة قنا ، وطبقا لنقش من وادى الحمامات يرجع الى الفترة ما بين عامى ٤٩٥ ، ٤٩١ ق.م ، فان اسم والد ايمحوتب هو «كا - نفر» ، وكان يعمل مديرا للاعمال فى مصر العليا والسفلى ، واسم أمه «خردو - عنخ» ، كما كانت زوجته تدعى «نفر - نبت» (محمد بيومى مهران : ١١٨/٢ - ١١٩) .

وكان «ايمحوتب» عالما وفلكيا وطيبيا ومهندسا معماريا وكبيراً لكهنة أون (هليوبوليس) ، وصار في العصور التالية معبوداً عند المصريين ، باعتباره بطلاً وطيبياً منزهاً عن كل شائبة ، ثم عبده بعد ذلك باعتباره الها للطب وأصفوا صفاته على «اسكليبيوس» ، ذلك أنه في القرن السابع قبل الميلاد زاد اتصال المصريين بالآغارقة ، وعندما وقف الآغريق على كتابات «ايمحوتب» في علوم الطب أبوا أن يصدقوا أن مثل هذا النابغة يمكن أن يكون بشراً ، كسائر الناس ، فألهوه واعتبروه رباً للشفاء ، كما اعتبروا أماكن عبادته من الأماكن التي يحج إليها المرضى ليكتب لهم الشفاء .

وفي عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، جلس ملوك البطالمة على عرش الكنانة ، وقد حاولوا — ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً — أن يظهروا أمام المصريين كفرأعنة ، وتعبدوا للالهة المصرية ، وكان «تحتوت» واحداً من هذه الإلهة ، وقد عبده تحت اسم «هرمس» الإله الآغريقي ، وبالتالي فقد عبدوا «ايمحوتب» كصورة من صور «تحتوت — هرمس» ، ثم سرعان ما أدخلوا عبادة المهرم «اسكلاب» (اسكليبيوس) رب الطب ، إلى مصر ، وتكون في النهاية معبود مصري — بطلمي، يملور في عقيدة الناس المهيمنة على العلوم والمعارف هو «تحتوت — ايمحوتب — هرمس — اسكلاب» ، ولعل أهم ما تبقى من صفات هذا المعبود صلته الكبيرة بعلوم الطب .

ومع أننا لا نعرف إلا القليل عن معلومات ايمحوتب^(٨) الطبية ، غير أن تأليه القوم له إنما ينطوي على معان واضحة ، تجعلنا مطمئنين إلى تقدير المصريين له بأنه أول رجل عظيم في الطب ، وينبغي أن يذكر أولئك

(٨) انظر عن : ايمحوتب (محمد بيومي مهران : مصر ١١٨/٢ — ١٢٢ — الاسكندرية ١٩٨٨ ، وكذا

K. Sethe, Imhotep der Asklepios der Egyptian, (Uters..., II, 4,) Leipzig, 1902.

J. B. Hurry, Imhotep, The Vizier and Physician of King Zoser, and afterward The Egyptian god of Medicine, London, 1928.

P. Gilbert, L'Histoire et la Légende d'Imhotep, Brussels, 1949.

F. Daumas, Le Vivification de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1956, p. 71-73.

الذين يزعمون بأن «هيبوقراتيس» أبو الطب ، انما يجيء فى منتصف
المفترقة الزمنية بين ايمحوتب وبيننا ، وفى ذلك ما يكفى لتعديل منظورهم
الى العلم القديم ، وكما يقول الدكتور محيى الدين الخرادلى — أستاذ
الجراحة بجامعة الاسكندرية — «ان طب الاغريق لم يكن مستحدثا ، بل
اقتبس كثيرا من الطب المصرى القديم ، حتى أنه يمكن اعتباره امتدادا
له ، فلو أن أقدم بردية طبية كتبت حوالى عام ١٩٠٠ ق م ، فان الدرجة
التي بلغت انما تدل على تطور طويل المدى يرجع على الاقل الى حوالى
عام ٣٠٠٠ ق م ، مما يجعلنا نجزم بأن الطب قد نبع من وادى النيل ،
ومن ثم فيجب أن نعتبر مصر — وليس اليونان — هى منبت الطب ، وأن
ايمحوتب — وليس اسكليبيوس — هو عبقرى الطب وسيد^(٩) » *

هذا وتحفظ المتاحف العالمية فى كل من باريس وليدن ولندن وبرلين
وتورين ببعض البرديات الطبية التى ألقت الضوء على دراسة الطب عند
المصريين القدامى ، وقد أخذت هذه البرديات اسمها من أسماء الذين
حصلوا عليها ، أو أسماء الأماكن التى توجد فيها الان ، ومن ثم فقد
أطلق عليها أسماء كاهون وادوين سمث وابيرس وهرست وبرلين
وتشستر بيتى وكارلزبرج ، وهناك مخطوطات أخرى فى مجموعات فردية ،
وهى لفائف ثائوية ، ثم هناك — من هذه الاوراق — تلك الثروة التى
لا تزال دفينة فى أرض مصر الطبية *

وكانت عملية النسخ تتم على يد الكتاب المحترفين ، وليس عن طريق
الاطباء ، وكانت تلك المخطوطات كثيرة التداول ، كما يظهر من بعض
العبارات الواردة على الهوامش مثل «جربت هذا ووجدته مفيدا» أو
«هذا طيب» ، مما يدل على أن المخطوط منقول بحذائره وهوامشه من
غيره ، اذ أن تلك الهوامش مدونة بخط الناسخ نفسه ، ولنتحدث الان
عن أهم البرديات الطبية :^(١٠)

.. --
(٩) محيى الدين الخرادلى : محاضرة نشرت فى سجل المحاضرات
العامة للموسم الثقافى ١٩٥٧/٥٦ لجامعة الاسكندرية *
(١٠) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى
٥٢٤/١ — ٥٢٥ *

١ - بردية ادوين سمث الجراحية :

ترجع بردية ادوين سمث الجراحية هذه الى منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد (حوالى عام ١٥٥٠ ق م) ، وقد اشترها «ادوين سمث» (١٨٢٢ - ١٩٠٦ م) عام ١٨٦٢ م من مدينة الاقصر ، وهى الان فى حيازة الجمعية التاريخية فى نيويورك ، حيث ظلت تفصيلات محتوياتها مجهولة ، حتى قام بنشرها وترجمة نصوصها العالم الأمريكى «جيمس هنرى برستد» فى عام ١٩٢٢ م ، ثم طبعت مرة اخرى فى عام ١٩٣٠ م كما قام الاستاذ الدكتور محمد كامل حسين بنقل هذه البردية الى اللغة العربية ، واعتبرها نقطة القبول فى تاريخ الطب بين فن العلاج وعلم الطب ، وكان طولها فى الاصل نحو ثمانية أمتار ، لم يبق منها الا ٥٨ ر٤ م تحتوى على ٤٦٩ سطرا .

وتحتوى على كتاب الجروح الذى يرجع اليه اهميتها الفائقة ، وعلى ظهرها دونت اشارة لعلاج امراض المستقيم وكتابة عنوانها «للبعاد هواء الحلاعون» ترخر بالتعاويذ ، واخرى لمرهم يعيد الشباب الى الشيوخ .

ويشمل الجزء الاول من البردية ٤٨ مشاهدة واقعية فى جراحة العظام والجراحة العامة ، مقسمة تبعا لتقسيم جسم الانسان من الرأس فالانف والفك وفقرات الرقبة وفقرات الظهر والاضلاع والصدر والترقوة والكتف والروح واليدين حتى العمود الفقرى ، ومن المرجح أنه كان يشمل كل أجزاء الجسم ، حيث أن آخر مشاهدة فيه ، وهى الخاصة بالعمود الفقرى ، تختتم بعباراة ناقصة .

ورغم ذلك فان البردية تمتاز بأنها تتناول حالات معينة بالوصف الاكلينكى الدقيق، وتبدأ بالعنوان ثم الكشف والتشخيص وطريقة العلاج ويقدم الدكتور الخردلى الحالتين السادسة والحادية والثلاثين كمثليين للوصف الاكلينكى الدقيق :

اما الحالة السادسة فقد جاء فيها : «أذا قمت بالكشف على رجل عنده جرح فى رأسه مخترقا الى عظامه ، متهشما جمجمته ، فاتحا مخه ،

فادخل أصبعك في الجراح ، فاذا تحصست هذه التلايف التي تشبه النحاس المضروب، وشعرت بالانتفاضات تحت أصبعك تشبه الانتفاضات التي تجدها في قمبة رأس الوليد قبل أن يتم نموها ، ولن تجد هذه الانتفاضات اذا لم يكن المخ قد فتح ، وستجد الدم يخرج من فتحتى أنفه وعنقه متيسرا ، كانت هذه حالة جرح في رأس هشمت جمجمته وفتحت مخه •

وأما الحالة الحادية والثلاثون : فحالة شلل رباعى جاء فيها : «اذا قمت بالكشف على رجل عنده خلع في فقرة رقبته ووجدته لا يحس بذراعيه وساقيه ، وذكره منتعصب يسيل منه دون أن يشعر ، فان خلعا في فقرة رقبته هو السبب في انه لا يشعر بذراعيه وساقيه ، أما اذا كان الخلع في الفقرات الوسطى من العنق انساب المزي من ذكره •

وفي الحالة الخامسة والاربعين ، وهى حالة سرطان الشدى نراه يقول: «اذا قمت بالكشف على رجل عنده ورم في يده ، فاذا وجدته كبيرا ممتدا صلبا كالفاكهة الفجة ، فقل هذا ورم ساكنه ، ولكن ليس له علاج» ، وفي الحالة الخامسة والعشرين ، وهى حالة خلع الفك الاسفل يقول : اذا فحصت رجلا في فكه الاسفل خلع ، وكان الفم مفتوحا لا يستطيع أن يغلظه ، فضع ابهاميك على طرفى غرعى الفك من الداخل ، وأصابع اليدين تحت الذقن ، ثم ارفعه الى الخلف ، فيعود الى مكانه» •

ويمتاز هذا الجزء الاول من البردية بدقة الملاحظة والخلو من النظريات والسحر والشعوذة التي تزخر بها المؤلفات الاخرى ، وربما كان ذلك لانه يتناول جروحا يسببها فعل خارجى معروف ، لا أمراضا ذات أسباب خفية يمكن ارجاعها الى الآلهة والارواح ، ويذهب «برستد» الى أن هذا الجزء من البردية انما هو أقدم ما كتب عن الجراحة في العالم كله ، وقد أحدث ضجة كبيرة في المجال الطبى عند ظهوره ، هذا فضلا عن أن المختصين في تاريخ الطب انما يعتبرونه نقطة التحول بين فن العلاج وعلم الطب ، ذلك لان محتويات البردية انما تثبت أن مؤلفها لم يكن شخصا يؤمن بالسحر أو الكهانة ، بل كان طبيبيا يراقب مرضاه الليالى

الطوائف ، ويرقب وييبوب ما يلاحظ عليهم أثناء المرض ، بل انه كثيرا ما كان يشرح الجسم بعد الوفاة لمعرفة السبب •

ويذهب الدكتور حسن كمال الى أن عهد تسجيل البردية قديم ، ذلك لان أسلوبها وقواعدها اللغوية انما ترجع الى عهد الدولة القديمة ، ولعله في ذلك انما كان متأثرا بما ذهب اليه «برستد» من أن كاتب البردية ربما كان «ايمحوتب» أو غيره ممن تلقوا العلوم عن الكهنة ، على أن هناك من يذهب الى أن كاتب البردية انما كان جراحا عسكريا حصل على معلوماته من احدى الحروب ، وربما حرب التحرير ضد الهكسوس •

على أن الدكتور محمد كامل حسين — استاذ جراحة العظام ومدير جامعة عين شمس الاسبق — انما يذهب الى أن كاتب البردية (وكان قد نقلها الى العربية) لم يكن أبدا جراحا عسكريا ، ذلك لان ظروف الحرب لا يمكن أن تسمح بملاحظة الجريح مدة كافية ، والاشراف الكامل على تطور حالته ، ولما كانت الاصابات المذكورة في البردية من النوع الذى قد يتسبب عن سقوط من ارتفاع شاهق ، فقد بدا مؤلفها ، كما لو أنه قد عاصر بناء أحد الاهرامات التى كان يستغرق تشييد الواحد منها ما يقرب من ثلاثين عاما ، والتى كان العمال يصابون بلاشك أثناء العمل بها باصابات مختلفة ، وبما أن هذه الحوادث كانت تقع في أزمنة متباعدة يسمح تباعدها بالتأمل والتأويل ، وتتبع حالة كل مصاب ، فان الدكتور محمد كامل حسين انما يرجح أن يكون مؤلف البردية قد اشترك في بناء أحد هذه الاهرامات •

هذا ويحدد لنا الدكتور بول غليونجى — الاستاذ بجامعة عين شمس سابقا — الالوجه الجديرة بالاعجاب في هذه البردية ، والتى منها (أولا) معرفة بالتشريح غير ميسورة في ذلك الزمن ، فان اللفظ الدال على «المخ» ورد بها — لأول مرة في التاريخ — في عهد لم يكن فيه لهذا العضو تسمية في أية لغة من لغات العالم ، كما ورد ذكر الكيس المغلف له ، وفي هذا إشارة صريحة للام الجافة والام الحنون ، وهما غشاء المخ ، أما المنبذ الخاصة بالعظام والفقرات فهي عديدة ، ومنها (ثانيا) الدقة في

الفحص ، وصحة تفسير العلامات الاكلينيكية ، الامر الذى لا يمكن تحقيقه الا بمعرفة سليمة لقواعد فسيولوجية أساسية ، فلقد عرف صاحب البردية معنى قرقرة العظام تحت اليد ، واستعان بها فى التفارقة بين الكسر والمزج ، الذى قال عنه بحق انه اصابة للاربطة ، دون تغير فى وضع العظام .

ومنها (ثالثا) الاهمية القصوى التى أعيرت للنبض فى معرفة حالة المريض وحالة القلب ، وقد جاء فى أول الكتاب نبذة طويلة عن الشرايين والنبض ومحل جسه ، ومن عباراتها التى أثارت بعض الجدل : « ان فحص المريض يشبه (عد أو قياس) مرض شخص لمعرفة وظيفة قلبه » ، وقد رجح «برستد» أن هذا التعليق انما يشير الى عد النبض ، فاذا صح ما ذهب اليه «برستد» ، فان صاحب البردية يكون قد سبق «أبقراط» (٤٦٠ — ٣٧٠ ق م) ، والمعروف بأبى الطب ، و «ديموقريط» ، اللذين لم يذكر اعد النبض ، بألفى سنة أو تزيد ، وقد لا يكون من مجرد الصدفة أن أول من عده انما كان «هروفيولوس» والذى عاش فى الاسكندرية وزاول مهنة الطب فيها فى النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد ، حيث كانت علاقة القلب بالنبض قد عرفها المصريون منذ حوالى ٢٥٠٠ سنة ، وكانت المزاوالمائة معروفة منذ زمن ، وربما كان عد النبض هذا سرا من الاسرار التى أخفاها العلماء المصريون القدامى عن «أبقراط» وغيره من الزوار الاغريق .

ومنها (رابعا) عدم الاكتفاء بدقة الوصف الماحلى للاصابة ، بل الربط بين ظواهر متلازمة فى أجزاء متباعدة من الجسم ، تكون منها — لأول مرة فى التاريخ — صور اكلينيكية مميزة ، وقد قيل أن «جالينوس» (١٣٠ — ٢٠٠ م) هو أول طبيب حقق هذا التقدم فى التفكير الطبى ، غير أن طبيينا العبقري هذا قد سبقه بسبعة عشر قرنا ، ومن أمثلة تلك المتلازمات التى وصفها صاحب البردية ، اصابات العمود الفقرى المصحوبة بالشلل والتبول غير الارادى ، والاستثناء ، مع تخصيص الاستثناء باصابة فقرات الرقبة الوسطى ، والربط بين كسور عظمية

الصدغ والصمم ، وبين اصابة ناحية من المخ والشلل النصفى ، ومنها (خامسا) اهتمامه بتتبع أطوار المرض للوصول الى التشخيص وللتكهن بالمآل ، ومنها (سادسا) أن صاحب البردية انتقل من التشخيص الى التكهن بالمآل ، فيقول : ان مآل كسور الجمجمة سيء ، اذا كان المسخ لا ينبض تحت اليد ، أو اذا كان العظم منخفضا داخل المخ ، أو اذا لوحظ تصلب في الرقبة ، أو نزف من الانف أو الاذن أو تحت الملتحمة ، وكلها علامات حدوث مضاعفات معروفة تزيد فعلا من خطورة الاصابة .

ومنها (سابعاً) دقة وصف التبريكات العلاجية ، كوصف كيفية اعادة جزئى التربة المكسورة الى محلها ، وتلك هى الطريقة التى قال عنها عميد المختصين الدكتور محمد كامل حسين : ان العلم الحديث لم يصل الى أحسن منها ، وأنها تؤدى الى درجة تامة من الشفاء ، ومنها (ثامناً) تبين المعدات الجراحية التى كان يستعين بها المؤلف فى العلاج (١١) .

٢ - بردية ايبوس :

تعد بردية ايبوس هذه أشهر البرديات الطبية وأطولها ، وقد عثر عليها فى الاقصر عام ١٨٦٢م ، وحصل عليها الاثرى الالمانى «جورج ايبوس» (١٨٣٧ - ١٨٩٨م) من «أدوين سمث» ثم نشرها عام ١٨٧٥م كما قام «الترفرينزسكى» (١٨٨٠ - ١٩٣٩) بنشر أربعة أجزاء من

(١١) أنظر : حسن كمال : الداء المصرى القديم ٣٨٧/٤ - ٥٥٦ (القاهرة ١٩٦٤) ، بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ٥٢٥/١ - ٥٢٩ ، سحر وديب - القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٣ - ٦٤ ، جورج سارتون : تاريخ العلم ص ١١٤ - ١٢٠ ، احمد فخري : الموسوعة المصرية ١٥٢/١ - ١٥٣ ، نجيب ميخائيل : المراجع السابق ص ٤٦٥ - ٤٦٦ ، محمد كامل حسين : متنوعات - القاهرة ١٩٥١ ، وانظر له أيضا :

The Edwin Smith Papyrus, The Oldest Surgical Treatise in The World.

J. H. Breasted, The Edwin Smith Surgical Papyrus, 2 Vols, وأنظر
Chicago, 1930.

II. Grapowet, Grundriss Der Medizin Der Alten Aegypter, وكذا
1958-1960.

G. Lefebvre, La Medicine Egyptienne de L'Epoque Pharaonique, وكذا
1956.

البردية عام ١٩١٣ م ، كما قام «ب. ابل» عام ١٩٣٧ م بنشرها أيضا ، كما قام «هرمان جرابو» وزملاؤه بتحليل هذه البردية وغيرها في دراسة من ثمانية أجزاء (١٩٥٨ — ١٩٦٠) ، كما قام «جوستاف لوفيفر» عام ١٩٥٦ م بدراسة للبردية مع غيرها .

ويبلغ طول هذه البردية ٢٣.٢٠ مترا ، وعرضها ٣٠ سم ، ونصها في ١٠٨ عمودا ، يحتوى كل منها على ٢٠ أو ٢٢ سطرا ، وقد أهمل الكاتب ذكر الرقمين ٢٨ ، ٢٩ ، بينما أعطى العمود الأخير رقم ١٠ ، وتحتوى البردية على ٨٨٧ وحشة طبية لاثنا عشر متعديدا من الامراض أو أعراضها ، ومنها اثنتا عشرة علاجها الرقى .

ويرجع تاريخ البردية الى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، ذلك لانها تحمل تاريخ السنة التاسعة من عهد الملك «أمنحتب الاول» (١٥٥٠ — ١٥٢٨ ق.م) ، ثانيا ملوك الاسرة الثامنة عشرة ، غير أن دراستها من الناحية اللغوية لا تترك مجالا للشك في أن كاتبها قد جمع مادته من عدة برديات طبية من عهد الدولة الوسطى (٢٠٥٢ — ١٧٨٦ ق.م) ، وربما قبل ذلك ، وقد جاء باحدى عباراتها أنها منسوخة في عهد الاسرة الاولى (حوالى ٣٣٠٠ ق.م) ، وجاء بأخرى أنها من عهد احدى ملكات الاسرة السادسة (حوالى ٢٤٢٠ — ٢٢٨٠ ق.م) .

هذا وبردية ايبرس هذه ليست كتابا طبيا مقسما الى أبواب وفصول ، ولكنها عبارة عن مجموعة مؤلفات وبحوث في مواضيع من أكثر من أربعين مصدرا مختلفا تتناول بعضها وصفات طبية لبعض الامراض وطريقة فحصها ومعالجتها ، ومن بينها عدد كبير من أمراض النساء ، كما نجد فيها الكثير من التعاويذ السحرية التي ذكر عنها صاحب البردية أنها تنفع في شفاء بعض الامراض وطرد الارواح الشريرة التي سببتها ، هذا وقد أثبتت دراسة هذه البردية أن بعض أجزاء منها مقتبسة من مؤلف طبي كبير نجد أجزاء منه في برديات أخرى ، مثل بردية أدوين سمث ، وبردية كاهون ، ومعظم ما اقتبس في هذه البردية إنما يتصل بأمراض المعدة

ووظيفة القلب وأوعيته والعمليات الجراحية الخاصة بالاورام والبثور
والدمامل •

هذا وقد وصلت البردية الى الكاتب ففسخها حسب ترتيب وصولها ،
ويمكن حصرها لاعطاء فكرة عن علم هذا الوقت ومدى التخصص فيه ،
ويشمل : ١ - توسلات الآلهة ، ٢ - الامراض الباطنة وعلاجها ، وهو
أول مؤلف في تاريخ العالم يعالج سر الحياة بتأملات فلسفية غير دينية
أو سحرية ، ولو أنه يرد أغلب الامراض الباطنة الى أسباب روحانية ،
٣ - وصفات لامراض العيون ، ٤ - وصفات لامراض الجلد وللتجميل
وللزينة وانماء الشعر ، ٥ - وصفات لامراض الاطراف ، ٦ - وصفات
مختلفة لعدة أمراض في الرأس والاسنان ، ٧ - أمراض النساء وعلاجها
٨ - مؤلفات عن القلب والمشرابين ، وهما المؤلفان الوحيدان اللذان وصلا
اليها في علمي التشريح ووظائف الاعضاء ، ٩ - الامراض الجراحية
وعلاجها ، وهذا الجزء لم يتناول الجروح ، وانما اقتصر على الاورام
والخراج •

وقد حوت البردية ٨٧٧ وصفة ، بعضها عن كيفية التشخيص ، وبعضها
مقرون بالعلاج ، وبعضها اشارات علاجية ، ومن الاوصاف الاكلينيكية
تعرف «اييل» على خمسة عشر مرضا ، منها المتورم والاستسقاء والقيلة
المائية والجزام ، غير أن علماء اللغة لم يرضوا عن كل ترجماته وتفسيراته
اذ أن تلك الاسماء لم يصحبها وصف يبرر هذه الترجمة ، مما أدى الى
أن يذهب البعض الى أنه قد تجاوز الحدود المعقولة في التفسير •

ولنذكر الان بعض الاوصاف الاكلينيكية التي جاءت في البردية :

١ - ففي تعليمات خاصة بورم الاوعية يقول : اذا فحصت ورما
في الاوعية في طرف من الاطراف ووجدته نصف كروي يتضخم تحت
يدك كل مرة (أى ينبض) ولكنه اذا فصلته عن بقية الجسم لا ينبض
وبهذا لا يمكنه أن يتضخم وأن ينكمش ، فقل عنه : انه ورم في وعاء ،
انه مرض سأعالجه ، وان الاوعية هي التي سببته ، وقد نشأ عن اصابة
للاوعية •

وهذا وصف صحيح — كما يقول الدكتور بول غليونجى — لورم شريانى ولميزاته ، وهو أنه ينبض ، وأن النبض يتوقف اذا فصل بينه وبين الوعاء الاصلى ، كما أن نشأة تلك الاورام من اصابات الاوعية ذكرت صراحة ، وأن وصول النبض اليه من الشريان فوقه عرف أيضا •

٢ — وفى وصف للذبحة الصدرية يقول : اذا تفحصت مريضاً بالمعدة يشكو آلام فى ذراعه وصدره وناحية من معدته ••• فقل بصده: هذا شيء (أى روح) دخل من فمه ، والموت يهدده •

هذا ولا تقتصر أهمية موسوعة ايبرس على الاوصاف الاكلينيكية التى جاءت بها ، اذ أنها تعتبر أيضا مرجعنا الاساسى فى علم عقاير المصريين ، وفيما يسمى الان المادة الطبية (١٣) •

٣ — بردية برلين الطبية :

حصل على هذه البردية «بسالكا» من مقبرة بسقارة فى القرن التاسع عشر ، ويرجع تاريخها الى أيام الاسرة التاسعة عشرة ، وربما قبل ذلك ، الى عام ١٣٥٠ ق م ، وطولها ١٦ ر ٥ مترا ، وتحتوى ٢١ لوحا أو عمودا ، ومتوسط تعداد كل عمود ١١ سطرا ، وهناك ثلاثة أعمدة على ظهرها ، والمكتوبة غير سليمة ، ومليئة بالاطعاء ، وتحتوى البردية شرحا مطولا عن القلب والاعوية ، وهو يماثل ثاتى كتابى بردية ايبرس فى هذا الموضوع ، وان ذيل بنبذتين ، احدهما : عن أصل هذه الكتابة ، وهو أكثر تفصيلا مما جاء فى بردية ايبرس ، وثانيها : تعد امتدادا وتوسعا لما ورد فيها ، ويمكن وضع هذا الجزء فى مستوى أعلى مما جاء فى لفاقتى هرست وايبرس •

(١٢) أحمد فخري : الموسوعة المصرية ١٥٣/١ ، حسن كمال : المرجع السابق ٢٠١/٤ — ٢٨٥ ، بول غليونجى : سحر وطب ص ٤٥ — ٥١ ، تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٢٦ — ٥٢٧ ، جورج سارتون : المرجع السابق ص ١١٢ — ١٢٠ ، وكذا

E. Ebbell, The Ebers Papyrus, Copenhagen, 1937.

W. Wreszinski, The Text of Papyrus Ebers, Leipzig, 1913.

G. Ebers, Der Papyrus Ebers, 1875.

N. Riad, la Medecine au Temps des Pharaons, Paris, 1955.

وكذا

وكذا

وكذا

وأغلب العقاقير في بردية برلين هذه نباتية وحيوانية ، وبها باب عن الروماتيزم ، غير أن البردية مليئة بالاطعاء ومظاهر الابهمال ، وأقل مدعاة للاهتمام ، وقد نقل نصوص البردية من المهرراطيقى الى المهروغليفى الدكتور «والتر فريزنسكى» ، كما كتب عنها «جوستاف لوفيفر» ، وكذا «وارن دوسون» ، ثم «هرمان جرابو» وزملاؤه (١٣) .

٤ - بردية تشستر بيتى الطبية :

والبردية محفوظة بالمتحف البريطانى فى لندن (برقم ١٠٦٨٦) ، ويرجع تاريخها الى الاسرة الثامنة عشرة وهى عبارة عن ثمانية ألواح وعمد يحوى كل منها ١٤ سطرا ، وبعض العمود الثامن مفقود ، وهى صغيرة الحجم بالنسبة للبرديات الطبية الاخرى ، فبردية ايبيرس تحوى ١١٠ لوحا ، وبردية هرست ١٨ لوحا وبردية برلين ٢٤ لوحا ، وبردية ادوين ٢٢ لوحا ، ولا يبعد أن كان الجزء المفقود منها كبيرا ، وعلى أية حال ، فهى تحوى ٤١ وصفا لأمراض الشرج ، فضلا عن بعض التعاويذ السحرية ، كما يوجد على أحد وجهيها عدد من الوصفات لعلاج أمراض المستقيم (١٤) .

٥ - بردية كارلنبرج :

وهى عبارة عن قصاصات بردية مهلهلة موجودة بمعهد الآثار المصرية ،

(١٣) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٥٧ - ٥٩١ ، وكذا
H. Grapowet, Grundriss Der Medizin Der Alten Agypter, IV-
and IV, II, 1958-1962.

وكذا W. Wreszinski, The Text and Translation of Pap. Berlin
(3038), 1909.

وكذا W. Dawson, Magician and Leech., 1929.

وكذا G. Lefebvre, la Medicne Egyptienne de L'Epoque Pharaon-
nique, 1956.

(١٤) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٥٦ - ٦٦٥ ، وكذا
A. H. Gardiner, Hieratic Papyri in The British Museum, Third
Series : Chester Beatty, 2 Vols, London, 1935.

وكذا F. Jonkhoeere, le Papyrus Medical Chester Beatty, in La
Medecine Egyptienne, II, 1947.

وكذا H. Grapowet, Op-Cit,

بجامعة كوبنهاجن بالدانمارك اعتنى بها الدكتور «إبشر» ، وعليها نصوص ترجع الى عهد الاسرتين التاسعة عشرة والعشرين ، وربما الى حوالى عام ١٢٠٠ ق م ، ويحوى صدرها وصفات عن أمراض العيون ، تكاد تكون مطابقة لما جاء فى بردية ايبرس ، وأما ظهرها فيحوى وصفات عن أمراض النساء ، كما حوت البردية بيانات عن انذار الوضع ونوع الجنين تداولتها الاهم فيما بعد ، كما لفت نظر الاثاريين والاطباء الاراء العديدة التى أبدأها قدماء المصريين عن الحمل وجنس الجنين ، وأثرها على الطب الاوروبى (١٥) .

٦ - بردية كاهون :

اكتشفت هذه البردية فى مدينة اللاهون بالفيوم فى ابريل ١٨٨٩م ، وطولها متر ، وعرضها ٣٢ سم ، ومكونة من ثلاث صفحات ، ويرجع تاريخها الى حوالى عام ١٩٥٠ ق م ، وقد دون على ظهرها حساب من عهد الملك «أمنمحات الثالث» (١٨٤٣ - ١٧٩٧ ق م) من الاسرة الثانية عشرة ، وهى ليست فقط أقدم اللقافات فى تاريخ نسخها ، بل ان أصلها يبدو أيضا أقدم من أصول اللقافات الأخرى ، وتتكون البردية من قسم طبى ، وقسم بيطرى ، وقسم خاص بحل بعض المسائل الحسابية ، وقد كتبت بالمهرايقية ، فيما عدا الجزء البيطرى فقد كتب - لامر ما - بالمهروغليفية ، وهو خط كان فى الغالب وقفا على الكتابات الدينية .

ويقع القسم الطبى فى ثلاث صفحات ، الاولى متأكلة ممزقة رُممت فى عهد قديم ، بلصق قطع من لقافات بردية أخرى على ظهرها ، والثانية فى وسطها ثقب كبير ، وليس بها سوى سبعة أسطر كاملة ، وأما الثالثة فقد أعيد تكوينها من ست وأربعين قطعة متناثرة ، وتضم الصفحتان الاوليان سبعة عشر تشخيصا ووصفة فى أمراض النساء ، ولم يذكر أى اجراء جراحى ، وانما اکتفى صاحبها بوصف العقاقير مثل الجعة واللبن

(١٥) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٨٥ - ٦٨٦ ، وكذا Erik Iversen, Carlsberg VIII, With Some on The Egyptian Origin of Some Popular Brith Prognosis, Kobenhavn, 1939.

والزيت والبلح ، وبعض الاعشاب ، فضلا عن العلاج بالغسيل والتبخير
المهبلى •

وتحوى الصفحة الثالثة سبع عشرة علامة لتمييز العقيمات من بين
النساء ، فضلا عن المتكهن بجنس الجنين ، فمثلا لمعرفة خصب المرأة ،
عليها أن تجلس فوق بقايا جعه ٠٠٠ ، فان تقيأت كانت خصبة ، والا
كانت عقيما ، كما تدل عدد مرات القيء على عدد من ستنجبهم من الاولاد
ويبدو أن كل الاشارات الخاصة بمعرفة العقم مبنية على نظرية أن هناك
اتصالا بين المهبل وبقية الجسم في حالة الخصب ، وقد أوضحت هذه النظرية
بوصفة : وضع لبوس من الثوم في المهبل ، ثم ملاحظة رائحته في الفم ،
إذا كانت المرأة خصبة •

وقد استعمل الاغريق نفس الطريقة ، ووصفها «ابقراط» في كتابه
«الفصول» ، وبقينا أنه اقتبسها من المصريين ، ثم توارثها أطباء الغرب ،
ثم الافرنج حتى استعملت في أوروبا في العصور الوسطى ، ورغم أنها
طريقة خيالية فقد ذهب الدكتور أحمد عمار بعدم استبعادها دون تجربتها
فقد لاحظ أن الخصيبات من النساء يشعرن في فمهن بطعم الثوم بعد
حقن «الليبودول» في الرحم ، نتيجة انتقال اليود الموجود في الليبودول
من الرحم الى التجويف البريتونى ، ومنه الى الرئة ، إذا كان البوقان
سالكين •

هذا وتعتمد بعض الاشارات الخاصة بالولادة على حالة الثديين
وقوامهما ، أو على لون البشرة والعينين ، وما نزال نرى بعض الحموات
يتحسسن ثديي زوجة الابن ، ويترقبن ظهور البقع السمراء على الوجه
عند أول حدوث الحمل (١٦) •

(١٦) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٤٨ - ٦٥٧ ، بول غليونجى :
المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٥ ، وكذا
F. L. Griffith, Hieratic Papri from Kahun and Gurab, 1898, p. 5-11.
H. Grapow, Op-Cit, IV, 1-2. وكذا

٧ - بردية لندن الطبية :

توجد هذه البردية في المتحف البريطاني في لندن (برقم ١٠٠٥) ، بعد أن نقلت اليه من المتحف الملكي بلندن في عام ١٨٦٠م ، ويرجع تاريخها الى النصف الثاني من الاسرة الثامنة عشرة ، وقد ظن البعض من قبل أنها كانت ترجع الى الاسرة الرابعة ، لأن أحد الرقى ذكرت الملك «خوفو» - صاحب الهرم الاكبر - غير أن فحص الاسلوب والخط انما يدل على أنها من عصر «رعسيس الثاني» (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق م) ، وان كان هذا لا يمنع أنها - كغيرها من البرديات الطبية - ترجع الى عهد قديم ، وهي على أية حال ، مكتوبة بخط رديء تصعب قراءته ، كما أنها خاصة بالتعاويذ السحرية التي تنفع في شفاء بعض الامراض .

ومن ثم فالبردية بمثابة وسيط بين كتب الطب السابقة ، وبين بعض كتب الرقى ، مثل «تعاويذ الام والطفل» و «كتاب السحر» الموجود في «تورينو» ، وقد وردت بها ٦١ وصفاً ، منها ٢٥ فقط طبية ، والباقي تعاويذ ، والبعض منها من أصول ليست مصرية ، هذا وقد نقل نصوصها من الخط الهيراطيقى الى الخط الهيروغليفي «والتر فرينسكي» ، كما ترجم النصوص وشرحها ، كما ترجم لها «هرمان جرابو» وزملاؤه ، كما قدم لها الدكتور حسن كمال ترجمة بالعربية (١٧) .

٨ - بردية ليدن :

توجد هذه البردية بمتحف ليدن في هولندا ، وتمتاز بأن مؤلفها ذكر عدداً من المواعيد للموقاية من الأمراض ووقف تطورها ، كما ذكرت أيضاً وسائل منع انتشار العدوى ، وقد ترجم لهذه البردية «جرابو» وزملاؤه ، وهي الترجمة التي نقلها الى العربية الدكتور حسن كمال (١٨) .

(١٧) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٤٤ - ٦٤٧ ، وكذا H. Grapowet, Op-Cit, IV, W. Wrcszinski, The Text and Translation of Papyrus London, 1912. وكذا

(١٨) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٧٦ - ٦٧٨ ، أحمد فخرى : الموسوعة المصرية ١٥١/١ ،

H. Grapowet, Op-Cit, IV, 1-2, 1958.

٩ - بردية هرس :

عثر على هذه البردية فلاح من دير البلاص (مركز نقادة بمحافظة قنا) في ربيع ١٩٠١م ، ثم سلمها الى الدكتور «جورج رايزنر» (١٨٦٧-١٩٤٢) الذى كان مشرفا على حفائر السيدة «هرست» (١٨٤٢ - ١٩١٩) في دير البلاص ، والمتى نسبت البردية اليها ، ثم أهدتها الى متحف جامعة كاليفورنيا ، وقد قام الدكتور «كورت زيت» (١٨٦٩ - ١٩٣٤م) ببحث البردية بحثا مبدئيا ، ثم ترجم رؤوس وصفاتها ، وفي عام ١٩١٢م قام «والتر فريزنسكى» بنقل نصوصها من المهيروطيقية الى الهيروغليفية ، ثم ترجمها وشرحها ، وفي عام ١٩٣٠م قام «هنرى لوتز» ، مع (Dr. Ch. D. Leake) نائب عميد جامعة تكساس بترجمة البردية .

وعلى أية حال ، فرغم تمزق حواف هذه البردية ، فانها محفوظة جيدا وبها ٢٦٠ فقرة ، تقع في ١٨ صفحة ، وردت منها ٩٦ فقرة في بردية ايبيرس ، وتؤرخ ، على الأرجح ، من أيام «تحتشمس الثالث» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) ، وأكثر ما فيها منقول عن الكتاب الاصلى الذى نقل عنه جامع محتويات بردية ايبيرس ، وان فاققتها في بعض فقراتها (١٦) .

٤ - المدارس الطبية

كان لدراسة الطب في مصر الفرعونية قواعد ملزمة ، وقد رأينا من قبل مؤلف بردية ايبيرس يشير الى أنه تلقى علومه في أون (هليوبوليس) قبل أن يتجه الى «ساو» ، حيث يقول «انى قد تخرجت من هليوبوليس مع امراء البيت الكبير ... انى تخرجت من «ساو» في صحبة أمهات الآلهة ، وقد أسبغن على حمايتهن ، وذلك لكى أطرد جميع الامراض» ، وليس هناك من ريب في أن هذا دليلا على أن هناك مدارس طبية كانت

(١٩) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٩٥ - ٦٠٥ ، أحمد فخرى : الموسوعة المصرية ١٥١/١ ، وكذا
W. Wreszinski, The Text and Translation of Pap. Hearst, 1912.

B. Ebbell, The Papyrus Ebers, 1973.
H. Gropowct, Op-Cit, IV, a and b, 1958.

وكذا
وكذا
وكذا

في كل من هليوبوليس وسائيس وغيرهما من المراكز الثقافية في مصر القديمة •

وعلى أية حال ، فليس هناك من ريب في أن نشأة المدارس الطبية في مصر الفرعونية إنما يرجع إلى عهد الأسرة الأولى (حوالي ٣٣٠٠ ق م)، وبعض هذه المدارس قد بلغ شهرة كبيرة ، لعل من أشهرها مدرسة «أون» (هليوبوليس) ، ومدرسة أنشئت في «ساو» (سائيس = صا الحجر) للموليدات اللاتي كن يقمن بدورهن بتدريس علم أمراض النساء للأطباء أنفسهم ، ثم مدرسة «أيمحوتب» في منف ، التي زادت شهرتها مكتبتها ، والتي كان يتردد عليها الأطباء حتى القرن الثاني الميلادي ، ثم مدرسة طيبة (الأقصر) ، وكانت المدارس الموجودة في هذه المدن أشبه بجامعات كبرى لتلقى العلوم الطبية بأنواعها ، ثم بعض علوم اللاهوت والحساب والفلك والهندسة •

وهناك نص نشره «شيفر» ، ويتحدث عن إعادة تنظيم مدرسة الطب في عهد الملك «دارا الأول» (٥٢٢ — ٤٨٦ ق م) في مدينة «ساو» وصاحبه كبير الأطباء «وجا حر وسنت» الذي عاصر «أحمس الثاني» (٥٧٠ — ٥٢٦ ق م) و «بسماتيك الثالث» (٥٢٦ — ٥٢٥ ق م) ، وكان مقربا من «قمبيز» (٥٢٥ — ٥٢٢ ق م) و «دارا الأول» الذي أعاده إلى مصر بعد أن كان قد اصطحبه إلى فارس ، وقد جاء في النص : «أمرني الملك دارا أن أتوجه إلى مصر ، لما كان في عيلا ، كملك كبير على كل قطر ، وأمير عظيم على مصر ، لإصلاح أقسام دور الحياة — المتعلقة بالطب — بعد أن تخربت ، وقد دلني على الطريق جماعة من الاعراب ، كما أمر جلالته بذلك» •

وقد انصب أغلب اهتمام الرجل على «ساو» (سائيس = صا الحجر) عاصمة البلاد وقت ذاك ، ومسقط رأسه بالذات ، فيقول : «نفذت أمر جلالته وزودتها (أي أقسام دور الحياة) بالطلبة من عليا القوم ، ولم ادخل معهم طالبا من أبناء الفقراء ، ثم وضعتهم تحت رعاية أعقل الرجال لقد أمرني جلالته أن أعطيهم كل شيء طيب حتى يتمكنوا من أداء كل

واجباتهم ، فزودتهم بكل ما احتاجوا اليه ، وبكل الآلات الواردة في النصوص ، حسب ما كانت موجودة في هذه المعابد من قبل ، وقد فعل هذا جلالته لانه كان يقدر هذه المهنة (الطب) ، ويرغب في شفاء كل مريض ، ويحرص على تدعيم أسماء الآلهة ومعابدها ومواردها فيحتفل بأعيادها على الدوام دائما أبدا» •

ومن البدهى أن هذا النص حديث نسبيا ، يرجع الى القرن السادس قبل الميلاد (أى منذ ٢٦ قرنا فحسب) ولكنه يشير الى مدرسة طب قديمة في سايس ، رمت بعد ما أصابها من التلف (ربما من قنبيز الغازي المتوحش) ، وعلى أية حال ، فهذا يعنى أن المدارس الطبية كانت قائمة والمدرسة فيها كانت خاضعة لنظم معروفة ، وليس يمكن القول — بحال من الأحوال — أن أول العهد بها كان في القرن السادس قبل الميلاد (العهد الفارسي) ، فالإشارة واضحة الى أن ما تم في العهد المذكور — ان صح ما جاء بالنص — يشير الى اعادة بناء ما تهدم من هذه الدور ، التي ربما كان هدمها نتيجة لغارة الفرس البربرية ، ومهما يكن من أمر ، فإن دراسة الطب ، دراسة عريقة في مصر ، لها أسسها وقواعدها ولها شهرتها في العالم القديم ، ومدرسة سايس هذه ، لاريب في أنها وريثة غيرها من المدارس القديمة ، لمدرسة منف التي تخرج فيها «ايمحوتب» الطبيب المؤله • على أن هناك ما يلفت النظر في نص «وجا — حر — رسنت» ، حيث يشير الى انتقاء الطلاب من بين الاسر الراقية ، فضلا عن توفير كل وسائل الراحة لهم ، كما أن ذكر الآلات انما يشير الى الجراحة ، وليس هناك ما يمنع من وجود مدارس مشابهة لمدرسة سايس في المراكز العلمية الكبرى في البلاد ، كطبية ومنف وعين شمس ، كما أن التحاق هذه المدارس بالمعابد لا يعنى أبدا أن الطلبة ما كانوا يتعلمون الطب الجسماني والطب الروحاني معا ، خاصة وأن المعابد كانت مراكز العلم — الروحاني وغير الروحاني — وخاصة في عهد الامبراطورية المصرية على أيام الدولة الحديثة (١٥٧٥ — ١٠٨٧ ق م)، وكما هو مشاهد الآن في عصرنا الحديث ، في أقدم الجامعات الاوربية — كجامعة اكسفورد بانجلترا — حيث اعتبر القوم هناك أن الكنيسة منبع

لكل العلوم ، فعملوا فيها العلوم الدينية بجانب العلوم الدنيوية ، وجامعة الازهر الشريف — أعرق الجامعات الدينية ، وأعظمها وأشرفها قاطبة — انما هي في عصرها الحالي ، مثال واضح على ربط العلوم الدنيوية بالعلوم الدينية ، وليس ببعيد أن الامر كان كذلك في مصر الفرعونية .

وفي الواقع فان «دارا الاول» هذا ، لم يكن أول ملوك الفرس الذين قدروا الطب المصري وأجلوه ، فلقد سبقه الى ذلك العاهل الفارسي الكبير «كيروش» (٥٥٨ — ٥٢٩ ق.م) الذي كان يجب أن يحاط دائما بنخبة من الاطباء المصريين ، ولا غرابة في ذلك ، فلقد علت شهرة الاطباء المصريين ، فصارت أسماء الدنيا ، ومن ثم فقد أرسل ملوك الشرق وأمرائه الى فراعين مصر يرجونهم أن يبعثوا اليهم ببعض أطبائهم ليعملوا في بلاطهم ، كما كان عشاق الطب يحجون الى مصر من كل فج ، ويأجأ الى أطبائها الامراء والحكام يئتمسون عندهم البرء والشفاء ، كما حدث مثلا على أيام «أمنحتب الثاني» (١٤٣٦ — ١٤١٣ ق.م) عندما وفد أمير سوري — تصحبه زوجته ، ومعه رجال بلاطه — الى مصر ، ليزور «نب أمون» طبيب فرعون في طيبة ، وفي نفس الوقت ، فكثيرا ما أرسل فراعين مصر بعضا من أطبائهم الى ملوك الشرق وأمرائه ، الامر الذي تكرر مرات ، ومرات كثيرة ، في التاريخ المصري القديم .

هذا ويشير «ديودور الصقلي» الى أن التعليم انما كان ينتقل من الطبيب الى ابنه شفويا ، حرصا منه على الاحتفاظ بسرية علمه ، وهذه التقاليد العائلية اتسم بها الطب في بلاد العالم القديم ، ومن ثم فقد وجدناه عند الاغارقة وقفا على «الاسقليبياد» سلالة «أسقليبيوس» التي كان ينتمي اليها «أبقراط» (٤٦٠ — ٣٧٠ ق.م) و «جالينوس» (١٣٠ — ٢٠٠ م) ، ونرى «أبقراط» يفرض على الاطباء قسما يوعز بمثل هذا الكتمان ، واستمر الاطباء يتبعون هذا التقليد حتى بعد المسيحية ، فقد جاء في بردية قبطية ، درسها «شاسينا» العبارة التالية : «هذه قطرة حضرتها مع أبي» ، وربما لا يختلف هذا كثيرا عما هو في عهدنا الحاضر ، فان كثيرا من أبناء الاطباء يخلفون آباءهم في مهنتهم هذه .

وعندما أباح «أحمس الثاني» (أمازيس) للاجانب دخول مصر ،

حضر اليها عدد كبير من الاغريق ليتلقوا فيها العلم ، وكان من بينهم
عابرة عصرهم من أمثال «افلاطون» (حوالى ٤٢٧ - ٣٤٧ ق م)
و «أودوكسوس» و «أبقراط» ، غير أنه من المشكوك فيه جدا ، أن يكون
الكهنة قد ائتمنوهم على علومهم السرية (٢٠) *

٥ - الاطباء

كان الاطباء في مصر الفرعونية يتمتعون بمكانة طيبة ، ومركز مرموق ،
في المجتمع المصرى ، وكان المقوم ينظرون اليهم نظرة ملؤها التقدير
والاحترام ، وليس أدل على ذلك من ان ينسب التاريخ الى ملوكهم هذه
الصناعة والبراعة فيها ، ويستخرجون أسرارها من الارباب ، ومن ثم
فقد لقب «زوسر» باسم «سا» الشافى الالهى ، كما روى المؤرخ المصرى
«مانيتو» ، أن الملك «أثوثيس» ابن الملك «ميناء» (منى) مؤسس الاسرة
الاولى ، ألف كتابا في التشريح ، وأن الملك «أوزيفايوس» (حوالى ٣١٠٠
ق م) حقق تقدما كبيرا في علم التشريح ، كما كان «نفر اير كارع» من
الاسرة الخامسة على معرفة بالطب * هذا وكان الأطباء يتكونون من
ثلاث فئات هى : الاطباء الكهنة ، والاطباء العلمانيون ، والمساعدون :

اولا : الاطباء الكهنة :

كان الكهنة في اول امرهم وسطاء بين المريض والاله الشافى ، يعرفون
طريق التوصل اليه ، والسبيل الى اجتذاب رخاءه ، ولكنهم لم يكونوا
يمارسون أى نوع من الطب ، غير أنهم كانوا على جانب كبير من الدهاء
والعلم ، كما كانوا يعرفون النباتات ويستعملونها لتعزيز تعاويذهم ،

(٢٠) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ،
نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٠ - ٤٦١ ، عبد العزيز صالح :
التربية والتعليم في مصر القديمة ص ٢٢٣ ، حسن كمال : المرجع السابق
١٠٢/١ - ١٠٤ ، وكذا

Frans Jonckheere, in Chronique d'Egypte, 1945, p. 24-32.

A. H. Gardiner, The House of Life, in JEA, 24, p. 170-171. وكذا

G. Posener, Op-Cit, p. 4 F. وكذا

Schaefer, in AZ, 37, 1899, p. 72 F. وكذا

SGA, 7, 1912, p. 569-596. وكذا

وكانوا يلمون بقدر كبير من علم الكيمياء ، وقد رد البعض كلمة «كيمياء» الى «الكيميت» (كمت) (٢١) ، وهو اسم مصر القديم ، غير أنه لا يمكن في الحقيقة معرفة علمهم ، ذلك لان عتائدهم الحقيقية انما كانت سرا من الاسرار التي لا تفتنى لاحد ، غير من كرسوا للخدمة الدينية ، وهي تختلف كثيرا عما يعلون به لغير هؤلاء .

هذا ويبدو أن الطب كان في أول أمره متصلا بالدين ، و متمشيا مع السحر ، وكان معظم الاطباء من الكهنة المطهرين (وعب) ومنهم من كانوا «مشرفين على كهنة الوعب» ، وكان الطبيب في الغالب يباشر أعماله الطبية بجانب بعض الادعية والرقى لحماية المريض من الارواح الخبيثة ، ويمكن أن تعد نوعا من أنواع الايحاء بالشفاء ، اذ تؤد : النصوص أن لبعض الآلهة تأثيرا على أعضاء الجسم ، فمثلا اتخذ «رع» اله الشمس ، الوجه مكانا له ، واحتلت «حاتحور» آلهة الحب العيني ، وغسل «أنوبيس» اله التحنيط الشغتين ، واستقر «تحتوت» اله العالم في باقى أعضاء الجسم ، وقد أتت هذه الفكرة من الاساطير الدينية ، وهكذا أصبح الاله الذى يتغلب على الشعبان خير مصل له ، والاله الذى يتغلب على لدغ العقرب يصبح خير دواء له .

وهكذا ، رغم أن المصريين جروا على نقيض معاصريهم من أمم الارض في بناء حياتهم ، معتمدين على ملاحظات واقعية ، وخبرات علمية ، غير أن رواسب الملقى السحيق من مخلفات السلف قد شابت ما حققته النظرات الواقعية والاساليب التجريبية ، وأصبح تراثهم من صناعة الطب بين أيدينا مزيجا يختلط فيه الواقع بالخيال .

ومن ثم فان المعنيين بالعلاج كانوا على أنواع ، فالى جانب الطبيب

(٢١) أطلق المصريون القدامى على مصر اسم «كمت» أى الارض مشيرين بذلك الى الطمى الذى غمرت به الفيضانات التى لا حصر لها ، ومفرقين بذلك بينها وبين الصحراوات المحيطة بها ، والتى عرفوها تحت اسم «دشرت» أى الارض الحمراء (أنظر : محمد بيومى مهران : مصر ٢١/١ - ٢٢ - الاسكندرية ١٩٨٨) .

العلمانى الذى كانوا يدعونه «سونو» ، كان الكاهن يقوم بدور الوسيط بين المريض والاله فى توسله اليه لفيل الشفاء ، وان كانت لديه معلومات طبية فى الطب ، كما كان الساحر يحاول طرد الشياطين من جسم العليل ، أو فك أعمال الارواح الشريرة ، وقد كان الطبيب العلمانى (سونو) نفسه ، يضطر أحيانا الى خلط بعض الطب الكهنوتى بأساليبه العلمية المجربة ، كما يبدو من ألقاب بعض من زاولوا هذه المهنة •

ثانيا : الاطباء العلمانيون :

كان الطبيب العلمانى يسمى «سونو» — كما أشرنا آنفا — والرمز الهيروغليف لهذه الكلمة مكون من قنية ومشرط ، ولم يميز بين الطبيب والبيطرى ، وكان عدد الاطباء — كما رأهم هيودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد — كبيرا جدا ، وكانوا على حد قوله : أمهر الناس ، حتى أنه ذهب الى أنهم من سلالة «بيون» طبيب الآلهة •

هذا وينقسم الاطباء الى فئات مختلفة ، من حيث العمل ، ومن حيث التخصص •

١ (من حيث العمل) كان هناك أطباء موظفون ، ويشار من وقت لآخر الى تقسيم هذه الفئة الى أنواع ثلاثة :

١ — فهناك أطباء القصر ، كما يشار الى ذلك فى نص «واش بتاح» من الاسرة الخامسة ، ومن هؤلاء من كان ملحقا بالقصر ، أو خاصا بالملك أو بالزوجة الملكية ، أو بالحكام المحليين والنبلاء ، ويظهر الواحد منهم فى قبره حاملا القرايين ، مثل «عنخ» (من الاسرة السادسة) ، وقد صور وهو يحمل الطيور فى يده ، أو يؤدى عملا رسميا ، هذا وقد قام أطباء القصر بدور هام فى حياة البلاط الملكى ، فنجد مثلا «بننو» يحمل — الى جانب ألقابه الكهنوتية والطبية — الدالة على مركزه — يحمل لقب « الذى يدخل القصر ويخرج منه » ، أى الذى يسمح له بمقابلة الفرعون فى أى وقت ، ولعل مما يدل على مكانته ما وجد بالنص بعد كتابة اسمه ، من مخصص ممسكا بيده سوطا ، كدليل على القوة والجاه ، هذا الى جانب

«ننى عنخ سخمت» من الاسرة الخامسة ، وقد أهداه الملك «ساحورع» بابا وهما من الحجر الجيرى ، وقد ازدان بالالوان الجميلة والاحجار الكريمة ، بل ويأمر الملك بتدوين هذا الاهداء على قبره مشفوعا بأطيب عبارات المديح •

٢ — وهناك أطباء الدولة ، وكان معظمهم ملحقين بمصالح الحكومة المختلفة ، يتقاضون منها مرتباتهم ، وان كان يبدو أنهم كانوا — الى جانب أعمالهم الرسمية — يزاولون مهنتهم من أجل الجمهور ، ويتقاضون منه أتعابا ، ويحظون منه بهدايا ثمينة •

وهناك أطباء ملحقون بالمعابد يتعاطون معاشهم من ميزانية تلك المعابد • ولعل أروع ما فى هذه المهنة عند القوم أنها كانت انسانية الى درجة كبيرة ، فلم تكن فى صالح الموسرين وحدهم من حكام البلاد وسراتها ، وانما كانت أيضا لمصالح أفراد الشعب من عمال المحاجر والبناء والجيوش المحاربة ، كما كان من جميل تقاليدهم أن الطبيب كان يقطع جزءا من أتعابه يخص به المعبد الذى تلقى فيه علومه الطبية •

وعلى أية حال ، فلقد كان الاطباء فى مركز مالى يسمح لهم بعلاج الغنى والفقير سواء بسواء ، وقد قال «ديودور الصقلى» : ان هناك كثيرا من المصريين كانوا يعالجون بالجان ، وبدهى أن مثل هذا القول لا يمكن أن يصدر الا من شخص رأى بعينه ، وسمع بأذنيه ، ولعل هذا النظام القديم انما هو بعينه نظامنا الحالى ، فعندنا المستشفيات والمجموعات الصحية والعيادات الخارجية والمكاتب الصحية وغيرها ، يجد فيها المريض علاجه مجانا ، وفى كثير من المستشفيات يسمح للطبيب بمزاولة مهنته فى الخارج •

ولعل مما تجدر الاشارة اليه ، وقد رأينا أغلب الاطباء انما كانوا يتقاضون مرتباتهم من الدولة ، ومن ثم فلا حرج علينا ، ونحن ننقب فى حياة الاولين من بناءة هذا الوطن العريق ، أن نؤكد أن مصر الفرعونية ، رغم مظاهر الحكم الملكى فيها ، انما كانت مهدا للمعدالة الاجتماعية الى حد كبير ، على نقيض ما نادى به بعض المعرضين من المؤرخين الاوربيين •

د) من حيث التخصص : بلغت صناعة الطب في مصر الفرعونية مبلغاً عظيماً ، تخطت عنده الأصول الى الفروع ، وبات أصحابها يتخصصون في فروع الطب المختلفة منذ أعرق العصور ، لها هو «حسى رع» — أقدم دليبي عرف للتاريخ ، ويرجع للأسرة الثالثة ، ومقبرته بسقارة — يلقب بلقب «كبير أطباء أسنان القصر» على أيام الملك «زوسر» (أى منذ حوالى خمسة آلاف سنة) •

وقد وصل إلينا العديد من البرديات التى تدل على تعمق المصريين في شئون الطب ، وتنوع دراساته ، كما رأينا من قبل ، ومن ثم فهناك الطب الببى'ى ، وهناك الطب الباطنى ، وطب أمراض النساء ، وطب الجراحة ، وطب الاسنان ، وطب العيون ، وقد كشف «هرمان يونكر» (١٨٨٥ — ١٩٦٣م) عن مقبرة رئيس الأطباء «ايبى» الذى يشار الى تخصصه في أمراض العينين ، كما تشير برديتا «ايبس» و «ادوين سمث» الى مراحل تخصص ، وتميز تميزا واضحا بين الطبيب الجراح والطبيب المعالج بالهرق والرق ، والطبيب الذى يعطى الدواء النباتى ، ويشير «هيروdot» الى أن من الشفاء في مصر كان منقسما الى أقسام ، كل طبيب يختص بنسب منها ، فهناك طبيب العيون ، وطبيب الرأس ، وطبيب الامعاء ، وطبيب الاضطرابات الداخلية ، هذا الى جانب أطباء التحنيط وأطباء الجراحة (وهم كهنة سخمت ربة الجراحة ، وحامية الجراحين) ، وأدباء عشابون ، وهم أطباء العقاقير الذين اقتصوا بالعقاقير ، وثلاثة الادعية •

ثم هناك الأطباء البيطريون ، حيث ظهرت في كثير من النقوش صور للماشية ، وقف أمامها ائسرف عليها ، وقد سمي أحيانا بالطبيب ، وأحيانا أخرى بالكاهن الطبيب ، الامر الذى يوحى بأن هؤلاء الأطباء الكهنة انما كانوا مكلفين بمحص طهارة المذبائح ، كما كانوا مكلفين بضمان مطابقتها لمقتضيات الدفيس الدينية ، وكان هناك بعض البيطريين من غير الكهنة ، وكانوا يمارسون مهنهم حسب علم مكس يماثل ما نقرأه في الجزء البيدرلى من بردية كاهون الطبية •

هذا وقد قدم الاستاذ «ليونكهير» قائمة بأسماء اثنين وثمانين طبيباً مصرياً من جميع العصور الفرعونية وقد قسمهم الى أربعة طوائف : أطباء عموميين ، وأطباء اخصائيون ، وأطباء القصر الملكى ، ثم رؤساء أطباء ، كما قدم الدكتور «بول غليونجى» قائمة بحوالى ٢٧ طبيباً •

ثالثاً : المساعدون :

وهم الفئة المساعدة للأطباء فى عملهم ، مثل المرضى ، والاختصاصيين فى الاربطة والتدليك وكان يطلق عليهم «أوت» ، وكان البعض منهم للاحياء ، والآخر للاموات (أى التحنيط) ، فلقد كان بمصر أكفاً المضمدين فى معمل التحنيط ، فمثلاً طريقة لف الموميات باللفائف انما تدل بلا شك على مهارة فائقة فى التضميد ، وبدهى أنه ليس هناك ما يمنع من وجود أمثال هؤلاء ممن ساعدوا الجراحين فى مهمتهم ، هذا وقد جاء فى الآثار أن هناك أشخاصاً أعفوا من عملهم ليمرضوا رفقاءهم ولا بد أن كان فى كل مجموعة كبيرة من العمال أشخاص لهم دراية بالاسعافات الأولية والتمريض (٢٣) •

(٢٢) بول غليونجى : الحضارة الطبية ص ٩ - ١٤ ، تاريخ الحضارة المصرية ٥٢٧/١ - ٥٣٢ ، حسن كمال : المرجع السابق ٨٨/١ - ١١٦ ، سيد توفيق : الموسوعة المصرية ٢٩٩/١ - ٣٠٢ ، هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١٩٠ - ١٩٢ •

F. Jonckheere, Les Medecins de L'Egypte Pharaonique, 1955, وكذا
p. 24-32.

J. E. Quibell, Excavations at Saqqara, Cairo, 1408, p. 73. وكذا
1913, p. 31.

N. de G. Davies, The Rock Tombs of El-Amarna, IV, London. وكذا
1906, p. 6.

H. Junker, Giza, XI, 1953, p. 79. وكذا

R. Engelbach, ASAE, 38, 1939, p. 285. وكذا

E. Chassinat, BIFAO, 4, 1905, p. 223. وكذا

A. Mariette, Les Mastabas de L'Ancien Empire, Paris, 1889, وكذا
p. 351-56.

الفصل الخامس

الصحة العامة

١ - الزواج

كان الزواج في مصر الفرعونية^(١) يتم - كما هي العادة في الشرق القديم - في مرحلة مبكرة من العمر - أي بمجرد البلوغ - الامر الذي جنب المراهقين الكبت الجنسي ، وما يصدر عنه من عقد ، فضلا عن الانجراف الخلقى ، وما يسببه من أمراض جسمانية وخلقية ، ومن ثم فقد كثرت نصائح الحكماء المصريين بالاسراع بالزواج ، يقول الحكيم «بتاح حوتب» في نصائحه لولده : «إذا كنت عاقلا فأسس لنفسك دارا ، واحبب زوجتك حبا جما ، وأتمها طعامها ، وزودها بالثياب وقدم لها العطور ، لينشرح صورها»^(٢) .

ويحذر الحكيم «آنى» ولده من مخالطة النساء الغريبات ، فيقول له : «كن على حذر من المرأة الغريبة (أى غير زوجته) ، لا تطل النظر اليها عندما تمر بك ، لا تكن لك بها صلة ، ولا تقضى منها وطرا ، انها ماء عميق الغور ، لا يعرف المرء خباياه»^(٣) .

هذا ويزعم كتاب الاغريق ، ويتابعهم في هذا بعض المؤرخين المحدثين أن الزواج بين الاخوة كان شائعا بين القوم في تلك الايام الغابرة ، فعل ذلك كثير من الفراعين ، كما فعله بعض آلهة القوم ، غير أن الامر لم يكن كذلك في الواقع ، صحيح أن الاساطير قد أشارت الى زواج أوزير بايزة ، وسنت بنبت حت ، وصحيح أيضا أن بعض الملوك قد تزوجوا من أخواتهم ولكنهم صحيح كذلك أن هذا الامر لم يكن بين عامة القوم حتى أننا لم نحصر للاق على مثل واحد كان الزوجان فيه أختا وأختا ، سواء أكانا من طبقة النبلاء ، أو من الطبقة الوسطى ، بل حتى بين العامة من الناس ، هذا فضلا عن أن الملك قمعيز قد سأل القضاة الملكيين ، عما إذا كان القانون

(١) أنظر عن «للزواج في مصر الفرعونية» (محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٣ - ٢٦) .

(٢) J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 413-420.

(٣) Gustave Lefebvre, Romans et Contes Égyptiens de L'Époque Pharaonique, Paris, 1949, p. 70-77.

يسمح أن يشاء أن يتزوج من أخته ، فأجابوه بالنفى ، وإن أجازوا للملك أن يفعل ما يريد (٢) .

هذا وقد عرف المصريون تعدد الزوجات ، وإن كان الاستقرار العائلى بين الأزواج المصريين قد أدى الى تقليله بينهم الى حد معقول ، وذلك على الرغم من أنه كان مشروعا عندهم ، وأن فريقا من المفراعنة والاثرياء ، وقليلًا من أثرياء الناس وطغاهم قد أخذوا به ، وربما تصادى القليل النادر منهم فيه ، وأن بعض الزوجات ارتضيته وتسامحن فيه ، وأنه قد استمر طوال العصور الفرعونية (٥) ، ومع ذلك فقد كان من المألوف أن يكون للرجل زوجة واحدة ، أما تعدد الزوجات — مع اباحتها فى شريعة القوم — فقد حددته الظروف الاقتصادية ، فأضحت مقصورة على الأسرة المالكة ، وطبقة النبلاء ، أو يكاد أن يكون كذلك .

وكان البغاء معروفًا الى حد ما عند غير المتزوجين والجنود ، وأما الدعارة المقدسة — كالتي كانت تمارس فى الهند وبابل وفينيقيًا وغيرها ، فلم يعثر فى المعابد المصرية على أثر يدل عليها ، ولم يعرفها المصريون طوال تاريخهم القديم والحديث .

٢ - الختان

هناك ما يشير الى أنه لا يوجد شعب آخر فى حوض البحر المتوسط يتبع سنة الختان غير المصريين ، الذى تدل آثارهم على أنهم عرفوا الختان منذ أقدم العصور ، حيث كشف عما يدل عليه مما عثر عليه فى جبانات عصور ما قبل التاريخ ، من قبل أربعة آلاف عام قبل مولد المسيح عليه

(٤) J. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 97.

وكذا A. Moret, le Nile et la Civilisation egyptienne, Paris, 1926, p. 110-318-319.

(٥) أنظر عن تعدد الزوجات عند المصريين (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٥ - ٢١) ، وعن اليهود (محمد بيومى مهران : إسرائيل ٢٧٠/٤ - ٢٧٨ - الاسكندرية ١٩٧٩) ، وعن العرب (محمد بيومى مهران : مركز المرأة فى الحضارة العربية القديمة - مجلة كلية العلوم الاجتماعية - الرياض ١٩٧٧ ص ١٦٢ - ١٧٠) .

السلام ، وذلك من أجسام بلغ من حفظها أن أمكن فحصها والاستدلال منها على اتباع القوم لسنة الختان ، هذا فضلا عن صورة تمثل عملية الختان ، يقوم بها جراح مصرى فى قبر فى جبانة منف ، يرجع الى عهد الاسرة السادسة من الدولة القديمة ، وأخرى من الدولة الحديثة بالكرنك^(٦) .

وكان الختان عند القوم ضربا من ضروب العناية بنظافة البدن — على نحو ما ذكر هيرودوت — كما كان عاما ، فلقد تبينه الباحثون فى المناظر المعارية للخدم والصيادين والرعاة ، كما تبينوه فى التماثيل المعارية للخاصة والملوك والجثث السليمة الباقية ، ولعل من أطرف صور الختان تلك التى وجدت فى نص لرجل من عصر الانتقال الاول (عصر الثورة الاجتماعية الاولى) ، استنتج منه «دونهام» أن الرجل قد اختتن مع مائة وعشرين آخرين ، ولم يضار واحد منهم ، غير أن قراءته — فيما يرى الدكتور عبد العزيز صالح — لا تخلو من شك ، ولو صحت لأمكن تقريب هذه الرواية الى ما يتبع فى موالد الاولياء بمصر حتى الآن ، حيث ينتهز بعض العامة فرصتها ، فيختنون أولادهم بمناسبتها ، وتبركا بأصحابها^(٧) .

هذا ويذهب «هيرودوت» الى أن الذين زاولوا الختان منذ أقدم العصور ، انما هم المصريون والآشوريون والكولشيديون والاحباش ، أما غيرهم من الشعوب فقد عرفوه من المصريين ، كما يذهب هيرودوت ،

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, (٦)
p. 303-No. 10.

J. Carpart, une rue de tombeaux a Saqqarah, Pl. LXVI, p. 51-52. وكذا
Herodot, II, 36, 37, 104, Diodorus, III, 32, Strabo, XVII, 824. وكذا

(٧) عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ص ٥٢ —
٥٣ ، وانظر :

W. M. Petrie, Sedment, Pls. 7-8.

J. Capart, Op-Cit, Pls. 39, 83.

J. Quibell, Excavations at Saqqara, II, Cairo, 1908, p. 3.

G. Maspero, Momies rayals, p. 550.

E. Smith, ASAE, 4, 1903, p. 112.

E. Naville, in Sphinx, XIII, p. 253 F.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

ثم قارن :

كما أشرنا آنفا ، الى أن المصريون انما كانوا يقومون بعملية الختان من أجل الصحة الشخصية ، ومن ثم فهو يقول : ان قدماء المصريين كانوا يختنون من أجل النظافة ، لانهم اعتبروا النظافة اهم من الليقة ، واما «سترابو» فالرأى عندهم أن المصريين قد ختنوا الذكور ، وجبوا (أى قطعوا الاناث) ، والجب أو المقطع هنا انما ينصب على البظر والشفرين الصغيرين ، كلهما أو بعضهما ، وليست هناك أدلة قديمة على عمل الختان للاناث ، وان كان من المحتمل أنه كان يعمل قبل زمن «سترابو» بكثير جدا ، ولا تزال هذه العملية تجرى للبنات في كثير من المناطق ، وخاصة في الصعيد والنوبة^(٨) .

هذا وقد اتخذ بعض المؤرخين من تتابع الولادة والختان مباشرة في بعض نقوش المعابد الخاصة بولادة وطفولة الامراء ، دليلا على أن عملية الختان انما كانت تجرى بعد الولادة بأيام ، وان ذهب البعض الى أن هذا التمثيل انما كان رمزيا ، ذلك لان النقوش الاخرى ، وخاصة تلك التي تتصل بغير الملوك والالهة ، انما قد مثلت العملية ، وهى تجرى على أشخاص متقدمين في السن الى حد ما^(٩) ، ومن ثم فقد نظر البعض الى أن عملية الختان انما كانت تعمل للاطفال ، فيما بين السنتين — السادسة والثانية عشرة من العمر — أو قبل المراهقة بقليل .

هذا ولعل أهم تلك النقوش أو الصور التي تمثل عملية الختان ، انما هو النقش الموجود في سقارة في مقبرة «عنخ ماحور» من الاسرة السادسة وهو مكون من جزأين ، ففي الجزء الايمن منه نرى الجراح — وقد ذكرت قبيلته عبارة «الكاهن المختن» — مما يشير الى أن العملية التي يقوم باجرائها لا تدخل ضمن اختصاصات الجراح العادى ، نراه وقد أمسك بيده اليمنى بآلة مستطيطة في وضع عمودى على العضو التناسلى ، وفي اتجاه طول الجسم ، ويقول : ان هذا يجعله مقبولا للكلت (أو الدهان) .

(٨) حسن كمال : المرجع السابق ٧٢/٣ — ٧٣ ، وكذا Strabo, XVII, 824.
(٩) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ٥٣٣/١ .

وأما الجزء الايسر ، فيظهر فيه الجراح ممسكا بآلة أو بتيء آخر
بيضاوى الشكل يلمس به العضو المتناسلى الذى يسند به بيده اليسرى ،
وفى هذا الجزء تدل ملامح المريض على شعوره بالآلم ، ويلاحظ كذلك
وجود مساعد الجراح خلف المريض ، وقد أمسك بذراعيه على ارتفاع
وجهه فى قوة وعنف ، ونقرأ قول الطبيب : «أمسكه كيلا يقع» ، ورد
المساعد : «سأفعل وفق اشارتك» ، وبدهى أن تكون اللوحة اليمنى
لايضاح التحضير أو التخدير ، واليسرى لإبراز العملية نفسها •

ولعل مما تجدر الإشارة اليه أن الختان انما لقب فى الجزء الاول
من النقش بلقب «الكاهن المختن» ، وربما يدل هذا على أن العملية التى
يقوم بها لا تدخل فى اختصاص الجراح العادى ، كما أشرنا آنفا ، ولكن
ربما لان عملية الختان انما كانت تتم فى العادة فى المعابد ، أى أنها تأخذ
صفة شبه دينية •

هذا ويذهب بعض المؤرخين الى أن الختان لم يكن يجرى فى الماضى
بالشكل المتبع الان ، أى أنه لم يكن استئصالا كاملا للثقل ، وانما كان
مجرد قطع مستطيل يجرى على ظهرها للاكتفاء بفتحها (١٠) •

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة الى أن اليهود انما نقلوا الختان عن
مصر ، فطبقا لرواية هيودوت — الانفة الذكر — أن الشعوب جميعا —
فيما عدا الاثوريين والكوشيين — قد نقلت الختان عن المصريين (١١) ،
هذا فضلا عن أن رواية التوراة (١٢) المتداولة اليوم ، يفهم منها أن سيدنا
ابراهيم — عليه الصلاة والسلام — انما قد قام بعملية الختان ، بعد
عودته من مصر ، وبعد انجاب له اسماعيل عليه السلام •

وعلى أية حال ، فان أمر الختان — كما جاء فى تورااة اليهود المتداولة

(١٠) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ١/٥٣٣ - ٥٣٤ ، طب
وسحر ص ٦٨ - ٦٩ ، وكذا

J. Carpat, Op-Cit, Pl. 51-52.

(١١) هيودوت يتحدث عن مصر ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٢٠ - ٢٢١ •

(١٢) تكوين ١٧/١٠ - ١١ ، ٢٣ - ٢٧ •

اليوم — انما يدل على مدى التضارب في نصوصها ، فنص يرجعه الى النخيل ابراهيم عليه السلام ، وقد دون هذا النص ، أول ما دونه أحبار السبى البابلي (٥٨٦ — ٥٣٩ ق.م) فيما بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد (١٣) ، أى بعد عهد ابراهيم عليه السلام بما يربو عن ألف وخمسمائة عام ، ثم انها رواية لم تتداخل مع بقية النصوص في صلب أسفار الشريعة في صورتها الحالية ، الا في حوالى عام ٤٠٠ ق.م ، أو ما يقارب ذلك ، حين ابتعثت دويلة يهودا في ظل الحماية الفارسية على يد «عزرا» الذى يعزى اليه ارساء أركان العقيدة اليهودية ، كما تطالعنا اليوم *

ومن ثم فلا غرو أنه يتعارض تعارضا جذريا ، مع روايات أخرى — كما في سفر التثنية — (١٤) — ربما كانت أصداء خافتة لوقائع في صورة من أساطير ، عن نشأة الختان ، تلك السنة التى كانت ، كما أشرنا آنفا ، عادة مصرية متأصلة (١٥) ، فاعجب بها من سنة مميزة ، الا أن يكون بنو اسرائيل قد سعوا أصلا ، — أو اجبروا غصبا — على أن يتمثلوا بذلك الشعب الذى انبثقت حضارته سامقة عملاقة على ضفاف وادى النيل ، ما أن يكشف — حتى في عصرنا هذا — عن أى من أمر آثارها المدرسة ، حتى يؤخذ العالم مبهورا ، فكيف بالشعوب التى من حولها ، حين كانت في أوجها ، تخطف الابصار بلالاً من اشعاع وهاج ، فالختان اذن انتحال يهودى واضح ، ومع ذلك فبه اليهود يتعلقون ، املارة لتفرد يدعون أنه قد خصهم بها الاله ، فترى العجب في نصوص توراتهم ، لم تترك حاسة

A. Lods, Israel from its Beginnings to The Middle of The (١٣)
Eighth Century, London, 1962, p. 152.

(١٤) تثنية ١٥ — ٣ وكذا

A. Lods, Op-Cit, p. 199.

(١٥) محمد بيومى مهران : قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة
— مجلة الاسطول — العدد ٦٧ عام ١٩٧٠ ص ٥ — ٦ ، وكذا

A. Powell Davies, Ten Commandments, New York, 1956,
p. 59-60.

من حواس الادراك ، الا حاولت تقييمها من حيث السمة ، كناية
وتورية (١٦) .

٣ - النظافة العامة

كان المصري القديم يتميز بالنظافة الفائقة ، غنيا كان أم فقيرا ، ولقد
أكثر المصريون القدامى من الاستحمام صباحا كان ذلك أم مساء ، وقبل
الطعام ، وكانت منازل الاثرياء تحوى حجرات فيها أحواض خاصة
بذلك ، وفيها مكان يصب على المستحم فيه الماء .

هذا ولم يعرف المصريون الصابون ، وكانوا يستعملون الصودا في
الغسيل ، وكانوا جميعا - رجالا ونساء - يتخلصون مما ينمو على
أجسامهم من شعر ، اما بالحق واما بالثنت ، أما الكهنة وكبار القوم
فكانوا يلقون شعر رؤوسهم ووجوههم ، ويطلقون مكانه شعرا مستعارا
ولحي صناعية .

وكانت المرأة في مصر القديمة تغسل جسمها وتحلقه وتنتف شعرها
الغير مرغوب فيه ، وتدهن جلدها بالدهان ، وتسرف في استعمال العطور ،
وتخضب شفثتها وخديها بالاحمر ، وترجج حواجبها ، وتطلى أجفانها
ورموش عينيها بالكحل ، وهو من نوعين : أخضر يلون به الجفن الاسفل ،
وأسود ترجج به الحواجب ، وتطلى به الاجفان ، وكانت المرأة شغوفة
بالحلي والاقراط والاسوار والقلائد والخلاخل ، وبخاصة في الموائد والمآدم
التي كان القوم مغرمين بها كثيرا ، ويتصيدون الفرص لاقامتها .

ولم يكن يلحق بامرأة تحترم نفسها في مصر الفرعونية أن تخرج الى
حفل أو مأدبة ، دون أن تقضى وقتا نترين فيه ، ودون أن تتعطر ، وتبدو
على ما ترضاه لنفسها ، وهو أمر بالغ العسر ، ولكنها كانت تحاول
- على أية حال - أن تبدو نظيفة ملتزمة جذابة معطرة الحواشي ، أنيقة
المهتام ، وكان لا يفوتها قبل أن تخرج من البيت أن تمزج المر بالرم

(١٦) حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود - المجلة يناير ١٩٧٠
ص ١٦ ، محمد بيومي مهران : اسرائيل ١/٣٩٤ - ٣٩٥ .

وحصا البان والعجرم وغيرها ، وتدقها ثم تضعها على النار ، لتجعل رائحة المنزل والملابس زكية مستحبة ، ثم تضيف اليها غسل النحل ، وتتناول بضع حبات تمضغها في طريقها للزيارة ، فتجعل أنفاسها بذلك طيبة النكهة ، زكية الرائحة •

هذا وقد اهتمت النسوة في مصر — بل وفي كل بلد متمدن — بالعناية بشعورهن، فكان يسفلنها ويدهننها ، ويعتنين بطولها أو بقصرها، ويخسفرنها أو يجعلنها ، أو يتركنها مستقيمة مسترسلة ، تبعاً للنمط الدارج (١٧) •

٤ - البيت المصري

كان المصري القديم يعيش في الخالب في بيت بسيط ، راعى فيه من بناءه أن يكون ملائماً للجو الذى يعيش فيه ، فبناه من اللبن والخشب ، وجعله فسيحاً ، وأكثر فيه من الفتحات والنوافذ وغيرها ، حتى يجرى النسيم فيه دائماً ، وكانت تتخلله الابهاء وقاعات الطعام والاستقبال ، وتزين جدرانها أكاليل الزهور والفاكهة وقد لونت بألوان زاهية جميلة ، وفى الجزء الخافى من البيت ، حيث يسود الهدوء بعيداً عن الجلبة والضوضاء ، توجد غرف النوم ، وعدد كبير أو قليل من المغاسل والحمامات ودورات المياه ، طبقاً للحالة الاجتماعية لمصاحب البيت •

هذا وقد أثار استعمال المصريين لدورات المياه دهشة هيودوت ، فقال : «ان المصريين يختلفون عن بقية الشعوب الأخرى ، فهم يتناولون طعامهم خارج بيوتهم ، بينما يقضون حاجتهم داخلها ، معتقدين أن الضرورات القبيحة يجب أن تؤتى في الخفاء» ، وهكذا — كما يقول الدكتور أحمد بدوى — يعجب هيودوت من أن المصريين كانوا يزيلون ضرورتهم مستورين داخل الدور ، على حين كانوا يأكلون طعامهم خارجها اعتقاداً منهم : أن الضرورات عورات يجب أن تستر ، أما غيرها فلا جناح

(١٧) حسن كمال : المرجع السابق ٧٥/٣ - ٧٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٤ - ٥٥ ، بول غليونجى : المرجع السابق ص ٥٣٥ ، محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ١١/٢ - ١٣ •

عليهم في اتيانها جهارا ، وليس غريبا ولا عجيبا ما يراه هيودوت ، وانما العجب ، كل العجب ، في أن يرى هيودوت ذلك من الغرائب في حياة المصريين ، فاذا صح ما رآه فنحن جد به فخورين ، لان فيه من صور الحياة السليمة ، ومن الكرامة الانسانية ما يدل على ذوق هذا الشعب العظيم ، نعم انه الخوق كل الخوق ، بل انها صورة تدل على المروءة الكاملة ، فهيرودوت حين يعجب من ذلك ، لانه لم يره عند غير المصريين انما يرمى شعبه الاغريقى ، على الاقل ، بفساد الخوق وانعدام المروءة ، فضلا عن عدم مراعاة قواعد النظافة العامة (١٨) .

هذا ورغم أن علماء الآثار لم يعثروا ، حتى الان على أثر للمحمامات ودورات المياه في بيوت « اللاهون » التي أنشأها «سنوسرت الثانى» (١٨٩٧ — ١٨٧٧م) — على مبعده ٢٥ كيلا من مدينة الفيوم — غير أن قصة «سنوهى» — وهى سابقة لبناء اللاهون — انما تذكر أن هناك غرضا للاستحمام ، كما أن هناك نصوصا من الاسرة الثانية عشرة تذكر وظيفة «المشرف على غرف استحمام الملك» .

وفي منازل العمارنة (أخيتاتون) (٢٠) ، كان يلحق بغرفة النوم ، غرفة أخرى للتعطير والزينة ، وتجاورها غرفة للحمام مزودة بأحواض مياه جارية ودورة مياه ، وفي الواقع ، فلقد كانت المرافق الصحية في العمارنة — وتقع فيما بين مدينتى ملوى وديروط ، في مقابل دير مراس الحالية ،

-
- (١٨) هيودوت يتحدث عن مصر ص ١١٨ .
 (١٩) أنظر عن « اللاهون » (محمد بيومى مهران : مصر ٣٦٠/٢ .. ٣٦٢ ، محمد أنور شكرى : المرجع السابق ص ٧٨ — ٨٠ ، وكذا W. M. F. Petrie, Iblahun, Kahun and Gurob, London, 1891, Pl. XIV, p. SF.)
 (٢٠) أنظر عن العمارنة (محمد بيومى مهران : اخناتون — عصره ودعوته — القاهرة ١٩٧٩ ص ١٨٦ — ٢٣٢ ، وكذا J. Sainson, Amarna, City of Akhenaten and Nefertiti, London, 1972. W. M. F. Petrie, Tell-El-Amarna, London, 1894. T. E. Peet and C. L. Woolley, The City of Akhentem, London, 1923. J. D. S. Pendlebury, Tell-El-Amarna, London, 1935.

عبر النهر تقريبا — بمحاظفة المنيا — معتنى بها كثيرا ، بل ان بهذه المرافق مقاعد يجلس عليها المرء عند قضاء حاجته ، ويبدو أن المصرى لم يكن ، قبل العصر الرومانى ، يعرف حوض الاستحمام ، وانما كان عنده — وفى جميع الازمان — حجرة للرشاش (دش) ، وكان من الضرورى بعد الاغتسال العناية بالجلد حتى يحتفظ بمرونته ، الامر الشائع فى أغلب البلاد الحارة ، ومن ثم فان المرافق الخاصة فى المنازل انما كانت تحتوى على حجرات للتدليك ، واستعمال الدهانات •

وكان يتم تصريف المياه الى الخارج بواسطة قناة من الفخار ، وكان القوم يعنون برصف أرض الحجرات ، فكانوا يغطونها باسطوانات من الفخار ، ذات أطراف مستوية السطح ، ثم يغطونها باللبن ، وكان الغرض من وضع اسطوانات الفخار تحت طبقة اللبن صرف المياه التى قد تنفذ الى باطن أرض الحجرات ، كما كانوا يضعون أنابيب من الفخار ملتصقة بأحد الجدران ومتدلية من سطح فوقه (٢١) •

هذا وقد كشف «بوخاردت» فى العمارنة عن أربعة أنواع من دورات المياه ، بعضها يشبه ما وجد فى الدولة القديمة ، وبعضها له فتحات دائرية وأخرى لها مقاعد مطسة ومائلة لتسهيل عملية تنظيفها ، أو له فتحة كفتحة المفتاح ، وفى كل هذه الاشكال كانت توضع آنية تحت هذه الفتحات ، وفى أحد هذه المنازل وجد فراغان ، واحد على كل جانب مملوء بالرمل النظيف لتغذية الفضلات ، كما كانت دورات المياه دائما تحتل الجهة الجنوبية الشرقية من البيت •

وهناك نماذج أخرى لها وجدت فى مدينة هابو بطيبة الغربية ، كما وجدت مقاعد متنقلة لقضاء الحاجة ، وكل هذه الانواع مزودة بمقاعد مفتوحة من أعلى لتهبط الفضلات من هذه الفتحات ، ففتحاتها أوانى خاصة •

(٢١) أنظر

E. Bill-Dc Mot, The Age of Akhenaten, London, 1965, p. 78-79.

H. Kess, Ancient Egypt, London, 1961, p. 299.

W. M. F. Petrie, Social Life in Ancient Egypt, p. 177-178.

وكانت الحمامات مزودة في أسفلها بخزانات ينساب اليها الماء الملوث، وكانت الجدران المحيطة بالحمام مغطاة بالحجر أو بالخزف لصيانتة ، وقد بلغت هذه الحمامات ذروة الترف في عهد «رعسيس الثالث» (١١٨٢ - ١١٥١ ق.م) الذى بنى منزلا على مقربة من معبد مدينة هابو، ثم هدمه وشيد على أنقاضه منزلا آخر مزودا بعدد كبير من الحمامات ليستخدمها هو وحريمه ، وكل هذه الحمامات كانت مكسوة من الداخل بألواح من الحجر الجيري الأبيض .

وهناك في معبد الملك «ساحورع» من الاسرة الخامسة — في منطقة أبو صير الجيزة ، على مبعده ٥ كيلا جنوبى أهرام الجيزة — ما يدل على مدى عناية المهندسين بكل ما يؤثر على سلامة البناء ، فضلا عن نظام جديد للمصرف الصحى ، فهم مثلا لم يسقطوا المطر من دسائهم ، وجعلوه ينساب من مزاريب ، كل منها على هيئة رأس أسد ، تسقط المياه من أهواها الى قنوات صغيرة عمقوها قليلا فى الأرض ، ثم تسير المياه منحدره الى الخارج ، أما المياه التى تستخدم داخل حجرات المعبد فى أجزائه المختلفة ، فكانت تسير فى مواسير تحت أرضية المعبد ، وكانت هذه المواسير مصنوعة من النحاس ، وملحومة الى بعضها البعض بالرصاص ، وتسير الى خارج المعبد مدى أربعمئة متر ، حيث تصب فى أحد الأماكن المنخفضة فى مكان بعيد عن الانظار .

غير أن القوم ، لأسباب لا ندرىها على وجه اليقين ، قد استبدلوا بها طرقا أخرى تختلف حسب العصور ، ففى «اللاهون» (من عهد الدولة الوسطى) كانت مياه المنازل تمر خلال مجار تصب فى مجرور بوسط الطريق ، وفى منزل من النعمانة (من عهد الدولة الحديثة) وجدت المياه تمر خلال اناء فخارى مثقوب مقره ، وتصب فى وعاء خارج الحوائط^(٢٢) .

(٢٢) انظر : محمد بيومى مهران : مصر ١٦٥/٢ ، أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ١٣٢ ، بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٣٥ - ٥٣٨ ، وكذا

L. Borchardt, Das Grabdenkmal des Königs Sahure, I, Leipzig 1910, p. 7-12, 76-82.

=

٥ - الامراض والتشوهات

كان الفنان المصرى القديم يتمسك فى تمثيله للأشخاص بالتقاليد الموروثة ، ويتبع فيها تعاليم الديانات المرعية فى الدولة ، وهو فى ذلك يريد الخلود والبعث فى صورة رسمية فى أنضر الاشكال ، ومع ذلك فقد كان يبذل قصارى جهده للحفاظ على الصورة الاصلية لجثة المتوفى كى تبقى الى الابد ، وكى لا ينتاب الروح شعور بالغبرة حين يحتويها ساكنها القديم بعد اعادة تشكيله ، ولعل هذا يفسر لنا حقيقة تلك الثروة التى خلفها لنا الفن المصرى القديم فى الكشف عن العلل الجسمانية المسائدة ، على الرغم من العقيدة التى كانوا يؤمنون بها فى ذلك الوقت من اظهار المتماثل والنقوش على اكمل صورة وأتم صحة .

وهناك تمثالان اشخصين (أحدهما نوبى ، والاخر مشكوك فى أصل مولده) قد أبرزتا تشحم الثديين ، وتهدل البطن وترهل لفائف الشحم فى جسدهما ، وهناك منظر آخر لرجل سمين يبدو وكأنه رئيس النوبة، حوله أشخاص بعضهم يطعمه ، والبعض الاخر منهمك فى العمل ، بينما هو جالس مستريح فى زورقه ، وقد بالغ الفنان فى ابراز الانحراف عن قوانين الرسم المصطلحة فى بعض مقابر الدولة القديمة .

وربما كانت بدانة هؤلاء الأشخاص من النوع المعتاد عن الافراط فى المأكّل ، ومن خصائصه أنه يعم كل أجزاء الجسم ، غير أن توزيع بعض هذه التكدسات غير متساو فى بعض الأشخاص الآخرين ، ويعد توزيعه فى هذه الاحوان من السماء الاكلينيكية التى ترشد الى تشخيص الحالة المرضية ، وقد ظهر هذا التوزيع فى بعض الرسوم بوضوح يعجز أى مؤلف طبى حديث على أن يفوقه فى الوصف .

W. M. F. Petrie, Gizeh and Rifeh, London, 1907, Pl. XIX, No. 72.

J. E. Quibell, Excavations at Saqqara, 1923, Pl. XXX, 2,3.

وانظر عن الحمامات بمعبد دندرة (من عهد البطالمة) :

F. Daumas, in BIFAO, LVI, 1957, p. 5.

وهناك رسم للملكة «بونت» (٢٣) ، احتار العلماء في تفسير سبب سممة أردافها المفرطة ، وتلافيف الشحم واللحم التي تتدلى من ذراعيها وساقها ، دون القدمين واليدين ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أنه مرض الفيل ، بينما ذهب آخرون الى أنه «المكسيديم» (ضعف الغدة الدرقية) ، أو الكرمحة العنصرية ، أو ضمور العضلات المرضى ، على أن فريقا ثالثا يذهب الى أنه مرض دركوم (السمنة الموجعة) •

هذا ويبدو من نقش بارز لاينتها — انتزع من مكانه بمعبد الدير البحري في طيبة الغربية ، ولم يستدل على مكانه الحالي — أن مرض الام إنما كان وراثيا ، وقد أثار مظهره المزرى حافظة الفنان الكاريكاتورى فجعل منه محورا لرسم سخرى على الخزف •

وعلى أية حال ، فلقد عرف المصريون كثيرا من أمراض السرى ، والفتق الاربى ، الى جانب انتفاخ البطن ، وتضمم الاعضاء التناسلية والثديين ، فاذا جمعنا كل هذه الدقائق في فسيفساء طبية ، فانها تشكل صورة قريبة الشبه بمرض الطحال المصرى ، وقد تكون هذه الصورة ، — فيما يرى الدكتور بول غليونجى — رسما لمرض «عاع» الذى كثر الحديث عنه فى أوراق البردى الطبية ، والذى مايزال الشك يحوم حول معرفة كنهه ، فهو — فى رأى البعض — «البلهارسيا» لعلاقته بالديدان ، ولما يحدثه من ضعف شديد ، وان شك البعض فى أن يكون قدماء المصريين قد عثروا على دودة البلهارسيا فى الوريد البابى ، هذا فضلا عن أن هناك أوصاف عديدة للتبول الدموى ، جاءت بأسماء أخرى ، وان لم يجئ وصف منها باسم «عاع» ومن ثم فقد ذهب البعض الى أن مرض «عاع» هذا ، انما هو مرض «الانكلستوما» لما يسببه من هزال شديد قد يفتك بالمرضى ، وان استعمال المخصص يدل على ما يشكو الصبيان المصابون به من توقف فى النمو الجنسى ، والبالغون من زوال القوى الحيوية •

(٢٣) أنظر عن : بلاد بونت (محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة — مجلة كلية اللغة العربية والعلوم — الرياض ١٩٧٦ ص ٣٠٧ — ٣١٠ •

هذا ويدل تمثال «ذى القنب الحاد» بالمتحف المصرى على وجود مرض «سل العظام» بين القوم وقت ذاك كما أن ورم «روم القفداء» (القدم المنبعجة) ، وساق الفرعون «سبتاح» (من الاسرة التاسعة عشرة) ، وشكل مفتش الزراعة فى مقبرة «منا» فى طيبة الغربية (وهما ليستا بحجم واحد) ، انما تدل على أن شلل الاطفال لم يكن مجهولا وقت ذاك .

وفى بردية ايبرس وصف للذبحة الصدرية ، كما وصف القوم أيضا ادرار البول ، وقد يكون «البول السكرى» ، كما أن هناك أوصافا عدة لشلل الجسم ، والصمت نتيجة حدوث جروح بالرأس والجمجمة ، وأما أمراض المعدة فقد جاءت لها أوصاف عديدة شملت أمراضا مختلفة لأعضاء التجويف الباطنى ، كما عرفوا مرض الدرن ، وقد عزا البعض موت «توت عنخ آمون» المبكر الى اصابته بالدرن الرئوى ، وان لم يثبت ذلك على وجه اليقين .

وقد درس الدكتور محمد كامل حسين مجموعة العظام الموجودة بمتحف التشريح بكلية الطب بجامعة القاهرة ورجح أن الامراض الروماتيزمية كانت منتشرة بين القوم ، وكثير من تلك العظام مصاب بتكلس فى أربطة المفاصل ، مثل ما يحدث فى مرض «بكتروف» Bechterew ، كما وجد Exostoses فى الجمجمة ، أى زيادات موضعية فى العظم ، تشبه ما يحدث حول أورام «الام الجافة» .

هذا وقد وصف المصريون نوعا من الحمى المصحوبة بطفح جلدى ، وقد فسره البعض بأنه «الطاعون» وفسره آخرون بأنه «الجدرى» ، كما وصفوا نوعا من الدود بأنه (ينفرج) ، وقد يكون الدودة الوحيدة ، كما وصفوا نوعا آخر (مستطيل) وقد يكون «الاسكارس» أو غيره من

الديدان ، وعالجوه بالخس والشبث والبصل (٢٤) .

-
- (٢٤) بول غليونجي : الحضارة الطبية ص ١٥ - ٢٢ ، تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٣٩ - ٥٤١ ، وانظر :
- B. Gunn, in BIFAO, 30, 1930, p. 791-815.
C. Kuentz, in BIFAO, 34, 1934, p. 143.
P. Ghaliyngui, in ASAE, XVII, 1947, p. 29.
A. Mariette, Deir el-Bahari, Texte, Leipzig, 1877.
E. Brunner, Die Alt-Aegyptisch. Scherbenbilder, 28, 1956, No. 76-1-1.

الفصل السادس

الاجراءات العلاجية

١ - التشخيص :

اعتمدت طرق فحص المريض على الخبرة ودقة الملاحظة ، وكان الفحص يبدأ عادة باستجواب المريض استجوابا دقيقا ، ثم بفحصه فحفا عينيا شاملا ، يبدأ بالوجه فيلاحظ الفاحص لونه ، وافرازات أنفه وجفنيه وعينه ٠٠٠ الخ ، ثم تشم رائحة الجسم من عرق ونفس ، ثم يأتي فحص البطن ، فالاعضاء الأخرى (أذينا ، رعدة ، دوالي ، براز ، عرق ، لعاب ٠٠٠ الخ) ، ثم يتبع الشم الجسم والطرق ، وتقدير حرارة الجسم ، وفحص البراز والبول (١) .

٢ - الإجراءات العلاجية :

يشير ما جاء في بردية إبيرس الى تقدم طب الاسنان عند المصريين القدماء ، ومن ذلك توصية بحشو السنه بخليط من الملايخيت والصمغ ، هذا وقد اكتشف «هرمان يونكر» (٢) تثبيت سننتين معا بربطهما بسلك ذهبي ، وهو أول ما عرف من عمليات الجراحة الترميمية في التاريخ ، أضف الى ذلك الفك الذى عثر عليه في الجيزة ، وقد وجدت به ثقب صنعت لتصريف «خراجات» بالاسنان (٣) .

وكانت الجراحة تتم بأنواعها على أيدي كهنة الالهة «سخت» (٤) المتخصصين ، من جراحة صغرى ، وأخرى كبرى ، فهناك عمليات الختان وفتح الخراجات ، وهناك عملية الترتبة ، وكان التخدير يتم قبل اجراء الجراحة ، ثم تخاط الجروح بعد انتهاء الجراحة ، وتعالج بالاربطة أو باللحم الحى والاعشاب المقابضة والعسل .

-
- (١) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٤٤ .
 (٢) H. Junker, Giza, I, 1929, Pl. XL. C.
 (٣) J. H. Breasted, The Edwin Smith Papyrus, Chicago, 1930, p. 53.
 (٤) أنظر عن الالهة سخت (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ٣٤٨/٢ - ٣٤٩ ، مصر ٨١/٢ - ٨٢ .
 V. Lons, Egyptian Mythology, 1968, p. 106.

هذا ولم تذكر اللفائف الطبية شيئاً عن جراحة العين ، ومع ذلك فقد كان هناك تمييز واضح بين علاج العين الظاهر ، وعلاجها من الداخل ، فالأخير كان يجرى بواسطة ريتسة نسر ، استعملت كقطارة ، وتعتبر هذه أول قطارة عرفت في التاريخ ، ولعل هذا هو ما أراد أن يمثلها الفنان الذي زين مقبرة «ايبي» في طيبة الغربية ، اللهم الا اذا كان الفنان يقصد برسمه هذا ، انتزاع جسم غريب نتأ من تابوت «ايبي» ، فدخل في عين أحد العمال عن طريق أداة تشبه المروود المطويل .

وقد عرف المصريون القدماء الجبائر في حالات الكسور البسيطة والمضاعفة ، بل وحتى المومياء التي أصيبت بكسر ما في أثناء عملية التحنيط الطويلة ، كانوا يجبرونها هي الأخرى ، حتى تلقى ربهما ، وهي في أكمل صورة جسمانية ، هذا وتشير بردية أدوين سمث الى القدرة على التفرقة في التشخيص بين الكسور والنقل ، وأما الجبائر فكانت من قشر الخشب أو من الغاب المغلف بقماش من الكتان تتصل بعضها ببعض الآخر عن طريق أربطة ، وكان العضو المراد تجبيره يلف بها على أن يراعى أن تمتد الجبائر الى المفصلين في أعلى وأسفل الكسر ، وتشير البردية الى علاج كسر للترقوة فتقول : «اذا فحصت رجلاً مصاباً بكسر في الترقوة ، ووجدت بها قصراً ، فقل هذا مرض سعالجه ، وألقه على ظهره ، وضع بين اللوحين وسادة حتى يتباعد جزء الترقوة ، ويرجع العظم المكسور الى موضعه ، ثم تثبت وسادة من الكتان على الجانب الداخلى من ذراعه ، ثم ضمده بال «ايمر» والعسل في الايام التالية .

وكانت الخراجات والدمامل تعالج بثقبها ثم تصفيتها ، اما بواسطة شرائط من الكتان ، واما بقمع من الغاب ، وكانت تولى عناية خاصة لانقزاع كل بقايا الاورام تماماً ، خوفاً من أن تعود مرة أخرى .

هذا وقد عرف المصريون وقت ذاك عمليات التربنة ، فهناك ثلاثة جماجم من العصر الفرعوني بها ثقوب مستديرة ، ذوات حواف ملساء ، يحتمل أن تكون نتيجة لهذه العمليات ، ورابعة يعتقد الان أنها ضمور سببه الشيخوخة .

وقد استعمل المصريون أنواعا من المشارط مختلفة ، وكذا أنواعا من الكلابات ، وآلات الكى ، ولكل منها استعمال خاص فى مرحلة معينة من العملية لا تتعداه الى غيرها ، ويحتمل أن تكون هذه بعض الادوات المعروضة فى المتاحف المختلفة مثل : المشارط المستقيمة ، والمشارط المعوجة ذات السلاح المنعكف قريب الشبه بطاقيـة فريجيا ، والملاقيط المستقيمة والمعوجة وذات الحواف الملساء ، وأخيرا الكلابات المسننة ذات حلقة تحد من فتحها ، وتحكم امساكها ، أما الفار فكانت تستخدم فى كى الجراح والاورام .

هذا وفى معبد كوم امبو — على مبعـدة ٤٢ كيلا شمالى أسوان — مجموعة طيبة من الرسوم تشير الى الآلات الجراحية التى كان يستعملها الاطباء ، ويمكن استعمال بعضها ، أما البعض الآخر فمزال فى حاجة الى فحص ودراسة — شأنها فى ذلك شأن الكثير من الآلات الطبية والجراحية التى تـرخر بها المتاحف — وقد قسمت اللوحة التى توضح الآلات الجراحية ، أهـقيا الى أربعة أقسام :

١ — تشمل من اليمين الى اليسار : قرنين يستعملان للحجامة ، ثم مجموعة «ابر» كل منها يحتوى على ثلاثة ابر ، ربما كانت تستعمل للوشم ثم ابرة ثم مجس أو قسطرة أو مسبرة وآلة كى ، ثم آلة أخرى ، ثم مسبر ومجس أو مسطرة أو مسبر ، ثم آلة غليظة الوسط ، رفيعة الطرفين يليها آلة كى .

٢ — وتشمل أيضا : يد هاون بميزراب أسفله هاون بدون ميزراب ، ويليه مبضع صغير بحددين ، أسفله آلة كى صغيرة ، ثم جفت ، ثم مبضع كبير بحددين ، ثم زجاجة صغيرة للدواء أسفلها ثلاث ملاعق ، ثم مبخرة بأسفلها مخرزان .

٣ — تحتوى على ميزان بكف أسفله زهر اللوتس والبشنين ، اشارة الى الصعيد والدلتا ، ثم تعاويذ. على شكل عينين أسفلها قرن ، كان يستعمل للحجامة ، ثم انيتان للعقاقير ، ثم جفت متوسط الرأس منحنى المقبض لمنع الانزلاق — جفت مستدير الرأس مستقيم اليمين .

٤ — ويحتوى على مشرطين ، ثانيهما أكبر دوراناً من الاول ، ثم ابرتان ، فحوض مزدوج أسفله كرة خيط ، ثم مقص بلولب ليس له مقابض ، ثم ملقاط ، ثم كأسان لعمل الحجامة •

٣ — امراض النساء :

تناولت أمراض النساء برديات ايبرس وكاهون وبرلين وكارلزبرج ولندن ، ويبدو أن كل ما ورد عن أمراض النساء قد نقل من المجموعات الطبية التي ذكرها «كليمان السكندري» (١٥٠ — ٢١٢م) ، فقال عنها أن الجزء الخامس منها مخصص للرمد ، والسادس مكرس لأمراض النساء ، ومن الطريف أن بردية كارلزبرج قد تناول الاختصاصين ذاتهما ، ويذهب البعض الى أن الزواج المبكر والولادات المتعددة في سن مبكرة ، والأعمال المرهقة التي كانت تقوم بها نساء العامة ابان الحمل ، وجهل القابلات ، انما كانت تسهم في مضاعفة الامراض التي كانت تصيب المرأة في مصر القديمة •

وكان القوم يعتقدون أن أعضاء الحوض عائمة متجولة في التجويف الباطنى ، الامر الذى جعلهم حريصين على اعادة الرحم الى مكانه في حالة المرض ، ومساعدته في ذلك باطلاق بخور من شمع معطر تحت المرأة ، وكثيرا ما كان هذا الشمع يصب في قالب على شكل «أبى قردان» — ممثل الاله تحوت — ليمنحه هذا الرمز فاعلية أكبر في الشفاء •

وقد وصف القوم سقوط الرحم وعالجوه ، اما بمختلف أنواع اللبوس أو بالتبخيرات المركبة من الشمع أو الغائط المجفف والتربتين ، وعالجوا التهابات الرحم ، وانتفاخ عنقه بالحقن المهبليّة المحتوية على عصير بعض النباتات ، كما عالجوا مرضا سموه «أكل الرحم» علاجاً موضعياً ، وقد عزا القوم الى مرض الرحم أعراضاً عديدة ، مثل الآلام التي تصيب أسفل البطن والرقبة والاذنين وأمراض العيون والنوبات العصبية ، وقد وصفت بردية كاهون مرضاً يشمل مجموعة من العوارض هي : التهاب الرحم ، وآلام المفاصل والعينين ، ولعل هذا يطابق ما يسمى بالسيلان من الالتهاب الموضعى والروماتيزم المفصلى والتهاب العينين •

وأما عن الحمل والولادة ، فهناك عدة طرق للتأكد من خصب المرأة وعقمها ، وقد أشرنا من قبل ، الى طريقة وضع لبوس من الثوم في المهبل ثم ملاحظة رائحته في الفم ، كما كان لدى القوم عدة طرق لتشخيص الحمل ولمعرفة نوع الجنين ، وهذه الطرق بعضها أشبه ما يكون بالسحر ، وبعضها قد يكون له أساس علمي ، وكان الاطباء يوصون في تشخيصهم للحمل بوضع بول المرأة الحبلى على مقدار من القمح ، وآخر من الشعير ، فان نبت القمح كان الجنين ذكرا ، وان نبت الشعير كان الجنين أنثى ، وان لم ينبت أيهما كان ذلك دليلا على عدم الحمل •

هذا ورغم أن هناك وصفة لمنع الحمل لمدة عام ولعامين ولثلاثة أعوام فقد ذهب كثير من الباحثين الى أن الاجهاض كان محرما في مصر الفرعونية ، كما أن تحديد النسل كان معاقبا عليه •

وأما عن الوضع فان النساء كن يجلسن ، اما في وضع ثنى الركبتين ، واما القرفصاء مع وضع اليدين على الفخذين ، يبدو ذلك واضحا في نقش بالمتحف المصري ، حيث تجلس الموالدة على ركبتها ، واضعة يديها عليهما ، وتساعددها على كلا جانبيها الالهة حاتحور ، وترى في بعض النصوص قالبي طوب وضعا تحت كلا الفخذين ، وتجلس عليهما المرأة المستعدة للولادة القرفصاء (وكانت هذه الطريقة شائعة الى عهد قريب في الريف المصري) ، وربما كان هذان الحجران أصل الكرسي ذي شكل حدوة الحصان ، وان اختلف العلماء في تفسير استعمال هذا الكرسي نظرا لضيق الفتحة به عن حجم رأس الطفل ، فقالوا انه كان مقعدا للراحة ، ويوجد كرسي آخر قد يكون القوم قد استعملوه لمثل ذلك الغرض ، وأيا ما كان الامر ، فلقد كان الطفل يتغذى بعد الولادة بطريق الثدي •

هذا وفي بردية وستكار اشارات الى ما يجب الاحتفاظ به لسلامة المرأة الموالدة ، ووقاية الأطفال وقت الولادة ، وغسل المولود ، وقطع صرته ، وتطبيب ملابسه بما يستطيع ، هذا وكانت المرأة المصرية حريصة انى أبعد الحدود على ارضاع طفلها ، وطبقا لما جاء في نصائح الحكيم

«آنى» فقد كان الطفل المصرى يفطم بعد سنوات ثلاث من ولادته (٥) .

٤ - العقاقير :

عرف المصرى القديم خواص العقاقير ، وهو ينتقى الطعام ، وأدرك عن طريق الملاحظة أثرها الطبى ، وقد توارث القوم هذه المعرفة ، ومن نم فقد تخصصت فيها بعض الاسر حتى غدت سرا يكاد يكون مقصورا على أفرادها يتوارثونه فى حذر وكتمان ، ولعل من مظاهر هذه السرية أن كثيرا من العقاقير كان لها أسماء لا يعرفها غير فئة من المختارين ، فمثلا سميت «الابسنت» بقلب الرحم ، و «الكروكوس» بدم هيراقل . الخ ، مما زاد فى صعوبة تفسير النصوص القديمة ، ومما يحمل على الظن بأن أدوية كثيرة نحسبها الآن خيالية أو سحرية ، وقد كانت فى الحقيقة مفردات طبية عادية رمز اليها بأسماء سرية .

ولعل من الامثلة التى تبين لنا مدى صعوبة تفسير النصوص أن هناك نباتا يدعى بالمدرية «ميمى» ذهب البعض الى أنه «الخلة» ، وذهب آخرون الى أنه «الدوم» ، وذهب فريق ثالث الى أنه «كمون حبشى» ، على أن «جربابو» يشير الى أنه «القمح» ، بينما يشير «لوفيفر» من طرف خفى الى أنه «الذرة» ، وهناك لفظ مصرى آخر هو «ظرت» ذهب البعض الى أنه «الحنظل» ، وذهب آخرون الى أنه «الخروب» أو «الخرنوب» ، بينما ذهب فريق رابع الى أنه ربما يعنى القرع والحنظل ، بينما حدده فريق خامس بالحنظل فقط .

- (٥) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ٥٤٤/١-٥٥٥ ، الحضارة الطبية ص ٢٣ - ٣٠ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٦ - ٤٦٧ ، يوليوس جيار ، ولويس ريتز : الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة ص ٤٨ - ٥٢ ، حسن كمال : المرجع السابق ٢/٢٣٩ - ٢٦١ ، ٤٧٨ - ٤٩٤ ، محمد عبد الحميد : الفراعنة والطب الحديث - القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٠٠ - ٢٠١ وكذا
J. Capart, BIFAO, 30, 1931, p. 73.
وكذا J. Capart, une rue de Tombeaux..., Bruxelles, 1907, p. 51, Pl. 66.
P. Ghalioungui, Magic and Medical Science in Ancient Egypt, London, 1963, p. 92.
وكذا F. Daumas, BIFAO, LVI, 1957, p. 5.
وكذا J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 420-421.
وكذا

وهكذا تتضارب آراء العلماء في تفسير أسماء بعض النباتات المصرية، وليس لدينا غير وسيلتين يستعان بهما على فهم المدلول ، أولهما : الخصائص الطبية للمعقار وفائدتها في العلاج ، وثانيهما : المقارنة اللغوية بين المصرية والقبطية والعبرية والعربية •

وعلى أية حال ، فرغم أن العقاقير المصرية انما كانت نباتية وحيوانية ومعدنية، غير أن العقاقير النباتية انما كانت تشكل $\frac{9}{10}$ (خمسة أسداس) ما استعمله المصري القديم من عقاقير ، وقد كان على رأس العقاقير النباتية المصرية نبات «دجم» الذي ربما كان «الخروع» ، وقد وجدت جذوره بمصر منذ عصور ما قبل التاريخ ، وقد أدرك المصريون خواصه الشفائية فاستعملوه في جميع الامراض ، وأفردت له «بردية ايبيرس» فصلا خاصا ، وأشارت الى استعمال بذوره كملين تمضغ مع الجعة ، وهذا اجراء سليم ، فالبذور سريعة الذوبان في الكحول - والكحول يرسب بدوره المواد السامة ، كما استعمله القوم أيضا لامراض قشرة الرأس، ولعلاج سقوط الشعر ، وكدهان لحالات كثيرة •

هذا وكان لنبات «الخنس» مكانة دينية خاصة ، وله علاقة وثيقة بالله الاخصاب «مين» ، وقد أثبت العلم الحديث أن الخنس يحتوى على فيتامين (هـ) الذى يفيد في حالات العقم والضعف الجنسي ، كما أثبتت العلاقة الوثيقة بين هذا الفيتامين وبين هرمونات التناسل عند الذكر والانثى ، كما عرف القوم نبات «الخشخاش» بنوعيه كدواء مسكن منوم، كما عرفوا «الرمان» وهناك وصفة طبية لمستطب مصنوع من جذور الرمان ، وأخرى من قشر الرمان لطرد الديدان المعوية ، كما استعملت قشور الرمان كمادة قابضة لعلاج القروح والجروح وأمراض النساء ، كما استعملت العصارة اللبيفية للجميز في علاج الامراض الجلدية وخاصة الصدفية ، كما وصف الجميز للنزلة المعوية ، كما ذهب البعض الى أن اسم «تقوت» بمعنى الجميز ، قد ورد مسهلا وعلينا ، وضد التهاب اللثة ، وضد الاسقربوط ، كما وصف الاينسون (ينسون) بأنه منبه معدى عطري معرق منفث ، مخرج للارياح ينفع لانتفاخ الامعاء يضاف للمسهل ضد المغص ، ومهدىء عام •

وقد أفردت بردية «أدوين سمث» فصلا للحلبة ، وقد كانت تستعمل
علاجاً لازالة تجاعيد الشيخوخة ، كما كان زيتها يستخلص لاستعماله
دهانا لتجعدات الوجه عند النساء ، كما وصفت للتئدي المريض موضعيا ،
ولطرد الارواح الخبيثة كعلاج نفسي ، ولأسهال البطن ، كما وصف
«الخيار» (شسبت) للقلب ووصف ورقه للأحمى وللشلل النصفي الأيسر ،
ولابعد التهاب الشرج .

هذا وقد امتلأت البرديات الطبية بالعقاقير النباتية ، مثل السنط
والابسنث والصبر واللوز والشبث والايسون والبابونيك (وزيته كان
يستعمل في التدليك) والخروب (لتقوية الباه وطراد الديدان وتحلية
الادوية) والمقرطم والششم (ويستعمل لعلاج الرمد) والكمون وحب
الهان وعدة نباتات من فروع من فصيلة القرع والهندباء والتين والعرعر
والحشيش والسكران والكتان والزئبق والفاح والنعناع والخردل المر
وجوزة الطيب وحب البركة والبلح والفسق والفجل والزعفران والبصل
وغيرها .

وأما المواد الحيوانية فأهمها العسل (بيت) وقد وصف للأمعاء والبطن
وضد الدسنتاريا وضد التهاب العينين لتحسين الابصار وللحروق ، وهناك
ألبن البقر والماعز والمرأة ، وقد اعتبر القوم لبن النساء عامة أرقى من
لبن الحيوان ، كما كان يحلون لبن المرأة التي أنجبت ذكرا في المرتبة
الأولى ، وقد عرف أن «أبقراط» أوصى بعدهم كذلك باعطاء اللبن نفسه ،
كما فعل الاقباط وعرب مصر نفس الشيء بدورهم ، وهناك «كبد الثور» ،
وقد وصف ضد العشى ، كما ذهب «صابر جبرة» الى أن المصريين قد
عالجوا الاجهاض المتكرر بالكبد ، وذلك بسبب وجود فيتامين (أ) فيه
بكثرة ، وهناك «مرارة الثور» وقد وصفت ضد ثعبان البطن وكمرهم
للحمرة ، وهناك رأس وصغراء بعض الاسماك والمخ ، ودهن الحيوانات
وافرازاتها ، كما استعملت الدهون والشحوم الحيوانية كوسيلة لعلاج
البشرة وتطرية الجلد وتغذيته ، اما خالصة أو مركبة مع غيرها .

وأما المواد المعدنية فهي كالحجارة الكريمة (وخاصة الفيروز) والذهب

والمفضة للمطاسم ، والشبة وأملاح الانتموان وكاربونات النوشادر والجير
وصداً النحاس (الزنجبار) وأملاح الحديد والماتيزيا وسلفات الزئبق
وأملاح الرصاص والبولتاسا والصودا ، وكانت العقاقير المعدنية تحتل
المكان الثانى من دساتيرهم الدوائية ، رغم أنها تحتل المكان الاول من
حيث تاريخ استعمالها^(٦) .

(٦) حسن كمال : المرجع السابق ٣٠٥/١ - ٣٨٦ ، بول غليونجى :
تاريخ الحضارة المصرية ٥٦١/١ - ٥٦٣ ، صابر جبرة : تاريخ العقاقير
والعلاج - القاهرة ١٩٦٠ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٨ -
٤٧٣ ، وكذا

H. Grapow, Op-Cit, 6, 1959, p. 20-22, 42-45, 156-158, 223-225,
305-306, 345-346.

L. Keimer, Op-Cit, 4, p. 34, 149.

B. Ebbell, Op-Cit, p. 210, 219, 226, 630, 741.

C. Leake, Op-Cit, p. 68-69

V. Loret, Op-Cit, p. 86.

Rec. Trav., 15, 1893, p. 121.

JEA, 20, 1934, p. 41.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 223.

F. Jonkeheere, Op-Cit, p. 60-64.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

الفصل السابع

التحضير

١ - تقسيم

كان المصريون القدامى من أوائل الأمم ، ان لم يكونوا ، أول أمة آمنت (عن طريق الفكر الانساني) بالبعث ، والخلود بعد الموت في حياة قد لا تختلف في جوهرها عن حياتهم في العالم الدنيوي ، حدث ذلك قبل التاريخ بالآلاف السنين ، كما تشير الى ذلك بقايا أقدم حضارات العصر الحجري الحديث — كما في مرمدة بنى سلامة وفي حلوان العمرى وفي دير تاسا — (١) •

وليس هناك من شك في أن بناء الاهرامات وغيرها من العمائر الدينية المضخمة في العصور التاريخية ، انما كان نتيجة سيطرة الدين على المصريين وأثره في حياتهم وتفكيرهم ، فالدين — كان ومازال وسيظل — أكبر قوة تؤثر في حياة الانسان ، كما انه كان منفذا للمخيلات ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة به ، ذلك التغير الذي أوحى اليه بفكرة الخلود أو الحياة بعد الموت ، هذه الفكرة كان قد اعتنقها القوم ، وكان لها أكبر الاثر في نفوسهم ، بل انه — فيما يرى برستد — لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب العالم ، احتلت في نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التي احتلتها في نفس الشعب المصرى القديم (٢) •

هذا وقد اعتقد المصريون القدامى أن الانسان انما يتكون من جسد وروح ، وأن الجسد مصيره الى القبر بعد الموت ، وأما الروح لمصيرها الى السماء ، وكما جاء في نصوص الاهرام : «أن الروح انما تذهب الى السماء بينما يبقى الجسد في الارض ، ومن ثم فقد اعتقدوا أن هناك — بجانب الجسد المادى (خت) — روحا نورانية شفافة هي (الآخ) تذهب الى السماء ، وتبقى فيها الى الابد مع الاله «أوزير» •

(١) أنظر (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ٤٠٧ - ٤١٤) •

(٢) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 45.

وهناك روح أخرى هي «الكا» (أى القرين) تبقى بجوار الجسد في مقبرته ، وفيما حوله على الأرض ، وأن القرابين انما تقدم لها ، وهى في نظر القوم ، الملاك الحارس للانسان ، أو التى كان المرء يستقبلها عند مولده بأمر من الاله «رع» ، كما كانوا يعتقدون أنه مادامت هذه «الكا» معه ، ومادام هو رب الكا ، وأنه يغدو منها ، فهو حى يرزق ، ولئن كان أحد لا يستطيع رؤية هذه «الكا» ، فالمعتقد أنها تشبه صاحبها تماما .

وهناك روح ثالثة هي «البا» ، والتى يمكن تسميتها بالروح الابدية، وهى اذا كانت تترك الجسد ، وتنفلت منه عند الموت ، فقد تخيلوها في أشكال مختلفة ، فهى أحيانا كطير ، ومن ثم فمن المحتمل — فيما يرى القوم — أن تكون روح الميت طائرا بين طيور الاشجار التى غرسها بنفسه ، وقد تكون في هيئة زهرة اللوتس ، أو في هيئة ثعبان يندفع من جحره ، أو في هيئة تمساح يزحف من الماء الى الأرض .

هذا وكان القوم يعتقدون أن «البا» تلحق بموكب الشمس في رحلتى الليل والنهار ، وأنها تزور الجسد في رحلة النهار ، وأن كلا من «البا» و «الكا» مرتبط بقاءهما وخلودهما ببقاء الجسد وخلوده ، كما أنهما تفنيان بفناء الجسد وفساده ، ولعل هذا هو السبب في اهتمام القوم بتحنيط أجساد موتاهم ، حتى تحتفظ بملامحها التى كانت لها في الحياة الدنيا (٣) .

٢ - التحنيط

اعتقد المصريون القدامى أن الموت هو انفصال العنصر الجسماني عن العناصر الروحية ، ومن هنا كانت العناية بدفن جثث الموتى ، إذ أن غناءها معناه هلاك الروح ، ولهذا عملوا على المحافظة على جسد المتوفى حتى يستطيع أن يحيا حياته الثانية وأن يتمتع بما يودع الى جانبه من طعام وشراب وكساء وما يقدم له من قربان، على أن القوم منذ أن بدأوا يدفنون موتاهم في توابيت وفي غرف من اللبن أو غرف محفورة في الصخر ، تعرضت الجثث للتلف ، ذلك لأن الرمال الحارة

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٤١٤ - ٤١٦ .

الجافة لم تعد تمتص ما فيها من رطوبة تعمل على فسادها ، ومن ثم فقد عملوا على الحفاظ على المظهر الخارجى للجثة بوسائل شتى ، منها لف الجثة بلفائف من الكتان تحتفظ بالشكل الخارجى للجسم أو تغشيها بغلاف من الجص ، وخاصة الوجه الذى ترسم عليه ملامحه ، أو تغطية الرأس بقناع من الكتان والجص معا تشكل فيه ملامح الوجه ، وقد بلغوا بهذه الوسيلة غايتها فى بداية الأسرة الثانية عشرة ، حيث صنعوا توابيت مخلقة على هيئة الميت يضعون فيها جثته ، ثم يضعونها داخل تابوت آخر من الخشب .

وهكذا لم يدخر القوم وسعا فى الحفاظ على الجثة ، وإن كان أهم وسائلهم فى ذلك هو التحنيط ، بل لقد وصل اهتمام القوم بالحفاظ على الجسد سليما الى تعويض الاطراف المنزوعة أثناء الدفن بأخرى ، والى تركيب الجبائر الى الاطراف المكسورة بعد الموت ، ربما نتيجة لقلّة العناية فى أثناء التحنيط ، وكانهم أرادوا علاجها بعد الوفاة ، ذلك لأن العملية انما كانت دينية أكثر منها طبية ، وذلك حتى يمكن للروح أن تبقى وأن تتعرف على الجسد ، وتتمتع بما يقدمه الاحياء للميت من قرابين ، وما يصاحب عملية تقديم القرابين من طقوس دينية وصلوات ودعاء ، ومن ثم فقد كانت للمقابر ، وخاصة فى عهد الدولة القديمة والوسطى ، أبواب وهمية ، كانت أول الامر مجرد فجوة فى الحائط ، تطورت فيما بعد الى رسم يسمح للمتوفى بالدخول والخروج من المقبرة ، كما نحتت كذلك فوق الباب الوهمى لوحة صور فيها المتوفى وأمامه مائدة القرابين .

والتحنيط : لغة استخدام الحنوط أو الحنط ، وهو كل طيب يمنع فساد الجسد أو هو كل ما يطيب به الميت من مسك وذريرة وصندل وغنبر وكافور ، وغير ذلك مما يذر عليه تطيبا له وتجفيفا لرطوبته ، ولفظ "Embal" يعنى حنط من لفظ لاتينى Balsmum أى حفظ فى البلسم ، أما لفظ موميا فقال عنها صاحب «أقرب الموارد» أنها دواء ، وربما أطلقت الموميا اليوم على ما حنط من الاجسام ، وهى يونانية معناها حافظ الاجسام ، ويطلق على الجسد المحنط مجازا اسم موميا لما يعترئها من

سواد يشبه القار المعدنى (الاسفلت) ، وهو اللون المعروف للمادة التي وصفها «دسقوريدس» وذكر أنها تسمى «مومياء» ، ويذهب «الفرد لوكاس» الى أن هذا اللفظ ربما كان لفظا فارسيا بمعنى القار ، وأنه أطلق في العصور المتأخرة على الجثث المصرية المحنطة لقرب لونها من القار ، غير أن التسمية خاطئة ، ذلك لأنه لم يعثر على قار الا في مومياء واحدة من العصر الفارسي ، وان استعمل في عصر الاغريق والرومان ، ولعل سواد القار والراتنج هما سبب هذا الخطأ الذي وقع فيه بعض الاثريين (٤) .

وأيا ما كان الامر ، فهناك آثار للتحنيط منذ الاسرة الاولى (٥) ، ثم لا نلبث أن نتيبينا في وضوح في عصر الاسرة الثانية (٦) ، وقد كان من الممكن أن يتوافر لدينا الكثير من آثار التحنيط مرتبة يتلو بعضها بعضا ، لولا ما وقع على قبور الملوك والنبلاء من عدوان ، وما أصابها من تخريب على أيام الثورة الاجتماعية الاولى ، وعلى أى حال ، فلقد كان الجسد في الاسرة الاولى يلف في طبقات سمكية من الكتان ثم سرعان ما ظهر في عهد الاسرة الثانية ما يثبت بداية المحاولات الاولى للتحنيط الحقيقي ، وذلك باظهار ملامح المتوفى بالغة بأربطة الكتان بطريقة تسمح بالمحافظة على الشكل الحى للوجه والصدر والاطراف بعد تحلل الجسد في هيكله العظمى وتقلصه ويبدو أن ذلك قد تحقق بغمس الكتان في مادة صمغية حتى أن تلك الموميات التي ترجع الى الاسرة الثانية انما تكاد تبين مظهر أصحابها بوضوح ، فقد مثلت ملامح المتوفى بتفاصيلها ، وكذا أعضاء الرجال التناسلية ، وأبرزت تفاصيل الثديين للنساء في صورة كاملة ، كما وضعت الجثث في وضع القرفصاء، وفصلت الذراعان والرجلان والاصابع ولفت بحيث تأخذ شكلها الاصلى في الحياة (٧) .

(٤) A. Lucas, Op-Cit, II, p. 338; R. Forbes, Studies in Ancient Technology, II, 1955, p. 99.

JEA, 7, p. 7-31. (٥)

A. Lucas, Ancient Egyptian Materials and Industries, II, London, 1948, p. 230. (٦)

W. B. Emery, Archaic Egypt, p. 162-164. (٧)

على أن القوم ، فيها يبدو ، انما قد توصلوا الى التحنيط بالمعنى الصحيح ومارسوه فعلا في الاسرة الثالثة ، اذ وجدت من عصر هذه الاسرة توابيت لحفظ الموميا ، وتوابيت أخرى بها أربعة أوان من المرمر لحفظ الاحشاء المحنطة ، كما وجدت بقايا من موميا الملك «زوسر» في غرفة الدفن الجرانيتية في هرمه المدرج بسقارة^(٨) .

ولعل أقدم مثال للتحنيط انما هو موميا الملكة «حتب حرس» ، زوج الملك سنفر ، وأم الملك خوفو ، وقد وجدت أحشاء هذه الملكة محنطة ومودعة في صندوق من المرمر ، عرف باسم «الصندوق الكانوبي» ، وقد قسمت الى أربعة أقسام زود كل منها بمادة التحنيط ، وهى التى عثر عليها في حجرة الدفن بمقبرتها ، شرقى الهرم الاكبر ، غير أن طريقة التحنيط لم تكن في الدولة القديمة قد وصلت الى درجة كبيرة من الاتقان ، ومن ثم فقد عمد القوم وقت ذاك الى استكمال تمثيل ملامح الجسم بقماش كتان غمس في راتنج منصهر ، بحيث يبدو الوجه والجسم بملامحه الحقيقية في الحياة ، ولعل أبداع مئثر لوميا الدولة القديمة هو موميا «نفر» التى كشفت عنها هيئة الاثار في سقارة عام ١٩٦٦م .

هذا وقد كانت عملية التحنيط تستغرق سبعين يوما ، كان الكهنة في أثنائها يرتلون الصلوات ، وقد ارتدوا قناعا على شكل رأس ابن آوى ، وهو يمثل أنوبيس ، اله الجبانة وراعى الموتى ، والذى كثيرا ما كانوا يسمونه «رئيس خيمة الاله» ، وكان التحنيط يتم داخل حظيرة مؤقتة تفك عقب الانتهاء من الخطوات الاولى ، وهى الغسل ، وذلك في أماكن مخصصة لذلك تقع في الغرب قريبا من مكان الدفن ، ونظرا للأهمية العقائدية لأماكن التحنيط ، فقد سميت «الماكن الطاهرة» و «دار الاله الطاهرة» و «خيمة الرب» و «كشك الاله» ، وبدهى أن التحنيط انما كان يستهدف في الدرجة الاولى المحافظة على الجسد من عوامل البلى عن طريق تخفيضه ، ولكن ليس هناك من ريب في أن هناك طرقا أخرى لمنع التعفن ، منها طريقة التبريد في صفائح بعد تعقيم محتوياتها ، هذا فضلا

(٨) زكى اسكندر : التحنيط في مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٣ ص ١٠ .

عن طرائق التخليل والتعليق والتدخين والتجفيف ، كما أن هناك مواد كيميائية تمنع العفن كالجلسرين والكحول والزيوت الطيارة والتوابل وحامض الجاويك وثاني أكسيد الكبريت ، وأخيرا فإن أقسام التشريح في المستشفيات التعليمية تحفظ الجثث من العفن عن طريق حقنها بمواد مطهرة (٩) .

ولعل سائلا يتساءل : ما هي الوسائل التي استخدمها المصريون القدماء لتحنيط أجساد موتاهم بطريقة أذهلت الدنيا كلها بخاصة وأن جسم الانسان انما يحتوى على ٧٥٪ من وزنه ماء ، وأن اخراج هذه الكمية الهائلة من الجسم ليس بالامر السهل ؟

لقد قام جدل طويل حول اجابة سؤالنا هذا ، فذهب رأى الى أن القوم انما استعملوا حمام الملح بعد استخراج الاحشاء أثناء التحنيط ، فهناك ما يشير الى أنهم قد حفظوا الاسماك بطريقة التعليق وذلك بسبب وفرة الملح ورخصه ، ورغم أنه لم يعثر في الموميات ما يشير الى استخدامهم لهذه الطريقة في التحنيط ، فليس هناك ما ينفي استعمالها ، فضلا عن العثور على الملح في لفائف الجثث وفوق الملابس التي تنتمي الى العصر المسيحي (١٠) ، ومن ثم فقد ذهب «البيوت سمث» الى أن استعمال الملح في التحنيط ، بل ان ملح الطعام انما كان أهم مواد التحنيط في أغلب الاحصاين (١١) .

على أن هناك ما يقف عقبة في قبولنا لهذه الطريقة ، ذلك أن ملح النطرون انما يحتوى على نسبة عالية من ملح الطعام ، وعلى سبيل المثال فقد حوت عينات النطرون من الكاب ٧٥٪ من ملح الطعام ، ولعل الاتجاه السابق كان نتيجة لذلك ، وهذا يعنى انه اعتبر المادة الشائبة هي المادة الاصلية ، بينما اعتبرت مادتا الكربونات والبيكربونات الصودا ، على

(٩) حسن كمال : الطب المصرى القديم ٥٦٢/٢-٥٦٣ ، بول غليونجي : الحضارة الطبية في مصر القديمة ص ٣٢ ، زكى اسكندر : المرجع السابق ص ١٠ .

(١٠) Warren Dawson, Magician and Leech, London, p. 39.

(١١) G. E. Smith and W. Dowson, Egyptian Mummies, p. 168.

أنها شوائب ، رغم أن الحقيقة عكس ذلك تماما ، ولعل هذا هو الذى دفع بعض الباحثين الى اعتبار مومياء الملك مرنبتاح مكسوة بملح الطعام بسبب غرقه فى البحر ، على اعتبار أنه فرعون موسى ، غير أن التحليل الكيميائي قد أثبت أن كمية الملح قليلة ، وانطلاقا من هذا كله ، فقد استبعدت طريقة التمليح من أن تكون الطريقة العادية فى التحنيط^(١٢) .

وهناك وجه آخر للنظر يذهب الى أن القوم قد عرفوا طريقة التدخين ، اعتمادا على العثور على حجرة فى مقابر طيبة وقد امتلأت بالجبث حتى سقفها ، هذا فضلا عن حجرات مجاورة كسيت جدرانها بطبقة من الهباب ، مما يشير الى تجفيف الجبث عن طريق الحرارة البطيئة (التدخين)^(١٣) ، على أن هناك من يعارض هذا الاتجاه ، على أساس أنه من غير الممكن أن عددا كبيرا من القوم قدموا جبث موتاهم بهذا العدد الضخم دفعة واحدة ، ومن ثم فإن وجود الهباب انما يشير الى استخدامه فى تطهير المقابر ، هذا فضلا عن أن كلا من هيرودوت وديودور لم يذكر شيئا عن تجفيف الجبث عن طريق التدخين •

وهناك وجه ثالث يذهب الى استعمال الجير الحى فى التحنيط لازالة الجلد ثم التأثير عليه بعد ذلك بنبعذ التمر ، وأن هناك من وجد كربونات الجير فى بعض الموميئات بنسبة ٨٦% ، غير أن «لوكاس» يرى أنه ليس هناك من دليل على استعمال المصريين للجير الحى فى التحنيط ، او فى أى غرض آخر قبل العصر البطلمى^(١٤) •

على أن هناك وجهها رابعا للنظر يذهب الى استعمال النطرون كمادة أساسية فى التحنيط ، وقد عثر على النطرون فى عدة مقابر ، كما فى مقابر «يوياء» و «توبا» والدى الملكة تى ، زوج أمحتب الثالث وأم اخناتون ، وفى مقبرة من الاسرة الحادية والعشرين ، كما عثر على أكياس مليئة بالنطرون فى مقبرة «توت عنخ آمون» ، الى جانب أكياس بها نطرون فى

(١٢) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٦٤ •

S. Yeivin, Liverpool Annals, XIII, 1926, p. 15.

(١٣)

A. Lucas, Op-Cit, p. 313.

(١٤)

صدر بعض الموميات ، هذا فضلا عن العثور على لفائف موميات من عصر الاسرة الثانية عشرة مشبعة بالنظرون ، بل لقد وجد نظرون داخل جمجمة طفل في مقبرة أمنتب الثانى ، وعلى أى حال ، فهناك ما يشير الى استعمال النظرون من عصر الاسرة الرابعة وحتى العصر الفارسى (١٥) .

ولعل سؤال البداية الان : كيف تتم عملية التحنيط ؟

يروى هيرودوت أنه «إذا ما مات مصرى ذو قدر لطخت كل نساء بيته الرأس أو الوجه بالطين ، ثم يترك الجثة فى الدار ، ويجلن فى المدينة لاطمات ، وقد شمرون وكشفن عن صدورهن ومعهن كل «قريباتهن» ثم يحملون الجثة الى المحنطين الذين يعرضون عليهن نماذج ثلاثة لجثث مصنوعة من الخشب ، تمثل أنواع التحنيط الثلاثة ، وأغلاها الطريقة التى اتبعت فى تحنيط أوزير ، والطريقة الثانية أقل تكلفة ، وأما الطريقة الثالثة فهى أقل ما يمكن عمله ولا تكلف الا القليل من المال فإذا ما اتفق الطرفان تسام المحنطون الجثة ، ثم يبدأون فى اخراج بعض المخ من المنخارين بواسطة قطعة معقوفة من الحديد ، والبعض الآخر بفضل عقاقير يصبونها فى الرأس ، ثم يشقون الكشح بحجر أثيوبى مسنون (ولعله حجر الصوان) ويخرجون الاحشاء كلها ثم ينظفونها ويغسلونها بنبيذ التمر ، ثم يطهرونها بالتوابل المجروشة ، ثم يملأ الجوف بمر نقى مسحوق ودار صينى وسائر أنواع الطيب ، ما عدا البخور ، ثم يخيطنونها ثانية ، ثم يملحون الجثة بتغطيتها بالنظرون سبعين يوما ، فى نهايتها تغسل الجثة ثم يلف الجسم كله بشرائط الكتان الشفاف ، ثم يسلمون الجثة لاصحابها ، ويعملون لها هيكلا خشبيا على هيئة انسان ويضعونها فيه ، وبعد اغلاقه عليها يحفظونها بعناية فى غرفة الدفن ويقيمونها مسندة الى حائط» .

هذه هى الطريقة الاولى الغالية الثمن ، وأما الثانية فتتم بأن يملأ المحنطون الحقن بزيت الصنوبر لملأ جوف الجثة دون أن يشجوها ، ودون

(١٥) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

أن يستخرجوا الاحشاء ، ولكنهم يضعون الزيت من الشرج ويسدونه بعد ذلك حتى لا ينساب الزيت منه ، ويملحون الجثة أياما عدتها سبعون يوما ، وفي نهايتها يخرجون الزيت من الجوف ، وهذا الزيت قوته عظيمة ، حتى أنه يجرف معه الاحشاء والمصارين التي تكون قد تحللت ، أما اللحم فيذيبه النطرون ، ومن ثم لا يبقى من الجثة سوى الجلد والعظام ، ثم يردون الجثة الى أهلها دون أية عناية أخرى •

وأما الطريقة الثالثة والتي كانت تستخدم لمن هم أقل ثراء ، فقد كان المحنطون يغسلون الجوف بماء الفجل ، وتترك الجثة في الملح سبعين يوما ، ثم ترد لأصحابها ليذهبوا بها الى المقبرة (١٦) •

وعلى أى حال ، فإن دراسة الجثث انما تشير الى أن معظم ما جاء في رواية هيرودوت انما هو صحيح الى حد كبير ، كما أن هناك ما يشير الى أن عملية التحنيط قد تطورت في العصور المختلفة الى أن بلغت ذروتها في عصر الدولة الحديثة، ويعتبر موميات الملوك تحوتمس الاول وأمنحتب الثانى وسيتى الاول ورعمسيس الثانى والملكة نرمت من أروع الامثلة على مدى اتقان القوم لعملية التحنيط ونجاحهم في احتفاظ الجسم بعلامه وأنسجته الاصلية •

وتتفق طريقة تحنيط الملوك والاشراف في ذلك العصر في كثير من تفاصيلها مع أغلى طريقة شرحها هيرودوت، وتتلخص في الخطوات التالية:

١ - تنقل الجثة الى معمل التحنيط ، والذي كان يسمى « بيت التطهير » (بروعبت) أو البيت الجميل (برنفر) حيث تنزع ملابسها ثم توضع على لوحة خشبية لاجراء العمليات الجراحية لاستخراج المخ ، الامر الذى يتم عادة عن طريق الانف ، وربما عن طريق الثقب الاعظم بواسطة قضيب ملوى من النحاس أو البرونز على شكل ملعقة ، وفي كلا الحالتين كان المخ يهتك بسبب ضخامة حجمه وضآلة فتحة اخراجه ،

(١٦) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١٩٢ - ١٩٧ •

والعملية رغم أنها شاقة فهي ضرورية لان المخ من أوائل الانسجة التي تتعفن بعد الوفاة •

٢ — تستخرج الاحشاء الباطنية عن طريق شق في الجانب الايسر من البطن ، ثم تستخرج الامعاء فالكبد فالطحال ، أما الكليتان فتتركان عادة في مكانهما ، ثم يشق الحجاب الحاجز لاستخراج الرئتين ، أما القلب وأوعيته الدموية فتترك مكانها •

٣ — ينسف تجويف البطن والصدر بنبیذ البلع والتوابل ، وهو اجراء لا يترك أثرا ظاهريا على المومياء •

٤ — تنسف الاحشاء بعد نعتيمها ، وذلك بوضع كل جزء منها في ملح نظرون جاف على سرير صغير مائل الى ان يستخلص كل الماء الذي بها وتجفف تماما ، ثم تعالج بالزيت المعطرة والراتنج المنصهر ، وتلف في أربع لفافات مستقلة ، وتوضع كل منها في بعض الاحيان في تابوت صغير من الذهب كتابوت احشاء توت عنخ آمون ، أو من الفضة كتابوت احشاء توت عنخ آمون ، ثم توضع هذه النوابيت (أو اللفافات بدون نوابيت غالبا) في أربعة اوان تسمى «الاولانى الكانوبية» أعطيتهما يحمل كل منها اسم أحد أولاد حورس الاربعة ، وقد شكلت رؤوس هذه الاولانى على شكل رأس آدمى حتى أخريات أيام الاسرة الثامنة عشرة ، ثم شكلت بعد ذلك طبقا للاشكال الفعلية لأولاد حورس الاربعة ، فالكبد يوضع في اناء غطاؤه على شكل «ايمستى» ، والرئتان توضع في اناء غطاؤه على شكل «حابى» والمعدة في اناء على شكل «دواموت اف» ، ثم الامعاء في اناء على شكل «قبح سنو اف» (وأما أشكال أولاد حورس فكان ايمستى على شكل رأس آدمى ، وكان حابى على شكل رأس قرد ، وكان دواموت اف على شكل رأس ابن آوى ، وكان قبح سنو اف على شكل رأس صقر) ، وأخيرا كانت الاولانى الكانوبية توضع في صندوق للاحشاء يعطوه أحيانا تمثال أنوبيس ، اله الجبانة والتحنيط •

ولعل من الجدير بالاشارة ان الاحشاء كانت على أيام الاسرة الحادية والعشرين تتخلف وتلف بكتان ثم تعاد الى مكانها الطبيعي ، كما كانت في

الحياة الدنيا ، وأما أولاد حور الاربعة فكانت تصنع لهم تماثيل من الشمع ثم توضع في الاحشاء التي كانت تحميتها ، كما كانت البطن تملأ في أكثر الحالات بالنشارة ، وفي قلة منها بالراتنج •

٥ — كان الفراغان البطنى والصدري يحشوان بمواد حشو مؤقتة من ثلاثة أنواع من اللفافات ، الاولى بها نظرون لاستخلاص ماء الجسم من الداخل ، والثانية من الكتان لامتناس الماء المستخرج ، والثالثة من الكتان كذلك ولكنها تتوى على مواد عطرية لأكساب الجسم رائحة طيبة أثناء عملية التحنيط الرئيسية •

٦ — يقفل مكان فتحة البطن بالخياطة أو تختم بمادة راتنجية أو شمعية ، كما تقفل كذلك فتحات الفم والانف ، الاذن والعيون ، ولزيادة المحافظة على الملامح كان المحنطون يغطون الوجه والفم والخدان بكتان مغموس بالنظرون والدهنيات •

٧ — كانت الفكرة الرئيسية للتحنيط هي تجفيف الجثة لمنع الميكروبات اللاهوائية من النمو على أنسجتها ، ومن ثم فقد كانت الجثة توضع بعد استخراج أحشائها وغسلها في كوم من النظرون الجاف ، وربما ملح الطعام الجاف ، على سرير التحنيط ، وهو سرير مائل من الحجر في نهايته فتحة صغيرة تؤدي الى حوض تجمع فيه السوائل التي تستخرج من الجثة نتيجة لعملية الانتضاح ، وتستغرق هذه العملية سبعين يوما يظل الجسم فيها مغموسا في النظرون ، وقد ذكرت تلك السبعون يوما على الآثار المصرية ، ومن ثم فائنا نقرأ على غطاء تابوت بالمتحف المصرى «أنت يا من مكثت سبعين يوما بالمنزل الجميل ، سبعون يوما راقدا في المكان ، سبعون يوما حدادا» •

٨ — تستخرج الجثة بعد ذلك من النظرون وتغسل بالماء وتجفف بالنشافات ، وقد تغسل بسائل آخر مثل نبيذ التمر ، وكانت الاصابع غالبا ما تصبغ بالحنة ، كما كان يحشى تجويف الجمجمة بالراتنج أو بالكتان المشبع بالراتنج ، ويحشى تجويفا الصدر والبطن بمواد مثل

الانسيون والمر والكاشية (خيار شبر) ومواد عطرية أخرى ، فضلا عن الكتان أو الكتان المغموس في الراتنج ، وبالفشارا المشبعة بالراتنج أو بالقرب والنظرون ، وقد يضاف الى ذلك بصلة أو بصلتان ، ثم كانت تشد حافتا الشق البطنى الى جانب بعضهما ، ويثبت على الشق لوح معدنى أو من شمع النحل على شكل عين حور ، ثم يثبت هذا اللوح المعدنى في موضعه على الشق براتنج منصهر لسد شق البطن ، وأحيانا كان الشق يخاط بخيط من الكتان *

٩ — يدهن كل جسم المتوفى بزيت الارز ودهانات عطرية أخرى ، وكذلك كل سطحه بمسحوق المر والقرفة لأكسابه رائحة عطرة *

١٠ — تسد فتحتا الفم والانف والأذنين بقطع من قماش الكتان المغموس في الراتنج المصهور ، أما العينان فكان يوضع بكل منهما قطعة من هذا القماش المشبع بالراتنج تحت الجفن ثم تجذب الجفنان على الحشو. لى تبدو العينان غير غائرتين ، وانما في مستواهما الطبيعى في الحياة بقدر المستطاع ، وفى عهد الاسرة الحادية والعشرين استعملت العيون الصناعية وحشيت العضلات بالراتنج وبالكتان مع الراتنج للحفاظ على الشكل الظاهرى ، أما القطران فقد استعمل بعد ذلك وحده أو ممزوجا مع الراتنج *

١١ — تعالج الجثة كلها براتنج منصهر بواسطة فرشاة عريضة لأكساب الجثة صلابة ولسد مسام الجسم حتى لا تتعرض أنسجته لتأثير الرطوبة مرة أخرى ، ومن ثم لا تتمكن بكتريا التعفن من العيش على أنسجته *

١٢ — تزين جسم المتوفى بالحلوى ، وقد وجدت على مومياء توت عنخ أمون ١٤٣ قطعة من الحلوى المختلفة من الخواتم والاقراط والمعقود والاساور والصدريات والتماثيل المختلفة ، كما وضعوا في بعض الاحوال حزاما من الخرز في وسطه دلالية على شكل صقر جاثم من العقيق الاحمر بحيث يقع فوق شق التحنيط كتسمية لحماية الشق ووقايته ، ثم يلف

الجسم كله بلفائف من الكتان التى تلتصق بعكسها بالراتنج المعطر ، وقد
لفت جثة توت عنخ آمون بست عشرة طبقة من الكتان •

١٣ — تجرى على المومياء — بعد انتهاء كل العمليات السابقة
والطقوس التى تصاحبها — عملية «فتح الفم» التى يلمس فيها الكاهن
الاعظم فم المومياء بقضيب خاص ويقول له «أنت الآن ترى بعينيك ،
وتسمع بأذنيك ، وتفتح فمك لتتكلم وتأكل ، وتحرك ذراعيك وساقيك ،
أنت تحيا ، أنت الآن حى ، وقد عدت صغيرا مرة أخرى ، وستعيش الى
الابد» (١٧) •

-
- (١٧) زكى اسكندر : المرجع السابق ص ١١ - ١٦ ، حسن كمال :
المرجع السابق ص ٥٦٥ - ٥٦٨ ، بول غليونجى : المرجع السابق ص
٣٥ - ٣٨ ، محمد عبد الحميد : الفراعنة والطب الحديث ص ٢٠٧ - ٢٢٧ ،
يوليوس جيار ريتز : الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة ص ١٠٢ - ١٤٢ ،
G. E. Smith and W. Dawson, Op-Cit, p. 168. وكذا
A. Zaki and Z. Iskander, ASAE, 42, 1943, p. 223-255. وكذا
W. Dawson, JEA, 13, 1927, p. 40-49. وكذا
A. Lucas, Op-Cit, p. 270-320. وكذا
E. Smith, The Royal Mummies, Le Cairo, 1912. وكذا
H. S. Bakry, A brief Study of Mummification in Cairo, 1965. وكذا
S. Sauneron, le rituel de L'embaumement, le Cario, 1962. وكذا
Z. Iskander and A. E. Shaheen, Temporary Stuffing Materials
used in The Process of Mummification, Part, I, Asaf, T. LVII, Cairo,
1964, p. 197-208. وكذا
ASAE, 30, 1930, p. 102-104, 40, 1940, p. 233. وكذا
JEA, 18, p. 177. وكذا

المراجع المختارة

أولا : المراجع العربية

- الدكتور أحمد بدوى : فى موكب الشمس - جزآن - القاهرة ١٩٥٥/٥٠
- الدكتور أحمد بدوى والدكتور محمد جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر - الجزء الاول - القاهرة ١٩٧٤
- الدكتور أحمد فخرى : مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٧١
- الدكتور أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى - الادب المصرى القديم - القاهرة ١٩٦٢
- الدكتور أحمد فخرى : الاهرامات المصرية - القاهرة ١٩٦٣
- الدكتور بول غليونجى : طب وسحر - القاهرة ١٩٦٠ م
- الدكتور بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى الطب عند قدماء المصريين - القاهرة ١٩٦٢ م
- الدكتور بول غليونجى ، وزينب الدواخلى : الحياة الطبية فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٦٥ م
- الدكتور حسن كمال : الطب المصرى وقديم (أربعة أجزاء) - القاهرة ١٩٦٤ م
- زكى اسكندر : التحنيط فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٣
- الدكتور سليم حسن : الادب المصرى القديم - جزآن - القاهرة ١٩٤٥
- الدكتور سيد توفيق : معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٨٤
- الدكتور عبد الحميد زايد : مصر الخالدة - القاهرة ١٩٦٦
- الدكتور عبد الحميد زايد : الرمز والاسطورة الفرعونية - عالم الفكر - الكويت ١٩٨٥
- الدكتور عبد الحميد سماعة : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى الفلك عند المصريين القدماء - القاهرة ١٩٦٢ م
- الدكتور عبد العزيز صالح : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى الرياضيات فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٦٢

الدكتور عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها - الجزء الاول -
القاهرة ١٩٦٢ •

الدكتور عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم - الجزء الاول - القاهرة
١٩٦٧ •

الدكتور عبد العزيز صالح : التربية والتعليم في مصر القديمة - القاهرة
١٩٦٦ •

الدكتور عبد المنعم ابو بكر : اساطير مصرية - القاهرة ١٩٥٤ •
الدكتور محمد بيومي مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفراعنة
الاسكندرية ١٩٦٦ •

الدكتور محمد بيومي مهران : مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨ •
الدكتور محمد بيومي مهران : مصر - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٨ •
الدكتور محمد بيومي مهران : مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ •
الدكتور محمد بيومي مهران : اخناتون - عصره ودعوته - القاهرة ١٩٧٩ •
الدكتور محمد بيومي مهران : اسرائيل - الجزء الثالث - الاسكندرية
١٩٧٩ •

محمد عبد الحميد بسيونى : الفراعنة والطب الحديث - دار المعارف -
القاهرة ١٩٧٩ •

محرم كمال : الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء - القاهرة
١٩٦٢ •

الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الاول
والثانى - الاسكندرية ١٩٦٦ •

الدكتور نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٦٦ •

ثانيا : المراجع المترجمة

أدولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة
ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ومحرم كمال - القاهرة ١٩٥٣ •
الكسندر شارف : تاريخ مصر - ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر - القاهرة
١٩٦٠ •

الن جاردنر : مصر الفراعنة - ترجمة نجيب ميخائيل - القاهرة ١٩٧٣ •

- جورج سارتون : تاريخ العلم - مصر - ترجمة الدكتور مصطفى الامير -
القاهرة ١٩٦٣م .
- جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعوني - ترجمة
على حافظ - القاهرة .
- جون ويلسون : الحضارة المصرية - ترجمة احمد فخرى - القاهرة ١٩٥٦ .
- جيمس هنرى برستد : فجر الضمير - ترجمة سليم حسن - القاهرة ١٩٥٦ .
- سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة - ترجمة زينب الكردى - القاهرة
١٩٧٥ .
- يوليوس جيار ، ولويس ريتز : الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة - ترجمة
أنطون زكرى - القاهرة .

ثالثا : المرجع الاجنبية

- Anthes, (R.), JNES, 16, 1957, p. 176-190.
- Barta, (W.), MDIK, 21, 1971, p. 35-145.
- Bissing, (F. W. Von), Altägyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955.
- Bottero, (J.), Cassin, (E.), and Vercoutier, (J.), The Near East, The Early
Civilization, London, 1967.
- Breasted, (J. H.), A History of Egypt, New York, 1946.
- Breasted, (J. H.), The Edwin Smith Surgical Papyrus, Chicago, 1930.
- Brunner - Traut, (E.), Altägyptische Märchen, Dusseldorf-Cologne, 1965.
- Brunner - Traut, (E.), ZAS, 94, 1967, p. 6-15.
- Brunner, (H.), Altägyptische Erziehung, Wiesbaden, 1957.
- Budge, (E.A.W.), Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in The British
Museum, London, 1910.
- Chace, Ludlow Bull, Henry Parker Manning, and Raymond Clare
Archibald, The Rhind Mathematical Papyrus, (2 Vol, Oberlin,
Ohio, 1927-1929).
- Dawson, (W.), JEA, 14, 1928, JEA, 20, 1934.
- Davaud, (E.), Les Maximes de Ptahhotep, Fribourg, 1916.
- Dawson, (W. R.), Making a Muminy, in JEA, XIII, 1927.

- Dawson (W. A.), and Gray (P. H. K.), *Mummies and Human remains*
British Museum, London, 1963.
- Drioton, (E.), et Vandier (J.) *L'Egypte*, Paris, 1962.
- Drioton, (E.), *RdE*, 12, 1960, p. 90-91.
- Ebbell, (B.) *The Ebers Papyrus*, Copenhagen, 1937.
- Edel, (E.), *MIO*, I, 1953, p. 210-226.
- Edgerton, (W. F.), *Chronology of The Twelfth Dynasty*, in *JNES*, I,
1942.
- Emery, (W. B.), *Archaic Egypt*, (Penguin Books), 1963.
- Erman, (A.), *The Literature of The Ancient Egyptians*, Trans. into
English by A. M. Blackman, London, 1927.
- Faulkner, (R. O.), Wente, (E. F.), and Simpson, (W. K.), *The Literature
of Ancient Egypt*, London, 1977.
- Faulkner, (R. O.), *JEA*, 50, 1964, p. 24-36, *JEA*, 51, 1965, p. 53-62.
- Federn, (W.), *JEA*, 36, 1950, p. 48-50.
- Forbes, (R.), *Studies in Ancient Technology*, II, London, 1955.
- Garstang, (J.), *The Bural Customs of Ancient Egypt*, London, 1907.
- Gardiner, (A. H.), *The House of Life*, *JEA*, 24,
- Gardiner, (A. H.), *The Admanitions of an Egyptian Sage*, Leipzig, 1909.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, I, 1914, p. 20-36.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, 1914, p. 100-106.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, 9, 1923, p. 5-25.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, 32, 1946, p. 71-74.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, 37, 1951, p. 109-110.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, 45, 1959, p. 12-15.
- Gardiner, (A. H.), *Hieratic Papyri in The British Museum, Third Series :*
Chester Beaty Gift. 2, London, 1935.
- Gardiner, (A. H.), *Egypt of The Pharaohs*, Oxford, 1961.
- Ghalioungui, (P.), *Magic and Medical Science in Ancient Egypt*, 1963.

- Golenischeff, (W.), Les Papyrus hieratiques Nos : 1115, 1116A et 1116B de L'Ermitage imperial a St-Petersbourg, St-Petersbourg, 1916.
- Goedicke, (H.), JARCE, 7, 1968, p. 15-21.
- Grapow, (Herman), Grundrisse der Medizin der Alten Agypter, Berlin (1958-1962).
- Griffith, (F. L.), JEA, 12, 1926, p. 191-231.
- Gunn, (B.), The Instructions of Ptah-Hotep and The Instructions of Ke'gemni, The Oldest books in The World, London, 1912.
- Hayes, (W. C.), The Scepter of Egypt, 2 Vols, New York, 1953-1959.
- Harris, (J. E.) and Weeks (K. R.), X-Raying The Pharaohs, New York, 1973.
- Helck, (W.), Der Text der Lehre Amenemhets, I, für seinen Sohn, Wiesbaden, 1969.
- Hermann, (A.), Altägyptische Liebesdichtung, Wiesbaden, 1959.
- Hermann, (A.), OLZ, 42, 1939, p. 141-153.
- Humbert, (P.), Recherches sur les Sources de la Littérature Sapientiale d'Israel, Neuchâtel, 1929.
- Iskander, (Z.), and Shaheen, (A. E.), Temporary Stuffing Materials used in The Process of Mummification, Cairo, 1964.
- Lefebvre, (G.), Romans et Contes Egyptiens de L'époque Pharaonique, Paris, 1949.
- Lefebvre, (G.), La Médecine de L'époque Pharaonique Paris, 1956.
- Lichtheim, (Miriam), Ancient Egyptian Literature Vol. I, London, 1975. Vol. II, London, 1976.
- Lopez, (J.), RdE, 15, 1963, p. 29-33.
- Lucas, (A.), Ancient Egyptian Materials and Industries London, 1948.
- Möller, (G.), Hieratische Lesetücke für den akademischen Gebrauch 3, Berlin, 1961.
- Müller, (D.) ZAS, 94, 1967, p. 117-123.

- Parker, (R. A.), *The Calendars of Ancient Egypt*, Chicago, 1950.
- Parker, (R. A.), *JNES*, 16, 1957.
- Peet, (T. E.), *The Rhind Mathematical Papyrus*, Liverpool, 1923.
- Peet, (T. E.), *A Comparative Study of The Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamis*, London, 1931.
- Peterson, (B. J.), *JEA*, 52, 1966, p. 120-128.
- Posner, (G.), *la Premiere domination Perse en Egypte*, le Caire, 1936.
- Posener, (G.), *Litterature et Politique dans L'Egypte le la XIIe dynastic*.
Bibliotheque de l'Ecole des Hautes Etudes 307 Paris, 1958.
- Posener, (G.), *RdE*, 6, 1951, p. 32-33 .
- Posener, (G.), *RdE*, 18, 1966, p. 45-62.
- Posener, (G.), *ZAS*, 99, 1973, p. 129-135.
- Posener, (G.), *Annuaire du College de France*, 62, 1962, p. 290-295.
- 63, 1963, p. 303-305.
- 64, 1964, p. 305-307.
- 65, 1965, p. 343-346.
- 66, 1966, p. 342-345.
- Riad, (Naguib), *La Medecine au Temps des Pharaons*, Paris, 1955.
- Sauneron, (S.), *le rituel de L'embaumement*, le Cario, 1952.
- Simpson, (D. C.), *JEA*, 12, 1926, p. 232-239.
- Smith (E.), *The Royal Mummies*, le Cairo, 1912.
- Smith, (G. E.) and Dawson (W. R.), *Egyptian Mumies*, London, 1924.
- Sloley, (R. W.), *The Origin of The 365-day Egyptian Calendar*, in *ASAE*,
XLVIII, 1949.
- Till, (W. C.), *Arzneikunde der Kopen*, Berlin, 1951.
- Vercoutter, (J.), *L'Egypte Ancienne*, Paris, 1963.
- Williams, (R.), *JEA*, 48, 1962, p. 49-56.
- Williams, (R.), in *Essays in Honour of T. J. Meek*, Tornto, 1964, p. 16-19.

- Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 12-13.
- Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 412-425.
- Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 441-446.
- Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 467-469.
- Wilson, (J. A.), The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963.
- Wreszinski, (W.), The Text of Papyrus Ebres, Leipzig, 1913.
- Yoyotte, (J.), BSFE, 11, 1952, p. 67-72.
- Zaba, (Z.), Les Maximes de Ptahhotep, Prague, 1956.
- Zaki, (A.), and Iskander, (Z.), Materials and Method used for Mummifying the Body of Amentefnekht at Saqqara in ASAE, XLII, 1943.
- Zaki, (A.), and Iskander, (Z.), ASAE, 42, 1943.

فهرست الموضوعات

تقديم ط

الكتاب الاول

الادب المصرى القديم

الفصل الاول :

الادب المصرى القديم ، اهميته وتطوره وخصائصه ١

الفصل الثانى :

ادب الاسطورة ١٧

١ - اسطورة اوزير وست ٢٠

٢ - اسطورة حور والعقارب السبع ٢٩

٣ - اسطورة الصراع بين حور وست ٣٣

٤ - اسطورة هلاك البشرية وانقاذها ٤٣

٥ - اسطورة حيلة ايزة ٥٠

٦ - اسطورة البهتان والصدق ٥٤

٧ - اسطورة مولد حتشبسوت الالهى ٥٧

الفصل الثالث :

ادب القصة ٦٥

١ - قصة خوفو والسحرة ٧٠

(١) قصة الزوجة الخائنة ٧٣

(٢) قصة سنفرو وفتيات القصر ٧٤

(٣) قصة خوفو والساحر جدى ٧٥

٢ - قصة الفلاح الفصيح ٨٠

٣ - قصة سنوهى ٩٤

- ٤ - قصة الملاح والجزيرة النائية ١١٠
 ٥ - قصة فتح يافا ١١٦
 ٦ - قصة الاخوين ١٢٠
 ٧ - قصة ون أمون ١٢٧
 ٨ - قصة الامير المقدور عليه ١٤٠

الفصل الرابع :

- ادب الاناشيد ١٤٥
 أولا : من أناشيد أمون ١٤٧
 ثانيا : من أناشيد اخناتون لالهة أتون ١٥١
 ١ - الانشودة الصغرى ١٥١
 ٢ - النشيد الكبير ١٥٣
 مميزات دعوة اخناتون من خلال الاناشيد ١٥٨
 ١ - الدعوة الى التوحيد ١٥٩
 ٢ - الدعوة الى دين عالمي ١٦٠
 ٣ - القضاء على التفرقة العنصرية ١٦٢
 ٤ - التركيز على قدرة الخالق ١٦٥
 ٥ - اظهار الرحمة في صفات الاله الخالق ١٦٦
 ٦ - التفسير العلمى لفيضانات النيل ١٦٨
 ٧ - الدعوة الى الصدق ١٦٩
 ٨ - تجاهل المرأة في الديانة الجديدة ١٧٠
 ٩ - اخراج الدين الى العلانية ١٧٣
 ١٠ - تقدير تجلى قدرة الله فى العالم الحسى ١٧٣
 نشيد اخناتون والمزمور ١٠٤ ١٧٤

الفصل الخامس :

- ادب المدائح والملحاح والغناء والغزل ١٨٥
 أولا : من أدب المدائح ١٨٧
 ١ - مدائح سنوسرت الثالث ١٨٧
 ٢ - قصيدة مديح تحوتمس الثالث ١٩٢
 ثانيا : من أدب الملحاح ١٩٥
 ملحمة معركة قادش ١٩٥

٢٠٥	ثالثا : من أدب الغزل والغناء
٢٠٥	(أولا) : أغاني الغزل
٢١٢	(ثانيا) : الغناء

الفصل السادس :

٢١٧	من أدب الحوار
٢١٩	بردية الياثس من الحياة

الفصل السابع :

٢٣١	من أدب الحكمة والنصائح
٢٣٤	١ - تعاليم بتاح حوتب
٢٤٧	٢ - نصائح الى كاجمنى
٢٥٠	٣ - تعاليم خيتى بن داووف لابنه بيبى
٢٥٨	٤ - نصائح الحكيم آنى
٢٦٦	٥ - تعاليم امنمؤوى

الفصل الثامن :

٢٨٥	من أدب النقد والسياسة
٢٨٧	١ - تحذيرات الحكيم ايبو - ور
٢٩٩	٣ - نبؤة نفرتى
٣٠٦	٣ - ارشادات الى الملك مرى كارع
٣٢٧	٤ - تعاليم الملك أمنمحات الاول لولده سنوسرت

الكتاب الثانى

العلوم

الفصل الاول :

٣٣٣	المراكز الثقافية ودور الحياة
٣٣٥	١ - تقديم
٣٤٢	٢ - المراكز الثقافية الكبرى
٣٤٤	٣ - دور الحياة

الفصل الثانى :

٣٤٩ الفصل

الفصل الثالث :

٣٦٣ العلوم الرياضية والهندسية

٣٦٥ ١ - العلوم الرياضية

٣٧٠ ٢ - الهندسة

الفصل الرابع :

٣٧٩ الطب

٣٨١ ١ - تقديم

٣٨٢ ٢ - الطب والسحر

٣٨٥ ٣ - البرديات الطبية

٣٨٨ (١) بردية أدوين سميث الجراحية

٣٩٢ (٢) بردية ايبرس

٣٩٥ (٣) بردية برلين الطبية

٣٩٦ (٤) بردية تشستر بيتى الطبية

٣٩٦ (٥) بردية كارلبرج

٣٩٧ (٦) بردية كاهون

٣٩٩ (٧) بردية لندن الطبية

٣٩٩ (٨) بردية ليدن

٤٠٠ (٩) بردية هرس

٤٠٠ ٤ - المدارس الطبية

٤٠٤ ٥ - الاطباء

٤٠٤ (أولا) الاطباء الكهنة

٤٠٦ (ثانيا) الاطباء العلمانيون

٤٠٩ (ثالثا) المساعدون

الفصل الخامس :

٤١١ الصحة العامة

٤١٣ ١ - الزواج

٤١٤ ٢ - الختان

- ٣ - النظافة العامة ٤١٩
 ٤ - البيت المصري ٤٢٠
 ٥ - الامراض والتشوهات ٤٢٤

الفصل السادس :

- الاجراءات العلاجية ٤٢٩
 ١ - التشخيص ٤٣١
 ٢ - الاجراءات العلاجية ٤٣١
 ٣ - امراض النساء ٤٣٤
 ٤ - العقاقير ٤٣٦

الفصل السابع :

- التحنيط ٤٤١
 ١ - تقديم ٤٤٣
 ٢ - التحنيط ٤٤٤
 المراجع المختارة ٤٥٦
 اولاً : المراجع العربية ٤٥٩
 ثانياً : المراجع المترجمة ٤٦٠
 ثالثاً : المراجع الاجنبية ٤٦١

مؤلفات

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية
بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية

أولا : فى التاريخ المصرى القديم :

- ١ - الثورة الاجتماعية فى مصر الفراعنة الاسكندرية ١٩٦٦
- ٢ - مصر والعالم الخارجى فى عصر رمسيس الثالث الاسكندرية ١٩٦٩
- ٣ - حركات التحرير فى مصر القديمة - دار المعارف القاهرة ١٩٧٦
(وهو الجزء الثالث من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم)
- ٤ - اخناتون : عصره ودعوته الاسكندرية ١٩٧٩
(وهو الجزء الرابع من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم)
- ٥ - مصر الكتاب الاول - التاريخ الاسكندرية ١٩٨٢
- ٦ - مصر الكتاب الثانى - التاريخ الاسكندرية ١٩٨٣
وهما الجزءان الاول والثانى من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم *
- ٧ - الحضارة المصرية القديمة الاسكندرية ١٩٨٤
(وهو الجزء الخامس من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم)

ثانيا : فى تاريخ اليهود القديم :

- ٨ - دراسات فى تاريخ اليهود القديم - التوراة (١) - مجلة الاسطول - العدد ٦٢ الاسكندرية ١٩٧٠
- ٩ - دراسات فى تاريخ اليهود القديم - التوراة (٢) - مجلة الاسطول - العدد ٦٤ الاسكندرية ١٩٧٠
- ١٠ - دراسات فى تاريخ اليهود القديم - التوراة (٣) - مجلة الاسطول - العدد ٦٥ الاسكندرية ١٩٧٠
- ١١ - قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة (١) - مجلة الاسطول - العدد ٦٦ الاسكندرية ١٩٧١

- ١٢ - قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة (٢) - مجلة الاسطول -
العدد ٦٧ الاسكندرية ١٩٧١
- ١٣ - النقاوة الجنسية عند اليهود - مجلة الاسطول - العدد ٦٨
الاسكندرية ١٩٧١
- ١٤ - اخلاقيات الحرب عند اليهود - مجلة الاسطول - العدد ٦٩
الاسكندرية ١٩٧١
- ١٥ - التلمود - مجلة الاسطول - العدد ٧٠ الاسكندرية ١٩٧٢
- ١٦ - اسرائيل : الكتاب الاول - التاريخ الاسكندرية ١٩٧٨
(وهو الجزء السابع من سلسلة دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم)
- ١٧ - اسرائيل - الكتاب الثانى - التاريخ الاسكندرية ١٩٧٨
(وهو الجزء الثامن من سلسلة دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم)
- ١٨ - اسرائيل - الكتاب الثالث - الحضارة الاسكندرية ١٩٧٩
(وهو الجزء التاسع من سلسلة دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم)
- ١٩ - اسرائيل - الكتاب الرابع - الحضارة
(وهو الكتاب العاشر من سلسلة دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم)
- ٢٠ - النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل الاسكندرية ١٩٧١

ثالثا : فى تاريخ العرب القديم :

- ٢١ - الساميون والاراء التى دارت حول موطنهم الاصلى
الرياض ١٩٧٤
- ٢٢ - العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة
مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن
سعود الاسلامية - العدد السادس الرياض ١٩٧٦
- ٢٣ - مركز المرأة فى الحضارة العربية القديمة
مجلة كلية العلوم - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - العدد
الاول الرياض ١٩٧٧
- ٢٤ - دراسات فى تاريخ العرب القديم
(وهو الجزء السادس من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الادنى
القديم - وقد أصدرته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، تحت
رقم (١) من المكتبة التاريخية) الرياض ١٩٧٧
- ٢٥ - دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الاول فى بلاد العرب

(اصدرته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - تحت رقم (٢) من
المكتبة التاريخية)
الرياض ١٩٨١

- ٢٦ - دراسة حول الديانة العربية القديمة الاسكندرية ١٩٧٨
٢٧ - العرب والفرس في العصور القديمة الاسكندرية ١٩٧٨
٢٨ - دراسات في الحضارة العربية القديمة الاسكندرية ١٩٨٨
٢٩ - الفكر الجاهلي ، المجلس الاعلى للثقافة القاهرة ١٩٨٢
(بحث في كتاب الحضارة الاسلامية على مدى أربعة عشر قرنا)

رابعاً : في تاريخ العراق القديم :

- ٣٠ - قصة الطوفان بين الاثار والمكتب المقدسة
مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد الخامس
الرياض ١٩٧٥
٣١ - قانون حمورابي واثره في تشريعات التوراة الاسكندرية ١٩٧٩
٣٢ - المدخل في تاريخ الشرق الادنى القديم - (بالاشتراك مع الاستاذ
الدكتور رشيد الناضوري) ، (جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية) ٠

خامساً : دراسات تاريخية من القرآن الكريم :

- الجزء الاول : في بلاد العرب بيروت ١٩٨٨
الجزء الثاني : في مصر بيروت ١٩٨٨
الجزء الثالث : في بلاد الشام بيروت ١٩٨٨
الجزء الرابع : في العراق بيروت ١٩٨٨

سادساً : في رحاب النبي وآل بيته الطاهرين :

- الجزء الاول : السيرة النبوية الشريفة تحت الطبع
الجزء الثاني : السير النبوية الشريفة تحت الطبع
الجزء الثالث : السيدة فاطمة الزهراء تحت الطبع
الجزء الرابع : الامام على بن أبي طالب تحت الطبع
الجزء الخامس : الامام الحسن بن على تحت الطبع
الجزء السادس : الامام الحسين بن على تحت الطبع

الهيئة العامة للغذاء والدواء
١٩ شارع محمد السادس - الرياض - ١١٦٦٠٠
الرياض

